

الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا للعلوم
الانسانية والاجتماعية

رسالة دكتوراه

**"أثر النحو
في تفسير القرطبي"**

اعداد

محمد لطفي زهدي دحلان



اشراف

الاستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي
ساعد في الاشراف / الدكتور محمد حسن عواد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة
الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الاردنية

عميد كلية الدراسات العليا

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٢/٨/١٩٩٢ واجيزت

١- الاستاذ الدكتور محمد بركات حمدي ابو علي

المشرف

رئيسا

٢- الاستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

عضوا

٣- الاستاذ الدكتور نهاد الموسى

عضوا

٤- الاستاذ الدكتور محمود حسني

عضوا

٥- الدكتور محمد حسن عواد

مشرف مشارك

عضوا

المقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له، أنزل الكتاب بالحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلى الله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد، يعد "تفسير الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله القرطبي^(١) (ت ٦٧١هـ) تفسيرًا بالرأي الجائز؛ وذلك لأن القرطبي في هذا التفسير يستخدم النحو أداة لتحليل ألفاظ القرآن فضلًا عن استخدامه الأحاديث المروية.

وهذا التفسير غني بالمسائل النحوية ومليء بآراء النحاة والعلل واللغات وتوجيه القراءات، فهذا الأثر الجلي للنحو في تفسير القرطبي حفزني إلى اتخاذ هذا التفسير لدراسة توظيف النحو في تفسير القرآن، في رسالة جامعية لاستكمال المتطلبات في الحصول على درجة الدكتوراه. وتكون هذه الدراسة بداية لرغبتني الصادقة في معرفة دقائق معاني القرآن الكريم.

وقد تطرق بعض الباحثين إلى بحث موضوع النحو في تفسير القرطبي فمنهم الدكتور القسبي محمود زلط في كتابه "القرطبي ومنهجه في التفسير" ويوسف عبدالرحمن الفرت في كتابه "القرطبي المفسر سيرة ومنهج" ولكن النحو في كلا الكتابين لم يحظ إلا بدارسة

(١) واسم الكتاب الكامل: "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان" وهو على عشرين جزءًا والقرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله شمس الدين الأنصاري، الخزرجي ثم القرطبي، المفسر عالم بالحديث رواية ودراية مالكي المذهب نشأ بقرطبة وانتقل إلى مصر قبل سنة ٦٣٧هـ، ومن شيوخه في الأندلس أبو عامر الأشعري (ت ٦٣٩هـ) وابن أبي حجة (ت ٦٤٣هـ) ومن شيوخه في مصر عبدالمعطي الاسكندراني (ت ٦٣٨هـ) وابن الجيميزي الشافعي (ت ٦٤٩هـ)، ومن تلاميذه ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) وأبي جعفر ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) وله من كتب: "التذكرة" و"التذكار" والجامع لأحكام القرآن" كلها مطبوعة وعدة كتب أخرى، وتوفي بمدينة بني الخصب، من الصعيد الأدنى بمصر سنة ٦٧١هـ ودفن بها وانظر

ب

عابرة، وانما جعل النحو جزءاً من فصل من فصول الكتاب فكان النحو في الكتاب الاول جزءاً من فصل عنوانه "اللغة في تفسير القرطبي" (١) وفي الكتاب الثاني في ضمن فصل "البيان اللغوي في تفسير القرطبي" (٢).

وقام الدكتور ابراهيم عبدالله رفيده بدراسة هذا التفسير أيضاً هي دراسة قريبة من الدراسة التي قمت بها من ناحية الموضوع (٣)، غير أن هذه الدراسة لم تكن مفصلة، ولا -

= = الترجمة عنه في المصادر التالية :

- ١- "الذيل والتكملة" للمراكشي (ت ٧٠٣هـ) ٥٨٥/٥ .
 - ٢- "الوافي بالوفيات" للصفدي (ت ٧٦٤هـ ١٢٢/٢-١٢٣ .
 - ٣- "الحبياج المذهب" لابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) ٣٠٨/٢ .
 - ٤- "طبقات المفسرين" للسيوطي ((ت ٩١١هـ) ص ٧٩ .
 - ٥- "كشف الظنون" لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ٣٨٣/١-٣٩٠ .
 - ٦- "ايضاح المكنون" لاسماعيل البغدادي (ت ١٢٣٩هـ) ٨١/١، ٢٤١/٢ .
 - ٧- "هدية العارفين" لاسماعيل البغدادي ١٢٩/٢ .
 - ٨- "شذرات الذهب" لابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) ٣٣٥/٥ .
 - ٩- "تكملة" "تاريخ الادب العربي" لبركلمان نسخة بالالمانية ٧٣٧/١ .
 - ١٠- "القرطبي ومنهجه في التفسير" للدكتور القسبي محمود زلط ص ٥-١٠٥ .
 - ١١- "القرطبي سيرة ومنهج" ليوسف عبدالرحمن الفرت ص ٣٢ ومابعدها .
- (١) انظر "القرطبي ومنهجه في التفسير" للدكتور القسبي محمود زلط ، دار الانصار، القاهرة ١٩٧٩، ص ٢٣٧ وما بعدها .
- (٢) انظر "القرطبي المفسر سيرة ومنهج" ليوسف عبدالرحمن الفرت، دار القلم، ط١، الكويت ١٩٨٢، ص ٢٤٦ وما بعدها .
- (٣) انظر "النحو في كتب التفسير" للدكتور ابراهيم عبدالله رفيده منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ، ط ١، الليبية ١٩٨٠، ج ٢ ص ٨٧٩-٩٠٢ .

تستند الى استقراء تام دقيق لمادة النحو في تفسير القرطبي، وانما كان هذا التفسير أحد التفاسير الكثيرة التي درسها الباحث في الجانب النحوي في كتاب سماه "النحو في كتب التفسير" .

فدراسة أثر النحو في تفسير القرطبي لم تكن هي الاولى في نوعها من ناحية الموضوع ولكنها الاولى من الناحية العملية : لأن هذه الدراسة تبني على أساس الاستقراء التام لمسائل النحو في تفسير القرطبي من ناحيتي النظرية والتطبيقية .
هذا وتتألفت الرسالة من مقدمة فمدخل ثم ثلاثة فصول وتختتم بخاتمة .

وعرضت في مدخل الرسالة دراسة تاريخية لنشأة التفسير وتدرجه وتحديد زمان دخول النحو في مجال التفسير وما أثر استخدام النحو أداة للتفسير؟ وهل للتفسير أثر في النحو؟ حتى يكون هذا المدخل موثياً قدم للدخول في صلب موضوع الرسالة .

وشرحت في الفصل الأول "شواهد القرطبي النحوية" هي القرآن الكريم والقراءات القرآنية، والحديث الشريف، وكلام العرب شعراً ونثراً، وحاولت فيه استجلاء موقف القرطبي من الاستشهاد بهذه الشواهد الاربعة لمسائل النمو المختلفة، و الموازنة بين مواقف النحاة عامة من هذه الشواهد، وابرار وظيفة القرطبي من حيث كونه مفسراً .

وكشفت في الفصل الثاني عن "اتجاهات القرطبي النحوية" ويحتوي هذا الفصل على موقف القرطبي من النحاة السابقين ، أي من ناحية القبول والرفض التي لم تصل الى درجة الاختيار؛ لأن اختياراته النحوية ستدرس في المبحث الثاني . ثم يليه البحث في مصطلحاته النحوية، واختتم الفصل بالبحث في مصادر القرطبي النحوية واللغوية .

وخصمت الفصل الأخير لدراسة مسائل النحو التطبيقية عند القرطبي، وهي مشتملة على دراسة في "الاعراب التطبيقي" ودراسة في "مسائل الصرف واللغة" و"احتفاء القرطبي باختلاف اللغات في تفسير القرطبي" . وبحث "مسائل النحو وأثرها في المعنى" .
ثم أوضحت النتائج البارزة من هذه الدراسة في خاتمة الرسالة .

ومن أهم مصادر هذه الدراسة "كتاب سيويه" (١) و"سر صناعة الاعراب" (٢) والخصائص" (٣) و"شرح المفصل" (٤) و"مع الهوامع" (٥)، و"كتاب الاقتراح في علم أصول النحو" (٦)، و"اعراب القرآن" (٧) للنحاس، و"تفسير ابن عطية" (٨) و"جمهرة أنساب العرب" (٩).

وبعد كتاب "اعراب القرآن" للنحاس من أهم هذه المصادر كلها، لأن القرطبي أسس بناء تفسيره النحوي على هذا الكتاب، وكان كتاب البرهان في علوم القرآن، للزركشي، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي مصدرين رئيسيين في أعداد المدخل.

-
- (١) كتاب سيويه تحقيق عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٩٨٣م.
 - (٢) "سير صناعة الاعراب" لابن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق حسن هنداي، دار القلم، ط١، دمشق ١٩٨٥م.
 - (٣) "الخصائص" لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط٢، بيروت (د.ت).
 - (٤) "شرح المفصل" لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت (د.ت).
 - (٥) "مع الهوامع" للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق الدكتور عبدالعالم سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٩.
 - (٦) "الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي" (ت ٩١١هـ) دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٥٩هـ.
 - (٧) "اعراب القرآن" للنحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٩٨٨م.
 - (٨) "تفسير ابن عطية" لابن عطية (ت ٥٤١هـ) حققه مجموعة من الباحثين، طبعة دولة قطر، ط١، قطر ١٩٧٧م.
 - (٩) "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) راجعه لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٨٣م.

ومن الصعوبات التي واجهتها في هذه الدراسة، أولاً : أنني في هذه الدراسة اتعامل مع نص العربي المعجز، الذي نظمت الفاظه في أرقى درجات البلاغة والفصاحة، فهذا التعامل بحاجة الى بذل أقصى ما يمكن من جهد معتمداً على امكانياتي المحدودة، وثانياً: أن عدة مناهج فكرية تتضافر في هذا التفسير مثل منهج النحاة، ومنهج القراء، ومنهج المفسرين، وفيه تجتمع علوم مختلفة، كعلم النحو وعلم البلاغة وعلم الحديث وعلم أصول الفقه، وعلوم القرآن الأخرى، فلذلك كان تجريد مسائل النحو واستقماؤها من تفسير القرطبي عمليين يحتاجان الى دقة النظر، وإلى التزود بعلوم المعارف المختلفة التي لها صلة بالتفسير.

فصعوبة هذه الدراسة تكمن في فهم أثر النحو في تفسير القرطبي فهما صحيحاً ثم عرضه في أسلوب قريب التناول.

وأخيراً، فمن واجبي في هذا المقام أن أوجه شكري الجزيل للأستاذ الدكتور عبدالمجيد المحتسب، الذي أشرف على هذه الرسالة في بداية العمل بها وأوجه امتناني الوفير لاستاذي الدكتور محمد حسن عواد، الذي ساعد في الإشراف، وكان له فضل كبير في رسم خطة الرسالة وفي توجيه نصائح قيّمة أفدت منها في اخراج البحث على هذه الصورة.

وأخص بالشكر العميق كذلك للأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي بما قدم لي من وقت للإشراف على رسالتي بعد أن أحيل إليه الإشراف ثانية بعد الاستاذ المحتسب، والدكتور بركات هو الذي إنقذني من صعوبة الحال، ومهد لي طريق الانجاز لهذه الرسالة.

كما أنني أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة والأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور محمود حسني لما تكبدوا من جهد في قراءة هذه الرسالة، وما قدموا لي من توجيهات مفيدة.

والله من وراء القصد، وهو وليّ التوفيق، إليه أفوض أمري، هو ربّي عليه توكلت واليه أنيب.

المدخل : علاقة النحو بالتفسير واثـر كل منهما في الآخر

نشأة التفسير (١) :

ترجع نشأة التفسير الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك حين كان يبـيـن لأصحابه معاني الفاظ القرآن الكريم ومفاهيمها، وهذا التبـيـن من صميم رسالة النبي إلى الناس. قال جل شأنه في كتابه العزيز (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٢).

نعم، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليب لغتهم وهم على استعداد وتهيئة تامين لاستقبال الوحي الإلهي الذي نظمته ألفاظه في تراكيـب محكمة وأساليب لغوية معجزة، فالطريق في معرفة معانيه معبّدة ميسرة أمامهم، ولكنهم - مع ذلك - بحاجة إلى البيان والتوضيح وإن كانت هذه الحاجة ليست أصلية وإنما هي حاجة طارئة، وذلك لما يلي :

أولاً: نزل القرآن منجماً في ظرف زمني متسع جداً، قدره أكثر من عشرين سنة (٣) ونزول بعض آياته مرتبط بأسباب معينة خاصة وفق مطابقة الكلام لمقتضى الحال (٤) ووفق

(١) التفسير في أبسط التعريف به "كشف المراد عن اللفظ المشكل (انظر "لسان العرب" مادة "فسر") - وللعلماء اختلاف طويل في معنى التفسير والتأويل : فريق ذهب إلى أنهما بمعنى واحد وفريق آخر ذهب إلى أن التفسير أعم من التأويل؛ أو غير ذلك بما يطول ذكره هنا وخص بعض الباحثين هذه المسألة في كتاباتهم حول التفسير (انظر مثلاً "البرهان في علوم القرآن" ١٤٩/٢-١٥٣ "والتفسير والمفسرون" ١٣/١-٣٢) وفي هذه الرسالة نستخدم المصطلحين بمعنى واحد.

(٢) النحل، ٤٤ (٣) انظر "مناهل العرفان" ٤٤/١ .

(٤) انظر "مقدمة ابن خلدون" ص ٤٣٩ .

حكم الهية نافعة^(١)، ومعرفة اسباب نزول القرآن تُعين على فهم الآية ودفع الإشكال عنها. قال ابن تيمية^(٢) ((معرفة سبب النزول تُعين على فهم الآية، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)) وتتوقف معرفة تلك الأسباب عند بيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو قول الصحابة^(٣)، لأنَّهم عاشوا زمان نزول القرآن فعرفوا مناسباته.

ثانياً: إنَّ آيات الأحكام في القرآن الكريم يعترها النسخ^(٤)، ويجري ذلك النسخ في القرآن بالقرآن. اتفاقاً بين العلماء أو في القرآن بالسنة اختلافاً فيه بينهم^(٥)، ويتقرر هذا الجري إذا تعارض الحكمان تعارضاً حقيقياً ولا يمكن الجمع بينهما، وتحقق أن النسخ لا حقَّ للمنسوخ من حيث زمن النزول أو الوجود^(٦)، ولهذه المسألة ضوابط أخرى مبسطة في كتب علوم القرآن^(٧)، هذا، وتتحدّد معرفة "النسخ والمنسوخ" بما روي من المبلّغ والمُبيّن لآيات الحكيم محمد صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين^(٨).

-
- (١) ذكر الزرقاني أربع حكم لتنزيل القرآن الكريم منجّماً ولكلّ حكمة لها عدّة وجوه: منها تشبّيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه - ومنها التدرّج في تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً (انظر "مناهل العرفان" ٤٦/١-٥٦).
 - (٢) انظر "مقدمة في أصول التفسير" ص ٦٠ و "مناهل العرفان" ١٠٢/١.
 - (٣) انظر "الاتقان في علوم القرآن" ١٨٢/٤ و ١٩٢.
 - (٤) اتفق العلماء على ألا يكون النسخ إلّا في الأحكام (انظر "مناهل العرفان" ١٠٧/٢).
 - (٥) انظر "البرهان" ٣٢/٢.
 - (٦) انظر "مناهل العرفان" ١٠٥/٢.
 - (٧) انظر "البرهان" ٢٨/٢-٤٤ و "مناهل العرفان" ١٠٥/٢-١٠٦.
 - (٨) وذلك لأنّ التعريف بالنسخ هو "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي" والدليل الشرعي هو "الكتاب أو السنة" (انظر "مناهل العرفان" ٧٢/٢) وما روي عن الصحابة في هذا الشأن - أي مما لا مدخل للرأي فيه له حكم المرفوع بلا خلاف (انظر "الاتقان" ١٨١/٤).

ثالثاً: إن بعض الدلالات لتراكيب ألفاظ القرآن لها معان عامة فتحتاج إلى تخصيص أو جملة فتحتاج إلى تفصيل، أو مبهمة فتحتاج إلى توضيح، كتوضيح الرسول صلى الله عليه وسلم لمعنى "الخط الأبيض والخط الأسود" في قوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)^(١)، بأنه بياض النهار وسواد الليل^(٢).

من أجل ذلك فالراجح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين كل ألفاظ القرآن إلا ما تقتضيه الحاجة فحسب^(٣)، بل كان أشار إلى أصحابه إلى أن يرجعوا إلى القرآن نفسه إذا أشكل عليهم تفسير لفظ من ألفاظه، كتخصيص الظلم بالشرك، فقد روي أن الصحابة حينما نزل قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)^(٤) قالوا: يا رسول الله أئنا لم يظلم أنفسنا، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المقصود بالظلم هنا الشرك، كقول لقمان لولده (يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٥)^(٦).

وهذه الإشارة بمثابة توجيه منه إلى الصحابة بأن يفهموا القرآن من القرآن، فيكون القرآن مصدراً آخر للتفسير غير مصدر السنة.

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) الحديث في فتح الباري، ج ٨، ص ١٤٧، طبعة دار احياء التراث العربي، ط ٤، ١٩٨٨م.

(٣) ذهب إليه الدكتور فضل حسن عباس في مقالته "شبهات حول نشأة التفسير وتطوره"

(انظر مجلة دراسات الجامعة الاردنية - المجلد العاشر، العدد الثاني، كانون أول ١٩٨٣،

ص ١٤٥).

(٤) الانعام: ٨٢.

(٥) لقمان: ١٣.

(٦) الحديث في فتح الباري ج ١، ص ٢٣-٢٤.

مصادر التفسير في عصر الصحابة :

تبين مما مضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المصدر الأول للتفسير في عصر الصحابة ويعد القرآن مصدرا آخر، وأما المصدر الثالث فهو الاجتهاد وقوة الاستنباط. كان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في القرآن ولم يتيسر لهم اخذه من الرسول صلى الله عليه وسلم لجأوا الى اجتهادهم واعمال رأيهم، ويساعدهم على ذلك أنهم (أدري بالتفسير لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الاربعة الخلفاء الراشدين)^(١).

وكان الشعر المعول عليه عند الصحابة في بذل جهدهم لاستيضاح المبهمات واستكشاف اسرار التراكيب بعد اعتمادهم على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما بينته من تقييد المطلق او تفصيل المجمل او توضيح المبهم. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يخطب على المنبر، فسئل عن معنى "التخوف" في قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف)^(٢)، فامتنع عن الاجابة، فقام رجل من هذيل وقال له، التخوف عندنا التنقص ثم انشد:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَأْمِكًا قِرْدًا كَمَا تَخَوُّفُ عَوْدَ النَّبْعِ السُّفْنُ^(٣)

فقال عمر ((ايها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فان فيه تفسير كتابكم))^(٤).

(١) قال ابن كثير في مقدمة تفسيره (انظر "تفسير ابن كثير" (٦/١) .

(٢) النحل : ٤٧ .

(٣) البيت منسوب الى ذي الرمة (ا نظر ديوانه ص ٦٢٤، تحقيق كارليل هنري هيس مكارتنى) وفيه تَخَوُّفُ السَّيْرِ . ظهر النبعة " والتامك: السنام، والقرد: الذي تجعد شعره فكأنه وقاية للسنام، والنبع: شجر للقي والسهام، والسفن: المبرد .

(٤) القصة في "الموافقات في أصول الشريعة" لابن اسحاق الشاطبي ٢/٨٧-٨٨ بتصرف .

واتضح هذا المنهاج - أي منهاج الاعتماد على الشعر في التفسير - عند عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) اتضاحاً أكثر من غيره (١)، وكان يصرّح بمنهاجه في التفسير، فقال (٢) ((الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)) وحثّ المسلمين أن يستعينوا بالشعر في فهم غريب القرآن فقال: (٣) ((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب)).

وهناك مصدر رابع في هذا العصر هو أخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لما في القرآن والتوراة والإنجيل من وجوه التشابه في قصص الأنبياء وأسباب المكنونات وبُذِرَ الخليفة، ولكن تلك الأمور في التوراة والإنجيل وردت مفصلة، وفي القرآن مجملة مقتصرة على مواضع العبرة (٤)، ونقلت هذه الأخبار إلى كتب التفسير لكون الإنسان يميل إلى الاستيفاء والاستقصاء في معرفة تلك الأمور (٥).

وكان ابن عباس ينتفع بهذا المصدر إذا اتفق مع القرآن ويتركه إذا لم يتفق معه، وكان انتفاعه به في دائرة محدودة ضيقة (٦). وفي هذه الدائرة الضيقة - أيضاً - كان انتفاع الصحابة عامة بأخبار أهل الكتاب مصدراً للتفسير (٧).

وصفوة القول، إن للتفسير في عصر الصحابة أربعة مصادر، أولها، القرآن والثاني: السنة، والثالث: الاجتهاد، والرابع: أخبار أهل الكتاب.

(١) انظر "التفسير والمفسرون" ٢٤/١ .

(٢) انظر "الاتقان" ٥٥/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٥٥/٢ .

(٤) انظر "مقدمة ابن خلدون" ص ٤٣٩ و "التفسير والمفسرون" ٦١/١ .

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٩، والتفسير والمفسرون ٦١/١ .

(٦) انظر التفسير والمفسرون ٧١/١ . (٧) المرجع نفسه ٧١/١ .

إنّ تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة يعدّان تفسيراً مأثوراً باتّفاق بين العلماء^(١)، وأما ما نسب إلى الصحابة فإن كان مما لا مجال للرأي فيه كاسباب النزول أو المسائل القنّية فإنّه من باب التفسير بالمأثور وإن له حكمَ حديث مرفوع^(٢) وإن كان ذلك من الأمور الاجتهادية ففيها مذهبان: مذهب جعلها من المأثور^(٣)، ومذهب آخر - وهو أظهر - عدّها قابلةً للنقاش والظلاف^(٤)، لأنها وإن كانت تصدر عن أعراف الناس بالقرآن وأسباب النزول لكنّهم غير معصومين من الخطأ، ولأنّها ترجع إلى الفهم، وعملية الفهم تستند إلى الجهد الشخصي للمفسّر، ذلك الجهد الذي يجوز أن يختلف فيه شخص من شخص آخر تبعاً لثقافته^(٥)، وللعوامل الخارجية الأخرى.

وأما الأخبار التي نقلها الصحابة من أهل الكتاب فإنّها لا تعدّ من التفسير المأثور بل إنّها قابلةٌ للخلاف فيها، فشأنها شأن ما نسب إلى الصحابة من الأمور الاجتهادية^(٦)، واختلف العلماء أيضاً في المنقول من أقوال التابعين، أهو في حكم حديث مرفوع فيكون حجةً في التفسير أم لا؟

(١) انظر "مناهل العرفان" ١/٤٨٠-٤٨١.

(٢) انظر "الاتقان" ١٨١/٤، والحديث: "هو ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً عنه سواء كان متّصلاً أو منقطعاً أو مرسلًا" (انظر "الباعث الحثيث" ص ٤٣).

(٣) وممن ذهبوا إليه ابن كثير (ت ٧٢٤هـ) (انظر "تفسير ابن كثير" ١/٦٠) ومنهم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) إذ جعل تفسير الصحابة مطلقاً في حكم المرفوع لأنّه يعدّ من باب الرواية لا الرأي (انظر "البرهان في علوم القرآن" ١٥٢/٢).

(٤) وممن ذهبوا إليه ابن الصلاح، والحاكم في كتاب "علوم الحديث" وأما في مستدركه فقد ذهب إلى أن قول الصحابة مطلقاً بمنزلة المرفوع (انظر "الاتقان" ١٨١/٤).

(٥) انظر "التفسير ورجاله" ص ٢٩.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٩.

والراجح أنها ليست من المأثور فتكون حجة في التفسير إلا ما اجتمعوا عليه من الأقوال، وهذا مذهب ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)^(١)، وكان يرد على قول شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)^(٢) "إن أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف يكون حجة في التفسير؟" فقال ((وهذا صحيح؛ أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك))^(٣).

ومجمل ذلك أن التفسير المأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن والتفسير بالسنة والتفسير بأقوال الصحابة فيما لا مجال للرأي باتفاق بين العلماء، وفي الأمور الاجتهادية باختلاف بينهم، ويشمل كذلك التفسير بما اجتمع عليه التابعون على الراجح.

علاقة النحو (٤) بالتفسير:

يستنبط مما مضى أن التفسير بالمأثور أقدم أنواع التفاسير، وأن في عصر السابعة أربعة مصادر للتفسير، ولم يكن النحو مصدراً من مصادر التفسير في ذلك العصر، وذلك لأن القرآن نزل

(١) انظر "مقدمة في أصول التفسير" ص ١٠١، وابن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام، الحارثي تقي الدين شيخ الاسلام، له مؤلفات جليلة من التفسير وعلم الكلام وأصول الفقه، ولد سنة ٦٦١هـ بحوران وتوفي سنة ٧٢٨هـ بمصر (انظر "قوات الوفيات ٦٢/١-٨٣ و "الدرر الكامنة" ١٥٤/١-١٧٠).

(٢) هو: شعبة بن الحجاج الورد، - أبو بسطام الأزدى بالولاء، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين وصار علماً يقتدى به، ولد سنة ٨٢هـ وتوفي سنة ١٦٠هـ بالبصرة (انظر "تهذيب التهذيب" ٢٩٧/٤-٣٠٣ وتاريخ بغداد ٢٥٥/٩-٢٦٦).

(٣) انظر "مقدمة في أصول التفسير" ص ١٠١-١٠٢.

(٤) النحو هو: انتحاء سمعت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير وإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك (الخصائص ٣٤/١).

بلسان عربي مبين، ففهمه الناس بطبائعهم وسليقة لغتهم، إلا في مواضع سبق بيانها في البحث في نشأة التفسير، فلم يكن علم النحو في ذلك العصر قد نشأ، وما كانت حاجة الناس السيد ضرورة ملحة.

وإذا كان الأمر كذلك فما علاقة النحو بالتفسير؟
قبل أن يرتبط النحو بالتفسير فإنه قد ارتبط بالقرآن، لأنه نشأ لخدمته وصيانة قراءته ونما في رحابه.

فصيانة القرآن وقراءته من الخطأ سبب مباشر وغير مباشر لنشأة النحو وذلك للعوامل التالية:

اضطربت الروايات حول نشأة النحو، وهذا الاضطراب سبب لإختلاف العلماء قديما وحديثا في تحديد أول من وضع النحو والمقدار الذي وضع^(١). فذهب أكثرهم^(٢) إلى أن أبا الأسود الدؤلي^(٣) (ت ٦٩هـ) هو أول من وضع اللبنيات الأولية في بناء النحو.

(١) قيل أول ما وضع باب التعجب (نزهة الالباء^١/٢١) وقيل : باب الفاعل والمفعول (الفهرست ٨٨/).

(٢) ومن ذهب إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من رسم النحو أبو الطيب السلفوي (ت ٣٥١هـ) (انظر مراتب النحويين/٦) وأبو السعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) (انظر اخبار النحويين البصريين /١٣) وابن النديم (ت ٤٣٨هـ) (انظر الفهرست ٤٥/ وفي هذه المصادر ذكر أنّ أبا الأسود أخذ النحو عن علي بن أبي طالب، وذهب الشيخ محمد الطنطاوي الى أن أبا الأسود الواضع الأول، وكان فضل الإرشاد للإمام علي رضي الله عنه (انظر نشأة النحو /١٠) والى مثله ذهب الدكتور فتحي عبدالفتاح الدجنى (انظر ابو الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي" ص ٨٧، وما بعده، وذهب الآخرون إلى أنّ الوضع كان خالصا لأبي الأسود، منهم الأستاذ سعيد الافغاني (انظر "من تاريخ النحو" ٢٧-٢٩) والدكتور محمد حسن عواد (انظر "الكوكب الدرّي" للاسنوي ، مقدمة المحقق ص ٣٣-٣٤).

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، من التابعين، كان عاملا لعلي بن ابي طالب على البصرة، وتوفي سنة ٦٩هـ (انظر "وفيات الاعيان ٥٣٥/٢-٥٣٩).

ولكن هذه الروايات لا تكاد تختلف في الباعث، إذ كلّها يوضح أنّ اللحن في العربية والخطأ في قراءة القرآن هما سببان رئيسان لهذه النشأة.

فقد روي أن ابنة أبي الأسود قالت له : ما أحسن السماء، فقال لها: نجومها، فقالت إنّي لم أزد هذا، وإنّما تعجبت من حسنّها، فقال لها، اخن فقولني : ما أحسن السماء، فحينئذ وضع النحو^(١).

وفي رواية أخرى يشعر أبو الأسود بانتشار اللحن، فاستأذن زيادا في وضع النحو، فرفض فجاء رجل إلى زياد فقال الرجل ، وهو يلحن "أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون" فنادى أبا الأسود وأمره بوضع النحو^(٢).

فكان الباعث لوضع النحو في الروایتين هو اللحن^(٣) وقد أصاب العامة والخاصة، حتى

٤١٥٢٦٨

ابنة أبي الأسود نفسه.

وفي رواية ثالثة أن أبا الأسود وضع النحو بعد أن سمع رجلا يقرأ (أن الله بريء من المشركين ورسوله^(٤))، بكسر اللام^(٥).

ويتضح مما مضى أنّ اللحن والخوف من أن تصيب عدوّه القرآن فتتغلّق معانيه هو الباعث

المعنوي والديني لنشأة النحو، فصيانة القرآن وميانة قراءاته سبب غير مباشر لهذه النشأة.

ومما يلفت النظر في هذا المقام ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين من أن أبا الأسود إنما

كان واضع نقط المصحف، والتي تعرف فيما بعد بنقط أبي الأسود، ليسلم القاريء من الخطأ في

(١) انظر "نزهة اللبّاء" ٢١/ بتصرف.

(٢) المصدر نفسه ٢١/ بتصرف.

(٣) للفظ "الحن" عدة معان وقد جمعها ابن بري وقال "الحن ستة معان وهي الخطأ في

الاعراب، واللغة والغناء، والفطنة والتعريض والمعنى (انظر لسان العرب" مادة

"الحن") والمقصود بالحن هنا المعنى الاول.

(٤) البراءة ٣/ والقراءة الصحيحة (ورسوله) بضم اللام.

(٥) انظر مراتب النحويين ٨/ بتصرف.

في القراءة^(١) وفي رأيه أن هذا العمل يمكن أن يصبح خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء. ثم قال^(٢) "وعلى هذا فمن قال إنَّ أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئاً من هذا، وهو أنه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعد ذلك من أراد أن يفهم النحو على المعنى الحقيقي، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، والاسم إلى ظاهر، ومُضمر، وغير ظاهر ولا مضمَر، وباب التعجب وباب إنَّ".

وإذا اخذنا هذا الرأي بعين الاعتبار^(٣) فإنَّ النحو مولود من صلب القرآن ومن نظمه

(١) بنى الاستاذ أحمد أمين فكره هذا على أساس رواية أبي عبيدة هي "أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية وكان لا يخرج شيئاً مما أخذ عن علي بن أبي طالب إلى أحد حتى بعث إليه زياداً: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتُعرب به كتاب الله. فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) فقال: ما ظننت أنَّ أمرَ الناس صار إلى هذا! فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لِقْنَا يفعل ما أقول، فأُتِي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأُتِيَ بآخر (قال أبو العباس أحسبه منهم) فقال له أبو الأسود، إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضمت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين" (أخبار النحويين البصريين ١٥-١٦).

(٢) انظر "ضحى الإسلام" ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) ولا نستطيع أن نحسم الترجيح بين المسألتين، فلا يكون القول بأنَّ أبا الأسود واضع اللبّات الأولية للنحو العربي، فوضع بابيّ الفاعل والمفعول به هو الراجح بشكل حاسم، ولا يكون مجرد واضع للنقط، كما رجحه الأستاذ أحمد أمين هو الراجح بشكل مطلق؛ لأنَّ هذه الروايات لا تلعب دوراً حاسماً في ترجيح المسألتين أو أكثر وإنَّما كانت الروايات أعطت لنا إشارات علمية لبناء الحكم العلم في نشأة النحو (انظر هذه المسألة عند الدكتور نهاد الموسى في كتابه في تاريخ العربية ص ٧-٩).

المعجز، ولم يكن الدين مجرد دافع خارجي حتى يتحسّس أهل العلوم في وضع النحو حفظاً لدستور حياتهم بل كان النحو يتولّد من صلب ذلك الدستور، ولأبي الأسود فضل في مساعدة عملية المخاض .

وعلى هذا الأساس كانت صلة النحو بالقرآن صلةً فرع بأصل وصلةً سبب بمسبب فكان القرآن أصلاً لنشأة النحو العربي وسبباً مباشراً لبنائه .
هذا، وإذا نشأ النحو في آخر عصر الصحابة، فمتى دخل النحو في ميدان التفسير؟ وما الغاية في إدخاله في هذا الميدان؟ وأخيراً ما هي علاقة النحو بالتفسير؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تكفل بها أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) إذ بيّن لنا أن النحو دخل في مجال التفسير عندما فسد لسان العرب وكثُر الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، ولما كانت العربية ليست لغتهم بالطبع ولا بالسليقة وإنما اكتسبوها فكانت معرفتهم بها قاصرة ناقصة الإدراك، فهم عندئذ بحاجة إلى القواعد العربية وقوانينها في مجال تفسير القرآن لتكون وسيلة في فهم النصوص من حيث الألفاظ وتراكيبها وانتزاع المعاني وإبراز النكت البليانية، فقال في ذلك:

كانت تأليف المتقدمين (أي في التفسير) أكثرها إثماً هي شرح لغة ونقل سبب ونسخ وقصص ، لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب وبلسان العرب فلما فسد اللسان وكثرت العجم ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفة الألسنة والناقصوا الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهارها ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب وانتزاع المعاني وإبراز النكت البليانية حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها ولا عنصره يحركه إليها^(١).

(١) انظر "تفسير البحر المحيط" ١/ ١٣ .

فكانت الغاية من ادخال النحو في التفسير مساعدة من فسد لسانهم من العرب ومساعدة من دخل في الاسلام من الاعاجم الذين لم تكن العربية لغتهم اصلاً.

وأما ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته فكان أكثر تحديداً من أبي حيان في وصف زمان احتياج تفسير القرآن الى القواعد النحوية، وذلك حين أضحت علوم اللسان صناعية قيدت في الدواوين وتتلقى من كتب أهل اللسان بعد أن كانت ملكات للعرب^(٢).

وبالتحديد الزمني فإن النحو في أوائل القرن الثاني أصبح "مادة ضرورية للتفسير يعتمد عليه في تحليل التركيب القرآني، وبيان مواقع المفردات بعضها من بعض وما استقر فيها من روابط الاعراب"^(١).

والخلاصة دخل النحو في ميدان التفسير في أوائل القرن الثاني للهجرة، لمساعدة من قصرت قدراتهم في فهم النصوص القرآنية من العرب بعد فساد لسانهم أو من الاعاجم الذين اسلموا.

وأما علاقة النحو بالتفسير فتكمن في أن النحو وسيلة لتحليل النصوص القرآنية ووسيلة للكشف عن الفاظها الغريبة وتراكيبها الغامضة ومعانيها الدقيقة، فبهذا يكون النحو مصدراً جديداً لبيان القرآن.

(١) انظر "التفسير ورجاله" ص ٤١ .

(٢) وقال ابن خلدون في ذلك " ... ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان، فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم" (انظر المقدمة ص ٤٣٩).

أثر النحو في التفسير:

ولم يقتصر إدخال النحو في التفسير من بعد لمساعدة من فسد لسانهم من العرب أو من دخل في الإسلام من الأعاجم، بل أصبح توظيف النحو في تحليل كلمات القرآن مفردات وتراكيب منهاجاً سلكه العلماء في فهم معاني القرآن آية آية إلى انتهائها معتمدين على قواعد النحو وأصوله، وتعرف هذه التأليفات بكتب "معاني القرآن" وكتب "إعراب القرآن".

١- كتب "معاني القرآن":

يشير هذا العنوان (أي: معاني القرآن) إلى تأليف عني بإيضاح ما يشكل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناية في فهمه، وكانت هذه التسمية بإزاء تسمية "معاني الآثار" و"معاني الشعر"^(١) إذ اهتم مؤلفوها بالمعاني المشكلة في كل من الآثار والأشعار^(٢).

فقد كان محمد الطحاوي^(٣) (ت ٣٢١هـ) يؤلف كتابه "معاني الآثار" رداً على الذين يتوهمون أن بعض الأحكام في الآثار المأثورة من الرسول صلى الله عليه وسلم، ينقض بعضها بعضاً^(٤).

ومن أقدم كتب "معاني القرآن" التي وصلتنا، كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة

(١) ومن ذلك "كتاب معاني الشعر" لسعيد الأَكْضَش (ت ٢١٥هـ)، ولأبي العباس، شُعَلْب (ت

٢٩١هـ)، ولأبن درستويه (ت ٣٤٧هـ) (انظر "كشف الظنون" ١٢٢٩/٢).

(٢) انظر هذه الفكرة في مقدمة تحقيق "معاني الفراء" لمحمد علي النجار وأحمد يوسف

نجاتي ("معاني الفراء" ١١/١-١٢).

(٣) هو محمد بن أحمد بن سلمة، أبو جعفر الأزدي الطحاوي، فقيه حنفي من كتبه: "أحكام

القرآن" و"معاني الآثار" (انظر "الفهرست" تحقيق الدكتور ناهد عباس من ٤٣٩-٤٤٠).

(٤) انظر "كشف الظنون" ١٢٢٩/٢.

(ت ٢١٠هـ) و"معاني القرآن" لسعيد الأَخفش (ت ٢١٥هـ) و"معاني القرآن" للفراء (ت ٢٠٧هـ) • وكتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة^(١)، يعدّ من كتب معاني القرآن^(٢)، لأن كلمة "المجاز" يقصد بها: "عبارة عن الطرق التي يملكها القرآن في تعبيراته"^(٣)، فتشمل جوانب بحثه على الإعراب والغريب والمعاني وزاد، وكانت عنايته الكبرى في بيانه للقرآن من الناحية اللغوية، وكان يكثر الاستشهاد بالأشعار إكثاراً واضحاً^(٤)؛ إذ بلغ عدد الاستشهاد بها ٩٥٢ شاهداً^(٥)، وليس له اهتمام بالقصص القرآني، ولا بأسباب النزول إلاّ عندما يقتضي فهم النص التعرّض لذلك^(٦)،

وتمسك أبو عبيدة في منهجه هذا بأصل مَفادَه "أَنَّ الله كلم العرب على قدر كلامهم"^(٧) وقال في مقدمة كتابه "وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ومن الغريب والمعاني"، واحتجّ لذلك بقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ)^(٨) (٩).

(١) هو مَعْمَرُ بن المَثْنَى، التميمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي (ت ٢٠٩هـ — "إنباه الرواة": ٢٧٦/٣ وما بعدها)، ونشر "مجاز القرآن" بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، في مجلدين، بمكتبة الخانجي بالقاهرة •

(٢) ومِمَّنْ ذهب إليه: محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتي (انظر "معاني الفراء" ١٢/١، في مقدمة التحقيق) •

(٣) انظر "مجاز القرآن" ١٩/١، في مقدمة التحقيق •

(٤) انظر "مجاز القرآن" ١٩/١، في مقدمة التحقيق •

(٥) آخر رقم الشاهد الشعري في "كتاب مجاز القرآن" يشير إلى ذلك العدد (انظر "مجاز القرآن" ٣١٢/٢) •

(٦) انظر ذلك في تفسيره لقوله تعالى (إِنَّهُ كَانَ فَاجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) وقوله تعالى (وَرَبَّائِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ) (انظر "مجاز القرآن" ١٢١/١) •

(٧) انظر "أبو عبيدة، معمر بن المثنى" للدكتور نهاد الموسى، ص ٢٦٨، وفيه درس المؤلف "مجاز القرآن" درساً مفصلاً، أنظر ما بين صفحتي ٢٦٨-٢٩٢، من ذلك الكتاب •

(٨) إبراهيم/٤ • (٩) انظر "مجاز القرآن" ٨/١ بتمصرف •

وأما أبو الحسن الأخفش^(١) في كتابه "معاني القرآن"^(٢)، فإن استشهاده بالآيات القرآنية للمعاني والإعراب يطغى على منهجه في التفسير، إذ جاوز استشهاده بالقرآن تسعمائة شاهد^(٣)، غير الشواهد من القراءات القرآنية^(٤)، ولم يبلغ عدد شواهده الشعرية إلا ٣١٧ شاهداً^(٥)، وهو أقل من ثلث عدد الشواهد من الشعر في "مجاز القرآن" لأبي عبيدة. ولم يفسر الأخفش كل آيات القرآن، بل كان لا يتعرض لدراسة الآيات الواضحة^(٦)، وإذا كانت ثمة مسائل نحوية وهي بحاجة إلى مزيد من الإيضاح والبيان جعلها تحت عناوين مختلفة، مثل: "باب الإضافة" و"باب المجازاة" و"باب الواو" و"باب اسم الفاعل" و"باب إضافة الزمن إلى الفعل" و"باب التانيث والتذكير"^(٧)، وعدة أبواب أخرى. وكان أبو الحسن الأخفش وأبو عبيدة من البصريين، واتضح مذهبهما من استخدامهما للمصطلحات النحوية، إذ كانت المصطلحات التي سامت عندهما في الكتابين مصطلحات بصرية. أمثال: الزائدة^(٨) (الزوائد)، و"الظرف"^(٩)، و"لا تنصرف"^(١٠)، أو "لم ينصرف"^(١١)،

(١) هو سعيد بن مسعدة، أبو الحسن الأخفش الأوسط، نحوي بصري، المتوفى سنة ٢١٥هـ. انظر "وفيات الأعيان" ٢/٣٨٠-٣٨١.

(٢) نشر الكتاب في مجلدين بتحقيق الدكتور فائز فارس، طبع بدار البشير، ط٣، عمان، ١٩٨١.

(٣) انظر قائمة الشواهد القرآنية التي أعدها المحقق في "معاني الأخفش" ٣/٥٥٩-٥٦٧.

(٤) انظر "معاني الأخفش" ٢/٥٦٨ وما بعدها.

(٥) انظر مقدمة "معاني الأخفش" ١/٨٧. (٦) انظر مقدمة "معاني الأخفش" ١/٦١.

(٧) انظر هذه الأبواب في "معاني الأخفش" ١/٦٩٧-٩٢.

(٨) انظر ذلك في "مجاز القرآن" ٢/١٠٢: ٧ و ٤/١٢٣ و ٨/١٣١؛ وفي "معاني الأخفش" ١/٣٤: ٨ و ١٦/٥١.

(٩) انظر ذلك في "مجاز القرآن" ٢/١٤١: ٧ و ١٠/١٩٩؛ وانظر "معاني الأخفش" ١/٤٩: ١٠.

(١٠) انظر ذلك في "مجاز القرآن" ٢/١٠١: ١.

(١١) انظر ذلك في "معاني الأخفش" ١/٢٠: ١١.

و"حرف الجر" (١) و"البلل" (٢) وغيرها.

هذا ولم يكن أبو عبيدة مُكثرًا في استخدام المصطلحات النحوية إكثار أبي الحسن الأخفش.

وأما كتاب "معاني القرآن" للفراء (٣) (ت ٢٠٧هـ) فهو أكبر حجمًا وأغزرَ مادةً من كتابي "مجاز القرآن" و"معاني الأخفش".

وتشترك الكتب الثلاثة في طريقة التفسير؛ إذ جرى التفسير - في تلك الكتب - من أول القرآن إلى آخره موافقًا لترتيب السور، ولم تُفسر كل الآيات، وإنما كان التفسير على سبيل الانتقاء لمواضع الإشكال، في المعنى أو في الإعراب أو وجوه القراءات.

فكان الفراء في معانيه، يبدأ بتفسير الآية الأولى فالثانية من سورة البقرة، ثم ينتقل إلى تفسير الآية السابعة، ثم إلى الآية السادسة عشرة؛ فهو لا يتعرض لتفسير الآية الثالثة حتى السادسة. ولا الآية الثامنة حتى الآية الخامسة عشرة (٤).

ولم يفسر الفراء - دائماً - آية واحدة في وقفة واحدة، بل قد يجعل تفسيره لها في وقتين، إذا كانت الحاجة تدعو إلى ذلك، فقد جعل تفسيره - على سبيل المثال - لقوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ) وقوله (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) كلاً على حدة (٥)، مع أنهما جزءان من الآية الثانية من سورة البقرة.

(١) انظر ذلك في "معاني الأخفش" ١: ١٣/١٤٧ و ٣/١٦٠.

(٢) انظر ذلك في "معاني الأخفش" ١: ٤/١٧ و ١١/١٩٥.

(٣) طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات بتحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي "بمعالم الكتب"، ط٣، بيروت ١٩٨٣، والفراء هو يحيى بن زياد بن عبدالله، أبو زكريا، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، المتوفى سنة ٢٠٧هـ (انظر "مراتب النحويين" ٨٦ وما بعدها).

(٤) انظر "معاني الفراء" ١/٩-١٤.

(٥) انظر "معاني الفراء" ١/٩-١٣.

واهتم الفراء بالإعراب اهتماماً ظاهراً، وكادت أن تكون كل وقفة تفسيرية ذكرت فيها مسألة إعرابية^(١)، فضلاً عن ذكر المعاني أو القراءات أو اللغات.

وهذا الكتاب من أهم مصادر النحو الكوفي، ومؤلفه، الذي علم أنه أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي^(٢)، تعمّد خلاف سيويه حتى المصطلحات النحوية، قال أبو الطيب النحوي (ت ٣٥١هـ) عن منهج الفراء ((وكان الفراء يخالف الكسائي في كثير من مذهبهم فأمّا على مذاهب سيويه فإنه يتعمّد خلافه حتى ألقاب الإعراب وتسمية الحروف^(٣))).

ومن المصطلحات النحوية التي استخدمها الفراء مبيناً للمصطلحات النحوية المتعارف عليها عند سيويه والبصريين عامة ما يلي:

"الملة"^(٤)، للدلالة على مصطلح "الزائدة"^(٥)، عند المذهب البصري، و"الإجراء"^(٦)، يقابله "الانصراف"، عند البصريين، فيقال -مثلاً- "فإنها حروف لا تجري"^(٧)؛ و"الصفة"^(٨)،

(١) اتضح ذلك من تفسيره لسورة البقرة؛ إذ هناك ١٦٢ وقفة تفسيرية، وفي تسعين وقفة منها ذكر الإعراب (انظر "معاني الفراء" ١/٤٨١-٤٨٩، حيث ذكر في تلك الصفحات فهرس الآيات من سورة البقرة التي وقف الفراء على تفسيرها، وذكر معها مسألة الإعراب أو المعاني أو القراءات التي تعرض لها الفراء في كل وقفة من الوقفات التفسيرية).

(٢) انظر "مراتب النحويين" ٨٦/.

(٣) المصدر نفسه ٨٨/.

(٤) انظر "معاني الفراء" ١/٥٨:١ و ١٥/٢٤٤؛ ٣/٢٦٣:٣.

(٥) انظر استخدام هذا المصطلح في "كتاب سيويه" ١: ٢/٤١، وفي "مجاز القرآن"

٧/١٠٧:٢، وفي "معاني الاخفش" ١: ٨/٣٤.

(٦) انظر "معاني الفراء" ١: ٤/٤٣ و ٢/٤٢٩.

(٧) "معاني الفراء" ١: ٥/٢٥٤، وعرض استخدام سيويد مصطلح "مالا ينصرف" في "الكتاب"

٧/٢٦:١ و ٧/٤٠٢:٢، واستخدام أبي عبيدة في "مجاز القرآن" ٢: ١/١٠١.

(٨) انظر "معاني الفراء" ١: ١١/٣١ و ٢/٣٢.

للدلالة على "حرف الجر" (١)؛ و"الجَد والإقرار" (٢)، في مقابل "النفي والإثبات" عند البصريين (٣).

ومما يلاحظ في العرض السابق لكتب المعاني الثلاثة أن مسألة المعاني ومسألة الإعراب كانتا من المسائل التي عني بها العلماء في كتب معاني القرآن، فالبحت في معاني القرآن، وإعرابه ينتشان معا.

ومن أجل ذلك، ليس من قبيل المصادفة إذا كان "معاني الفراء" - هو من أشهر كتب معاني القرآن -، يحمل عنواناً آخر هو: "تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه" (٤).

ب- "كتب إعراب القرآن":

نشأ البحث في معاني القرآن والبحث في إعراب القرآن مقترنين: كما اتضح ذلك في عرضنا لكتب معاني القرآن الثلاثة الماضية؛ لأن مسألتَي المعاني والإعراب كانتا من المسائل التي عني بها العلماء في كتب "معاني القرآن".

ومعنى ذلك أن "كتب إعراب القرآن" ما هي إلا فرع من "كتب معاني القرآن" وجَزءٌ ينفصل عنها فيما بعد، وهذا الانفصال بدأ في وقت مبكر؛ إذ عَلم أن

(١) انظر "كتاب سيويه" ١١/٩٤: ٢ و ١٣/١٦٠: ١، و"معاني الاخفش" ١٣/١٤٧: ١.

(٢) انظر "معاني الفراء" ٨/٥٢: ١.

(٣) وفي كتاب سيويه عقد "باب نفي الفعل" (الكتاب" ١/١١٧: ٣).

(٤) "معاني الفراء" ١٥/١: ١.

لقطرب^(١) المتوفى سنة ٢٠٦هـ "كتاب إعراب القرآن"^(٢) غير كتابه معاني القرآن^(٣)، ونحن لا نستطيع أن نضع حداً للفرق بين تناول الكتابين من حيث المادة لأتھما ما وصلانا.

وهذه التجزئة بلغت نضجها عند أبي جعفر النحاس^(٤) (ت ٣٣٨هـ) في كتابيه "معاني القرآن"^(٥) و "إعراب القرآن"^(٦)، وألف الكتاب الأول قبل الكتاب الثاني؛ لأن النحاس أحال بعض المسائل في الكتاب الثاني إلى الأول: فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى (بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)^(٧) إذ قال «والقراءة السابعة (بُشْرًا)^(٨) بضم الباء والشين قال أبو جعفر: وقد ذكرنا معانيها في كتابنا المعاني» وفي تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِحِينٍ ٠٠)^(٩) قال^(١٠) «قد ذكرنا كل ما فيه في كتابنا الأول "المعاني"».

(١) وقطرب هو: محمد بن المستنير أبو علي النحوي البصري، المتوفى سنة ٢٠٦هـ (بغية الوعاة ٢٤٢/١-٢٤٣).

(٢) انظر "الفهرست" ص ١٠٦.

(٣) انظر "الفهرست" ٧٢.

(٤) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل "المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، النحوي، وله من كتب "إعراب القرآن" و "معاني القرآن" توفي سنة ٣٣٨هـ ("النجوم الزاهرة" ٣٠٠/٣).

(٥) طبع "كتاب معاني القرآن" بتحقيق الشيخ محمد بن علي المايوني، بمطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٨، وأطلعت على الجزء الأول منه.

(٦) طبع "كتاب إعراب القرآن" بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٩٨٨.

(٧) الاعراف ٥٧.

(٨) "إعراب القرآن" للنحاس ١٣٣/٢.

(٩) البقرة ٢٨٢.

(١٠) "إعراب القرآن" للنحاس ٣٤٤/١.

وتخصيص البحث في اعراب القرآن وفصله من البحث في معاني القرآن، واضح في الموازنة بين كتابي أبي جعفر النحاس السابقين : حيث كان اهتمام أبي جعفر الأكبر في كتابه معاني القرآن تفسير المعاني والغريب واحكام القرآن والناسخ والمنسوخ، وبعض العلوم التي تساعده على تفسير القرآن^(١) ولم يكن يتعرض للاعراب الا اذا كان المعنى بحاجة اليه^(٢) فالاعراب ليس غرضه الاساس في هذا الكتاب لأنه قد خصص لهذه المسألة كتابه اعراب القرآن.

ومما يؤكد ذلك ان النحاس في كتابه "معاني القرآن" لم يتعرض للاعراب من بداية تفسيره للقرآن الى نهاية سورة البقرة الا في ثلاثة مواضع^(٣) : اولها في تفسير قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)^(٤) والثاني: في تفسير قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)^(٥)، والثالث في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)^(٦).

فتبين من ذلك ان النحاس لم يذكر الاعراب في كتابه "معاني القرآن" الا نادراً. واما كتابه "اعراب القرآن" فخصص للاعراب، فقارئ هذا الكتاب سيلحظ ان كل التفسير الذي تناوله ابو جعفر لا يخلو من مسألة اعرابية، بل سيجد - في كثير من الاحوال - انه اكتفى بذكر الاعراب، كقوله في تفسير قوله تعالى (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)^(٧) (نكالا) مفعول ثان (لما بين) ظرف (وما خلفها) عطف (وموعظة) عطف على "نكالا" (للمتقين) خفض باللام^(٨)، وقوله في قوله تعالى (شطر المسجد الحرام)^(٩).

(١) انظر "معاني القرآن" للنحاس ٤٢/١، في مقدمة المؤلف.

(٢) المصدر نفسه ٤٢/١-٤٣ (وقال فيه: وما احتاج اليه المعنى من الاعراب).

(٣) انظر "معاني القرآن" ٥٠/١-٣٣٧.

(٤) الفاتحة/١، وانظر تفسيرها في "معاني القرآن" ٥٠/١-٥٦.

(٥) الفاتحة/٢، وانظر تفسيرها في "معاني القرآن" ٥٧/١-٦١.

(٦) الفاتحة/٤، وانظر تفسيرها في "معاني القرآن" ٦٥/١-٦٦.

(٧) البقرة/٦٦.

(٨) انظر "اعراب القرآن" ٢٣٤/١ (٩) البقرة/١٤٤.

"ظرف مكان كما تقول: تلقاء وجهته، وانتصب الظرف؛ لأنه فضلا بمنزلة المفعول به، وايضا فإن الفعل واقع فيه (١)"، فالغرض الأساسي في تأليف هذا الكتاب هو الإعراب فحسب، وإن اشتمل الكتاب على المعاني (٢) أيضا، وقد نبّه النحاس على ذلك وقال (٣) وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب وما شاكله بعبارة الله وحسن توفيقه.

وأما كتاب "إملاء ما من" به الرحمن" لأبي البقاء العكبري (٤) (ت ٦١٦هـ) فإنما يحتوي على الإعراب، ولم يذكر فيه المعاني: وكان قصد المؤلف من هذا الكتاب أن يكون مميزا بين الكتب التي تناولت مثل هذا الموضوع. لأن بعض هذه الكتب يغلب عليها الإطناب في إعراب الظواهر، ويجمع بين الإعراب والمعاني، وبعضها يختصر في الحجم والعلم، وقال في ذلك ((والكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جدًا، مختلفة ترتيبا وحرًا، فمنها المختصر جدا وعلماء ومنها المطول بكثرة إعراب الظواهر وخط الإعراب بالمعاني. وقلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدتها على ما وصفت، أصبت أن ألي كتابا يصغر حجمه ويكثر علمه، اقتصرت فيه على ذكر الإعراب، ووجوه القراءات، فأتيت به على ذلك)) (٥).

(١) انظر "إعراب القرآن" (٢٦٩/١)، وانظر عدة مواضع أخرى "إعراب القرآن" (٢٢٢/١)، في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ فَرَقْنَا) البقرة/٥٠، و"إعراب القرآن" (٢٦٢/١)، في إعراب قوله تعالى (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) البقرة/١٢٩؛ و"إعراب القرآن" (٢٧٠/١)، في إعراب قوله تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) البقرة/١٤٦؛ و"إعراب القرآن" (٢٧٨/١)، في إعراب قوله تعالى (وَأَنْ تَقُولُوا) البقرة/١٦٩، وغيرها.

(٢) مثل معنى "خشاوة" ("إعراب القرآن" (١٨٦/١) ومعنى "السلم" ("إعراب القرآن" (٣٠٠/١)).

(٣) انظر "إعراب القرآن" (١٦٥/١)، في مقدمة المؤلف.

(٤) هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله، العكبري، البغدادي، أبو البقاء، المتوفى سنة ٦١٦هـ (انظر "وفيات الأعيان" (١٠٠٠-١٠٢٠)).

(٥) انظر "إملاء ما من" به الرحمن" (٣/١).

التفسير الفني (التفسير بالرأي الجائز) (١)

نشأ التفسير الفني من توظيف النحو في فهم معاني القرآن، فأصبح النحو أداة لتحليل نصوص القرآن ولبيان العلاقات بين ألفاظه مفردات وتراكيب مع التمسك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين كمصدر أصلي لتفسير القرآن (٢)،

ومثل هذا المنهج يتطلب المعرفة بالتفسير المأثور والنحو علماً وتطبيقاً والجرأة المنضبطة بالقواعد والأمول (٣).

وقد كان محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) أول من سار على هذا المنهج من المفسرين وكان تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" يعدّ نقطة تحول في تاريخ التفسير (٤)، لأن المفسرين (٥) قبل الطبري إنما جمعوا المأثورات عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من

(١) ذكر الزرقاني أربع شروط للتفسير بالرأي هي: الأول: النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع، والثاني: الأخذ بقول الصحابي، فقتيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخصّه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه؛ والثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدلّ عليه الكثير من كلام العرب؛ الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدلّ عليه قانون الشرع" (مناهل العرفان" ٥١٧/١-٥١٨ بتصرف).

(٢) انظر "مناهل العرفان" ٤٩٦/١، و"تاريخ القرآن والتفسير" من ١٠٠، و"النحو في كتب التفسير" ٥٦٤/١.

(٣) انظر "النحو في كتب التفسير" ٥٦٦/١-٥٦٧.

(٤) انظر "مناهل العرفان" ٤٩٦/١ والنحو في كتب التفسير ٤٦٣/١.

(٥) كمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) ووکیع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) وسفيان بن عيينه (ت ١٩٨هـ) وغيرهم (انظر مناهل العرفان ٤٩٦/١).

الصحابة أومن التابعين ولم يكن الإعراب والاستنباط منها يتبع في تفاسيرهم^١، وبين الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) هذا الانعطاف التاريخي لمناهج التفسير فقال^(١) ((وليس في تفاسير هؤلاء إلا ما هو مسند إلى الصحابة والتابعين ما عدا ابن جرير فإنه تعرّض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض وذكر الإعراب والاستنباط))^٢.

اتضح مما مضى أن النحو والتفسير بالمأثور عنصران أساسيان في تكوين التفسير الفني، الذي بدأ به ابن جرير الطبري^٣، ويؤيد ذلك ما ذكره ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) بأن تفسير الطبري اعتمد على مصدرين رئيسين: أحدهما الأحاديث المروية في التفسير بالمأثور والكتب المؤلفة فيه مثل المروى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) وعن قتادة بن دعامه (ت ١١٨هـ) وغيرهم^(٢)، والمصدر الآخر كتب "معاني القرآن" وقال عن هذا الأخير: ((وذكر فيه -أي في تفسيره- مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وأعرابه وربما لم يستهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم^(٣))).

وتحدث الطبري نفسه عن منهجه في توظيف الإعراب في تأويل آي الكريم، حين قال^(٤) ((فهذه أوجه تأويل (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)^(٥) باختلاف أوجه إعراب ذلك، وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه وإن كلن قممنا في هذا الكتاب الكشف

(١) انظر "مناهل العرفان" ٤٩٦/١.

(٢) انظر "معجم الأدباء" ٦٤/١٨.

(٣) انظر "معجم الأدباء" ٦٥/١٨.

(٤) انظر "تفسير الطبري" ١٨٤/١.

(٥) الفاتحة : ٧.

عن تأويل آي القرآن إما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه لتكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته)).

وأما أبو عبدالله القرطبي (ت ٦٧١هـ) فإنه ينتهج منهج الطبري (ت ٣١٠هـ) في اتخاذ النحو والتفسير بالمأثور مصدرين أساسيين في فهم معاني القرآن واستنباط احكامه. واتضح منهج القرطبي هذا من تصريحه لمحتوى تفسيره حين قال (١) «فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع الذي استقلّ بالسنة، والفرض ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض رأيت ان اشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه منتي، بأن اكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والاعراب والقراءات؛ والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعا بين معانيهما ومبين ما أشكل منهما، بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف)).

فلم تكن الرواية هي المصدر الوحيد عند القرطبي بل كان النحو أداة لا يستغني عنها إلى جانب الرواية في الاجتهاد وإبداء الرأي في فهم معاني القرآن وتفسيره؛ وبهذا المسلك يجعل تفسير القرطبي يمتد في التفسير بالرأي الجائز مع تفسير الطبري. ومما يؤكد أن القرطبي سلك ذلك المنهج، فجاوز حدود التفسير بالمأثور هو رفضه القول: بأنّ التفسير موقوف على السماع فقط، وحثّه في ذلك أنّ ما روي عن الصحابة لم يكن كله مسموعا عن النبي صلى الله عليه وسلم لوجود اختلاف بينهم في وجوه تفسير القرآن ولأنّه لو كان كذلك (٢) كما كان لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فائدة: لأنّ التأويل لو كان مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه

(١) تفسير القرطبي ٢/١-٣.

(٢) اي لو كان كل ما روي من الصحابة مسموعا من النبي صلى الله عليه وسلم.

بحلك، وقال القرطبي في ذلك "قال بعض العلماء : إن التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (١)، وهذا فاسد، لأن النهي (٢) عن تفسير القرآن لا يخلو، إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط أو المراد به أمراً آخر، وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه فإن الصحابة رضي الله عنهم قد قرءوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لا بن عباس وقال "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك ! وهذا بين لا إشكال فيه (٣)، ثم بين القرطبي مفهوم التفسير بالرأي المنهي عنه، وهو ما كان التفسير على حالتين (٤) :

أحدهما: تفسير القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه .
والأخرى: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل .

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) أشار القرطبي إلى نهى عن تفسير القرآن بالرأي المنصوص في الحديث "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"، ونحوه (انظر "تفسير القرطبي" ٣٣/١-٣٤) .

(٣) "تفسير القرطبي" ٣٤/١ .

(٤) انظر "تفسير القرطبي" ٣٤/١-٣٥ بتصرف .

أثر التفسير في النحو:

تقدّم أنّ النحو مصدر من مصادر التفسير وتكون التفسير الفني من أثره وتعدّ كتب معاني القرآن وإعراب القرآن "أدلة مادية لتوظيف النحو في فهم القرآن من خلال النصوص ويعدّ تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ) نموذجاً أولياً للتفسير الفني.

وأما أثر التفسير في النحو فلم يشكّل ظاهرة واضحة، وكتاب سيبويه وهو أهمّ كتب النحو لم يضمّ إلاّ أربعة نقول عن المفسرين^(١) ولم يورد المبرد (ت ٢٨٥هـ) في المقتضب، إلاّ ستة آراء للمفسرين أحدها ممّا ذكره سيبويه في الكتاب^(٢).

وهذا أمر طبيعي لأنّ المرجع الحقيقي للأراء النحوية هو كتب النحو وليس كتب التفسير؛ بخلاف النحو فإنّه عنصر أساسي في بناء التفسير الفني وهو أيضاً مادة ضرورية للتفسير بعد أن فسد لسان العرب وكثر الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، وأصبحت العربية الفصحى ليست لغتهم بالطبع ولا بالسليقة، فحاجة التفسير إلى النحو شيء ضروري وليست كذلك حاجة النحو إلى التفسير.

وأما كتاب مغني اللبيب لابن هشام (ت ٧٦١هـ) الذي ضمّ نقولا كثيرة من أقوال المفسرين كابي زكريا الفراء^(٣) (ت ٢٠٧هـ) وابن جرير الطبري^(٤) (ت ٣١٠هـ) وجار الله

(١) انظر ذلك في الأماكن التالية : كتاب سيبويه ١٥٤/٢ السطر ٩، و"الكتاب" ١٢٧/٣ السطر ١٣، والكتاب ١٣٨/٣ السطر ٣، والكتاب ٢٤٢/٣ السطر ١١، وفيه قال سيبويه "وبلغنا عن بعض المفسرين أن قوله عز وجل (اهبطوا مصر) إنما أراد مصر بعينها".

(٢) انظر ذلك في الأماكن اللاحقة: المقتضب ٣٧/٢ السطر ٤، والمقتضب ٣٤٧/٢ السطر ٩، وهذا ما ذكره سيبويه في الكتاب ١٢٧/٣ السطر ١٣، المقتضب ٢٩٧/٣ السطر ٢، والمقتضب ١١٩/٤ السطر ١٣، والمقتضب ١٢٥/٤ السطر ١٣، والمقتضب ١٩٩/٤ السطر ٤
(٣) انظر مثلاً في هذه المواضيع مغني اللبيب ص ١٨/السطر ٢، و ٦/٦٦، و ٨/٨٣، و ١١/٩١، و ١٢/١٠١.

(٤) انظر في الموضوعين التاليين "مغني اللبيب" ١١/٢٥١، و ١٥/٨٧٧.

الزمخشري^(١) (ت ٥٣٨هـ) وابن عطية^(٢) (ت ٥٤١هـ) وفخر الدين الرازي^(٣) (ت ٦٠٦هـ) وأبي البقاء العكبري^(٤) (ت ٦١٦هـ) وأبي حيان الأندلسي^(٥) (ت ٧٤٥هـ) فهو امتداد لكتب إعراب القرآن وتطويرها، وأريد بتأليفه لإفادة المفسر والنحوي جميعاً^(٦) وليس لتقرير القواعد النحوية المحضة.

واجتنب ابن هشام في هذا الكتاب ما عدّه غير ضروري في كتب إعراب القرآن الموجودة في زمانه . فمن ذلك التكرار، كتكرار الخلاف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، ومنه إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام في الاشتقاق، ومنه إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره والفاعل ونائبه وغيرها^(٧).

ومن أجل ذلك سمّي هذا الكتاب "مغني اللبيب عن كتب الإعراب"^(٨).

(١) انظر مثلاً في هذه الأماكن المغني ٥/١٩٧، ٧/٢١٦، ١١/٢٣١، ١١/٢٣٤، ١٠/٤٣٨، و ١٨/٤٩٥ .

(٢) انظر "المغني" ٦/١٦٥، ١١/٢٣٤ و ٢/٥١١، ٣/٥٢٨، ٤/٦٥٣، ١٢/٧٠٣، و ٨/٧١٩ و ١٨/٧٩٢، و ٩/٨٢٠ .

(٣) انظر المغني ١٣/٤٨، و ١٣/٣٩٤، و ٩/٥٠٤، و ٩/٦٣١ .

(٤) انظر المغني ١٦/١٣٠، و ١٤/١٣٢، و ١٤/٥٥٤، و ١٦/٥٥٥، ١٢/٥٨١، و ٩/٦٤٨ .

(٥) انظر مثلاً في المغني ٣/١٥٠، ١٥/١٧٢، ١٧/٢٥١، ١٣/٢٥٦، ٨/٢٦١، و ٣/٢٦٣، و ٤/٣١١ .

(٦) وقال في هذا الصدد ((بل لأتّي وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً)) (انظر "المغني" ص ٨٥٣/طبعة دار الفكر / ط ١٩٧٢م).

(٧) انظر "المغني" ص ١٤-١٦ بتصرف.

(٨) انظر "المغني" ص ١٦ .

الفصل الأول شواهد القرطبي النحوية

المبحث الأول
الاستشهاد بالقرآن الكريم

المبحث الثاني
الاستشهاد بالقراءات القرآنية

المبحث الثالث
الاستشهاد بالحديث الشريف

المبحث الرابع
الاستشهاد بكلام العرب "شعرا ونثرا"

الفصل الاول شواهد القرطبي النحوية

إن للشاهد في اللغة عدة معان ، منها "العالم الذي يبين ما علمه وأشهدته على كذا، فشهد عليه أي صار شاهداً عليه" ومنه قوله تعالى (وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) ^(١)، أي أَشْهَدُوا شَاهِدَيْنِ ^(٢). وأُستُخدم لفظ الشاهد في المجاز أيضاً، كما يقال ليوم الجمعة شاهد، وفي الحديث: "سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ" هو شاهد أي يشهد لمن حَضَرَ صلاته ^(٣). والمقصود بالشاهد هنا: "هو الذي يُذكر لإثبات القاعدة كآية من التنزيل أو قول من أقوال العرب الموثوق بعربيتهم" ^(٤). والاستشهاد لغة: هو طلب الشهادة، والشهادة "الإخبار بما شاهده" ^(٥). والاستشهاد في النحو هو: "طلب الشهادة من الشاهد، في إثبات القاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب" ^(٦).

وتشتمل الدراسة في "شواهد القرطبي النحوية" على أربعة مباحث : مبحث الاستشهاد بالقرآن الكريم، ومبحث الاستشهاد بالقراءات القرآنية، ومبحث الاستشهاد بالحديث الشريف، ومبحث الاستشهاد بكلام العرب شعراً ونثراً؛ ويأتي بيان هذه المباحث وفق هذا الترتيب.

-
- (١) البقرة / ٢٨٢ . (٢) انظر لسان العرب "مادة شهد" بتصرف .
- (٣) انظر "اللسان" مادة "شهد" ؛ هذا جزء من حديث طويل وهو "سيد الأيام عند الله يوم الجمعة، أعظم من يوم النحر والفطر (٠٠٠)" (انظر "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي ١٢٠/٤) .
- (٤) انظر "اتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد" ص ٦٠ بتصرف .
- (٥) انظر "لسان العرب" مادة "شهد" .
- (٦) هذا الضابط "مزيج بين معنى الاستشهاد لغة ومعنى النحو اصطلاحاً" . وتعريف النحو كما قال ابن جني: "هو انتحاء سَمَتِ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتصغير والنكسیر والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك" (انظر "الخصائص"
- ٣٥/١، دار الشؤون الثقافية العامة) .

المبحث الاول : "الاستشهاد بالقرآن الكريم"

إنّ القرآن نفسه أحد مصادر بيانه وتفسيره، هذا ما يدعى "تفسير القرآن بالقرآن" وهو أصح طرق التفسير^(١)، والقرآن أصل من الأصول في بناء النحو العربي، بعد أن كان روحا لنشأة هذا العلم ولا يزال؛ إذ كانت تلك النشأة لحماية قراءاته من الخطأ والتحريف، كما سبق بيان ذلك في "المدخل".

ونظراً للعلاقة القوية بين النحو والقرآن الكريم ، فما مدى استفادة الإمام القرطبي لهذه الآيات الكريمة في الاستدلال لاستعمال كلمة أو اثبات تركيب؟
ء لاجابة عن هذا السؤال نستعمل طرق التحليل التالية:

الاول : المسائل التي يستشهد بها بالقرآن:

استشهد القرطبي بالقرآن في مائة وسبعة وعشرين (١٢٧) موضعاً لمسائل نحوية وصرفية ولغوية، وينقسم ذلك العدد إلى مايلي:

استشهد في ست وتسعين مرة (٩٦) للمسائل النحوية، وتسع مرات (٩) للمسائل الصرفية واثنين وعشرين مرة (٢٢) للمسائل اللغوية.

ويتضح من هذا الاستقراء أنّ القرطبي يهتم بالشواهد القرآنية في مسائل النحو في الغالب الأعم، وفي مسائل اللغة كثيراً وفي مسائل الصرف قليلاً، وهذه بعض الأمثلة التوضيحية التي يتّضح في بعضها أثر النحو في التفسير.

(١) انظر "مقدمة في أصول التفسير" ص ٩٤ .

(٢) ميز جمال الدين ابن هشام مصطلحات الغالب والكثير والقليل" وغيرها في قوله: "اعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرّداً فالمتطرد لا يتخلف والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف والكثير دونه والقليل دونه والنادر أقل من القليل، والعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر" (انظر "الاقتراح" ص ٢١) .

- ان خبر "كاد" وما جرى مجراه يخلو من "أن" .

استشهد القرطبي بالقرآن في عدم احتياج خبر "كاد" واخواتها لـ "أن" وزاد فقال^(١) : ((ويجري مجرى كاد وكرب وجعل وقارب وطفق، في كون خبرها بغير أن قال الله عز وجل : (وَلَطْفًا يَخِصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ)^(٢) ؛ لأنها كلها بمعنى الحال والمقاربة؛ والحال لا يكون معها "أن") .

- مجيء فعل الماضي حالا على إضمار "قد" .

وفي تفسيره لقوله تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)^(٣) ، جعل القرطبي أحد الوجود الجائزة لإعراب "أعدت" أنها حال لـ "النار" على معنى معدة، بإضمار "قد" واحتج بنظيره من القرآن وقال^(٤) : ((و (أعدت) يجوز أن يكون حالا للنار على معنى معدة، واضمرت معه قد، كما قال (أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مَدُورُهُمْ)^(٥) فمعناه قد حصرت مَدُورُهُمْ؛ فمع "حصرت" قد مضرة؛ لأن الماضي لا يكون حالا إلا مع "قد" فعلى هذا لا يتم الوقف على "الحجارة"^(٦) .

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٢٢٢/١، في تفسير سورة البقرة ، آية ٢٠ .

(٢) الأعراف / ٢٢ . (٣) البقرة/ ٢٤ .

(٤) انظر "تفسير القرطبي" ٢٣٧/١ . (٥) النساء / ٩٠ .

(٦) انظر أمثلة أخرى في الاحتجاج بالقرآن للمسائل النحوية في مواضع لاحقة؛ في "مسألة جواب الشرط "إذا" "تفسير القرطبي" ٢٠١/١؛ وفي "رجوع الضمير الى المعنى لا الى اللفظ" التفسير ٦٨/٢؛ وفي "مجيء المصدر حالا" ٢٢٢/٥؛ و"إشبات الاستثناء المنقطع" التفسير ٢٤/٩؛ و"أن المجهول لا يكون خبره الا جملة" التفسير ٨٦/١٣؛ و"في زيادة الواو، عند الكوفيين" التفسير ١٠٤/١٥؛ و"انصراف" كلمة "سحر" وعدمه "التفسير ١٤٣/١٧ وغيرها .

- حذف همزة الوصل لعدم الحاجة إليها.

احتج بالقرآن لحذف الهمزة - بسبب انتفاء الحاجة إليها؛ إذ حلت همزة التقرير مطها من جهة الوظيفة، وقال^(١) ((السادس قوله تعالى (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ) (٢) أي اتخذتموه إلهاً من بعد موسى، وأصلها "اتخذتكم" من الأخذ ووزنه افتعلتم، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء ايتخذتكم، فاضطربت الياء في التصريف جاءت ألفا في "يا نَحْذُ" وواوا في موتخذ، فبطلت بحرف جلد ثابت من جنس ما بعدها وهي التاء وادغمت؛ ثم اجتمعت ألف الوصل للنطق، وقد يستغنى عنها إذا كان معنى الكلام التقرير؛ كقوله تعالى : (قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا) (٣) فاستغنى عن ألف الوصل بآلف التقرير قال الشاعر:

أَسْتَحْدَثَ الرُّكْبَ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَائِهِ طَرْبُ (٤)
ونحوه في القرآن (أَطْلَعَ الْغَيْبَ) (٥) (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ) (٦) (أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ) (٧) (٨).

تقدم أن القرطبي استشهد بالقرآن للمسائل اللغوية في اثنتين وعشرين مرة، وكان في عشرين مرة من ذلك العدد قد استشهد لتناوب حروف الجر واستشهد لاختلاف

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٣٩٧/١ .

(٢) البقرة ٥١/ .

(٣) البقرة / ٨٠ .

(٤) البيت لذي الرمة - انظر ديوانه ص ١، تحقيق كاريل هنري هيس مكارتنبي، والشاهد في

قوله: "استحدث" حيث حذفت منه همزة الوصل لعدم الحاجة إليها.

(٥) مريم ٧٨/ .

(٦) الصافات ١٥٣/ .

(٧) ص ٧٥/ .

(٨) انظر تفسير القرطبي ٥/١٢ الداريات ٣٩/، وانظر أمثلة أخرى استشهد فيها للمسائل

المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب، وللأعداد^(١) في كل واحد منهما مرة واحدة وإليك الأمثلة والبيان.

(١) مثال ما استشهد فيه لتناوب حروف الجر.

ذكر القرطبي ثلاثة أقوال في تفسير قوله تعالى (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)^(٢)، ففي القول الأول يقتضي أن اللام بمعنى "إلى" والقول الثاني والثالث تبقى اللام على بابها، واستشهد للقول الأول بالقرآن، وبين أنه من أحسن الأقوال إذا قال^(٣) ((وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أحسن ما قيل فيه، أنهم يسبقون إلى أوقاتها. ودل بهذا أن الصلاة في أول الوقت أفضل: كما تقدم في "البقرة" . وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته: فاللام في "لها" على هذا القول بمعنى إلى كما قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ) أي أوحى إليها وأنشد سيويه.

تَجَانَّفَ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَسْتِي وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِإِسْوَاءِكَ^(٥).

وعن ابن عباس في معنى (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)^(٦) سبقت لهم من الله السعادة؛ فذلك سارعوا في الخيرات وقيل: المعنى وهم من أجل الخيرات سابقون)^(٧).

=== الصرفية في المواضع التالية: "في مسألة "جمع المؤنث السالم" هو للكثير أم للقليل" تفسير القرطبي ١/٣ / البقرة ٢٠٣؛ وتخفيف الهمزة من "اسأل" وإثباتها التفسير ٢٢٧/٣ / البقرة ٢١١؛ وكلمة الطاغوت "أهي للإفراد أم للجمع" التفسير ٢٨٢/٣ البقرة ٢٥٦ وغيرها.

(١) والأعداد: هي الألفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين (انظر "المشترك اللفظي نظرية وتطبيقاً" ١٣٤).

(٢) المؤمنون ٦١ . (٣) انظر "تفسير القرطبي" ١٢/١٣٢ . (٤) الزلزلة ٥ .

(٥) البيت للأعشى الكبير انظر ديوانه ص ٨٩، وفيد "جل اليمامة" والتجانف: الانحراف.

(٦) المؤمنون ٦١ .

(٧) انظر أمثلة أخرى احتجّ فيها القرطبي لتناوب حروف الجر هي مايلي:

الباء بمعنى "عن" في قوله تعالى (الرَّحْمَنُ فَاسْتَكُنَّ بِهِ خَبِيرًا) الفرقان/٥٩، =

(٢) ما احتج فيه بالقرآن لاختلاف المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب

بين القرطبي أن "جعل" في قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا) ^(١) بمعنى "صير" فتعدى إلى مفعولين، وأوضح أيضا أنه قد جاء في موضع آخر في القرآن بمعنى "خلق" فتعدى إلى واحد وقد جاء بمعنى "سمى" فتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، واستشهد لكل واحد من ذلك بالقرآن ! قال ^(٢): ((قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ) معناه هنا "صير" لتعديد إلى مفعولين ويأتي بمعنى "خلق" ومنه قوله تعالى (مَا جَعَلَ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبِغٍ) ^(٣) وقوله (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) ^(٤) ويأتي بمعنى "سمى" ومنه قوله تعالى (حَمَّ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) ^(٥)، وقوله (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) ^(٦) (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِئْنَا) ^(٧) أي سموهم)) .

انتضح مما مضى أن القرطبي استشهد لتناوب حروف الجر في عشرين مرة، واختلاف المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب في موضع، وتقدم مثال كل واحد من الصنفين .

واعلم أن الكوفيين جعلوا تناوب حروف الجر قاعدة قياسية لا مجازية فيكون التنويع في معاني الحرف الواحد عندهم بطريق الوضع أي أن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد . قال المرادي ^(٨) ((وما تقدم من نيابة الباء عن غيرها من حروف الجر هو جار على مذهب الكوفيين ومن وافقهم في أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض)) . وأما البصريون فيسرون أن الحروف لا ينوب بعضها عن بعض قياسا، فليس للحرف معنى وضعي عندهم إلا معنى واحد،

= = التفسير ٦٣/١٣، واللام بمعنى "في" في قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الطلاق / ١ / التفسير / ١٨ / ١٥٢، و"الى" بمعنى "مع" في قوله تعالى (ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم) النساء / ٢ / التفسير / ١٠ / ٥، وغيرها .

(١) البقرة / ٢٢ . (٢) انظر تفسير القرطبي ٢٢٨ / ١ . (٣) المائدة / ١٠٣ .

(٤) الانعام / ١ . (٥) الزخرف / ٣ . (٦) الزخرف / ١٥ .

(٧) الزخرف / ١٩ . (٨) "الجنى الداني" ص ١٠٨، تحقيق طه محسن، طبعة جامعة الموصل .

والمرادى هو الحسن بن القاسم بن عبدالله، ابو محمد، نحوى مفسر، توفي سنة ٧٤٩هـ .

("غاية النهاية" ١ / ٧٢٢) .

قال المرادي في موضع آخر (١) ((مذهب سيبويه والمحققين من أهل البصرة أن "في" لا تكون إلّا ظرفيّة حقيقة أو مجازاً ، وما أُوهم خلاف ذلك ردّ بالتأويل إليه)) .
والتأويل المذكور في قول المرادي إحدى الطريقتين عند البصريين لإبقاء الحرف على موضعه الأول عند حصول ما يوهّم تناوب حروف الجر ، وأما الطريقة الثانية فهي على تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف ، وإذا لا يمكن ذلك جعلوه من قبيل الشذوذ . وفي ذلك قال المرادي (٢) ((ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضعه الأول ، إمّا بتأويل يقبله اللفظ ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف ومالا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ)) . فكانوا يؤولون قوله تعالى (وَلَا تُطِيعُوا فِى جَدْوَعِ النَّحْلِ) (٣) بقولهم ((أن "في" ليست بمعنى "على" ، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء)) (٤) ، ويقولون في قوله تعالى (وَقَدْ أَحْسَنَ بَـي) (٥) إن "أحسن" ضمّن معنى "الطف" وليست الباء بمعنى "إلى" (٦) .

بناء على ما سبق ، هل اتبع القرطبي مذهب الكوفيّين في اتخاذ التناوب بين الحروف منها لفهم النصوص القرآنية ؟ وهل استشهاده لاختلاف المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب يعدّ من قبيل التضمين ، الطريقة التي نهجها البصريون في مثل هذه الحالة ؟

قبل الإجابة عن هذين السؤالين لابدّ من التنبيه على أنّ القرطبي مفسّر وليس نحويّاً ، فهو لا يابّه بالمصطلحات النحوية ، وإنّما قصده تفسير النصوص القرآنية وتجليّة المعاني الدقيقة والخفية ، ولذلك حينما يجد تركيباً مُشكلاً ويرى سبباً لبعض حروف الجر تحلّ محلّ الأخرى فزع إلى هذه الطريقة واتخذها سبيلاً لتحليل النصوص .

(١) الجنى الداني" ص ٢٦٨ . (٢) "الجنى الداني" ، ص ١٠٨ .

(٣) طه ٧١/ . (٤) "مغنى اللبيب" ص ١٥١ .

(٥) يوسف / ١٠٠ .

(٦) "مغنى اللبيب" ص ١٤٣-١٥١ ، و"الجنى الداني" ص ١٠٨ .

ولم يكن القرطبي أول من أخذ بهذه الطريقة، فقد سبقه كثيرون من النحاة والمفسرين وكانت أغلب الأقوال في تناوب حروف الجر الذي استشهد فيه بالقرآن الكريم منسوبة إلى أصحابها بأسمائهم صراحة في تسعة مواضع ^(١)، أو منسوبة إلى جماعة ^(٢) أو إلى أفراد لم تذكر أسماءهم في مواضع أخرى ^(٣) وهناك خمسة أقوال لم يعزها إلى قائلها من النحاة والمفسرين، وإنما كان يسردها سرداً ^(٤).

- (١) ومن تلك المواضع هي: مجيء "إلى" بمعنى "مع" في قوله تعالى (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) آل عمران ٥٢، التفسير ٩٧/٤، والقول لاسماعيل السدي (ت ١٢٨هـ) وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ)؛ ومجيء "أو" بمعنى "الواو" في قوله تعالى (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) الذاريات ٣٩/، التفسير ٥٠/١٧، والقول للمؤرج (ت ١٦٥هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ)؛ ومجيء لام كي بمعنى "أن" في قوله تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) النساء ٢٦/، التفسير ١٤٧/٥، والقول للفراء أيضاً؛ ومجيء "البعض" بمعنى "الكل" في قوله تعالى (وَلَا يَبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) الزخرف ٦٣/، التفسير ١٠٨/١٦، والقول لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ)؛ وبقيت المواضع للخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ) وللجرجاني (ت ٤٨٢هـ) ولبعض هؤلاء مكرراً.
- (٢) وذلك مثل النسبة إلى طائفة من المتأخرين في القول بأن "إلى" بمعنى "مع" في قوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) النساء ٢/، التفسير ١٠/٥، ومثل النسبة إلى بعض أهل العلم في القول بأن "بعد" بمعنى "مع" في قوله تعالى (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) النازعات ٣٠/، التفسير ٢٠٥/١٩.
- (٣) وذلك مثل قوله "قليل" في الرأي بأن "بعد" بمعنى "قبل" في قوله تعالى (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) النازعات ٣٠/، التفسير ٢٠٥/١٩ ونحوه.
- (٤) وذلك مجيء "من" بمعنى "في" / التفسير ٩٠/٣، و "حتى حين" بمعنى "إلى حين" / التفسير ١٨٧/٩؛ و "ان" بمعنى "ما" / التفسير ٣٨٠/٩، و "من" بمعنى "مع" / التفسير ١٩٨/١٠؛ ولها بمعنى إليها / التفسير ١٣٣/١٢.

فهذه يعني أنّ القرطبي مجرد ناقل دون أن يتدخل في الموضوع أو يعلق عليه
بالرفض أو القبول؟ أو باختيار مذهب دون آخر؟
بالنظر الفاحص إلى التفسير من هذه الناحية في ذلك الاستشهاد تبين أن القرطبي اختار
مراعاة القول بتناوب حروف الجرّ، كما سبق ذكره في المثال عن التناوب آنفاً، وأنه
يختار -مرتين- القول باستعمال حرف الجرّ على بابه مع اختيار تأويل يقبله اللفظ في
المرّة الأولى والقول بالتضمن في المرّة الثانية، وبيانها مايلي:

الأول: الموضوع الذي اختار فيه استعمال حرف الجرّ على أصل وضعه، مع تأويل الآية تأويلاً
يقبله اللفظ هو في تفسيره لقوله تعالى (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ^(١) إذ
قال: ^(٢) ((قال السدي والثوري وغيرهما : المعنى مع الله، فـ "إلى" بمعنى "مع"
كقوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) ^(٣) أي مع ، والله أعلم، وقال
الحسن المعنى "مَنْ أَنْصَارِي فِي السَّبِيلِ إِلَى اللَّهِ" لأنه دعاهم إلى الله عز وجل، وقيل
:المعنى "من يضمّ نصرته إلى نصرته الله عز وجل" فإلى على هذين القولين على
بابها، وهو الجيد))

واتضح من هذا النص أن القرطبي أورد ثلاثة أقوال في تفسيره لقوله تعالى حكاية عن
قول عيسى عليه السلام (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ^(٤) أولها أن "إلى" بمعنى "مع" والقولان
الثاني والثالث على تأويل الجملة، واستعملت "إلى" فيهما على أصل وضعها، ووصف القرطبي
أن هذا الاستعمال "هو الجيد". إذ قال ((فإلى على هذين القولين على بابها، وهو الجيد))
فكان الوصف بالجودة موجهها إلى كون الاستعمال لحرف الجرّ على بابه، سواء على التأويل
الأول أو التأويل الثاني، ودون نفي إمكانية تفسير آخر.
والثاني: الموضوع الذي اختار فيه تضمين فعل معنى فعل آخر هو تفسيره لقوله تعالى

(٢) تفسير القرطبي ٩٢/٤ .

(١) المص ١٤ / .

(٤) المص ١٤ / .

(٣) النساء / ٢ .

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) ^(١) حيث قال ^(٢) ((وقالت طائفة من المتأخرين: ان "إلى" بمعنى "مع" كقوله تعالى: (مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ) ^(٣) وأنشد القتيبي؛

يَسْتَوْنَ أَبْوَابَ الْقِبَابِ بِضَعْرِ إِلَى عُنَى مُسْتَوْثِقَاتِ الْأَوَامِرِ ^(٤)

وليس بجيد، وقال الحدّاق؛ "إلى" على بابها وهي تتضمن الإضافة؛ أي لا تُضيفوا أموالهم وتضمّموها إلى أموالكم في الأكل، فنّهوا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع))^٥

فذكر القرطبي قولين في تفسير تلك الآية، أولهما أن "إلى" بمعنى "مع" والثاني على تضمين الفعل ما يناسب الحرف المذكور، والحرف يبقى على معناه الأصلي، ثم وصف الأول بأنه ليس بجيد، ومفهومه أن الثاني هو الجيد، وهو المختار، هذا ويفرد البحث في "اختيارات القرطبي النحوية" في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذه الرسالة.

وأما المسألة الثانية، فهي هل استشهاده بالقرآن الكريم لاختلاف المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب من صف "التضمين"، الطريقة التي دعا إليها البصريون لحلّ مثل هذه المسألة؟^٦

فالنظر إلى ذلك الاستشهاد كما سبق ذكره ^(٥)، وجدنا أن القرطبي لا تهتمه الممطلحات، هل كان تغير المعاني لكلمة "جعل" من قبيل التضمين أم لا؟ وإنما حين وجدها مختلفة المعاني بفريضة في قوة تعديها، بين أنها تأتي بمعنى "صير" لأنها تتعدى

(١) النساء/٢ • (٢) تفسير القرطبي ١٠/٥ • (٣) الصف/١٤ •

(٤) البيت لسلمة بن الخرشب، يصف خيلاً ربطت بأفئدتهم، والعن: جمع عنة وهي حظيرة،

والشاهد في قول "إلى عن" أي "مع عن" (انظر "المفضليات" ص ٣٤، تحقيق

كارلوس يعقوب لایل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠م).

(٥) انظر صفحة (٣٣)، من هذه الرسالة.

إلى مفعولين، وهذا محلّ الشاهد في الآية هي قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرَاشًا)^(١)، وأنها تأتي بمعنى "خَلَقَ" إذ تعدّى إلى واحد واستشهد بقوله تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ)^(٢) وقوله تعالى (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)^(٣)، وتأتي بمعنى "سَمَّى" إذ تعدّى إلى ثلاثة مفاعيل واستشهد بثلاث الآيات إحداها (حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)^(٤)، دون أي إشعار أنّ استعمال "جَعَلَ" لأحد هذه المعاني أقدم من استعمالها لغيره، ودون بيان أنّ أحد الاستعمالين حقيقيّ والآخر مجازي، أي أنّ الاستعمال الثاني وما بعده من قبيل التوسع للاستعمال الأول؛ لأنّه إذا كان الأمر كذلك فهو من قبيل "التضمين"؛ لأنّ التوسع في معاني الأفعال هو الأساس لحقيقة التضمين^(٥).

وإذا كان هذا شأنه، فما المصطلح الذي أطلق على عمل القرطبي في هذا؟ يبدو أنّ ليس كلّ عمل محتاجاً إلى مصطلح، وإنما كان عمل القرطبي تفسير النصّ بالنظر إلى التركيب فوجد أنّ كلمة "جعل" لها معانٍ مختلفة باختلاف التراكيب، فبيّن التغيير وأسبابه كما وجد، وكان عمله - إن جاز التعبير - أقرب إلى وصف دلالات الألفاظ.

(٢) ما استشهد فيه لدلالة لفظ واحد على معنيين متضادين (الأضداد).

ذكر القرطبي نوعين من التفسير في تفسير قوله تعالى (مَنْ رَأَاهُمْ جَهَنَّمَ)^(٦)، الأول

(١) البقرة ٢٢/ ١٠ (٢) المائدة ١٠٣

(٣) الانعام ١ / ٣ (٤) الزخرف ٣ / ١

(٥) عرف أحدهم بالتضمين فقال: هو أن يتوسّع في استعمال لفظ توسّعاً يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي والليزوم (انظر "اسناد الفعل"؛ لرسمية محمد المياح ص ١٤٧) ورأى الدكتور محمد حسن عواد، في كتابه "تناوب حروف الجر" أن اختلاف المعاني لفعل واحد باختلاف التراكيب هو مسألة دلالة الالفاظ والتركيب، وليس من باب تناوب حروف الجر، كما ذهب إليه الكوفيون ولا من قبيل "التضمين" كما دعا إليه البصريون (انظر "تناوب حروف الجر في لغة القرآن" ص ٢٠، ٥٨، ٦٤، ٨١، ٨٢، وغيرها).

(٦) الجاثية ١٠ / ١٠

تفسير يبقى بد لفظ "وراء" على أصل وضعه، وتفسير آخر منسوب إلى ابن عباس، حيث استخدم فيه لفظ "وراء" بمعنى "أمام"؛ فبهذا التفسير يكون لفظ "وراء" من الالفاظ التي تستعمل لمعنيين متضادين، ثم أتى بنظيره من القرآن الكريم وشاهد من الشعر؛ إذ قال^(١) ((مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ))^(٢) أي من وراء ما هم فيه من التعزز في الدنيا والتكبر عن الحق جهنم، وقال ابن عباس ((مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ)) أي أمامهم، نظيره: ((مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ عَذِيقٍ))^(٣) أي من أمامه قال:

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ تَرَاحَتْ مِنْيَّي
أَدَبٌ مَعَ الْوَلَدَانِ أَرْحَفُ كَالنَّسْرِ^(٤)

وصفة القول في هذه المسألة:

إن القرآن من الشواهد المعتمد عليها عند القرطبي لإثبات التراكيب النحوية واستعمال الألفاظ، وكان استشهاده لتناوب حروف الجر لم يقصد منه الانتماء إلى مذهب الكوفيين؛ لأن أغلب ذلك الاستشهاد منسوب إلى النحاة والمفسرين السابقين؛ وليس القرطبي مجرد ناقل محض؛ لأنه قد اختار التناوب في موضع، وعده أحسن الأقوال، ورفض التناوب في موضع آخر مفضلاً تأويل الآية، وإبقاء الحرف على أصل وضعه، ومستحسناً التضمن في موضع ثالث، وكان أكثر وضوحاً في الاعتماد على القرآن في الاستشهاد لتركيب الالفاظ، وذلك حين فسر معنى "جَعَلَ"؛ إذ فسر استعمالها في موضع مقارناً مع الاستعمال في موضع آخر في القرآن بالنظر إلى التركيب، فوجده مختلف الاستعمال والمعنى معاً، فوصفه كما وجده دون إطلاق أي مصطلح على عمله.

الثاني: القرآن وغيره من النصوص المستشهد بها.

هذه طريقة ثانية لاستجلاء مدى اعتماد القرطبي على القرآن في استشهاده لصحة قاعدة

نحوية أو استعمال ألفاظ.

(١) تفسير القرطبي ١٥٩/١٦ (٢) الجاشية ١٠/

(٣) ابراهيم ١٦/

(٤) لم أعر على قائل معين، والشاهد في قوله "ورائي" بمعنى "أمامي".

تبين من دراسة هذه الناحية أن القرطبي جعل القرآن أصلاً من أصول الاستشهاد، وهذا التقرير ليس نتيجة المقارنة في عدد استشاده بالقرآن للمسائل النحوية واللغوية مع عدد استشاده بغيره للمسائل نفسها؛ لأن عدد استشاده بالقرآن عنده لم يبلغ مبلغ الاستشهاد بالشعر مثلاً: إذ بلغ الثاني ألفاً وثلاثة وخمسين شاهداً، ولم يبلغ الأول سوى مائة وسبعة وعشرين موضعاً وإنما ثبت ذلك نتيجة الاستقراء في طريقة استشاده بالقرآن الذي تبين منه أن القرطبي استشهد بالقرآن منفرداً في أكثر من ثمانين موضعاً من أصل العدد، دون أي تأييد من حجج أخرى من حديث أو قراءة قرآنية أو كلام العرب، وإذا أراد تأييد استشاده بالقرآن أيده بشاهد من القرآن أيضاً أو شاهدين منه أو أكثر، ثم أيده بالشعر في بعض الأحيان، وفي مواضع أخرى جعل الشعر رديف شاهد واحد من القرآن، وفي القليل وضع القرآن بعد الشعر في الاستشهاد، وإليك التفصيل والمثال:

(١) استشاده بشاهد واحد من القرآن من غير تأييد بالشواهد الأخرى في أكثر من ثمانين موضعاً، ومثال ذلك:

ذكر القرطبي ثلاثة وجوه الإعراب الجائزة لجملة (أَنْزِلُوا لِلَّهِ) في قوله تعالى (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْزِلُوا لِلَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ)^(١)، وأحد هذه الوجوه أن "ن" وما بعدها لا موضع لها من الإعراب؛ لأنها مفسرة، ثم جاء بنظير من القرآن إذ قال^(٢) ((أَنْزِلُوا لِلَّهِ)) "ن" لا موضع لها من الإعراب وهي مفسرة مثل (وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْزِلُوا)^(٣)، ثم ذكر الوجهين الآخرين^(٤).

(١) المائدة ١١٢/٠

(٢) تفسير القرطبي ٢٧٦/٦

(٣) ص ٦ / ٠

(٤) انظر أمثلة أخرى في المواضع الآتية:

- في إعراب "هم" في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) البقرة ١٢/١ التفسير

٢٠٤/١؛ وفي إعراب "أربعين ليلة" في قوله تعالى (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

(٢) استشهاده بشاهد من القرآن دون تأييد بالشواهد الأخرى في تِسْعَةِ عَشَرَ موضعاً، وهذا مثاله :

استبعد القرطبي قول فرقة من النحاة إنّ "هو" في قوله تعالى (وَمَا هُوَ بِمَرْجُومٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَذَّبَ)^(١) عماد، وبين العلة واحتجّ بشاهدين من القرآن، قال^(٢) ((وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت : "هو" عماد، قلت: وفيه بعد، فإنّ حق العماد أن يكون بين شيئين متلازمين: مثل قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ)^(٣) وقوله : (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ)^(٤) ونحو ذلك))^(٥).

(٣) استشهاده بأربعة شواهد من القرآن من غير تقوية بالشواهد الأخرى، وموضع ذلك مايلي:

استشهد القرطبي للقول بأنّ "ذلك" قد يشار به إلى شيئين متضادين، ومن ذلك ما ورد في

== البقرة / ٥١ / التفسير ٣٩٥/١؛ وفي استشهاد البصريين بأن الالف والتاء في قوله تعالى (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) مما للقليل وللكثير / البقرة ٢٠٣ / التفسير ١/٣؛ وفي اعراب "مالك الملك" في قوله تعالى (قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ) آل عمران ٢٦ / التفسير ٥٤/٤؛ وفي زيادة "كان" وهي أحد الاقوال في اعراب قوله تعالى (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) سبأ ٢١ / التفسير ٢٩٤/١٤ وغيرها.

(١) البقرة / ٩٦ (٢) تفسير القرطبي ٣٥/٢ : (٣) الانفال / ٣٢ .

(٤) الزخرف / ٧٦ .

(٥) انظر امثلة اخرى من هذا الصنف فيما يلي:

استشهاده في نيابة "من" عن "في" في قوله تعالى (فَأَتَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) البقرة/ ٢٢٢ / التفسير ٩٠/٣؛ واستشهاده لمجيء المصدر على خلاف المصدر، في قوله تعالى (وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا) المائدة ١٢ / التفسير ١١٤/٦؛ واستشهاده لمذهب الفراء بأن "مُعِيشَتَهَا" في قوله تعالى (وَكَمْ أَمَلَكُنَا مِنْ قُرَيْبٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا) منصوب على التفسير / القصص ٥٨ / التفسير ٣٠١/١٣؛ واستشهاده للفظ من بأنه يستعمل للواحد والجمع / البقرة ٢٠٣ / التفسير ١٤/٣ .

قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)^(١)، حيث كانت الإشارة بذلك للاختلاف والرحمة، ثم استشهد لصحة هذه القاعدة بأربعة شواهد من القرآن فقال^(٢) ((وقيل: الإشارة بذلك للاختلاف والرحمة، وقد يشار به "ذلك" إلى شيئين متضادين،: كقوله تعالى (لَا فَاِرِضْ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)^(٣) ولم يقل بين ذينك ولا تينك، وقال (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِقُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)^(٤) وقال (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)^(٥) وكذلك قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)^(٦)،^(٧)

هذه ثلاثة أمثلة لثلاث أحوال، اعتمد فيها القرطبي على القرآن في الاستشهاد بصورة واضحة، وسنذكر بقية الأحوال في استشهاده بالقرآن من ناحية القرآن وغيره من النصوص المستشهد بها، مع الإشارة في الهامش إلى مواقع الاستشهاد في التفسير بغير ذكر الأمثلة خوفا من الإطالة إلا اذا كانت الفائدة تدعو إلى ذلك، وإليك البيان:

(٤) استشهاده بخمسة شواهد من القرآن من غير تأييد بالشواهد الأخرى، وكان ذلك في موضع واحد^(٨).

(٥) استشهاده بأربعة شواهد من القرآن وشاهد من الشعر، وذلك في موضع واحد^(٩).

(٦) استشهاده بثلاثة شواهد من القرآن وشاهدين من الشعر، وذلك في موضعين^(١٠).

(١) هود / ١١٨-١٩٩ (٢) التفسير ١١٥/٩ (٣) البقرة / ٦٨

(٤) الفرقان / ٦٧ (٥) الاسراء/ ١١٠ (٦) يونس / ٥٨

(٧) وهذا الموضع الوحيد من هذا الصنف من الاستشهاد.

(٨) وكان الاستشهاد في رد القرطبي على قول ابن فارس والجوهرى ان لفظ حجارة جمع الحجر

ناصر/ في "التفسير" من سورة البقرة، / ٦٠ / تفسير القرطبي ٤١٩/١

(٩) وكان ذلك في تعاقب بين لام كي و "ان" في التفسير من سورة النساء/ ٢٦ التفسير

١٤٧/٥

(١٠) والموضعان هما: في حذف التنوين للاضافة / في التفسير من سورة الزمر / ٢٨ ==

- (٧) استشهاده بشاهدين من القرآن فشاهد من الشعر، وذلك في موضع (١)،
 (٨) استشهاده بشاهدين من القرآن فشاهد من الشعر، وذلك في ثلاثة مواضع (٢)
 (٩) استشهاده بشاهد واحد من القرآن فشاهد أو شاهدين من الشعر، وذلك في سبعة عشر موضعا، ومثاله مايلي:

ذكر القرطبي مذهب الاخفش الذي أجاز إعراب "الَّذِينَ ظَلَمُوا" في قوله تعالى
 (وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (٣) على أنه مرفوع على لغة من قال "اكلوني
 البراغيث" ثم استشهد بالقرآن وشاهدين من الشعر حين قال (٤) ((وأجاز الأخفش الرفع
 على لغة من قال: "اكلوني البراغيث": وهو حسن ، قال الله تعالى : (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا
 كَثِيرًا مِنْهُمْ) (٥).

وقال الشاعر:

بِكَ نَالَ النَّضَالُ دُونَ الْمَسَاعِي فَاهْتَدَيْنَ النَّبَالَ لِلْأَعْرَاضِ (٦)

== التفسير ٢٥٩/١٥ . وفي جواز زيادة الواو على مذهب الكوفيين/ في التفسير من
 سورة المافات / ١٠٣ / التفسير ٩٩/١٥ .

(١) وكان ذلك في جواز زيادة الواو على قول الكوفيين / في التفسير من سورة يوسف / ١٥/
 / التفسير / ١٤٢/٩

(٢) وذلك في الاستشهاد للاستثناء المنقطع/ في التفسير من سورة البقرة / ٣٤/ التفسير/
 ٢٩٤/١ وفي الاستشهاد لمجيء "أو" بمعنى "الواو" / في التفسير من سورة البقرة
 / ٧٤/ التفسير ٤٦٣/١ . والاستشهاد بأن "فعليل" و "فعلول" يستوي فيه الواحد
 والاثنتان والجمع / سورة ق / ١٧/ التفسير ١٠/١٧ .

(٣) الانبياء / ٣ . (٤) تفسير القرطبي ٢٦٩/١١

(٥) المائدة / ٧١ .

(٦) لم أعر على قائل معين للبيت، والشاهد في قوله "النبال" حيث ارتفع
 بقوله "فاهتدين".

وقال آخر: (١)

وَلَكِنْ دِيَا فِيْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرَانِ يَعْمُرْنَ التَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ. (٢)

(١٠) استشهاده بشاهد من القرآن وخمسة شواهد من الشعر، وذلك في موضع واحد (٣).

(١١) استشهاده بشاهد من القرآن وشاهد من القراءة الشاذة، وموضع ذلك مايلي:

استشهد القرطبي بالقرآن وبالقراءة الشاذة لحذف ياء الإضافة في قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام (قَالَ يَا أَبْنُ أُمِّ) (٤) في قراءة مَنْ كسر الميم (٥)، وإبقاء الكسرة من الميم لتدلّ على الإضافة. وقال في هذا الصدد (٦) ((ومن كسر الميم جعله مضافاً إلى ضمير المتكلم ثم حذف ياء الإضافة؛ لأنّ مبنى النداء على الحذف، وأبقى الكسرة في الميم لتدلّ على الإضافة؛ كقوله: (يَا عَبَادُ) (٧). يدلّ عليه قراءة ابن

(١) هو الفرزدق انظر "ديوانه" المجلد الاول، ص ٤٦، وديكاي: موضع بالجزيرة، والشاهد في رفع أقاربه بـ "يعمرن".

(٢) انظر امثلة أخرى في الأماكن التالية:

- في مجيء "أو" بمعنى "بل" / في التفسير من سورة البقرة/ ٧٤ / تفسير القرطبي ٤٦٣/١ - وفي مجيء "لها" بمعنى "إليها" / في التفسير من سورة المؤمنون / ٦١ / تفسير القرطبي ١٣٣/١٢ .

- وفي مجيء "الباء" بمعنى "عن" / في التفسير من سورة الفرقان / ٥٩ / تفسير القرطبي ٦٣/١٣ .

(٣) وذلك في استشهاده لاثبات اعراب الاستثناء المنقطع / في التفسير من سورة النساء/ ٩٢ / التفسير ٣١٢/٥ .

(٤) طه ٩٤/ .

(٥) قراءة كسر الميم لابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، وقراءة فتحها لابن كثير ونافع وأبي عمرو وحفص عن عاصم (انظر "السبعة في القراءات" لابن مجاهد ص ٢٩٥).

(٦) تفسير القرطبي ٢٩٠/٧ . (٧) الزمر ١٦/ .

السَّمِيعُ (١) (يَا بَنِي أُمِّي) بإشبات الياء على الأصل)) .

(١٢) استشهاده بالشعر ثم بالقرآن، وذلك في خمسة مواضع، ومثال هذا الصنف ما يلي:
استشهد القرطبي بالشعر ثم بالقرآن لمجيء "البعض" بمعنى "الكل" في قوله (٢) ((
ومعنى (عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (٣) عن كل ما أنزل الله إليك، والبعض يستعمل
بمعنى الكل، قال الشاعر: (٤).

* أَوْ يُعْتَبَرُ بَعْضُ النَّفُوسِ جَمَامَهَا *

ويروى "أو يرتبط" أراد كل النفوس : وعليه حملوا قوله تعالى : (وَلَا يَبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي تُخْتَلَفُونَ فِيهِ) (٥) ((٦).

(١٣) استشهاده بقول العرب ثم بشاهد من القرآن، وذلك في مسألة وهي:
فسر القرطبي قوله تعالى (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٧)، فذكر قول

(١) هو محمد بن عبدالرحمن بن السميع، أبو عبدالله اليماني، له اختيار في القراءة

ينسب إليه شد فيه . (انظر : "غاية النهاية" ١٦١/٢) .

(٢) "تفسير القرطبي" ٢١٣/٦ . (٣) المائدة / ٤٩ .

(٤) هو لبيد : انظر ديوانه ، ص ٣١٣ ، وفيه "أو يعتلق" ومدره "تَرَكَ أُمْكِنَةً إِذَا لَمْ
أَرْضَهَا" .

(٥) الزخرف / ٦٣ .

(٦) انظر أربعة المواضع الباقية فيما يلي :

استشهاده لمجيء لفظ "اولئك" في غير العقلاء، في التفسير من سورة البقرة

٥/التفسير ١٨١/١ ؛ واستشهاده لمجيء "جعل" زائدة، في التفسير من سورة البقرة

٢٢/التفسير ٢٢٨/١ ؛ واستشهاده لقول أبي عبيدة في مجي "إلا" بمعنى "الواو"

في التفسير من سورة البقرة ١٥٠/التفسير ١٦٩/٢ ؛ واستشهاده لمذهب المازني

وأبي العباس المعبر في جواز تقديم التمييز المنصوب إذا كان العامل فعلاً، وإن تقدم

عليهما "ماكان"، في التفسير من سورة النساء/٤/التفسير ٢٦/٥ .

(٧) الشعراء / ١٦ .

أبي عبيدة بأن لفظ "الرسول" يأتي للواحد والاثنين والجمع، ثم احتج بقول العرب وشاهد من القرآن حين قال^(١) ((قال أبو عبيدة: ويجوز أن يكون الرسول في معنى الاثنين والجمع؛ فتقول العرب: هذا رسولي ووكلني، وهذان رسولي ووكلني، وهؤلاء رسولي ووكلني ومنه قوله تعالى: (فَاِيَهُمْ عَدُوٌّ لِّي) ^(٢))) وبهذا فلا إشكال في الآية.

إنّ ما سبق في دراسة احتجاج القرطبي بالقرآن من ناحية "المسائل التي استشهد لها القرطبي بالقرآن" وناحية "القرآن وغيره من النصوص المستشهد بها" يدلنا على أنّ القرآن الأصل الأول في مقام الاستشهاد عند القرطبي؛ لأنه اعتبر القرآن الدليل الأول لإثبات صحة القاعدة النحوية أو استعمال الألفاظ، فإذا أراد أن يستشهد لهما فاستشهد بالقرآن، وإذا أراد تأييده أيّده بمثله من الشواهد القرآنية أيضاً. وقد كان من بين استشهاده بالقرآن استشهاده بخمسة شواهد منه لمسألة واحدة.

وبعد هذا، فهل كان كلّ استشهاده بالقرآن تأييداً لاتجاهاته النحوية واللغوية؟ وإذا رجعنا إلى استشهاده بالقرآن بشكل عام، فمعظم المسائل التي استشهد لها بالقرآن منسوبة إلى المذاهب المختلفة، ذكرت أسماء أصحابها أو لم تذكر؛ فكانت حالة القرطبي في الاستشهاد بالقرآن عامة كحالها في الاستشهاد به لتناوب حروف الجر خاصة، التي سبق إيضاحها.

وكانت المسائل التي استشهد لها القرطبي بالقرآن منسوبة إلى البصريين^(٣) أو الكوفيين^(٤)، أو منسوبة إلى أعيان من النحاة واللغويين، فهم على ترتيب الوفيات:

(١) تفسير القرطبي ٩٤/١٣ (٢) الشعراء ٢٦/٠

(٣) سنكتفي بالإشارة إلى الجزء من "تفسير القرطبي" والصفحة والسطر لآماكن وجود المذاهب والأسماء المنسوب إليها المسائل من غير ذكر المسائل نفسها تجانباً من الإطالة ولعدم الحاجة إلى ذلك لوضوح المسألة؛ والآماكن التي تنسب فيها المسائل إلى البصريين هي: في "تفسير القرطبي" الجزء ٣ والصفحة ١، والسطر ٧، و ١١/٣٤٢/١٠

(٤) انظر "تفسير القرطبي" ١١/٢٠٤/١ و ٦/٥٦/٢، ٩/١٤٢/٩ و ٥/١٠٤/١٠

الخليل (١) (ت ١٧٠هـ) وسيبويه (٢) (ت ١٨٠هـ) والفراء (٣) (ت ٢٠٧هـ) وأبو عبيدة (٤) (ت ٢٠٩هـ) والأخفش سعيد بن مسعدة (٥) (ت ٣١٥هـ) والطبري (٦) (ت ٣١٠هـ) والزجاج (٧) (ت ٣١١هـ) والنحاس (٨) (ت ٣٣٧هـ) والجرجاني (٩) (ت ٤٨٢هـ) وفي عدة أماكن نسب القرطبي الأقوال إلى من لم يذكر اسمه واكتفى بذكر "قيل" (١٠).

ولم يتدخل القرطبي في أقوال النحاة والمفسرين باختيار مذهب أو برّد مذهب آخر إلا في القليل النادر (١١)؛ لأننا لم نجد في مقام الاستشهاد بالقرآن هنا إلا الموضعين اللذين استشهد فيهما بالقرآن لرأيه وهذان الموضعان هما:

الأول: استبعد القرطبي قول طائفة حكاه الطبري (ت ٣١٠هـ) أن "هو" في قوله تعالى (ومأ

- (١) انظر "تفسير القرطبي" ١٥/٦٤/٧ و ٩/١٣٧/٧ .
- (٢) انظر "تفسير القرطبي" ١٥/٥٤/٤ ، ١٩/١٣/٦ و ٦/٢٥/٦ و ١٢/٢٦٢/١١ .
- (٣) انظر "تفسير القرطبي" ١٨/٣٩٤/١ ، ٨/١٣/٢ ، ١٦/١٤٧/٥ و ٢/٣٠١/١٣ و ٤/٣١٣/١٤ و ١٧/٢٣٢/١٥ و ٧/١٤٤/١٩ و ٢٠/٢٦٦/١٩ .
- (٤) انظر "تفسير القرطبي" ١/١٦٩/٢ و ١٤/٣٦٣/٦ و ١٤/١١٥/١٢ و ٤/٩٤/١٣ و ٧/١٠٨/١٦ .
- (٥) انظر "تفسير القرطبي" ١٣/٣٨٠/١ و ٩/٣٩٥/١ و ١٤/١٣٢/٢ و ١١/٢٣٦/٤ و ١٦/٢٢٢/٥ و ٦/٧٣/٦ و ٥/١٨٤/١١ و ٤/٢٢٩/١٨ .
- (٦) انظر "تفسير القرطبي" ١٨/٩٨/٣ .
- (٧) انظر "تفسير القرطبي" ٨/٦٣/١٣ .
- (٨) انظر "تفسير القرطبي" ١٢/٨٦/١٣ و ٦/١٠١/١٣ و ٥/٢٠٨/١٣ .
- (٩) انظر "تفسير القرطبي" ١٨/١٥٢/٢١ .
- (١٠) انظر "تفسير القرطبي" ٨/٤٦٣/١ و ١١/٤٦٣/١ و ٥/١٤٢/٢ و ٣/٢٥٨/٢ و ١٥/١٠٤/٥ و ٢/٣١٢/٥ و ١٧/١١٣/٩ و ٧/٢٩٤/١٤ .
- (١١) سيأتي البحث في "اختيارات القرطبي النحوية" في الفصل الثاني.

هُوَ بِمَرْحُزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمَرَ^(١) عماد، واحتج بأن شرط العماد أن يكون متوسطاً بين شيئين متلازمين ثم استشهد بشاهدين من القرآن، قال^(٢) "وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: هو عماد، قلت؛ وفيه بعد، فإن حق العماد أن يكون بين شيئين متلازمين: مثل قوله: (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ)^(٣) وقوله: (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)^(٤) ونحو ذلك))".

والواقع أن القرطبي قد انحاز إلى مذهب البصريين في هذه الحالة؛ لأن البصريين هم الذين قالوا إن شرط الفصل أو العماد أن يكون متوسطاً بين شيئين متلازمين، وقول الطائفة الذي حكاه الطبري هو مذهب الكوفيين؛ الذين أجازوا أن يتقدم "العماد" مع الخبر على المبتدأ، فإن قيل "ما زيد هو القائم" فيجوز عندهم أن يقال: "ما هو القائم زيد" فتقدير الآية عندهم "وما تعميره هو بِمَرْحُزِهِ" ثم قدّم الخبر مع العماد فصار "وما هو بِمَرْحُزِهِ من العذاب أن يعمر" أي تعميره^(٥).

الثاني: لم يوافق القرطبي رأي الجوهري (ت٢٤٧هـ) وابن فارس (ت٣٩٥هـ) بأن "حجارة" جمع حجر نادر، واحتج القرطبي بأن لفظ "حجارة" وارد في القرآن في غير موضع فكيف يكون نادراً، وفي ذلك قال القرطبي^(٦) ((والحجر معروف، وقياس جمعه في أدنى العدد أحجار، وفي الكثير حجار وحجارة، والحجارة نادر، وهو كقولنا: جمل وجمالة، وذكر ونكارة؛ كذا قال ابن فارس والجوهري

(١) البقرة ٩٦.

(٢) تفسير القرطبي ٣٤/٢-٣٥.

(٣) الانفال / ٣٦.

(٤) الزخرف ٧٦.

(٥) انظر "تفسير البحر المحيط" ٣١٥/١-٣١٦ بتصرف.

(٦) تفسير القرطبي ٤١٩/١.

قلت : وفي القرآن (فَهِيَ كَالْجَارَةِ) ^(١) (وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ) ^(٢) (قُلْ كُونُوا جَارَةً) ^(٣) (تَرْمِيهِمْ بِجَارَةٍ) ^(٤) (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جَارَةً) ^(٥) فكيف يكون نادرا، إلا أن يريد أنه نادر في القياس كثير في الاستعمال فصيح، والله أعلم).

أعطى القرطبي في الموضعين الماضيين وصفا قويا لاعتماده على القرآن في الاستشهاد؛ لأنه اكتفى فيهما بالشواهد القرآنية في الاستشهاد وكرر استشاده بالقرآن خمس مرات في الموضع الثاني، دون أي ذكر شاهد آخر من غير القرآن، وفي الموضعين كان استشاده لمذهبه.

ثالثا: الأحكام التي استشهد فيها القرطبي بالقرآن:

إذا نظرنا إلى المواضع التي احتج فيها بالقرآن وجدنا أن هذه المواقع تتعلق بأحكام نحوية هي "أكثر" ^(٦) و "كثير" ^(٧) و "جائز" ^(٨) و "حسن" ^(٩) و "ليس بجيد" ^(١٠) وأمثلة هذا على النحو التالي:

- الحكم بـ "أكثر":

ذكر القرطبي قراءتين لقوله تعالى (قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ) ^(١١) القراءة الاولى برفع "علامة الغيوب" وهي قراءة الجمهور، والثانية بنصبها وهي قراءة

(١) البقرة / ٧٤ •

(٢) البقرة / ٧٤ •

(٣) الاسراء / ٥٠ •

(٤) الفيل / ٤ •

(٥) الحجر / ٧٤ •

(٦) انظر "تفسير القرطبي" ١٩/٤٢٨/٣ ، ١٨/٢٥٦/٦ ، و ١٢/٢٥٩/١٥ •

(٧) انظر "تفسير القرطبي" ١٠/٢٧٥/١ ، و ١٣/٤٣٥/١ ، و ١٥/٣٧٦/٦ ، و ١١/١٩٩/٩ •

(٨) انظر "تفسير القرطبي" ١٣/٣٨٠/١ ، و ٨/٢٦٩/١١ •

(٩) انظر "تفسير القرطبي" ١١/١٠/٥ •

(١٠) سبأ / ٤٨ •

عيسى ابن عمر، ثم ذكر زعم الفراء، أن الرفع في مثل هذا أكثر في كلام العرب، واستشهد لهذا القول بشاهد من القرآن وقال في هذا الصدد^(١) (وزعم الفراء أن الرفع في مثل هذا أكثر في كلام العرب إذا أتى بعد خبر "ان" ومثله) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار^(٢)

- الحكم بـ "كثير":

وضح القرطبي موقع الاعراب لجملة "لا نفرّق بين أحد من رُسُلِه" من قوله تعالى (كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمِلْأَتُهُ وَكِتَابُهُ وَرُسُلَهُ لَانْفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)^(٣) بآئته في محل نصب مقول القول، وبين أن حذف القول كثير في العربية ثم استشهد بشاهدين من القرآن فقال في ذلك^(٤) ((وقرأ جمهور الناس "لا نفرّق" بالنون ، والمعنى يقولون لا نفرّق؛ فحذف القول، وحذف القول كثير؛ قال الله تعالى : (والملائكةُ يدخلون عليهم مِنْ كُلِّ باب سلامٌ عليكم)^(٥) أي يقولون سلام عليكم. وقال: (ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا)^(٦) أي يقولون ربنا، وما كان مثله)).

الحكم بالجواز:

ذكر القرطبي ثلاثة وجوه جائزة في اعراب "أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ" في قوله تعالى (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)^(٧) واحتج بالقرآن لاحد الاعراب الثلاثة ولم يرجح قولاً على قول. وفي ذلك قال^(٨) ((ان اعبدوا الله) "ان" لا موضع لها من الاعراب وهي مفسرة مثل (وانطلق الملائكة منهم أن أمشوا)^(٩) ويجوز أن تكون في موضع نصب؛ أي ما ذكرت لهم الا عبادة الله، ويجوز أن تكون في

(١) "تفسير القرطبي" ٣١٣-٣١٢/١٤ .

(٢) ص ٦٤ .

(٣) البقرة ٢٨٥ . (٤) "تفسير القرطبي" ٤٢٨/٣ .

(٥) الرعد ٢٤/٢٣ . (٦) آل عمران ١٩١ .

(٧) المائدة ١١٢ . (٨) "تفسير القرطبي" ٣٧٦/٦ .

(٩) ص ٦ .

موضع خفض؟ أي بأن اعبدوا الله)) •

الحكم بـ "ليس بجيد"

احتج القرطبي لرأي طائفة من المتأخرين في مجيء "إلى" بمعنى "مع" احتج له بالقرآن وتبعه بالشعر، ثم وصف هذا الرأي بأنه ليس بجيد، وذلك في تفسير قوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)^(١) حين قال (٢) : ((وقالت طائفة من المتأخرين: إن "إلى" بمعنى "مع" ، كقوله تعالى : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)^(٣) وأنشد القتبي:

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقِيَابِ بِضَمِّ
إِلَى عَنْ مَسْتَوْتَاتِ الْأَوَاصِرِ^(٤) .

وليس بجيد، وقال الحذاق "إلى" على بابها وهي تتضمن الإضافة، أي لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل، فنهوا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع)) •

ويلاحظ أن القرطبي في هذا الحكم الأخير قد استقبح رأي طائفة من المتأخرين في مجيء "إلى" بمعنى "مع" وإن احتج هؤلاء الطائفة بشاهد من القرآن وبسبب من الشعر، فما حقيقة ذلك؟ •

الواقع أن وصف القرطبي بعدم الجودة غير موجه إلى الشاهد القرآني "كونه ليس بجيد"؛ ولكن النقد موجه إلى النظرة بأن الإشكال في تركيب ألفاظ القرآن

(١) النساء ٢/ • (٢) "تفسير القرطبي" ١٠/٥ •

(٣) الصف ١٤/ •

(٤) البيت لسلمة بن الخرشب، والعن جمع عنه، وهي حظيرة من شجر تجعل فيها الخيل لتقيها البرد، والأواصر جمع آمرة: وهي ما يحبس به الدابة (أنظر شرح المفصلية)

الكريم) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ^(١) يكمن في إحلال حرف جرّ معنى حرف جرّ آخر؛ أي أن "إلى" مهنا بمعنى "مع"، وذلك لأنّ هناك مذهبا آخر رأى أن الإشكال لم يكن حلّه بذلك الإحلال وإنّما تتضمّن "إلى" معنى الإضافة والتقدير "لا تضيفوا أموالهم وتضمّوها إلى أموالكم في الأكل".

فتبيّن من هنا أن الوصف بعدم الجودة موجه إلى وجهة النظر في محلّ الإشكال في الآية وكيفية حلّه وليس إلى التركيب القرآني نفسه. اتّضح من البحث في الاستشهاد بالقرآن بوجه عام أن القرآن المصدر الأول من مصادر استشهاده للنحو واللغة عند القرطبي. ويتبين ذلك من كيفية استشهاده بالقرآن، إذ كان استشهاده به منفردا دون أي تأييد من الحجج الأخرى هو الأغلب، وإذا أراد التقوية والتأييد أيده بشاهد من القرآن أيضا أو أيّده بشواهد أخرى كالشعر وغيره في القليل، ولم يتبيّن ذلك من ناحية العدد، لأنّ عدد استشهاده بالشعر أضعاف استشهاده بالقرآن وهذا ليس غريبا على درب النحاة؛ لأن الاعتماد على الشعر في الاستشهاد هو الأكثر في كل كتب النحو، ويأتي القرآن بعده في العدد^(٢).

واتّضح من البحث السابق أيضا أن نهج القرطبي في الاعتماد على القرآن أقرب إلى نهج المفسرين منه إلى نهج النحويين؛ لأنّه لم يتدخل في أقوال النحاة التي أوردها في التفسير إلا نادرا، وإذا تدخل لا يهتّم إلى أي مذهب ينتمي، أكان مع البصريين أم كان مع الكوفيين؛ فقد استحسن تناوب حرف الجر، وهذا مذهب كوفي، وقد اختار التضمين وهذا منهج بصري.

فنهجه أقرب إلى نهج المفسرين، الذين اختاروا تحليل تركيب ألفاظ القرآن من غير التشدد في النظر إلى اختلاف المذاهب النحوية، والذين رأوا أن أفضل طرق التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن^(٣)، والاستشهاد بالقرآن للمسائل النحوية واللغوية جزء من التفسير، والذين

(١) النساء ٢/.

(٢) انظر "الشواهد والاستشهاد في النحو" ص ٢٩ وما بعدها.

(٣) انظر، "مقدمة في أصول التفسير" ص ٩٣.

قال عنهم الزركشي أنّ عليهم أن يجنبوا ألفاظ القرآن من الحكم بالشذوذ والسندرة^(١)؛ لأن (القرآن [كما قال الزمخشري] لا يعمل فيه إلّا على ما هو فاش دائر على السنة فصحاء العرب، دون الشاذّ النادر الذي لا يعثر عليه إلّا في موضع أو موضعين)^(٢)، ولقد سبق ردّ القرطبي على قول الجوهرى وابن فارس بندرة "حجارة" جمع حجر، واحتجّ عليهما، كيف تكون "حجارة" نادرة وهي وردت في القرآن تكراراً؟^٠

ولكنّ ذلك لا يعني أن القرطبي قد خرج على درب النحاة السابقين؛ لأنّه لا خلاف فيما بينهم، بصريين كانوا أو كوفيّين بأن القرآن مصدر من مصادر الاستشهاد، وإتّما الاختلاف في طبيعة الاستشهاد؛ وذلك لأن البصريّين استشهدوا بالنصّ القرآني مادام موافقاً أصولهم وأقيستهم، وإذا اصطدم النص بالأصول والأقيسة لجأوا إلى التأويل، ولم يقولوا إنه ضرورة أو مجهول القائل أو مصنوع؛ كما فعلوا في الشعر المخالف للقياس أو الأصل؛ وذلك بسبب اعترازمهم الفائق بأصولهم وأقيستهم وتقديمها على كل نصّ^(٣).

وأما الكوفيّون فـ ((كان اعتمادهم على القرآن في الاستشهاد به أكثر من البصريّين وقد كانوا عند استشهادهم بآياته كدائبهم في النصوص الأخرى يؤثرون في أغلب الأحوال عدم التأويل والتقدير ويأخذون بظاهر الآيات))^(٤).

وعلى سبيل المثال أن الكوفيّين أجازوا "العطف على موضع - أن - بالرفع قبل مجيء الخبر" محتجين بقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٥). حيث عطفوا "الصّابئون" على موضع "إن" قبل تمام الخبر وهو قوله (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ).

(١) تجنب القول بالسندرة والشذوذ على لغة القرآن، هو المسألة الثانية التي أوصاهـ

الزركشي لمن يتصدّى لتفسير القرآن (انظر "البرهان في علوم القرآن" ٣٠٤/١-٣٠٥).

(٢) نقله الزركشي في "البرهان" (انظر "البرهان" ٣٠٤/١).

(٣) انظر "القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية" ص ١٠٣، و"الشواهد والاستشهاد في النحو" ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) انظر "الشواهد والاستشهاد في النحو" ص ٢١١. (٥) المائدة/٦٩.

والبصريون منعوا ذلك وأولوا الآية، وقال ابن الأنباري^(١) (ت ٥٢٢هـ) ((والصحيح ماذهب إليه البصريون وما استدلل به الكوفيون فلا حجة لهم فيه)) من وجهين : (احدهما : أنا نقول : في الآية تقديم وتأخير، والتقدير فيه "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالْمَاصِبُونَ وَالنَّصَارَى كَذَلِكَ" .
والوجه الثاني: أن يجعل قوله (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) خبر الماصبين و"النصارى" وتضمير "الذين آمنوا والذين هادوا" مثل الذين أظهروا للمصابين والنصارى، ألا ترى أنك تقول: "زيد وعمرو قائم" فتجعل قائما خبرا لعمرو، وتضمير لزيد خبرا آخر مثل الذي أظهروا لعمرو، وإن شئت جعلته خبرا لزيد وأضمرت لعمرو خبرا))^(٢)

وعلل بعض الباحثين ((أن اكثار النحويين من تأويل الآيات المخالفة للقياس جاء نتيجة نقص في استقراءهم اللغة، فجاء نحوهم ضيقا لا يتسع لتلك الآيات أولا))^(٣) ((وأنهم قرروا بعض قواعدهم، وحرروا بعض ضوابطهم قبل أن يستقروا القرآن الكريم))^(٤) ثانيا .

(١) انظر "أسرار العربية" لابن الأنباري ص ١٥٢ .

(٢) ذكر ابن الأنباري هذا الاختلاف ورجح مذهب البصريين كما هو واضح انظر "أسرار العربية" ص ١٥٢ .

(٣) انظر "الشواهد والاستشهاد في النحو" ص ٢٠٩ .

(٤) انظر "نظرات في اللغة والنحو" لظه الراوي ، ص ١٨ .

المبحث الثاني : الاستشهاد بالقراءات القرآنية

وقبل البحث في موقف القرطبي من الاستشهاد بالقراءات القرآنية للغة والنحو ينبغي لنا أن نبيّن تعريف القراءات، ومنهج القراء في النظر إليها، ثم موقف القرطبي منها، فلنبداً بالأول :

تعريف القراءات القرآنية :

القراءات : جمع قراءة، وهي في اللغة : مصدر "قرأ"، يقال : قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا بمعنى تلا، فهو قارئ^(١).

وفي الاصطلاح : ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها منسوبة لناقلها))^(٢).
((فالقراءات هي تلك الوجوه اللغوية والصوتية، التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد))^(٣).

منهج القراء في النظر الى القراءات :

اتّضح ممّا مضى أنّ القراءات هي اختلاف كيفية أداء كلمات القرآن، ومصدر الاختلاف الوحي^(٤)، فتكون القراءة رواية منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم نقلها الرواة بطريق الإسناد.

(١) "اللسان" مادة "قرأ".

(٢) انظر "منجد المقرئين" لابن الجزري، بتحقيق الدكتور عبدالحى، ط٢، ص ٦١ بتصرف.

(٣) انظر "أثر القرآن والقراءات في النحو العربي" د. محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية - الكويت، ص ٣٠٩.

(٤) احتكم عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاختلاف فيما بينهما في قراءة آيات سورة الفرقان، فأقرّ الرسول على قراءة كل منهما وقال على قراءتهما "هكذا أنزلت" (انظر "صحيح البخاري" كتاب فضائل القرآن : باب "أنزل القرآن على سبعة أحرف، بتصرف).

ولمّا اختلطت صحّة القراءة بسقيمتها، وكاد الباطل يلتبس بالحق، اجتهد العلماء في التمييز بين القراءات، ووضعوا ميزانا يعتمد عليه في تمييز القراءة الصحيحة من القراءة الشاذة وهو السند والعربية والرسم، وقال ابن الجزري في ذلك ^(١): ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ^(٢) ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ^(٣)، وصحّ سندها ^(٤)، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحتل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة سواء كانت من السبعة أم عن أكبر منهم)) .

من أجل ذلك فإن ((أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفى في اللغة، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربيّة ولا فشتو لغة؛ لأن القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها)) ^(٥).

موقف القرطبي من القراءات:

انتهج القرطبي انتهاج القراء في النظر إلى القراءة، إذ عدّها سنّة متّبعة، وجعل

(١) انظر "النشر في القراءات العشر" ٩/ .

(٢) والمراد بقوله "ولو بوجه" وجه من وجوه العربية سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعا عليه أم مختلفاً فيه (النشر/ ١٠) .

(٣) والمراد بقوله "ولو احتمالا" ما يوافق الرسم ولو تقديراً كقراءة "مُلِكِ يَوْمَ الدِّينِ" بمدّ الميم؛ لأنّه كتب بغير ألف في جميع المصاحف (النشر/ ١١ - بتصرف) .

(٤) والمراد بقوله "صحّ سندها" أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتّى تنتهي (النشر/ ١٢) .

(٥) قال به أبو عمرو الداني، ونقله السيوطي في كتابه "الاتقان" (انظر "الاتقان"

المعتمد عليه في النظر إليها الأصح في السند والأثبت في الأثر، وتطلى هذا الموقف واضحا في رده على أبي علي الفارسي حين أنكر قراءة ابن عامر^(١) لقوله تعالى (يَأْيَهُ الْمُؤْمِنُونَ)^(٢) بضم الهاء، محتجا بأن الهاء ليس حرف اعراب، فينبغي أن يكون إعراب المنادي في الياء الثانية؛ لأنها آخر الاسم. فردّ عليه القرطبي وقال^(٣) ((والصحيح أنه إذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة، فإن القرآن هو الحجة وأنشد الفراء:

يَأْيَهُ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ النَّفْسِ أَفَقُّ عَنِ الْبَيْضِ الْحَسَنِ اللَّعْسِ^(٤)

ويؤيد ذلك دفاع القرطبي عن القراء الثقات من إنكار النحويين واللسغويين في قراءاتهم، فقام هو بالدفاع عنهم شخصا وهذا نادر^(٥)، واستعان بالنحاة والمفسرين الآخرين في الغالب، بطريقة لا يشعر بها القارئ أن الدفاع منه، وإنما يشعر أنه نافذ من هؤلاء العلماء، وذلك بسبب حسن ترتيبه للأدلة، وجمال طريقتة في عرضها، ولكن أثر الترتيب والعرض يظهران في بعض الأحيان؛ إذ قد يستعين في الردّ على من أنكر قراءة صحيحة بعالم أقدم من المنكر، كاستعانته في الردّ على قول النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ بقول الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ، فكان الفراء هو الذي ناقش رأي النحاس مع أن الأول عاش قبل الثاني بقرن كامل، وكان ذلك حين أنكر النحاس قراءة القراء الثقات وهم أبو عمرو والأعمش

(١) هو عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة وأحد القراء السبعة، وتوفي سنة ١١٨هـ (غاية النهاية ١/٤٢٣-٤٢٥).

(٢) النور/ ٣١.

(٣) "تفسير القرطبي" ١٢/٢٣٨.

(٤) اللعس: لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلا، والشاهد في قوله "يَأْيَهُ الْقَلْبُ" بضم الهاء، ولم أعثر على قائله المعين.

(٥) إذ لم نجد أن يصدر الدفاع منه بنص صريح إلا مرتين، حيث بدأ فيهما بقوله "قلت"، انظر: "تفسير القرطبي" ٣/٣٩٨، و ١٢/١٣٢.

وعاصم وحمزة في رواية أبي بكر في قوله تعالى (وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِن تَأْمَنَهُ يَنْصَاطِرَ يُؤَدُّ إِلَيْكَ^(١)) باسكان الهاء في "يؤدُّ" ، حيث قال النحاس عن هذه القراءة ((لا يجوز إلا في الشعر عند بعض النحويين ، وبعضهم لا يجزئه البتة ويرى أنه غلط ممن قرأ به ، وأنه توهم أن الجزم يقع على الهاء ، وأبو عمرو أجل من أن يجزئ عليه مثل هذا^(٢)) ، والصحيح عنه أنه كان يكسر الهاء ، وهي قراءة يزيد بن القعقاع^(٣)) ، فأجاب القرطبي عن هذا الإنكار المريح لقراءة صحيحة متواترة مستعينا بقول الفراء وقال^(٤)) ((وقال الفراء : مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها : يقولون ضربته ضربا شديدا ، كما يسكنون ميم انتم وقمت وأصلها الرفع ، كما قال الشاعر :

لَمَّا رَأَى أَلَا دَعَهُ وَلَا شَبَعَ
مَالَ أَرْطَاةٍ حَقْفٍ فَاضْطَجَعَ^(٥)))
إلى

ثم ذكر القرطبي وجه آخر للقراءة المذكورة من غير ذكر صاحب القول وقال^(٦)) ((وقيل إنما جاز إسكان الهاء في هذا الموضع لأنها وقعت في موضع الجزم وهي الياء الدائمة)) .

فكان القرطبي يدافع عن القراءات الصحيحة ، ويرد كل منكر سواء كان الإنكار من البصريين أو من الكوفيين ، ومن أمثلة ردوده على النحاة البصريين ما يلي :

(١) آل عمران/ ٧٥ .

(٢) وفي "كتاب السبعة في القراءات" لابن مجاهد : ((قال (عباس) : وسألت (أبا عمرو) ، فقرا : (يؤدُّ ي) بالجر والهمز ، وسألت عن جزم الهاء ، فقال ليس بلحن)) (انظر كتاب السبعة" ص ٢١٢) .

(٣) "تفسير القرطبي" ١١٦/٤ .

(٤) "تفسير القرطبي" ١١٦/٤ .

(٥) الأرتاة : واحدة الأرتى ، وشجرة من شجر الرمل ، والحقف (بالكسر) ما أعوج من الرمل . والشاهد في قوله (أَلَا دَعَهُ) حيث سكنت الهاء . ولم أعر على قائله المعين .

(٦) "تفسير القرطبي" ١١٦/٤ .

ردّ القرطبي على إنكار أبي عمرو بن العلاء^(١)، قراءة أبي جعفر^(٢) والأعرج^(٣) وشيبة^(٤)، في قوله تعالى ((لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(٥) بضم الياء وفتح الزاي على الفعل المجهول، وينصب قوماً: إذ قال أبو عمرو عن هذه القراءة بانتهاء (لحن ظاهر)^(٦)، فردّ عليه القرطبي مستعينا بقول الكسائي وقال^(٧) ((وقال الكسائي: معناه لِيَجْزِيَ الْجَزَاءُ قَوْمًا، نظيره (وكذلك نَجَّى الْمُؤْمِنِينَ)^(٨) على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة "الأنبياء" قال الشاعر

وَلَوْ وَلَدْتُ قَفِيرَةً جَزَوُ كُلِّبٍ لَسَبَّ بِذَلِكَ الْجَزَوُ الْكِلَابَ^(٩)))
اي لسبّ السبّ))

-
- (١) كان أبو عمرو إمام أهل البصرة في القراءات والنحو اللغة، وأخذ عن جماعة من التابعين وروى عن أنس بن مالك وابن صالح وغيرهما. (انظر "بغية الوعاة" ١: ١٣٠-١٣٧).
- (٢) هو يزيد بن العقعاع، أبو جعفر المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور القدر، وتوفي سنة ١٣٠هـ، (غاية النهاية ٢/ ٢٨٢، وقم الترجمة ٣٨٨٢).
- (٣) هو: حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي القاري، نفسه، وتوفي سنة ١٣٠هـ - (غاية النهاية ١/ ٢٦٥، رقم الترجمة ١٢٠٠).
- (٤) شيبه بن ناصح، امام، ثقة، مقرئ المدينة مع أبي جعفر، وتوفي سنة ١٣٠هـ (غاية النهاية ١/ ٣٢٩-٣٣٠، رقم الترجمة ١٤٣٩).
- (٥) الجاشية / ١٤، وقراءة الباقرين (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) على الفعل المعلوم.
- (٦) تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٢ . (٧) تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٢ .
- (٨) الأنبياء/ ٨٨ .
- (٩) قفيرة أمّ الفرزدق، والبيت لجريز يهجو الفرزدق، ذكره صاحب الخزانة في شواهد ناثب الفاعل، وأنه من قصيدة أولها: أَقْتَلِي النَّوْمَ عَادِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنَّ أَصْبَرَ لَقَدْ أَصَابَا. (انظر خزانة الادب ١/ ٣٣٦) والبيت الشاهد غير موجود في ديوان جريز (انظر الحيوان "المجلد الثاني، ص ٨١٧") ولا النقائض (انظر كتاب النقائض ١/ ٤٣٢ وما بعدها).

ومثال الصنف الثاني هو: رثه على تخطئة الفراء لقراءة حمزة^(١) في قوله تعالى (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِينَ)^(٢) بكسر الياء المشددة، إذ قال الفراء^(٣) ((قراءة حمزة وهم منه، وقل من سلم منهم^(٤) عن خطأ)) وقال الزجاج عن هذه القراءة أيضا ((هذه قراءة رديئة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف)) فردت عليهما القرطبي مستعينا بقول قطرب^(٥) والقشيري^(٦)، وكان الرد الأول من ناحية استعمال اللغة والثاني من ناحية المنهج الصحيح في النظر إلى القراءة الصحيحة المتواترة، فقال القرطبي في ذلك ((قطرب: هذه لغة بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء^(٧)). القشيري: والذي يغني عن هذا أن ما يثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يقال فيه هو خطأ أو قبيح أو رديء، بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أفصح منه، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذي قرأ به حمزة أفصح^(٨))).

(١) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة، أبو عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة. (انظر "غاية النهاية" ١/٢٦١، الترجمة ٢١٩٠).

(٢) إبراهيم ٢٢/.

(٣) "تفسير القرطبي" ٩/٣٥٧.

(٤) أي من القراء.

(٥) وقطرب هو: محمد بن المستنير، أبو علي النحوي من أهل البصرة (انظر "بغية الوعاة" ١/٢٤٢-٢٤٣).

(٦) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، أخذ من أحمد بن محمد الخفاف وغيره، ومن تلاميذه "التفسير الكبير" و"لطايف الإشارات" وتوفي سنة ٤٦٥هـ. (انظر "تاريخ بغداد" ١١/٨٣ وطبقات السبكي" ٥/١٥٣-١٦٢).

(٧) وقال مكي بن أبي طالب ((ومن كسر الياء وهي قراءة حمزة... فالأصل عنده في "مُصْرِخٍ" ثلاث ياءات ياء الجمع وياء الإضافة وياء زيدت لسمت كما زيدت في (بهي). ثم حذفت الياء التي للمد وبقيت الياء المشددة مكسورة كما تحذف من (بهي) وتبقى الهاء مكسورة)). (انظر "مشكل أعراب القرآن" ص ٤٠٣ بتصرف).

(٨) "تفسير القرطبي" ٩/٣٥٧.

كل الردود على المنكرين للقراءات الصحيحة التي سبق ذكرها مفهومة من طريقة تنظيم القرطبي للآراء، وليس من قوله المريح ونصه الظاهر؛ ولكن ذلك لا يمنع القرطبي أن يرد الانكار مراحة، ويوجه القراءة توجيهها حسناً، ومثال ذلك ما يلي:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) ^(١) بتخفيف الدال والكاف جميعاً في قوله "فَتُذَكِّرُ"، وقد قيل إن هذه القراءة بعيدة الوجه ((اذ لا يحصل في مقابلة الضلال الذي معناه النسيان إلا الذكر، وهو معنى قراءة الجماعة "فَتُذَكِّرُ" بالتشديد، أي تنبهها إذا غفلت ونسيت ^(٢))) فرد عليه القرطبي بمراحة ووجه القراءة نوجسها حسناً وقال ^(٣) ((قلت: واليه ترجع قراءة أبي عمرو أي أن تنسى أحدهما فتذكرها الأخرى، يقال تذكرت الشيء وأذكرته غيري وتذكرته بمعنى؛ قاله في الصحاح)).

وفيما سبق من الأمثلة تأييد لموقف القرطبي الموافق لموقف القراء في التعامل مع القراءات الصحيحة المتواترة، وإذا كان موقفه كذلك، فلماذا ترك بعض القراءات الصحيحة المتواترة هدفاً لإنكار المنكرين دون ردٍ منه ولا تعليق ^(٤)؟

هذا الوضع لا يغير ذلك الوضع لأسباب هي: كان منهجه في النظر إلى القراءات، - الذي يعتمد فيه على الأصح في السند والأثبت في النقل - غير مقيد بمقام معين فإذا صلح.

(١) البقرة/٢٨٢.

(٢) "تفسير القرطبي" ٣/٣٩٨.

(٣) "تفسير القرطبي" ٣/٣٩٨.

(٤) انظر أمثلة ذلك في المواضع التالية:

تلحين قراءة ابن عامر من قبل النحاس في "إقتدر هي قل" الأنعام/٩٠/تفسير القرطبي ٣٦/٧، واستبعاد قراءة الكسائي وحمزة من قبل النحاس في "أَرَيْتُكُمْ" الأنعام/٤٠/تفسير القرطبي ٦/٤٢٣. وتلحين قراءة حمزة من قبل النحاس في "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً" السجدة/٢٤/تفسير القرطبي ١٤/١٠٩، وتخطئة قراءة أبي عمرو من قبل المبرد في "يَا مُرْكُم" بالمكون، البقرة/٦٧/تفسير القرطبي ١/٤٤٤.

تطبيقه في المواضع الأخرى فإنه صالح لتطبيقه في هذه المواضع التي تركها دون أي رد منه أو تعليق، وثانياً: أن المواضع التي لم يرد فيها القرطبي قول المنكرين لم تبلغ ثلث العدد الذي ردّ الإنكار فيه، فالأقل يأخذ حكم الأكثر على وجه التعميم، وثالثاً: هو اعتماد القرطبي الكبير على العلماء السابقين في المسائل النحوية والقراءات، وبخاصة اعتماده على النحاس. فقد كان معظم ردوده على المنكرين للقراءات الصحيحة اتكاء على النحاس، وكان معظم الإنكار على القراءات الصحيحة الذي لم يرد عليه القرطبي منقولاً من النحاس أيضاً، وإن كان هذا الاعتماد لم يصل إلى درجة الاتباع؛ لأن ماضى من البحث يبيّن وضوح منهجه إزاء القراءات، ومضى أيضاً أنه قد دافع عن القراءة الصحيحة بنفسه من غير الاتكاء على غيره، بل قد ردّ على النحاس نفسه لإنكاره قراءة صحيحة، كما سبق ذكر ذلك^(١).

ومثال إنكار القراءة الصحيحة المتواترة من قبل النحاة، الذي لم يرد عليه القرطبي، هو استبعاد النحاس لقراءة عيسى بن عمر والكسائي وحمزة "أَرَيْتَكُمْ"^(٢)، في قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّيْلِ) ^(٣) بحذف الهمزة الثانية من "أَرَأَيْتَكُمْ"، إذ قال النحاس عن هذه القراءة ((وهذا بعيد في العربية، وإنما يجوز في الشعر^(٤))). ولم يرد القرطبي ولم يعلق عليه، وكان المتوقع منه أن يرد عليه كما ردّ على المنكرين على القراءات الصحيحة في أماكن أخرى.

هذا موقف القرطبي من القراءات الصحيحة المتواترة، وأمّا موقفه من القراءات الشاذة

(١) انظر الصفحة ٥٨ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) احتج أبو زرعة لهذه القراءة وقال ((ووجهه إجماع العرب على ترك الهمزة في المستقبل في قولهم: (تَرَى وَتَرَى) فبنى الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها. فإذا لم تكن في أولها همزة الاستفهام لم يترك الهمزة مثل: (رَأَيْتُ)؛ لأن من شرطه إذا تقدمها همزة الاستفهام فحينئذ يستثقل الجمع بينهما. وأخرى وهي أنها كتبت في المصاحف بغير ألف)) (انظر "حجة القراءات" لأبي زرعة، ص ٢٥٠).

(٣) الأنعام/ ٤٠.

(٤) "تفسير القرطبي" ٤٢٣/٦.

فقد كان القرطبي يردّ على مُنكريها في عدة مواضع (١)، ويتركهم في مواضع أخرى (٢)، ولكنّ ردوده على إنكار هذه القراءات أقلّ قوّة من ردوده على إنكار القراءات الصحيحة هناك، بل كانت ردوده هنا أقرب إلى توجيه معاني القراءات من الدفاع عنها. ومثال ذلك ردّه على تلحين قراءة الحسّن (غير مضارّ وصية من الله (٣)) على الإضافة. وكان الردّ والتلحين منفولين عن النحاس وقال (٤) ((قال النحاس: وقد زعم بعض أهل اللغة أن هذا لحن، لأن اسم الفاعل لا يضاف إلى المصدر والقراءة حسنة على حذف، والمعنى غير مضارّ ذي وصية، أي غير مضارّ بها ورشته في ميراثهم. وأجمع العلماء على أن إقراره بدين لغير وارث حال المرض جائز إذا لم يكن عليه دين في الصحة)).

وأما الترجيح بين القراءات المتواترة الذي لم يبلغ حدّ الإنكار والإسقاط فإنّه غير محظور عند القرطبي؛ لأنّه - أولاً - أورد ترجيح العلماء إحدى القراءتين المتواترتين في

(١) انظر مثال ذلك في هذين الموضعين:

في ردّه على إنكار قراءة "معاذ بن جبل" (الرَشَاد) بتشديد الشين، مستعينا بقول النحاس - من سورة غافر/ الآية ٣٨ / "تفسير القرطبي" ٣١٦/١٥ .

وفي ردّه على تلحين قراءة ابن عباس والضحاك وعكرمة (يَوْمُ التَّنَادِ) بتشديد الدال، معتمداً في الردّ على قول النحاس - من سورة غافر/ الآية ٣٢ / تفسير القرطبي ٣١١/١٥ .

(٢) ومثال ذلك ما يلي:

إنكار المهدي والنحاس على قراءة الحسن ومحمد بن السَّمَيْفَع (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ) الشعراء/ ٢١٠ / تفسير القرطبي ١٤٢/١٢؛ واستبعاد المهدي قراءة أبي جعفر المنصور (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ مَدْرَكَ) بفتح الحاء، من سورة "الم نشرح" الآية ١ / تفسير القرطبي ١٠٩/٢٠ .

(٣) النساء/ ١٢ .

(٤) "تفسير القرطبي" ٨٠/٥ .

أماكن كثيرة دون ردّ منه ولا تعليق^(١)، وثانياً: أنّ القرطبي نفسه قام بالترجيح في عدّة مواضع^(٢)، ومثال النوع الأول هو:

إنّ لقوله تعالى (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)^(٣) قراءتين متواترتين، أحدهما "يَسْتَوِي" بالياء لتقدم الفعل؛ ولأنّ تأنيث "الظلمات" ليس بحقيقي، وهذه قراءة ابن محيصن وأبي بكر والأعمش وحمة والكسائي، والقراءة الثانية: "تَسْتَوِي" بالتاء، وهي قراءة الباقيين، واختار أبو عبيد الثانية واحتجّ و((قال؛ لأنّه لم يحلّ بين المؤنث والفعل حائل^(٤))) وكان أبو عبيد اختار أقوى القراءتين من جهة العربية ولم ينكر إحداهما. ولم يردّ القرطبي على هذا الاختيار ولم يعلّق عليه^(٥).

(١) بلغ عدد الاختيار بين القراءات المتواترة عشرين موضعاً، ونذكر هنا أمثلة منها:

الاختيار بين قراءتي (أَرِنَا) بسكون الراء وكسرها، وهي من سورة البقرة ١٢٨/التفسير ١٢٧/٢؛ والاختيار بين قراءتي (كَمْ كَيْتَ) بالإدغام و(كَمْ كَيْتَتْ) بالإظهار، وهي من سورة البقرة ٢٥٩/التفسير ٢٩١/٣؛ والاختيار بين قراءتي (يُوقِدُونَ) بالياء و(تُوقِدُونَ) بالتاء، من سورة الرعد ١٩/التفسير ٢٠٦/٩؛ والاختيار بين قراءتي (حَيٍّ) بيائين و(حَيَّةً) بياء واحدة مشددة، من سورة الانفال ٤٢/التفسير ٢٢/٨؛ واختيار إحدى القراءات، الأولى (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ) بفتح الفعلين، والثانية بالضمّ فيهما، والثالثة بفتح "فصل" وضم "حرّم"، وهي من سورة الأنعام ١١٩/التفسير ٢٢/٧.

(٢) ومن تلك المواضع هي:

ترجيح القرطبي قراءة "مُؤَيِّ" بالتخفيف على قراءة "مُؤَيِّ" بالتشديد، من سورة البقرة ١٨٢/التفسير ٢٦٩/٢؛ وترجيح قراءة "لِيُحَكِّمَ" بفتح الياء على قراءة "لِيُحَكِّمَ" بضم الياء، من سورة آل عمران ٢٣/التفسير ٥٠/٤؛ وترجيح قراءة "لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ" بتشديد التاء على تخفيفها، من سورة الأعراف ٤٠/التفسير ٢٠٦/٧.

(٣) الرعد/١٦.

(٤) "التفسير" ٣٠٣/٩.

(٥) "التفسير" ٣٠٣/٩ بتصرف.

ومثال النوع الثاني هو:

ترجيح القرطبي - في قوله تعالى (فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ)^(١) - لقراءة النصب فيهما بغير تنوين على قراءة الرفع، والتنوين فيهما^(٢)، وكان ترجيحه لقراءة النصب بالنظر الى أن يكون الكلام على نظام واحد، وإلى أنها قراءة الجمهور؛ وفي ذلك يقول القرطبي^(٣) ((الثامنة: قوله تعالى (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)^(٤)) قرئ "فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ" بالرفع والتنوين فيهما، وقرأ بالنصب بغير تنوين، وأجمعوا على الفتح في "وَلَا جِدَالَ" وهو يَقْوَى قراءة النصب فيما قبله؛ ولأن المقصود النفي العام من الرفث والفُسُوق والجِدال، وليكون الكلام على نظام واحد في عموم المنفي كله، وعلى النصب أكثر القراءات)).

هذا، وظاهرة الاختيار بين القراءات التي سلكها القرطبي سلكها غيره من العلماء، وكان اختيارهم للقراءات يعتمد على عدة معايير، منها: ما اجتمع فيه ثلاثة شروط: قوة وجه العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة، والعامة هم أهل المدينة والكوفة، وقيل: أهل الحرمين، ومنها: ما اتفق عليه نافع وعاصم؛ لأن ما روي عنهما من القراءات أولاهما وأصحها سنداً وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي^(٥).

وهناك مذهب آخر لا يفضل قراءة على قراءة أخرى إذا كانت القراءتان متواترتين، وهذا مذهب شُعَلْب^(٦).

(١) البقرة/١٩٧.

(٢) بالرفع والتنوين فيهما قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وبالنصب بغير تنوين قراءة الجمهور والقراءتان متواترتان (انظر "كتاب السبعة في القراءات" لابن مجاهد ص ١٨٠).

(٣) "تفسير القرطبي" ٤٠٨/٢. (٤) البقرة/١٩٧.

(٥) انظر "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ٣٣١/١ بتصرف.

(٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٤٢، وشُعَلْب هو: أحمد بن يحيى بن زيد، أبو العباس النحوي المعروف بشُعَلْب، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ، ومن كتبه "معاني القرآن" و"القراءات" وغيرهما (انظر "وفيات الأعيان"

استشهاد القرطبي بالقراءات القرآنية:

تقدم أن^١ القرطبي دافع عن القراءات دفاعاً قوياً، ودفع الإنكار والتحسين، ولا سيما القراءات المتواترة منها، وذلك لأن^٢ القراءات سنة متبعة، إذا ثبتت صحتها وتواترها - ولاحدى القراءتين تفسير يغير الأخرى - فإنها بمنزلة الآيتين ويجب العمل بموجبهما جميعاً^(١)، ولهذا بنى الفقهاء جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه حتى الغسل، على اختلافهم في (حَتَّى يَطْهُرْنَ)^(٢)، وأما القراءة الشاذة فإن^٣ فائدتها تفسير القراءة المتواترة أو المشهورة، وتبيين معانيها^(٤)، وإنها ليست حجة في الأحكام، إلا عند أبي حنيفة^(٥).

== (١٠٦-١٠٢/١) *

(١) قال القرطبي في تفسيره ١١/٤ ((والقراءتان كالآيتين يجب العمل بموجبهما جميعاً، كما قرئ ((وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ)) بالفتح والكسر))، وذكر الزركشي نحو ذلك (انظر "البرهان في علوم القرآن" ٣٢٦/١-٣٢٧).

(٢) من سورة البقرة ٢٢٢ (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) بمكون الطاء وضم الهاء وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه، (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل، وبنى أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بالقراءة الأولى جواز رجل وطء امرأته إذا انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام قبل الغسل، وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل، وخالفهم الجمهور. (انظر "تفسير القرطبي" ٨٨/٣ وما بعدها و"البرهان في علوم القرآن" ٣٢٦/١-٣٢٧).

(٣) انظر "البرهان" ٣٢٦/١-٣٢٧ *

(٤) انظر "الأحكام في أصول الأحكام" للآمدي ج ١ ص ١٢١، وتبين من ذلك التوضيح أن القراءات الصحيحة المتواترة عند الفقهاء والمفسرين، قيمتها أكبر من أن يبنى عليها قاعدة نحوية، بل إنها مصدر يعتمد عليه في بناء الأحكام الشرعية باتفاق بين العلماء، فكيف إنكارها وتلحينها؟

وبالنظر إلى هذا الأساس^(١)، وجدنا أن استشهاد القرطبي بالقراءات للمسائل النحوية ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: استشهاده بقراءات شاذة لإثبات صحة وجه إعراب لقراءة صحيحة متواترة.
إن الاختلاف في الاعراب هو أحد أوجه اختلاف القراءات، واختلاف القراءات قد يكون بين قراءة متواترة ومثلها أو بين قراءة متواترة وأخرى مشهورة أو شاذة.
ونظراً إلى فائدة القراءة الشاذة وجدنا أن القرطبي استشهد بها في غير موضع لتقوية أحد وجهي القراءتين المتواترتين، وإليك المثال:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)^(٢) قال^(٣) ((قوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ) قرأه الكسائي بكسر الألف والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء، ودليله قراءة ابن مسعود^(٤) (وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)))).

فكان الاختلاف بين كسر همزة "إن" وفتحها، فالفتح على الاشتراك بما قبله لفظاً ومعنى، والكسر على الاستئناف، والدليل على صحة الوجه الأخير قراءة شاذة لابن مسعود بغير "إن" على الابتداء، والقراءتان متواترتان^(٥).

(١) أي أساس علاقة القراءة بالتفسير. (٢) آل عمران/١٧١.

(٣) "تفسير القرطبي" ٢٧٦/٤.

(٤) وابن مسعود هو: عبد الله بن مسعود بن الحارث، أحد السابقين والبريين، والعلماء الكبار من الصحابة، أسلم قبل عمر، وعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٣٢ هـ (انظر "غاية النهاية" ٤٥٨/١-٤٥٩).

(٥) انظر موضعاً آخر في استشهاده بقراءة أبي لكسر همزة "إن" في قوله تعالى (إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، والقراءة بكسر الهمزة لأهل الكوفة والقراءة بفتحها لأهل المدينة وابن كثير وابن عمرو، والقراءتان متواترتان، والآية من سورة مريم/٣٥ "تفسير القرطبي" ١٠٧/١١ (بتصرف).

ثانياً: إثبات إعراب جائز محتمل ولكنه ليس من القراءات المتواترة أو المشهورة.

إنّ لبعض آيات القرآن إعراباً محتملاً آخرَ فضلاً عن إعرابه المنقول نقلاً متواتراً. وهذا الإعراب المحتمل جائز من حيث التركيب النحوي^(١) وله شاهد سماعي، هو قراءة شاذة لتلك الآيات - ومثال هذا النوع ما يلي:

إنّ للفظ "طاعة" - في قوله تعالى (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ)^(٢) - إعراباً آخرَ محتملاً، هو النصب، وهذا الإعراب المحتمل جائز في العربية على إضمار فعل والتقدير "نُطِيع طَاعَةً" وله شاهد سماعي وهو قراءة نصر بن عاصم والحسن الجحدري "طاعة" بالنصب، وقال القرطبي - بعد ذكر الآية ((أي أَمَرْنَا طَاعَةً، ويجوز "طاعة" بالنصب أي نُطِيع طَاعَةً، وهي قراءة نصر بن عاصم^(٣) والحسن الجحدري^(٤))).^(٥)

(١) أي وليس جائزاً من حيث التلاوة؛ لأنّه لا يجوز التلاوة بالقراءة الشاذة، وهي ما عدا القراءات العشر.

(٢) النساء/٨١.

(٣) هو نصر بن عاصم الليثي التابعي البصري النحوي، سمع من مالك بن الحويرث، عرض القرآن على أبي الأسود، يقال إنّ من نقط المصاحف، وتوفي سنة مائة (انظر "غاية النهاية" ٣٣٦/٢).

(٤) هو الحسن بن سعيد بن جعفر أبو العباس البصري، إمام عارف ثقة، أحد رواة القراءات الأربع التي بعد العشرة، المتوفي سنة ١١٠هـ (انظر "غاية النهاية" ٢١٣/١-٢١٥، و"إتحاف فضلاء البشر" ص ٩٠٧).

(٥) انظر أمثلة أخرى من هذا النوع في المواضع التالية:

استشهاده بقراءة عيسى بن عمر لجواز نصب "الشُّعْرَاءُ" في قوله تعالى (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (الآية من سورة الشعراء/٢٢٤/ تفسير القرطبي ١٢/١٥٢)؛ واستشهاده بقراءة يحيى بن وثاب لجواز رفع "ابتغاء" في قوله تعالى (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) على لغة من أجاز الرفع في المستثنى المنقطع==

ثالثاً: إثبات أحد تخريجين مختلفين لآية واحدة.

معروف عند الباحثين إنَّ النحاة يختلفون في توجيه المسائل النحوية، وبخاصة بين الكوفيين والبصريين، وبسبب اختلاف في الأصول ومصادر الفهم نجدهم قد اختلفوا في إعراب بعض الآيات القرآنية؛ فهناك تخريج بصري لآية وهناك تخريج كوفي للآية نفسها، ونظراً إلى هذه الظاهرة وجدنا أنَّ القرطبي اختار في غير موضع تخريجا بصرياً، ولكنه في موضع آخر أيّد تخريجا كوفياً، وفي كلتا الحالتين استشهد بقراءة شاذة، وأمثلة كلٍّ من الصنفين على الترتيب ما يلي:

اختلف النحاة في إعراب قوله تعالى (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ^(١))، فللبصريين خريج غير إعراب الكوفيين، ويتأصل الخلاف بين الجماعتين بسبب الخلاف بينهما في بعض الأصول؛ حيث أجاز الكوفيون إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظ، وجعلوا الآية من هذا الصنف، ومنعه البصريون وخرّجوا الآية تخريجاً آخر، والظاهر من طريقة العرض أنَّ القرطبي أيّد مذهب البصريين؛ إذ قال في ذلك^(٢) ((وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ^(٣)) ابتداء وخبره، وزعم الفراء أنَّ الدار هي الآخرة؛ وأضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ، كيوم الخميس وبارحة الأولى، قال الشاعر:

وَلَوْ أَقَوْتُ عَلَيْكَ دِيَارَ عَبَسٍ عَرَفْتُ الدَّلَّ عِرْفَانَ الْيَقِينِ^(٤)

=== (الآية من سورة الليل/١٩-٢٠ / التفسير ٨٩/٢٠)؛ واستشهاده بقراءة أبي عبد الرحمن السلمي لجواز نصب "لَا دَلُولٌ" من قوله تعالى (لَا دَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ) من حيث التركيب النحوي، لا من حيث التلاوة، (الآية من سورة البقرة/٢١ / التفسير ٤٥٢/١).

(١) يوسف/١٠٩ . (٢) "تفسير القرطبي" ٢٧٥/٩ .

(٣) يوسف/١٠٩ .

(٤) أقوت الدار إقواء؛ إذا أقفرت وخلت (اللسان: مادة "قوا") والشاهد في قوله (عِرْفَانَ الْيَقِينِ) حيث أضيف الأول إلى الثاني، وهما بمعنى واحد، ويجوز ذلك لاختلاف اللفظ، هذا، ولم أعثر على قائله المعين.

أي عرفانا يقينا؛ واحتجّ الكسائي بقولهم "صلاة الأولى"، واحتجّ الأخص بمسجد الجامع. قال النحاس، إضافة الشيء إلى نفسه محال؛ لأنّه انما يضاف الشيء إلى غيره ليتعرّف به، والأجود الصلاة الأولى، ومن قال صلاة الأولى فمعناه: عند صلاة الفريضة الأولى، وإنّما سُمّيت الأولى لأنّها أول ما صلّى حين فرضت الصلاة، وأول ما أظهر، فلذلك قيل لها أيضًا الظهر والتقدير: وَلَذَكَارُ الْحَالِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وهذا قول البصريين؛ والمراد بهذه الدار: الجنّة، أي هي خير للمعتقين، وقرئ: (وَلَذَكَارُ الْآخِرَةِ^(١)) أي الصفة والموصوف وليس من قبيل الإضافة^(٢).

ومثال الصنف الثاني:

ذهب الكوفيون أنّ "ما" و"من" يتعاقبان، ومن ذلك قوله تعالى (فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ^(٣)) وأمّا البصريون فقالوا إنّ "ما" تنفع للنوع كما تنفع لما يعقل، يقال: ما عندك؟ فيقال: ظريف وكريم، فالمعنى فأنكحوا الطيّب من النساء، أي الحلال، وما حرّم الله فليس بطيّب. هذان الوجهان من خمسة أوجه التي ذكرها القرطبي في إعراب تلك الآية واحتجّ للقول الأول بقراءة ابن أبي عبلة^(٤) "مَنْ طَابَ" على ذكر مَنْ يعقل، واحتجّ أيضًا بقولي العرب (سَبَّحَانَ مَا سَبَّحَ لَهُ الرَّعْدُ، أَي سَبَّحَانَ مَنْ سَبَّحَ لَهُ الرَّعْدُ)، و(سَبَّحَانَ مَا سَخَّرَكُنْ لَنَا، أَي مَنْ سَخَّرَكُنْ^(٥))،

(١) يوسف/١٠٩.

(٢) انظر موضعا آخر أيد فيه تخريج البصريين في إعراب قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائِدَةِ آلِفٍ أَوْ يَرْيَدُونَ) (والآية من سورة الصافات/١٤٧/ "تفسير القرطبي" ١٥/١٣٢).

(٣) النساء/٣.

(٤) وابن أبي عبلة هو: إبراهيم بن شمر بن يقظان، المعروف بابن أبي عبلة، تابعي ثقة، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة، في صحة إسنادها إليه نظر، وتوفي سنة ١٥١هـ (انظر "غاية النهاية" ١/١٩).

(٥) انظر "تفسير القرطبي" ١٢/٥ بالتصرف والاختصاص.

ويلاحظ مما مضى في استشهد القرطبي بالقراءات القرآنية أمران: أولهما: أن القراءات التي استشهد لها للمسائل النحوية هي من صنف القراءات الشاذة، ويبدو أن ذلك راجع إلى فائدة القراءات عامة، فإذا كانت متواترة فإنها حجة ليست فقط في المسائل النحوية بل في استنباط الأحكام الشرعية - كما سبق توضيح ذلك - وأما إذا كانت شاذة فإنها لتفسر القراءة المتواترة أو المشهورة وبيان معانيهما، والإعراب في هذا المجال يعد من ضمن التفسير، فلذلك كان استشهاده بالقراءات للإعراب منحصرا في القراءات الشاذة.

والأمر الثاني: تبين أن القرطبي اعتمد على القراءات الشاذة في الاستشهاد للمسائل النحوية، ولكن ذلك الاعتماد لا يمنع أن يرد على استشهد غيره من العلماء بهذه القراءات لصحة وجه إعراب آية قرآنية إن كان هناك احتمال سائغ لمعنى الآية، وللتركيب النحوي وجه آخر، وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا^(١)) حيث احتج ابن الأنباري بقراءة عبد الله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ يَوْمًا إِنْ كَفَرْتُمْ^(٢)) على فساد القول بأن "يَوْمًا" منصوب "بِكُفَرْتُمْ" بعد حذف الصفة^(٣)، والأصل "فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا" فرد عليه القرطبي وانحصر حجته من ناحيتين: ناحية قيمة الاحتجاج بالقراءة الشاذة وناحية وجه التركيب النحوي^(٤). فقال (٤) ((قلت: هذه القراءة ليست متواترة، وإنما جاءت على وجه التفسير، وإذا كان الكفر بمعنى الجود و"يوما" مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جئتم يوم القيامة والجزاء))

(١) المزمّل/ ١٧٠

(٢) لأن "كفرتهم" لا يتعدى بنفسه ولكنه يتعدى بالباء.

(٣) "تفسير القرطبي" ٤٩/١٩-٥٠ بتصرف.

(٤) "تفسير القرطبي" ٥٠/١٩.

المبحث الثالث: "الاستشهاد بالحديث الشريف"

يحتوي البحث في "الاستشهاد بالحديث الشريف" على مسألتين: الأولى: التعريف بالحديث لغة واصطلاحاً، والثانية: موقف القرطبي من الاستشهاد به، فلنبدأ بالمسألة الأولى:

تعريف الحديث:

الحديث لغة نقيض القديم، ويستعمل في قليل الخبر وكثيره^(١)، وفي اصطلاح المحدثين: ((ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي أو أُضيف إلى الصحابي أو التابعي^(٢))).
موقف القرطبي من الاستشهاد بالحديث الشريف:

يعدّ الحديث شاهداً يعتمد عليه عند القرطبي في إثبات القواعد النحوية، ويتّضح هذا الأمر من المسائل الثلاث الآتية:

١- المسائل التي احتجّ لها بالحديث

استشهد القرطبي بالحديث الشريف في اثني عشر موضعاً، تسعة مواضع منها للمسائل النحوية^(٣)، وموضعان للصرف^(٤)، وموضع واحد للاشتراك اللفظي^(٥)، وأمثلة هذه الأصناف الثلاثة كما يلي:

(١) انظر "اللسان" مادة "حدث".

(٢) انظر "منهج النقد في علوم الحديث" للدكتور نور الدين عتر، ص ٢٧.

(٣) انظر في الأماكن التالية، وتكون الإشارة إلى مواقع الأحاديث المستشهد بها، الأجزاء والصفحات والأسطر، وتلك الأماكن هي: "تفسير القرطبي": ١/٢٣٤ و ٢/٢٩ و ١١/٥٠ و ٥/٥ و ١٣/٣٠٤ و ١٨/٧٦ و ١٤/٣٦٤ و ١٥/١١٦ و ١٩/١٨٦.

(٤) انظر "تفسير القرطبي": ١/٣٠١ و ١/٢٤١.

(٥) انظر "تفسير القرطبي": ١٨/٣٦١ و "المشترك اللفظي" هو: "اللفظ الواحد الدال ==

استشهاد بالحديث للنحو:

وفي تفسير قوله تعالى (وَنَادُوا يَا مَالِكُ) ^(١) ذكر القرطبي قراءة عليّ وابن مسعود "وَنَادُوا يَا مَالٍ" على الترخيم، ثم بين أن الترخيم الحذف، وترخيم الاسم في النداء، أن يحذف من آخره حرف أو أكثر، ثم مثل لهذا بعدة أمثلة واستشهد بأربعة أبيات شعر وتبعها بالحديث ^(٢) وقال ^(٣) ((وفي صحيح الحديث "أَيُّ قُلٍّ، هَلُمَّ" ولك في آخر الاسم المرخم وجهان: أحدهما: أن تبقى على ما كان عليه قبل الحذف، والآخر:

أن تبنيه على الضم، مثل: يا زيد، كأنك أنزلته منزلته ولم تراع المحذوف)).

استشهاد بالحديث للمرف:

إن القرآن استعمل لفظ "زوج" بغير الهاء، للدلالة على المؤنث، أي يدل اللفظ على امرأة الرجل. وكان ذلك في قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَثْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ) ^(٤). وذكر القرطبي أن "زوجة" بالهاء لغة فصيحة، إذ وردت في الحديث الشريف وقال ^(٥) ((قوله تعالى (وَزَوْجُكَ) لغة القرآن "زوج" بغير هاء، وقد تقدم القول فيه. وقد جاء في صحيح مسلم "زوجة" حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع إحدى نسائه فمَرَّ به رجل فدعاه فجاء فقال: "يا فلان هذه زوجتي فلانة" فقال: يا رسول الله، من كنت أظن به فلم أكن أظن بك، فقال رسول الله صلى الله عليه

== على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" (انظر "المزهر"

٣٦٩/١، و"تاج العروس" ٨/١).

(١) الزخرف/٧٧. (٢) "التفسير" ١١٦/١٦ بالتصرف والاختصار.

(٣) "التفسير" ١١٦/١٦.

(٤) البقرة/٣٥.

(٥) "التفسير" ٣٠١/١.

وسلم: "إنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم" (١).

استشهاد بالحديث للاشتراك اللفظي:

تتشرك في لفظ "النَّفْل" أربعة معانٍ، واستشهد القرطبي لمعنيين منها بالحديث الشريف كلٌّ على حدة، وقال في ذلك (١) ((والتَّفْل: اليمين: ومنه الحديث "فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم"، والتَّفْل: الانتفاء، ومنه الحديث "فانتفل من ولدها"، والنفل: نبت معروف، والتَّفْل: الزيادة على الواجب، وهو التطوُّع)).

٢- الحديث والنصوص الأخرى المستشهد بها.

في الغالب لم يؤيد القرطبي استشهاد بالحديث بنصوص أخرى يحتاج بها كآليات القرآنية والأشعار، لأنَّه قد استشهد بالحديث والحالة هذه في سبعة مواضع (٢)، وفي خمسة مواضع أخرى كان استشهاد بالحديث مسبوقاً بشواهد أخرى غير الحديث، ومن أمثلة ذلك:

استشهاد بالحديث وحده:

ذكر القرطبي أنَّ لفظ "أطهر" في قوله تعالى (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) (٣) ليس للتفضيل لأنَّه لو كان ذلك للتفضيل لفسد المعنى، ويبيِّن أنَّ هذا جائز شائع في كلام العرب (٤)، ثم استشهد بنظيره من الحديث وقال ((وقد قال أبو سفيان بن حرب يوم أحد: أَعْلُ هُبَلٍ أَعْلُ هُبَلٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: "قل الله أعلى وأجل" وهُبَلٌ لم يكن قط عالياً ولا جليلاً)).

(١) "تفسير القرطبي" ٣٦١/٧.

(٢) انظر الاستشهاد بالأحاديث في الأماكن التالية: "التفسير" ١١/٥٠/٥ و ١٩، ١٨/٣٦١/٧.

و ١٨/٧٦/٩ و ٦/٣٠١/١ و ١٩/١٨٦/٢٠.

(٣) هود/٧٨.

(٤) "التفسير" ٧٦/٩ بالتصرف والاختصار.

الاستشهاد بالقرآن ورفده بالحديث.

استشهد القرطبي لحذف المضاف بالقرآن ثم رَفَدَهُ بالحديث وقال^(١) ((قوله تعالى (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ^(٢)) أي عن أهل القرية، فعبر عنهم بها لما كانت مستقرا لهم أو سبب اجتماعهم. نظيره (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا^(٣)) وقوله صلى الله عليه وسلم: "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ" يعني أهل العرش من الملائكة فرحا واستبشارا بقدومه رضي الله عنه)).

استشهاده بالشعر ورفده بالحديث.

ذكر القرطبي أن من العرب من يجزم بـ"لن" واستشهد بقول العرب ورفده بالحديث وقال^(٤) ((قوله تعالى (وَلَنْ تَفْعَلُوا^(٥)) نصب بـلن ومن العرب من يجزم بها، ذكره أبو عبيدة: ومنه بيت النابغة:

فَلَنْ أَعْرِضَ أَبَيْتَ اللَّعْنُ بِالصَّفَرِ^(٦).

وفي حديث ابن عمر حين ذهب به إلى النار في منامه، فقل لي "لَنْ تُرْعَ"^(١))).

(١) تفسير القرطبي ٣٠٤/٧.

(٢) الأعراف ١٦٣.

(٣) يوسف ٨٢.

(٤) تفسير القرطبي ٢٣٤/١.

(٥) البقرة ٢٤.

(٦) ومدره: هَذَا الشَّأْنُ فَإِنْ تَسْمَعُ بِهِ حَسَنًا * "وَأَبَيْتَ اللَّعْنُ": تحية يحيون بها الملوكة،

والصفد: العطاء. والشاهد في قوله "فَلَنْ أَعْرِضَ"، حيث جزم بلن، وفي رواية الديوان

"فَلَمْ أَعْرِضْ" فلا حجة في هذه الرواية (انظر: ديوان النابغة الذبياني ص ٢٧ تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٢٢).

٢- الأحكام التي يستشهد فيها القرطبي بالحديث:

لم نجد استشهاد القرطبي بالحديث واقعا في الحكم بالقليل أو النادر أو الشاذ^(١)، بل وجدنا أنه استشهد بالحديث في الحكم بالكثير الشائع في ثلاثة مواضع^(٢)، وأنه استشهد به لقاعدة هي لغة من لغات العرب في موضع واحد، وبقيّة المواضع لم يكن الحكم فيها مذكورا. والموضع الذي استشهد به لقاعدة هي لغة من لغات العرب هو الذي أوردنا لتمثيل "الاستشهاد بالشعر ورفده بالحديث" قبل قليل، وأمّا مثال ما استشهد به في الحكم بالكثير فكما يلي:

ذكر القرطبي - في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذَا خَضَعَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ)^(٣) أن رجوع الضمير على المعنى دون اللفظ جائز كثير في كلام العرب، ثم استشهد لذلك بالحديثين الشريفين وقال^(٤) ((قوله تعالى (مِنْهُ) الضمير عائد على معنى القسمة، إذ هي بمعنى المال والسميرات، لقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَخْرِجْهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)^(٥)) أي السقاية لأنّ الوعاء مذكّر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" فأعاد مذكّرا على معنى الدعاء، وكذلك قوله لسويد بن طارق الجعفي حين سأل عن الخمر: "إنّه ليس بدواء ولكنّه داء" فأعاد الضمير على معنى الشراب، ومثله كثير)).

هذا، واتضح ممّا مضى أنّ الحديث يعدّ شاهدا يعتمد عليه في إثبات القواعد النحوية

(١) انظر مواضع أخرى من هذا الصنف في الاستشهاد بالأحاديث في الأماكن التالية: "تفسير

القرطبي: ٧/٢٣٤/١ و ١/٢٤١/١ و ١٦/٢٩/٢ و ١٥/١١٦/١٦ .

(٢) انظر استشهاده بالأحاديث في الأماكن التالية: "تفسير القرطبي" ١١/٥٠/٥ و ١٨/٧٦/٩

و ١٤/٣٦٤/١٠ .

(٣) النساء/ ٨ .

(٤) "التفسير" ٥٠/٥ .

(٥) يوسف/ ٧٦ .

عند القرطبي^١، وتقرّر ذلك من ثلاث نواح: ناحية: المسائل التي استشهد لها بالحديث، وناحية: الحديث والنصوص الأخرى المستشهد بها، وناحية: الأحكام التي يستشهد فيها بالحديث^٢.

والحق أن هذا المنحى لم يكن خارجاً عن مسار النحاة السابقين؛ لأنه تبيّن أنّهم استشهدوا بالحديث على مختلف مذاهبهم النحوية، بصريين كانوا أو كوفيّين، مع اختلافهم في الكم والعدد، وظهر ذلك في الدراسة التي قامت بها الدكتورة خديجة الحديثي؛ إذ تبيّن لها أنّ أربعة وعشرين نحويّاً عاشوا قبل السّهيّلي^(١) (ت ٥٨١هـ) قد استشهدوا بالحديث للمسائل النحوية أو الصرفية بدءاً بأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ثم من جاءوا بعده كالظليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ) وابن السراج (ت ٣١٦هـ) وغيرهم إلى أن يتمّ العدد المذكور^(٢)، ولكنهم ما كانوا يكثرّون في الاستشهاد به إكثار السّهيّلي^(٣) وابن مالك^(٤) (ت ٦٧٢هـ) اللذين أنكر على استشهادهما بالحديث بعض من جاء بعدهما.

(١) السّهيّلي: هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد، أبو القاسم السّهيّلي الأندلسي، كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات بارعاً في ذلك وتوفي سنة ٥٨١هـ (انظر "بغية الوعاة" ٨١/٢).

(٢) انظر "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" ص ٤٢-١٨١.

(٣) تميّز احتجاج السّهيّلي بالحديث عمّن قبله من النحاة بعدة مميزات هي: أكثر الأحاديث الواردة عنده لم يسبق إليها؛ وأنّ اطلاعه على هذه الأحاديث كان نتيجة استقراء للحديث النبوي؛ وتبيينه ظواهر معينة وردت في كلام النبوة (انظر "المرجع نفسه" ص ٢٠٤-٢٠٥).

(٤) تميّز احتجاج ابن مالك بالحديث بأنّه أجاز الاحتجاج به مطلقاً، فلم يقتصر على أحاديث ذات شروط معينة في روايتها أو في سندها أو لفظها أو راويها (المرجع نفسه: ص ٣١٣ بتصرف).

بعدهما من النحاة^(١)، ونسبوا إليهما وإلى ابن خروف (ت ٦٠٩هـ) أنهم أول من استشهد بالحديث^(٢).

-
- (١) أنكر أبو حيان على أكثر ابن مالك في الاحتجاج بالحديث ووصفه بأنه قد خالف المتقدمين والمتأخرين (الاقتراح/١٧) وقد أشار السيوطي إشارة ضمنية إلى أن السهيلي قد سبق ابن مالك في الاحتجاج بالحديث (الاقتراح/١٩) وكان أبو حيان وابن الضائع من زعماء المانعين للاحتجاج بالحديث، وإنما كان ذلك لأمرين: جواز نقل الحديث بالمعنى فلا يضمن أن اللفظ من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن كثيراً من الرواة ليسوا عرباً، فردّ الدمامين على هذا المذهب (خزانة الأدب ١/١٤) وقام الباحثون بتحقيق الاحتجاج بالحديث عند النحاة القدماء والمتأخرين، كما فعله سعيد الأفغاني في كتابه "في أصول النحو" ص ٤٦-٥٨، وعبدالجبار علوان النائلة في "الشواهد والاستشهاد في النحو" ص ٢٩٢-٣٣٧، والدكتور محمود حسني محمود في مقالته المنشورة في "مجلة المجمع اللغة العربية الأردنية" العدد ٣-٤، نيسان ١٩٧٩؛ واستوفت الدكتورة خديجة الحديثي البحث في الموضوع في كتابه "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف".
- (٢) عدّ السيوطي السهيلي بأنه سابق لابن مالك في الاحتجاج بالحديث، وعدّ ابن الضائع ابن خروف الأول في هذا المجال، ووصف أبو حيان ابن مالك بأنه أول من خالف القدماء والمتأخرين في الاحتجاج بالحديث (الاقتراح ١٦-١٩).

المبحث الرابع: الاستشهاد بكلام العرب، شعرا ونثرا

ينقسم استشهاد القرطبي بكلام العرب إلى قسمين: الأول: استشهاده بالشعر والثاني: استشهاده بالنثر.

أولاً: استشهاد القرطبي بالشعر في تفسيره:

ضمَّ القرطبي في تفسيره أربعة آلاف ومائة وتسعة وخمسين (٤١٥٩) شاهداً، من شعر ورجز، واشتمل هذا العدد على أبيات كاملة وأنصاف أبيات واشتمل أيضاً على أبيات منسوبة إلى قائلها وغير منسوبة.

وكان استشهاد القرطبي بهذه الأشعار لأغراض كثيرة: كالمعاني العامة (١) والتاريخ (٢) واللغة والنحو والصرف (٣) والبلاغة (٤).

وتنوع الأغراض في استشهاد القرطبي بالشعر يرجع إلى تعدد فوائد الشعر عند العرب، إذ كان الشعر عندهم ديواناً تسجل فيه أحوال حياتهم من أفكار ومواقف في أسلوب بليغ، فالشعر عندهم مصدر يعتمد عليه في الأسلوب والمعاني العامة والتاريخ، وعلى هذا الأساس تقوى علاقة الشعر بالتفسير، قال عمر بن الخطاب عن الشعر ووظيفته في تفسير

(١) كقول القائل في تفسير قوله تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (التفسير

١٣/٣٢/٤)؛ وقول جعفر بن أبي طالب في معنى قوله تعالى (لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا) (التفسير ٢/٤٣٠/٣).

(٢) كقول إبراهيم بن علي الفقيمي في وصف هروب عمرو بن عبيد ورباط بن محمد إلى

الرباطية خوفاً من الطاعون (التفسير ١٩/٢٣٥/٣) وقول علي رضي الله عنه في حرب

الأحزاب (التفسير ١٠/١٣٤/١٤).

(٣) سيأتي تفصيل هذه المسائل الثلاث قريباً.

(٤) كالاستشهاد للاستعارة (التفسير ٥/٤٠٣/١١٢٦/١١) وللمجاز، ذكر الجزء وأريد به الكل

(التفسير ٩/٤٥٠/٤).

القرآن: ((أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليّتكم فإنّ فيه تفسير كتابكم^(١))) وكان ابن عباس يصرح بمنهاجه في التفسير وقال^(٢) ((الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه))^٣

فهذان القولان يوثقان بقوة العلاقة بين الشعر والتفسير، ويدلّان على أنّ الاستشهاد بالشعر في التفسير منهج قديم سار عليه كبار الصحابة.

استشهاد القرطبي بالشعر للغة والنحو والصرف

إنّ عدد الشواهد التي تتناول مسائل اللغة والنحو والصرف بلغ ألفاً وثلاثة وخمسين شاهداً، وللغة مائتان وسبعة وتسعون شاهداً، ولنحو خمسمائة وثمانية وأربعون شاهداً وللصرف مائتان وثمانية شواهد.

وأما نسبة الشواهد إلى قائلها فإنّ القرطبي لم يذكرها إلّا في ثلاثمائة واثنين وثمانين شاهداً، في حين نسب مَحَقَّقُو^(٣) تفسير القرطبي مجموعة من الشواهد الأخرى عدّها مائة وثمانية وثمانون شاهداً. وهناك مجموعة ثالثة غير منسوبة إلى قائلها ولكنها

(١) انظر "الموفقات في أصول الشريعة" ٨٨/٢ .

(٢) الاتقان ٥٥/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار التراث، القاهرة ١٩٨٥ .

(٣) حقق هذا التفسير الأستاذ أحمد بن عبدالمعطي البيروني، وشاركه في التحقيق جماعة من العلماء هم السادة: الشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ بشندي خلف الله والشيخ محمد محمد حسنين، والأستاذ مصطفى السقا. وهذا الأخير لم يذكره الأستاذ أحمد البيروني حين نوّه بفضل المشاركين في التحقيق. وإنّما وجدت ذلك الاسم مذكوراً في آخر البيان عن تحقيق جزئي ١٩ و ٢٠ من التفسير. (انظر مقدمة المحقق ١/هـ).

رويت عن الرواة الثقات: كسيويه^(١) (ت ١٨٠هـ) والكسائي^(٢) (ت ١٨٩هـ) والفراء^(٣) (ت ٢٠٧هـ) وأبي عبيدة، معمر بن مثنى^(٤) (ت ٢٠٩هـ) والأخفش، سعيد بن مسعدة^(٥) (ت ٢١٥هـ) وابن السكيت، يعقوب بن اسحاق^(٦) (ت ٢٤٤هـ) وشعيب، أحمد بن يحيى^(٧) (ت ٢٩١هـ) وابن العباس، المبرد^(٨) (ت ٢٩٢هـ)، وكان عدد الشواهد من هذا المنف مائة وواحدا وستين شاهداً. وحاصل ذلك أن عدد الشواهد التي لم يعرف قائلوها ولم ينشدها الثقات ثلاثمائة واثنان وعشرون شاهداً، من ألف وثلاثة وخمسين شاهداً.

هذا، ولا يختلف العلماء في أن الشعر مصدر من مصادر اللغة والنحو الصرف بل هو المصدر الاول لهذه المسائل، ولكن هل كان استشهاد القرطبي بالشعر موافقا للشروط التي

(١) انظر مثل الاستشهاد بالاشعار التي رواها سيويه في الاماكن الآتية: ١٦/١٠٢/١ و ٥/٢٢٠/١ و ٣/٣٢٧/١ و ١٧/٣٨٤/١ و ١٤/٤٣٣/١ و ١٣/١٣/٢ و ١٣/٢٠٥/٢ و ٩/٢٥/٣ و ١٨، ١٥/٢٦٧/٣ و ٦/٣٢٩/٣ و ٩/١٨٤/٤ و ١٠/٢٥/٦ و ٦/٨٨/٦ و ٦/٢٤٦/٦ و ٤/٩٢/٧ و ١٩/١٧٥/٧ و ١٦/١٨٨/٧ و ٨/٧٧/٨ و ١٥/٩٥/٨ و ١٥/١٦٥/٨، وأماكن كثيرة أخرى.

(٢) انظر ذلك في هذين الموضعين: ١٤/٢٣٩/٢ و ٧/٤٠٥/١٠.

(٣) انظر مثل ذلك في المواضع التالية: ٢/٢٢/٤ و ١/٦/٥ و ١٥/١٦/٥ و ٢/٢٦٤/٧ و ٩/٣٧٥/٨ و ٨/٩٧/٩ و ٧/١٨٢/٩ و ٢١/٢٣٨/١٢ و ١٤/٢٢/١٥ و ٢١/٢٧٠/١٥ و ١٣/٢٧٢/١٥ و ١٩/٣٣٢/١٥ و ٣/٣٦١/١٥ و ٢٢/٩٧/١٦ و ٣/٥٧/١٧ و ١٩/٨٥/١٧ و ٤/٨٩/١٩، وعدة أماكن أخرى.

(٤) انظر ذلك في المواقع التالية: ١٧/٢٣٩/٢ و ١١/٢٠/١٤ و ٩/٩٠/١٧.

(٥) انظر ذلك في هذه الأماكن: ١٢/٤٢٩/١ و ١٥/٢٩/٢ و ١٥/٤٠٩/٢ و ٧/٧٣/٥ و ١١/١٩٢/٥.

(٦) انظر ذلك في الموضعين هماك ١٢/١٨١/١ و ١٤/٢٤٩/١٧.

(٧) انظر في هذه المواضع: ٤/١٧/٤ و ١٣/٢١/١٤ و ٢٠/٤١/١٥.

(٩) انظر في هذه المواضع: ١٤/٣٩٥/٦ و ١٩/٢١٤/١٩ و ١٤/٢٤٩/١٩.

وضعها النحاة لصحة الاستشهاد به؟

إذا نظرنا إلى استشهاد القرطبي بالأشعار التي عرف قائلوها، وقارنتها بالشروط التي أقرها النحاة^(١)، تبين أن استشاده سليم صحيح؛ إذ وجدنا أن كل الشعراء^(٢) الذين استشهد القرطبي بأشعارهم هم من الذين عاشوا في عصر الاحتجاج: جاهليين^(٣) كانوا أو مخضرمين^(٤) أو إسلاميين^(٥). وأما أقربهم إلى نهاية عصر الاحتجاج فهو ابن ميادة^(٦)

(١) قسم العلماء شعراء العرب إلى ثلاث طبقات: الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم الذين عاشوا قبل الإسلام كأمريء القيس (ت ٨٠ ق هـ) والأعشى (ت ٧هـ) والثانية: المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد (ت ٤١هـ) وحسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) والثالثة: الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير (ت ١١٠هـ) والفرزدق (ت ١١٠هـ) والرابعة: المحدثون، وهم من بعدهم كبشار بن برد (ت ١٦٨هـ) وأبو نواس (ت ١٩٥هـ)؛ فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة: فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، والرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً (خزانة الأدب ١/٥-٦ بتصرف).

(٢) بلغ عدد الشعراء الذين احتج القرطبي بشعرهم للغة والنحو والمرف فقط مائة وثمانية عشر شاعراً.

(٣) كالاحتجاج بشعر أمريء القيس، انظر - مثلاً - : "التفسير" ١٣/٢٦٨/٢ و ١٨/٣٣١/١٣ و ١٣/٦٩/٤، وبشعر طرفة بن العبد (ت ٦٠ ق هـ) : ١٢/١٣/٢ و ١٦/٥٣/٢ وغيرهما وهم أكثر.

(٤) كالاحتجاج بشعر لبيد، انظر - مثلاً - : "التفسير" ١٠/٩٦/٤ و ١٧/٢١٣/٦ وغيره من المخضرمين.

(٥) كالاحتجاج بشعر زياد بن سليمان الأعجم (ت ١٠٠هـ) "التفسير" ٢٢/١١٣/٤ و ١٥/٢٤٦/٢ وغيره من الإسلاميين.

(٦) احتج القرطبي بشعر ابن ميادة في أن "حصري الشيء وأحصري" بمعنى (التفسير" ١٩/٢٧/٤) وفي زيادة "أل" (التفسير" ١١/٣٣/٧) وابن ميادة، هو الرماح بن أبردد==

المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة، لأن إبراهيم بن هرمة المتوفى سنة ١٧٦ للهجرة^(١) يعدّ آخر من يصحّ الاحتجاج بشعرهم لمسائل اللغة والنحو والصرف^(٢).

نعم لقد احتجّ القرطبي بأشعار المحدثين الذين عاشوا بعد عصر الاحتجاج، ولكنّ الاحتجاج ليس في أمور اللغة أو النحو أو الصرف^(٣)، وهذا مما ليس نحن بصدده.

هذه حالة استشهاد القرطبي بالأشعار التي عرف قائلوها، وأمّا استشهاده بالأشعار التي أنشدتها الثقات^(٤)، فإنّ النحاة أجازوا الاستشهاد بها اقتداءً بما فعله سيويه في كتابه؛ إذ كان يقول في غير موضع: "حدثني الثقة" وأراد به الخليل وغيره^(٥).

واحتجّ عبدالقادر البغدادي لقبول الأشعار من هذا الصنف ((بأنّ أبيات سيويه اصحّ الشواهد، اعتمد عليها خلف بعد سلف، مع أنّ فيها أبياتاً عديدةً جهل قائلوها، وما عيب بها ناقلوها^(٦))).

هذا موقف النحاة من الاستشهاد بالأشعار التي أنشدتها الثقات؛ والواقع أنّ عزو الأشعار

== بن ثوبان الغطفاني، شاعر فصيح مقدّم مخّض من شعراء الدولتين (الأموية والعباسية) (انظر أخباره في الأغاني ٢/٢٢٧، ط دار الثقافة).

(١) وابن هرمة هو: إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي، أبو إسحاق، وفي سنة وفاته خلاف كثير والراجح أنّه توفي في سنة ١٧٦هـ (انظر "البداية والنهاية" ١٠/١٢٥٠) "والنجوم الزاهرة" ٢/٨٤ ومقدمة ديوانه، تحقيق المعبيد).

(٢) انظر "الاقتراح" للسيوطي ص ٢٧، و"خزانة الأدب" ١/٥٠.

(٣) كالاقتراح بشعر ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) لمعنى التقوى (التفسير ١/١٦٢/٣)، وبشعر أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) لمعنى الحسد في الناس (التفسير ٥/٢٥١/١٥) وعدة شواهد أخرى للشعراء المحدثين.

(٤) الثقات جمع الثقة: هي كلّ راوٍ اجتمع فيه صفة العدالة والضبط. (انظر "منهج النقد" ١٠/٨٠ بتصرف).

(٥) انظر "الاقتراح" ص ٢٨.

(٦) انظر "خزانة الأدب" ١/١٦٠.

إلى الرواة الثقات لا يعني أنّ هذه الأشعار ليس لها قائلون بالضرورة، والحق أنّ القرطبي فعل ذلك - كما يبدو - لثقته بهؤلاء الرواة؛ لأنّ كثيراً من الأشعار التي نسبت إلى الرواة تبين أنّ لها قائلين^(١).

والحالة الأخيرة من استشهاد القرطبي بالأشعار هي الاستشهاد بالأشعار التي لم يعرف قائلوها؛ وهي تتكون من الأشعار التي لم يذكر قائلوها في متن التفسير، وما لم تنسب إلى منشديها الثقات، وما لم يعثر على قائلها مُحَقِّقو التفسير، وعدد الأشعار من هذا الصنف بلغ ثلاثمائة واثنين وعشرين شعراً.

هذا، والاستشهاد بالأشعار من هذا النوع فيه خلافٌ عند النحاة، ومن أجل ذلك ننظر إلى أي مدى اعتدّل القرطبي على هذه الأشعار في الاستشهاد، فنفحص استشهاده بها من ثلاثة جوانب:

أولاً: المسائل التي استشهد لها بهذه الأشعار:

إنّ الإحصاء يدلّ على أنّ استشهاد القرطبي بهذه الأشعار للمسائل النحوية هو الأغلب، إذ كان أكثر من نصف احتجابه بها لعلم النحو^(٢)، بينما كان احتجابه بها لكل من الصرف واللغة يبلغ خمسَ العدد الأصلي فقط^(٣)، وأمثلة هذه الأجيال

(١) تبين ذلك بالنظر إلى التحقيق الذي قام به محققو هذا التفسير، وذلك كالشواهد المنسوبة إلى سيبويه في "التفسير" ١٠/٢٥٠/٦، فإنّه لعمر بن أبي ربيعة؛ وفي ٦/٨٨/٦ لخفاف بن ندة السلمي؛ وفي ١٥/٢٤٦/٦ لبشر بن أبي حازم؛ وفي ٩/١٣١/٢ لساعدة بن جؤية؛ وكالشاهدين في ١٥/٢٢/١٥ إنّهُ للأحوص، وفي ١٤/٣٦٢/١٣ للعجاج، الأول أنشده الفراء والثاني أبو عبيدة.

(٢) انظر -مثلاً- في الأماكن التالية: "التفسير" ٨/٢٢٢/١ و ١٢/٢٣٢/١ و ١٠/٤٦٣/١ و ١٧/٢٣٨/٢ و ١/٣٢/٣ و ٤/٤٥/٣ و ٢٢،٣٠/٥٣/٤ و ٩،٧/٣/٥ و ٨،٧،٦/٥/٥ و ١٤،١٢/٦٥/٦ و ١٦/٢١٨/٦ و ١٥/١٣/٧ و ١٤/٩٢/٧ و ١٤/٣٥٣/٨ و ١٣/٢٩/٩ و ٨/١٣٣/٩ و ١٢/١٨٦/٩ و ١/٢/١٠ و ٨/١٤/١٠ و ١١/١٨٤/١١ و ١٥/٢٣٦/١١ و ٦/٢٢/١٣ و ١٦/١٠٣/١٥ و ١٣/٥٩/٢٠، وغير ذلك.

(٣) انظر احتجابه للصرف في هذه الأماكن: "التفسير" ١٤/٢٢٠/١ و ١٧/٢٣٠/١ ===

الثلاث على النحو التالي:

الأول: مثال استشهاده بالشعر المجهول قائله للنحو:

احتج القرطبي بشعر مجهول قائله لزيادة "لا" في تفسير قوله تعالى (قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىَّ) (١) وقال (٢) ((أَلَا تَسْجُدُ)) في موضع نصب، أي من أن تسجد، و"لا" زائدة، وفي ص (وَمَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ) (٣) وقال الشاعر:

أَبَى جُودَهُ لَا الْبُخْلُ فَاسْتَعْجَلْتُ بِهِ
نَعَمْ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ نَائِلَهُ
أَرَادَ أَبَى جُودَهُ الْبُخْلُ، فزاد "لا"

الثاني: مثال استشهاده بذلك الشعر للمرف:

بين القرطبي أن أندادا في قوله تعالى (لِلَّهِ أُنْدَادٌ) (٤) جمع ند، واحتج لذلك بشعر مجهول القائل أولا ثم بشعر حستان بن ثابت ثانيا وقال (٥) ((لِلَّهِ أُنْدَادٌ)) أي اكفاء وأمثالا ونظراء، وأحدهما ند، وكذلك قرأ محمد بن السَّمِيعُ "نَدًا" قال الشاعر:

نَحْمَدُ اللَّهَ وَلَا نَدُّ لَهُ
عِنْدَهُ الْخَيْرُ وَمَا شَاءَ فَعَلُ
وقال حستان: أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ نِدًّا
فَشَرَكْنَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ))

== و١٥، ١٣/١٣٨/٢ و١٢/٢٥/٣ و٤، ٣/٥٨/٦ و١١/٤٨/٧ و٢١/١٦١/٩ و٥/١٦٢/١١ و٢/١٢٠/١٢ و٢/٢٢٩/١٥ و١٠/٢٠٢/٢٠ وغير ذلك. وانظر احتجاجه للمسائل اللغوية في المواضع التالية: الاشتقاق: "التفسير" ٣/٤١٠/٢ و٦/٥٢/٣ و٤/١٢٢/١٩ والاشتراك اللفظي: "التفسير" ١٣/١٥٢/١١ والترادف: "التفسير" ١٦/٣٠٩/٢ و٢٠/٣٢٨/٨ والاضداد: "التفسير" ٣، ١/٣٠٨/١٠ و٢١/٢٥/١١ و١١/١٥٩/١٦ وغير ذلك.

(١) الأعراف/ ١٢

(٢) "التفسير" ١٧٠/٧

(٣) ص ٧٥

(٤) البقرة/ ٢٢

(٥) "التفسير" ٢٣٠/١

الثالث: مثال احتجاجة بذلك الشعر للمسألة اللغوية:

بيّن القرطبي أنّ للفظ "التهجّد" معنيين متضادين، وذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ^(١)) حيث احتجّ بشاهدين من الشعر ليس لهما قائلٌ معيّن وقال^(٢) ((قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ) "ومن" للتبعيض، والفاء في قوله "فَتَهَجَّدْ" ناسقة على مُضمر، أي قم فتهجّد (به) أي بالقرآن، والتهجّد من الهجود وهو من الأضداد. يقال هجد نام، وهجد سهر، على الضد. وقال الشاعر:

أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مِنْى مُجُودٌ وَلَيْتَ خَيَالَهَا بِمِنْى يَعُودُ

وآخر:

أَلَا طَرَقْتَنَا وَالرِّفَاقُ مُجُودٌ فَبَاتَتْ بَعْلَاتِ^(٣) النّوَالِ تَجُودُ

يعني نيكما. وهجد وتهجّد بمعنى))

اتضح مما مضى أنّ احتجاج القرطبي بالأشعار المجهول قائلوها يتناول مسائل النحو والصرف واللغة جميعاً، ويحظى النحو بالنصيب الأكبر، ويتساوى الصرف واللغة في النسبة تقريبا.

ثانياً: الشعر المجهول قائله والنصوص الأخرى المحتجّ بها.

دلّ البحث في - جانب الشعر المجهول قائله والنصوص الأخرى المحتجّ بها - على أنّ القرطبي اعتمد على الأشعار المجهول قائلوها اعتماداً كبيراً، إذ لم يكن احتجاجة بهذه الأشعار مقروناً بالشواهد الأخرى إلاّ في أحد عشر موضعاً من أصل العدد

(١) الاسراء/٧٩.

(٢) "التفسير" ٣٠٧/١٠-٣٠٨.

(٣) العلة (هنا): ما يتعلل به : مثل التعلّة.

(٣٢٢ موضعاً) . وأنواع هذه الأحوال هي: الاستشهاد بالقرآن وإتباعه بالشعر في أربعة مواضع (١) . وثانياً: الاستشهاد بالشعر وإرفاده بالقرآن في خمسة مواضع (٢) ، وثالثاً: الاستشهاد بالشعر وتأييده بالحديث في موضعين (٣) ومن أمثلة هذه الأنواع الثلاثة:

الأول: استشاده بالقرآن وإتباعه بالشعر المجهول قائله:

وفي تفسير قوله تعالى (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) (٤) اختلف العلماء في الضمير من قوله: "مِمَّا فِي بُطُونِهِ" على م يعود؟ فذكر القرطبي عدة أقوال في ذلك، ومن بين هذه الأقوال قول الكسائي: أن الضمير راجع إلى المذكور. واحتج القرطبي لهذا القول بالقرآن وتبعه بالشعر جهل قائله وقال (٥) ((وقال الكسائي: معناه ممّا في بطون ما ذكرناه، فهو عائذ على المذكور، وقد قال الله تعالى (إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) (٦) وقال الشاعر:

مِثْلُ الْفِرَاحِ نَتَفَتْ حَوَاصِلُهُ .

ومثله كثير)) .

الثاني: استشاده بالشعر وتأييده بالقرآن.

(١) انظر ذلك في المواضع الآتية: "التفسير" ٢٠/٢٣/٤ و ٤/١٧٠/٧ و ٢/١٢٤/١٠ و

١٣/٣٥/١٢ .

(٢) انظر في الأماكن التالية: "التفسير" ١١/٣٤٨/٦ و ١٦/١٠٣/١٥ و ٦/١٣٢/١٥ و ١٣/٥٩/٢٠ و

١٢/٨٩/٢٠ .

(٣) انظر ذلك في "التفسير" ١٢/٣٥/٢ و ١٢/٧٢/٤ .

(٤) النحل/٦٦ .

(٥) "التفسير" ١٢٤/١٠ .

(٦) عبس/١١ .

احتج القرطبي بالشعر المجهول قائله وأيده بالقرآن لزيادة "لا" في قوله تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ^(١)) وبيّن أن ذلك مذهب الأخفش حين قال^(٢) ((يجوز أن تكون "لا" زائدة، كما تقدم في (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣)) قاله الأخفش أي أقسم، لأنّه قال: (بِهَذَا الْبَلَدِ) وقد أقسم به في قوله تعالى: (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ^(٤)) فكيف يجحد القسم به وقد أقسم به. قال الشاعر:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فَأَعْتَرَتْنِي صَبَابَةٌ وَكَأَدَ صَمِيمُ الْقَلْبِ لَا يَتَقَطَّعُ

أي يتقطع، ودخل حرف "لا" صلة، ومنه قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ^(٥)) بدليل قوله تعالى في ص: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ^(٦)) ((.

الثالث: استشهاده بالشعر وارفاده بالحديث.

بيّن القرطبي أن "تأنيث لفظ "طَيْبَةٌ" في قوله تعالى (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً^(٧)) لتأنيث لفظ "ذرية"، وليس لتأنيث معنى "ذرية"، لأن المقصود بها هنا واحد.

وفي ذلك قال^(٨) ((ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ^(٩)) أي نسلا صالحا. والذرية تكون واحدة وتكون جمعا ذكرا وأنثى، وهو هنا واحد. يدل عليه قوله (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا^(١٠)) ولم يقل أولياء، وإنما أتت "طيبة" لتأنيث لفظ الذرية: كقوله:

- | | |
|------------------|---------------------|
| (١) البلد/ ١ | (٢) "التفسير" ٥٩/٢٠ |
| (٣) القيامة/ ١ | (٤) التين/ ٣ |
| (٥) الاعراف/ ١٢ | (٦) ص ٧٥ |
| (٧) آل عمران/ ٣٨ | (٨) "التفسير" ٧٢/٤ |
| (٩) آل عمران/ ٧٥ | (١٠) مريم/ ٥ |

أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

فأنث "ولدته" لتأنيث لفظ الخليفة، وروي من حديث أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أي رجل مات وترك ذرية طيبة أجرى الله له مثل أجر عملهم ولم ينقص من أجورهم شيئاً" (١).

وهناك حالة رابعة غير هذه الأحوال الثلاث: هي كون احتجاجه بالشعر المجهول قائلته مقرونا بشعر آخر عرف قائله أو منسوب إلى الرواة الثقات، وكان استشهاده بالمجهول بمثابة الاستعانة لا الاعتماد. وكان عدد الاحتجاج من هذا النوع ست عشرة مرة (١)، ولكن هذه الحالة والأحوال الثلاث السابقة لا تغير القول بأن القرطبي اعتمد على الأشعار التي جهل قائلوها اعتماداً قوياً؛ لأن هذه الأحوال كلها قليلة بالنسبة إلى حالة احتجاجه بالأشعار المجهول قائلوها منفردة دون تأييد من النصوص الأخرى المحتج بها كالقرآن والحديث أو دون مرافقة الاحتجاج بالأشعار المنسوبة إلى قائلها أو إلى الرواة الثقات. وأمّا مثال احتجاجه بالشعر المجهول قائله مقرونا بالشعر المنسوب إلى قائله فكالاتي:

احتج القرطبي لوقوع الحال من مصدر بشاهدين من الشعر، الأول لعمر بن كلثوم والثاني مجهول القائل، وقال (٢) ((أو يصبح ماؤها غورا (٣) أي غائراً ذاهباً، فتكون

(١) أنظر امثلة ذلك في الأماكن التالية: عطف الجملة على الجملة ١١/٩٥/٦ وما بعده؛ والتفرقة بين المضاف والمضاف إليه ١٦،١٤/٩٢/٧؛ وفي تصريف نغم ٢١،١٩/٢٠٨/٨؛ والحمل على المعنى في الأعراب ٨،٦/١٣٣/٦؛ ووقوع الحال من المصدر ٨،٦/٤٠٩/١٠؛ وزيادة "كاد" ١١،٩/١٨٤/١١؛ والحمل على المعنى في الأعراب ٩،٧/٩٠/١٣؛ وأفراد "أضغان" بمعنى "أحقاد" ٢٠،١٨/٢٥١/١٦ وغيرهما من الأماكن التي أن يتم العدد.

(٢) التفسير ٤٠٩/١٠.

(٣) الكهف/٤١.

أَعدَمَ أَرْضَ للماء بعد أن كانت أوجدَ أَرْضَ للماء ، والغور مصدر وضع موضع الاسم ، كما يقال : رجلٌ صومٌ وفطرٌ وعدلٌ ورضاً وفضلٌ وزورٌ ونساءٌ نوحٌ ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع ، قال عمرو بن كلثوم :

تَظَلَّ جِادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْنَتَهَا صَفُونًا

آخر :

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِهِمَا سِجَامًا ضَبَاعٌ وَجَاوِبِي نَوْحًا قِيَامًا
(أي نائحات) .

ثالثاً : الأحكام التي احتج فيها القرطبي بالأشعار المجهول قائلوها .

انقسم احتجاج القرطبي بالأشعار المجهول قائلوها - بالنظر إلى الأحكام التي وقع فيها الاحتجاج - إلى نوعين : الأول : الحكم بـ "كثير" وبـ "أجود" و "جيد" و "جائز" (١) أو كان الاحتجاج لرأي من آراء العلماء في توجيه إعراب القرآن ، ذكر صاحب الرأي أو لم يذكر (٢) ، والنوع الثاني : الحكم بالضرورة (٣) .

(١) ومواقع الاحتجاج في هذه الأحكام هي "كثير" : التفسير ٣/١٢٤/١٠ و "أجود" :

٤/٤٢٤/٣ و "جيد" ٥/٣٣٨/٥ و "جائز" أو "يجوز" أو نحوهما : ١٢/٢٥/٣ و ١٩/١١٤/٧ و ٩/٢٧٥/٧ و ٣/٨٧/٨ .

(٢) انظر ذلك في المواقع التالية : التفسير ١٠/٤٦٣/١ و ٨/٣١٩/٤ و ١٦/٢١٨/٦ و ١/٤٠/٩ و

١٩/٣٥٣/٩ و ٨/٣٨٢/٩ و ١٩/٥٥/١٠ و ٨/٤٠٩/١٠ و ١٨/٥٢/١١ و ٩/٢٩٥/١٢ .

(٣) انظر الأحكام بالضرورة أو نحوها في الشواهد التالية : التفسير ١٧/٣٨٢/٥ و

٥/٢٦٤/٧ و ٣/٢٦٥/١٣ .

هذا، وأنّ النوع الأول من الأحكام بمختلف مصطلحاتها تبين لنا جواز استعمال القواعد والألفاظ - التي احتجّ لها القرطبي بالأشعار المجهول قائلوها - في سعة الكلام، فهذا يدلّ على أنّ لهذه الأشعار قوّة في الحجّة كقوة الحجج الأخرى مثل القرآن وغيره، أو بعبارة أوضح أنّ القرطبي اعتمد على هذه الأشعار في الحجّة كاعتماده على الحجج الأخرى، وأمّا النوع الثاني: فإنّ الحكم بالضرورة يدلّ على أنّ القواعد التي احتجّ لها القرطبي بهذه الأشعار إنّما يجوز استعمالها في النظم فحسب، فلا يجوز استعمالها في سعة الكلام أو النثر (١).

هذه هي الأحكام التي وجدناها في احتجاج القرطبي بهذه الأشعار، وأمّا بقية احتجاجه بها فلم تكن الأحكام منصوصة، وذلك يدلّ على أنّ القواعد التي احتجّ لها القرطبي في تلك المواضع يصحّ استعمالها؛ لأنّ الاحتجاج في أصل استخدامه لتقوية استعمال القواعد أو الألفاظ ما لم يدلّ دليل آخر أنّ الاحتجاج للضرورة الشعرية.

وكان الحكم بالضرورة قليلا جدا بالنسبة إلى الأحكام بالجواز - المنصوص عليها وغير المنصوص - في احتجاج القرطبي بهذه الأشعار.

فيهذا ما زال القول بأنّ القرطبي اعتمد على الأشعار المجهول قائلوها اعتمادا كبيرا كاعتماده على غيرها من الحجج جاريًا ساري المفعول.

وأمّا مثال احتجاجه بتلك الأشعار في الحكم بالجواز نصّا، وفي الحكم بالضرورة فهما كما يلي:

- مثال الحكم بالجواز نصّا:

(١) اختلف النحاة في حدّ الضرورة: قال الجمهور أنّ الضرورة هي التي جاز استعمالها في الشعر ولا يجوز في النثر، وخالفهم ابن مالك في ذلك: إذ قال: إنّ الضرورة هي "ما ليس للشاعر عنه مندوحة" بأن لم يمكنه الاتيان بعبارة أخرى" (همع الهوامع: ٣٣٢/٥) وردّ عليه أبو حبان وقال ((فعلى زعمه لا توجد ضرورة أصلا؛ لأنّه ما من ضرورة إلاّ ويمكن إلزالتها- ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب)) (أنظر "الأشباه والنظائر" في النحو ٢٠٠/٢ مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٥).

أجاز القرطبي - في الكلام - حذف حرف الاستفهام إذا وجد لفظ "أم" لأنه تدل عليه . وذلك في تفسير قوله تعالى (قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ) ^(١) واحتج بشعر جهل قائله حين قال ^(٢) (وزيدت مع ألف الوصل مدة للفرق بين الاستفهام والخبر . ويجوز حذف الهمزة لأن "أم" تدل على الاستفهام . كما قال :

تُرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أُمُّ تَبْتَكِرُ ^(٣) .

- مثال الحكم بالضرورة :

بيّن القرطبي أن إضمار فاء الجواب لا يجوز إلا في الضرورة الشعرية . واحتج لذلك بشعر جهل قائله . وذلك في توجيه قراءة شاذة لقوله تعالى (أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ) ^(٤) حين قال ^(٥) (وقرأ طلحة بن سليمان "يُدْرِكُكُمْ" برفع الكاف على إضمار الفاء ، وهو قليل لم يأت إلا في الشعر نحو قوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا*

أراد فالله يشكرها) .

وأخيراً ، يبقى سؤال ، هل كل الاحتجاج الذي قام به القرطبي بالأشعار المجهول قائلوها لآرائه ؟ .

تقدم في البحث من جانب الأحكام التي احتج فيها القرطبي ، أن بعض الاحتجاج كان

(١) الأنعام/١٤٤ .

(٢) "التفسير" ١١٤/٢ .

(٣) احتج القرطبي بنصف البيت هذا في ثلاثة مواضع للمسألة ذاتها (أنظر الموضعين الآخرين في "التفسير" ٤/٤٥٣ و ٤/٩٦/١٣ . والشاهد في البيت المذكور: قوله "تروح" أي "اتروح" فحذف ألف الاستفهام لدلالة "أم" عليه .

(٤) النساء / ٢٨ .

(٥) "التفسير" ٢٨٢/٥ .

لأحد الأقوال، أو كان وجهها من وجوه الإعراب التي ذهب إليها النحاة، وبالنظر مرة أخرى إلى احتجاج القرطبي بالأشعار التي جهل قائلوها تبيّن أن "قسما كبيرا من احتجاجه بهذه الأشعار لآراء النحاة بمختلف مذاهبهم، بصريين كانوا أو كوفيين، أفرادا أو جماعة^(١)، ولم يوجد تصريحه بأن "الاحتجاج منه شخصا إلا" في موضعين^(٢)، ولكن ذلك لا يعني أن القرطبي ليس له مجال في الرأي في تلك الأماكن التي نسبت فيها الآراء إلى أصحابها من النحاة غير القرطبي نفسه؛ لأن "مجاله فيها هو الاختيار أو الرفض لتلك الآراء، وسيأتي البحث في اختيارات القرطبي النحوية في موضعه، وما يأتي أمثلة بعض تلك الأحوال:

- مثال استشهاده بالشعر المجهول قائله لرأي محمد بن يزيد، أبي العباس المبرد (ت ٢٨٦ هـ):

احتج القرطبي بشعر جهل قائله لحذف الفاعل؛ لأن "في الكلام فعلا يدل" عليه وهذا مذهب المبرد، وذلك في تفسيره لقوله تعالى (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا

(١) انظر احتجاج القرطبي بالأشعار للمجهول قائلوها للمسائل نسبت إلى نحاة مختلفين، وتكون الإشارة إلى مواقع الأشعار: ما نسب إلى أبي عمرو بن السلاء (ت ١٥٤ هـ) ١٥/١٣/٧ والظليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ١٩/٢٩٠/٤ وسيبويه (ت ١٨٠ هـ) ٢١/١٦١/٩ و١٥، ١٣/١٣٨/٢ ٩، ٧/٣/٥ و٢١/١٩٣/٨ و٨/١٢٣/٩ والكسائي (ت ١٨٩ هـ) ٢١/١٦١/٩ و١٠/١٢٤ وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ٩/٨/١٣ والفراء (ت ٢٠٧ هـ) ٤/٢٧٥/٩ و١٧/٢٧٨/٩ و١٠/٤٠٢/١٣ و٤/١٤٠/١٣ والأخفش (ت ٢١٥ هـ) ١٦/١١٥/١٧ و١١/١٨٤/١١ والمازني (ت ٢٤٩ هـ) ٦/١٠٦/٩ والمبرد (ت ٢٨٦ هـ) ١٢/٢٨٦/٩ وشعيب (ت ٢٩١ هـ) ١٨/٥٢/١١ والزجاج (ت ٢٧٧ هـ) ٣/٢٨٤/٨ و١٢/٣٩/٩ والنحاس (ت ٣٣٨ هـ) ١٩، ١٧، ١٣/٣٠٢/١ و١٢/٤٢٤/١٣ و٥/٢٦٤/٧ و١٣/١٢١/١٨ وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ٨/٤٢٤/٣ والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ١٩/١٨١/١٩ وما نسب إلى جماعة النحويين ١٠/٣٤٨/٦ والبصريين ٨/١٤/١٠ والكوفيين ٢٠/٥٣/٤ و٨/٥/٥ و١/٢/١٠.

(٢) انظرهما في: "التفسير" ٥/٣٨٥/١ و٨/١٩/١٢.

الآيَاتِ لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ) (١) وقال (٢) «لَيْسَجُنَّهٗ» "يسجننّه" في موضع الفاعل: أي ظهر لهم أن يسجنوه، هذا قول سيبويه قال المبرد: هذا غلط، لا يكون الفاعل جملة. ولكن الفاعل ما دل عليه "بدا" وهو مصدر، أي بدا لهم بدء، فحذف لأن الفعل يدل عليه، كما قال الشاعر:

وَحَقٌّ لِمَنْ أَبُو مُوسَى أَبُوهُ يُوَفِّقُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجِبَالَ
أي وَحَقُّ الْحَقِّ، فحذف))

- مثال احتجاج القرطبي بشعر جهل قائله لمذهب الكوفيين:

احتجّ القرطبي بشعر جهل قائله لمجيء "رُبَّمَا" للتكثير، وهذا مذهب الكوفيين وكان ذلك في توجيه إعراب قوله تعالى (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (٣) حين قال القرطبي (٤) (وحكى فيها: رَبِّكُمْ وَرَبَّمَا وَرَبَّتُمْ، بتخفيف الباء وتشديدها أيضاً. وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير، أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين: قاله الكوفيون ومنه قول الشاعر:

أَلَا رَبُّمَّا أَهْدَتْ لَكَ الْعَيْنُ نَظْرَةً قَمًّا رَاكَ مِنْهَا أَنْتَهَا عَنْكَ لَا تُجْدِي (٥))

- مثال احتجاج القرطبي بشعر جهل قائله لمذهبه صريحا:

ورد في القرآن الكريم جملة "يَذْبَحُونَ آبَاءَكُمْ" بغير الواو في سورة البقرة (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

(١) يوسف/٣٥

(٢) "التفسير": ١٨٦/٩

(٣) الحجر/٢

(٤) "التفسير" ١٠/٢-١

(٥) "لا تجدي": أي لا تغني يقال: ما يجدي عنك هذا: أي ما يغني

نِسَاءَكُمْ^(١) وورد في سورة ابراهيم بالواو (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^(٢))، وبين القرطبي أن العلماء ذهبوا إلى أن (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بغير الواو بدل أو نفسير عند القراء وغيره، وأما ما ورد في سورة ابراهيم (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بالواو، ليس تفسيراً لما قبله، فهو جنس آخر من العذاب، والمعنى: يعذبون بالذبح وبغير الذبح، ثم عقب القرطبي على ذلك: أن هناك احتمالاً آخر هو أن الواو زائدة، وما ورد في سورة البقرة دليل على ذلك^(٣)، حين قال^(٤) ((قلت: قد يحتمل أن يقال: إن الواو زائدة بدليل سورة "البقرة" والواو قد تزداد، كما قال:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى*

أي قد انتحى، وقال آخر:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمَرْدَحِ*
أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة، وهو كثير))

ثبت فيما مضى من البحث أن القرطبي اتكأ على الأشعار التي لا يعرف قائلوها اتكأ كبيراً في الاحتجاج للمسائل اللغوية والنحوية والصرفية، وكان استشهاده بهذه الأشعار كاستشهاده بالحجج الأخرى مثل القرآن وغيره.

هذا موقف القرطبي من الاحتجاج بالأشعار المجهول قائلوها، والآن فما موقف النحاة

عامّة من الاحتجاج بتلك الأشعار؟

انقسم موقف النحاة من الاحتجاج بتلك الأشعار إلى ثلاثة مذاهب:

(١) البقرة/٤٩.

(٢) ابراهيم/٦.

(٣) "التفسير": ٢٨٤/١-٢٨٥ بتصرف.

(٤) "التفسير": ٢٨٥/١.

أولها: لا يجوز:

وقف ابن الأنباري^(١) موقفا حاسما، وقال بعدم جواز الاحتجاج بتلك الأشعار؛ خوفا من أن تكون الأشعار لمولّد أو لمن لا يوثق بفصاحته^(٢)، ومن أجل ذلك أنكر ابن النحاس^(٣) احتجاج الكوفيين بشعر لا يعرف قائله لجواز إظهار "أن" بعد "كي"، وهو قول الشاعر:

أَرَدْتُ لِكَيْمَا أَنْ تُطِيرَ بِقُرْبَتِي فَتَتَرَكُهَا شَأْ بِبِدَاءٍ بُلُقَعِ

ورد عليهم بقوله^(٤) ((أن هذا البيت غير معروف قائله ولو عرف لجاز أن يكون من ضرورة الشعر)).

والثاني: جائز:

ذهب ابن هشام^(٥) بجواز الاحتجاج بتلك الأشعار مستندا إلى أن سيبويه قد استشهد بخمسين بيتا مجهولة القائلين، لهذا اعترض ابن هشام على عبدالواحد الطواخ، إذ طعن - في كتابه: بغية الآمل^(٦) - ومنية السائل - الذين استشهدوا لمجيء خبر

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله، أبو بكر البركات، كمال الدين الأنباري، صاحب "الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" المتوفى سنة ٥٧٢هـ (أنظر "البغية" ٨٦/٢).

(٢) أنظر "الاقتراح" ٢٧/٠.

(٣) هو محمد بن ابراهيم بن محمد، بهاء الدين، ابن النحاس، شيخ الديار المصرية في زمانه، المتوفى سنة ٦٨٩هـ (أنظر "بغية الوعاة" ١٣/١، ١٤).

(٤) أنظر "الاقتراح" ٢٧/٠.

(٥) هو عبدالله بن يوسف بن أحمد، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، صاحب "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب" المتوفى سنة ٧٦١هـ (أنظر "النجوم الزاهرة" ٣٣٦/١٠).

(٦) أنظر "كشف الظنون" ٢٤٧/١.

"عسى" منفردا بقول الشاعر:

لَا تَلَحْنِي إِنِّي عَسَيْتُ مَا كُنْتُ*

وقال بأنثى ((لو صح ما قاله لسقط الاحتجاج بخمسين بيتا من كتاب سيبويه، فإن فيه ألف بيت قد عرّف قائلوها، وخمسين بيتا مجهولة القائلين^(١)))^(٢).

والثالث: جازع إن أنشده الثقة:

هذا مذهب عبدالقادر البغدادي؛ لأنه أجاز الاحتجاج بالأشعار المجهول قائلوها إن أنشدتها الثقات كسيبويه والمبرد وابن السراج ونحوهم؛ بحجة أن (الثقة لو لم يعلم أنه من شعر من يصح الاستدلال بكلامه لما أنشده)^(٣).

وبالنظر الى هذه المذاهب الثلاثة تبين أن القرطبي يندرج فيمن أجازوا الاحتجاج بالأشعار التي لم يعلم قائلوها دون شروط، ولكن ذلك لا يعني أن القرطبي من أتباع ابن هشام، لأن هذا الأخير عاش بعد القرطبي بنحو قرن من الزمان إذ كانت وفاة ابن هشام في سنة ٢٦١هـ ولقي القرطبي ربه تعالى سنة ٦٧١هـ.

هذا موقف النحاة من الاحتجاج بهذه الأشعار من الناحية النظرية، وأما من ناحية الواقع العملي، فإننا وجدنا كثيرا من الشواهد التي تداولها النحاة في كتبهم لم ينسبوها الى قائلين معينين، فسيبويه ترك قسما من شواهد دون نسبة^(٤)، والمبرد في كتابه "المقتضب" لم يذكر القائلين إلا في القليل^(٥). ولم يكن البصريون وحدهم هم الذين لم

(١) انظر "خزانة الأدب" ٣١٢/٩ • (٢) انظر "خزانة الأدب" ٣١٢/٩ بتصرف.

(٣) "خزانة الأدب" ٣١٢/٩ •

(٤) انظر "خزانة الأدب" ١٦٠-١٧٠، وانظر أيضا مقدمة "كتاب سيبويه" ص ٣٣ تحقيق

عبدالسلام محمد هارون.

(٥) انظر "المقتضب" مقدمة المحقق ص ٩٣ •

يقوموا بنسبة الشواهد الى قائلها فحسب، بل كان هذا شأن النحاة جميعا فالفراء الذي كان أعلم الكوفيين بعد الكسائي جعل قسما كبيرا من شواهد في كتابه "المذكر والمؤنث" معفى عن النسبة، اذ قدم في ثمانية وثلاثين شاهدا بقوله: (قال الشاعر^(١))، وفي ستة عشر شاهدا بقوله: (قال آخر^(٢)) من مجموعة شواهد ذلك الكتاب البالغ تسعة وثمانين شاهدا . وكذلك حال نحاة بغداد، فكان أبو علي الفارسي - مثلا - في "البغداديات" استشهد بالشواهد الشعرية في ١٩٦ شاهدا، ولم يذكر نسبة قائلها الا في ستة وعشرين موضعا^(٣) ولم ينسب الباقي . وهكذا حال ابن جني في كتابه "المحتسب"^(٤).

فتبين من هذا العرض السريع لواقع الاحتجاج، أن الاحتجاج بالأشعار التي لم تعز الى قائلها جارء عند النحاة بمختلف مذاهبهم ومراطهم، وأن موقف القرطبي من الاحتجاج بالأشعار المجهولة القائل لم يكن خارجا عن مسار النحاة في الواقع العملي.

وبهذا انتهى البحث في احتجاج القرطبي بكلام العرب نظما . ويأتي الآن احتجاجه بكلام العرب نثرا .

(١) أنظر "المذكر والمؤنث" للفراء حققه الدكتور رمضان عبدالنواب، في الصفحات الآتية:

١٦/٧١ و ٣/٧٤ و ٢/٧٧ و ٩/٧٨ و ٤/٧٩ و ٢/٨٥ و ٦/٩٠ و ١٠/٩٢ و ٤/٩٩ و ١٠/١٠٢ و ٣/١٠٣ و ٦/١٠٤ و ١/١١١ و ١/١١٢ و ٧/١١٤ و ١٠/١١٥ وغيرها .

(٢) أنظر - مثلا - في هذه الصفحات:

١/٧٢ و ٦/٧٤ و ٢/٨٠ و ٦/٨١ و ٨/٩٠ و ١١/٩١ و ١٣/٥/٩٢ و ٢/٩٢ و ٤/١١١ .

(٣) أنظر "البغداديات" في أرقام الشواهد التالية:

١٣ و ٢٦ و ٣٠ و ٤٠ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٢ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٩ و ٩٢ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٢٨ و ١٤٢ و ١٥٨ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٨ و ١٨٠ و ١٨٢ .

(٤) أنظر "المحتسب": مقدمة المحقق ص ١٤ .

القسم الثاني استشهاده بكلام العرب نثرا

إن "الاستشهاد بكلام العرب نثرا في تفسير القرطبي أقل" عددا من الاحتجاج بغيره من النصوص المحتج بها، إذ بلغ احتجابه بالنثر عشر مرات؛ وهذا العدد أقل باثنين من احتجابه بالحديث البالغ اثنتي عشرة مرة.^١

وذلك النثر يتكون من أقوال مسموعة من العرب حكاهما النحاة أو اللغويون، وكان سيويه المصدر الرئيسي لهذه الحكايات؛ إذ سبعة الأقوال التي احتج بها القرطبي محكية عنه^(١)، وواحدة أخرى مروية عن أبي زيد^(٢)، وثمة قولان آخران لم تذكر مصادرهما^(٣)، وما يلي فحص اعتماد القرطبي على النثر في الاحتجاج من النواحي الثلاث التي ألفناها في البحوث السابقة:

أولا: المسائل التي احتج بها القرطبي بالنثر:

وإذا نظرنا إلى احتجابه بالنثر من هذه الناحية فإنّ الصرف له نصيب واحد فقط من أصل عدد الاحتجاج، وما عدا ذلك كله كان الاحتجاج للمسائل النحوية. ومثال احتجابه لكل من النحو والصرف كالاتي:

- مثال استشهاده بالنثر للنحو:

احتج القرطبي بقول حكاه سيويه لاثبات صحة التركيب النحوي لقراءة ابن مسعود والحسن وغيرهما في قوله تعالى (وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ)^(٤) بالياء أي "يكون"،

(١) أنظر الاحتجاج بالتعبيرات في المواضع الآتية: التفسير ١٩/١٤٢/٧ و ١٨/١٧٥/٧

٢/٢٤/٨ و ٨/٣٦٧/٨ و ١/٢٢١/١٣ و ٦/٢٥٩/١٤ و ٢/٣١٩/١٤

(٢) أنظر ذلك في الموضع الآتي: التفسير ٩/١٨١/٩

(٣) أنظر الموضعين اللاحقين: التفسير ٦/٢٢٢/١ و ١٥/٢٦٤/٨

(٤) يونس/٧٨

وقال^(١) ((لأنه تأنيب غير حقيقي وقد فصل بينهما • وحكى سيبويه: "حضر القاضي اليوم امرأتان^(٢)" •

- مثال احتجاجه بالنثر للصرف:

ذكر القرطبي أن في أصل كلمة "هاير" في قوله تعالى (عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ^(٣)) ثلاثة آراء: الأول: أن أصلها "هاير" بالياء ثم يقلب فيقال: "هاير" وهذا مذهب الزجاج، والثاني: قول أبي حاتم أن الأصل فيه هاور، ثم يقال هاير، مثل صائغ ثم يقلب فيقال هاير • والثالث: مذهب الكسائي، أنه من ذوات الواو ومن ذوات الياء، وأنه يقال تهوّر وتهير^(٤) • واحتج القرطبي لهذا القلب المكاني بحكاية العرب شم بالشعر قال^(٥) ((ومثله لاث الشيء به إذا دار، فهو لاث أي لاث • وكما قالوا: شاكى السلاح وشائك السلاح قال العجاج:

لَاثٌ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعَبْرِيُّ*

الأشياء النخل، العبري: السدر الذي على شاطئ الأنهار • ومعنى لاث به مطيف به •)

ثانيا: النثر والنصوص الأخرى المحتج بها:

إذا نظرنا احتجاجه بالنثر من هذه الناحية انقسم احتجاجه الى نوعين:
الأول: احتجاجه بالنثر وحده، وكان ذلك في سبعة مواضع^(٦) • والثاني: احتجاجه

(١) التفسير ٨/٣٦٧ •

(٢) قال سيبويه في كتابه: ((وكلما طال الكلام فهو أحسن، نحو قولك: حضر القاضي امرأة:

لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل)) (أنظر "كتاب سيبويه": ٣٨/٢ •

(٣) التوبة/١٠٩ •

(٤) التفسير ٨/٢٦٤ بتصرف •

(٥) التفسير ٨/٢٦٤ •

(٦) أنظر احتجاجه بتعابير محكية في هذه الأماكن: التفسير ١/٢٢٢ و ٧/١٤٢ و ١٩/١٤٢ و ٨/٣٦٧ و ٩/١٨١ و ١٢/٢٢١ و ١٤/٢٥٩ و ١٤/٣١٩ •

بالنثر وإتباعه بالشعر، وذلك في ثلاث مرات^(١).

وهذا الواقع أعطى لنا تصور اعتماد القرطبي على الأقوال المحكية عن العرب: لأن احتجابه بهذه الأتوال منفردة هو الأغلب، ومثال كل من الأنواع الثلاثة آت:

- مثال استشاده بالنثر وحده:

اختلف النحاة في كون "حاشا" فعلا أو حرفا؛ والدليل على كونها فعلا وقوع حرف الجر "بعدها، لأن الحرفين لا يجتمعان^(٢)، والدليل الآخر: النصب بها، واحتج القرطبي لهذا الأخير: بالنثر وقال^(٣) ((وحكى أبو زيد عن أعرابي: اللهم اغفر لي ولِمَنْ يَسْمَعُ، حاشا الشيطان وأبا الأصبع" فنصب بها)).

مثال احتجابه بالنثر وإتباعه بالشعر:

ذكر القرطبي أن لفظ "صراطك" في قوله تعالى (لَا تَقْعَنَّ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ)^(٤)، منصوب على حذف "على" أو "في" واحتج لهذا الأعراب بقول حكاة سيويه وتبعه بشعر من إنشاده أيضا وقال^(٥) ((و"صراطك" منصوب على حذف "على" أو "في" من قوله: "صراطك المستقيم": كما حكى سيويه "ضرب زيد الظهر والبطن" وأنشد:

لَدُنْ يَهْزُ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَتْنَدُ فِيمَ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقُ التَّغْلِبُ^(٦)))

(١) أنظر ذلك في هذه المواضع: التفسير ١٨/١٧٥/٧ و ٢/٧٤/٨ و ١٥/٢٦٤/٨.

(٢) التفسير ١٨١/٩ بتصرف.

(٣) التفسير ١٨١/٩.

(٤) الأعراف/ ١٦.

(٥) التفسير ٧٥/٧.

(٦) البيت لمساعدة بن جوية: انظر "اللسان" مادة "عسل" وعسل، أسرع: والشاهد في نصب

"الطريق" على حذف "على" أو "في".

ثالثاً: الأحكام التي استشهد فيها القرطبي بالنشر:

إنّ الأحكام التي يقع في سياقها احتجاج القرطبي بالنشر هي: "يجوز" في موضعين (١) و"فيه بُعِدُ" في موضع (٢) و"لا يجوز...إلا" فيما ورد...سماعاً" (٣)، وأما بقية المواضع فلم تكن الأحكام فيها منصوبة عليها وإنما كان الاحتجاج لإثبات تصريح (٤) أو قواعد نحوية (٥)، وأمثلة ذلك آتية:

- مثال الحكم بـ (الجواز):

نصّ القرطبي على أن لـ "الذي" في قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (٦) ثلاثة أعراب جائرة، الخفض والرفع والنصب، واحتجّ لذلك الإعراب بحكاية سيبويه وقال (٧) ("الذي" في موضع خفض على النعت أو النحل، ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، وأن يكون في موضع نصب بمعنى أعني، وحكى سيبويه "الحمد لله أهل الحمد" بالرفع والنصب والخفض).

- مثال الحكم بالقول "فيه بُعِدُ":

ذكر القرطبي أن لقوله تعالى (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) (٨)،

(١) انظرهما في: التفسير ٦/٢٥٩/١٤ و ٢/٣١٩/٢٤.

(٢) أنظر ذلك في التفسير: ١٥/٢٦٤/٨.

(٣) انظر ذلك في التفسير: ٢/٢٤/.

(٤) انظر ذلك في التفسير: ١٥/٢٦٤/٨.

(٥) انظر ذلك في هذه الأماكن: التفسير ٦/٢٢٢/١ و ١٨/١٢٥/٧ و ٨/٣٦٧/٨ و ٩/١٨١/٩.

و ١/٢٢١/١٣.

(٦) سبأ ١/.

(٧) التفسير ٦/٢٥٩/١٤.

(٨) الأنعام ١٥٤/.

قراءتين، بالنصب والرفع، والرفع قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي اسحاق، بالتقدير: تماماً على الذي هو أحسن، واستبعد المهدي هذا التوجيه لما فيه حذف المبتدأ العائد على "الذي" (١)، ثم ذكر القرطبي حكاية سيويه يماثل التركيب النحوي لتلك القراءة وقال في ذلك (٢) ((قال المهدي: وفيه بعد من أجل حذف المبتدأ العائد على الذي. وحكى سيويه عن الخليل إنه سمع "ما أنا بالذي قائل لك شيئاً")) .

فهذه القراءة بعيدة من ناحية التركيب النحوي ومثل هذا التركيب وارد عند العرب ولكنه قليل؛ ولذلك كان سيويه يحتج بهذه العبارة المحكية عن العرب للقليل ولا يقاس عليه (٣).

- مثال الحكم بالقول "لا يجوز... إلا" فيما ورد فيه... سماعاً:

ذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أن "كل" مرصد من قوله تعالى (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) (٤) منصوب على الظرف، ويقال ذهبت طريقاً وذهبت كل طريق، أو بإسقاط الجار، التقدير: في كل مرصد وعلى كل مرصد، فيجعل المرصد اسماً للطريق (٥)، وخطأ أبو علي الفارسي الزجاج في جعله الطريق ظرفاً، واحتج بما حكاه سيويه من نشر وشعر في أن جواز حذف حرف

(١) أنظر التفسير: ١٤٢/٧ بتصرف .

(٢) أنظر: التفسير ١٤٢/٧ .

(٣) قال سيويه في هذه المسألة ((وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع عربياً يقول: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، وهذه قليلة، ومن تكلم بهذا فقياسه: أضرب أيهم قائل لك شيئاً. قلت: أفيقال ما أنا بالذي منطلق؟ فقال: لا، فقلت: فما بال المسألة الأولى؟ فقال: لأنه إذا طال الكلام فهو أمثل قليلاً، وكان طولُه عوضاً من ترك هو، وقل من يتكلم بذلك)) (أنظر "كتاب سيويه" ٤٠٤/٢) .

(٤) التوبة ٥/ .

(٥) أنظر التفسير ٧٢/٨ بتصرف .

الجر" فيه مختصر عند السماع فقط فقال في هذا الممدد^(١) ((الطريق مكان مخصوص كالبيت والمسجد، فلا يجوز حذف حرف الجر" منه إلا" فيما ورد فيه الحذف سماعاً: كما حكى سيبيد: دخلت الشام ودخلت البيت، وكما قيل:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقُ الشَّعْلُ^(٢) (*)

إذا أعدنا النظر الى المثالين الآخرين اتضح أن الاحتجاج واقع في سياق كلام المهدي في المثال الأول وفي سياق كلام ابي علي الفارسي في المثال الثاني، نعم لقد استعان القرطبي كثيراً بأقوال النحاة والمفسرين في اعراب آي القرآن، ذكرا مصادر الأقوال : كالمثالين السابقين أو لم يذكر المصادر؛ إذ وجدت أن أربع مرات^(٣) من عشر مرات احتج فيها بالنشر قد كان نص" الاحتجاج أو بعض نمته منقولاً من كلام ابي جعفر النحاس في كتابه "إعراب القرآن" حرفياً حيناً أو مع بعض تغيير وزيادة في حين آخر، من غير البيان في الحالتين أن النص" منقول من كتاب "اعراب القرآن" ومثال الأول في اعرابه لقوله تعالى (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ((٤)) وقال^(٥) ((الذي"

(١) أنظر التفسير ٧٤/٨ .

(٢) البيت لماعدة بن حوية: وتماحه: "لَنْ يَهْرَ الكَفَّ يَعْمَلُ مِنْهُ" فيه كما عَسَلَ الطريقُ الشَّعْلُ" انظر "اللسان" مادة: "عسل" وعسل أي أسرع؛ والشاهد في نصب "الطريق" على حذف "في".

(٣) أنظر المنقول حرفياً في الاحتجاج بحكاية سيبيد "الحمد لله أهل الحمد" في تفسير القرطبي ٢٥٩/١٤ و"إعراب القرآن" للنحاس ٣٣١/٣؛ وأنظر المنقول مع بعض تغيير في الاحتجاج بالسماع "ضرب زيد الظهر والبطن" من التفسير ١٧٥/٧ و"اعراب القرآن" ١١٢/٢ وفي الاحتجاج بالسماع "حضر القاضي اليوم امرأتان" في التفسير ٣٦٢/٨ و"اعراب القرآن" ٢٦٣/٢ وبالحكاية "الحمد لله أهل الحمد مثله" في التفسير ٣١٩/١٤ وفي "إعراب القرآن" ٣٥٩/٣ .

(٤) سبأ ١/ .

(٥) التفسير ٢٥٩/١٤ .

في موضع خفض على النعت أو البدل . ويجوز أن يكون في موضع رفع على اضمار مبتدأ ، وأن يكون في موضع نصب بمعنى أعنى ، وحكى سيبويه "الحمد لله أهلُّ الحمد" بالرفع والنصب والخفض)) . هذا النص منقول حرفياً من كلام أبي جعفر النحاس في كتابه "إعراب القرآن" مع تغيير قليل هو تقديم كلمة "النصب" على "الرفع" (١) .

وأما المثال الثاني: فذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ) (٢) قوله (٣) ((وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما "ويكون" بالياء؛ لأنه تأنيث غير حقيقي وقد فصل بينهما . وحكى سيبويه: حضر القاضي اليوم امرأتان)) . وهذا نفس ما قاله النحاس مع زيادة أن القراءة لابن مسعود أيضاً ، ومع بعض تغيير في الأسلوب إذ قال (٤) ((وروي عن الحسن (وَيَكُونُ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ)) (٥) بالياء؛ لأنه تأنيث غير حقيقي وقد فصل بينهما ، وحكى سيبويه: "حضر القاضي اليوم امرأتان")) .

هذا ، ولكن هذه الحالات لا تعني أن ليس للقرطبي فيها رأي بل هي كلها آراء القرطبي: ما لم يكن هناك رد مباشر منه أو غير مباشر على هذه الآراء المنقولة كالاستعانة بالنحاة أو المفسرين الآخرين - كما ذكرنا ذلك في بداية البحث "الاحتجاج بالقراءات" - .

وأما مثال رده المباشر المنقول فهو رده على رأي أبي عبيدة بأن الإضافة في "مَمْطَرْنَا" في قوله تعالى (هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرٌ) (٦) تفيد التعريف، فجري وصف النكرة هي "عارض" بالمعرفة هي "ممطرنا" ، وإنما يجوز هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون

(١) انظر "إعراب القرآن" ٣/٣٣١ .

(٢) يونس / ٧٨ .

(٣) التفسير ٨/٣٦٧ .

(٤) "إعراب القرآن" ٢/٢٦٣ .

(٥) يونس / ٧٨ .

(٦) الأحقاف / ٢٤ .

غيرها، مؤيداً بشاهد من الشعر إذ قال^(١) ((ومنه قوله تعالى (هَذَا عَارِضٌ مَّطَرٌ) أي مُمْطِرٌ لنا، لأنّه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة، والعرب إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها، قال جرير:

يَا رَبَّ غَابِطِنَا لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُمْ
لَأَقَى مُبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحَرَمَانَا

ولا يجوز أن يقال: هذا رجلٌ غلامنا، وقال أعرابي بعد الفطر: "رَبُّ مَائِمِهِ لَنْ تَصُومَهُ، وقائمه لَنْ تَقُومَهُ؟ فجعله نعتاً للنكرة وأضافه إلى المعرفة))، فردّ القرطبي وبيّن أن مثل هذه الإضافة لا تفيد التعريف كما قرّرده النحاة، وأن احتجاجة بالآية والبيت خلاف ما احتج بهما النحويون^(٢)، إذ قال^(٣): ((قلت: قوله: "لا يجوز

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٢٠٥/١٦، ولم يذكر القرطبي أن هذا الكلام منقول من أبي عبيدة، ولكنني وجدت نصاً في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة قريباً من هذا النص المذكور في الأسلوب والمعنى، ولم أجد مثله في المصادر التي وقفت عليها؛ وهذا النص هو: (("عارض ممطرنا" (٢٤) يريد ممطر لنا وعارض نكرة وممطرنا معرفة وإنما يجوز هذا في الفعل ولا يجوز في الأسماء، وفي قول العرب لا يجوز هذا رجل غلامنا))، وذكر فؤاد سركين (محقق الكتاب) أن في نسخة أخرى (نسخة S) زيادة، هي ((... أنشدنا أبو العباس لجرير حجة في عارض ممطرنا:

يَا رَبَّ غَابِطِنَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُكُمْ
لَأَقَى مُبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحَرَمَانَا

والمعنى يا رب غابط لنا))، (انظر "مجاز القرآن" ٢١٣/٢).

(٢) احتج النحاة بهذه الآية وبيت جرير في أن مثل هذه الإضافة لا تفيد التعريف، فالإضافة لفظية للتخفيف، (انظر "كتاب سيبويه" ٤٢٥/١-٤٢٧، و"المقتضب" للمبرد ١٤٨/٤-١٥٠).

(٣) "تفسير القرطبي" ٢٠٦/١٦.

أن يكون صفةً لعارض" خلاف قول النحويين، وإضافة في تقدير الانفصال، فهي إضافة لفظية لا حقيقية، لأنها لم تغد الأول تعريفاً، بل الاسم نكرة على حاله؛ فلذلك جرى نعتاً على النكرة، هذا قول النحويين في الآية والبيت، ونعت النكرة نكرة، و"رب" لا تدخل إلاً على نكرة"))

هذه بعض الأمثلة لموقف القرطبي من النحاة السابقين، ويأتي البحث في هذه المسألة بشكل موسع في الفصل الآتي:

الفصل الثاني

اتجاهات القرطبي النحوية*

يحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث : أولها مبحث في موقف القرطبي من النحاة السابقين من ناحية القبول والرفض لأقوالهم التي لم تصل إلى درجة الاختيار؛ لأنّ اختياراته النحوية، صريحة كانت أو مفهومة من طريقة العرض يفرد لها البحث في المبحث الثاني، والمبحث الثالث: يبحث فيه مصطلحاته النحوية، واختتم الفصل بالبحث في مصادر القرطبي النحوية واللغوية، وهو محتوى المبحث الرابع، وتفصيل ذلك على الترتيب الآتي:

* لا يدخل في هذا الفصل : موقف القرطبي من النحاة السابقين في مسألة اختيارات القراءات القرآنية، صحيحة كانت أو شاذة؛ لأنّ اختلاف القراءات ليست قياسية بل سنة متبعة، يأخذ الآخر من الأول؛ ولقد عرضت موقف القرطبي من اختيارات القراءات مختصرا في البحث في الاستشهاد بالقراءات القرآنية؛ لا تصل هذه المسألة بالقراءات اتصالا لا تنفصل عنها.

الفصل الثاني

اتجاهات القرطبي النحوية

المبحث الاول
موقف القرطبي من النحاة السابقين

المبحث الثاني
اختيارات القرطبي النحوية

المبحث الثالث
مصطلحات القرطبي النحوية

المبحث الرابع
مصادر القرطبي النحوية واللغوية

المبحث الأول: موقف القرطبي من النحاة السابقين

وجدنا أكثر من ثلاثين علما من أعلام النحاة والمفسرين الذين انتفع القرطبي بأرائهم في تفسيره النحوي للقرآن، وهؤلاء العلماء على هذا التصنيف: (١)

أولاً: النحاة واللغويون البصريون:

وهم الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) و يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) وأبو عبيدة (٢٠٩هـ) وسعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) والمازني (ت ٢٤٦هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) والزجاج (٣١١هـ) وابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) .

ثانياً: النحاة واللغويون الكوفيون:

وهم الكسائي (ت ١٩٣هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وهشام بن معاوية الضريير (ت ٢٠٩هـ) وأبو بكر ابن الأثير (ت ٣٢٧هـ) .

ثالثاً: ممن خلطوا بين المذهبين:

وهم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) وعلي بن سليمان الأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) .

رابعاً: من نحاة مصر:

وهو أبو جعفر النحاس (ت ٣٧٧هـ) .

(١) اعتمدت في تصنيف النحاة واللغويين من الأول إلى ابن جني ، على ما ذكره ابن النديم

في كتابه "الفهرست " انظر ص ٩٠-١٧٢ .

خامساً: ممن اشتهروا بعلم التفسير:

وهم : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ومحمد بن الحسن النقاش (ت ٣٥١هـ) وأحمد بن محمد الشعلبي (ت ٤٣٧هـ) ومكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) وأحمد بن عمار ابن أبي العباس المهدوي (ت ٤٤٠هـ) وعلي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) وأحمد بن محمد الجرجاني (ت ٤٨٢هـ) وعبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري (ت ٥١٤هـ) وابن عطية (ت ٥٤١هـ) ومحمد بن عبدالله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) والمصادر التي استقصى منها القرطبي آراء هؤلاء العلماء هي كتبهم في النحو أو معاني القرآن أو إعرابه أو تفسيره أو الكتب التي نقل فيها مؤلفوها آراء غيرهم، فيكون نقل القرطبي لآراء النحاة من هذه الكتب من النوع الثاني هو نقل غير مباشر، وسيأتي البحث في مصادر القرطبي اللغوية والنحوية في المبحث الرابع من هذا الفصل. وأما انتفاع القرطبي بأقوال العلماء في تفسيره النحوي للقرآن فيتمثل في ثلاثة مواقف:

الموقف الأول

"ذكر وجهين أو أكثر من وجوه الإعراب من غير ذكر صاحب القول المقدم، ومن غير ذكر أصحاب بقية الأقوال في الغالب، ولم يتضح إلى أي قول ينتمي اختياره^(١)" وإليك المثال:

ذكر القرطبي ثلاثة وجوه لإعراب "نزل" من قوله تعالى (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ

(١) انظر ذلك - مثلاً - في الأماكن التالية: "تفسير القرطبي" الجزء ٥: والصفحة ٢٤٩ من سورة النساء آية ٥٣، في تفسير قوله تعالى (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ)؛ والتفسير ١٢٠/٧ الأعراف ١٢، في تفسير قوله تعالى (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)؛ والتفسير ١١٥/١٠ النحل ٥٥، في تفسير قوله تعالى (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ)؛ والتفسير ٢٢٢/١٢ النور ٣٠، في تفسير قوله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ)؛ والتفسير ٢٢٨/١٥ الزمر ٧٥، في تفسير قوله تعالى (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)؛ والتفسير ١٦٥/١٦ الجاثية ١٠، في تفسير قوله تعالى (وَمَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ)؛ والتفسير ١٦٥/١٦ الجاثية ٢١، في تفسير قوله تعالى (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) وغيرها.

فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ^(١) ولم يعز هذه الوجوه إلى قائلها ولم يبيّن السوجه المختار عنده إذ قال^(٢) ((نُزُلًا) أي رزقا وضيافة، وقد تقدّم في "آل عمران" وهو منصوب على المصدر أي أنزلناه نُزُلًا، وقيل : على الحال، وقيل: هو جمع نازل ، أي لكم ما تَدْعُونَ نازلين، فيكون حالا من الضمير المرفوع في "تدعون" أو من المجرور في "لكم")،

الموقف الثاني

"سرد قولين أو أكثر مقترنا بذكر أصحاب الأقوال، ولم يتضح من هذا السرد إلى أي قول ينتمي رايه، والمحمّل أنّ المقدّم ذكره هو المفضل عنده ما لم يكن هناك دليل آخر يقتضي غير ذلك، ولكنّ هذا التفضيل لم يمل إلى درجة الاختيار".
ويتفرّع هذا الصنف على أحوال آتية:

(١) تقديم مذهب البصريين

هناك ثمانية مواضع انتفع بها القرطبي بأقوال العلماء في تفسيره النحوي للآيات القرآنية، حيث قدّم فيها رأي البصريين^(٣)، ومثال ذلك كالاتي:
ذكر القرطبي أقوالا لإعراب "إن" من قوله تعالى (وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)^(٤)، وقدّم قول البصريين على

(١) فصلت / ٣٢ . (٢) تفسير القرطبي ٣٥٩/١٥ .

(٣) انظر ذلك في الاماكن اللاحقة ، تفسير القرطبي الجزء ٦ الصفحة ٩ من سورة هود ،

آية ٦٦ في تفسير قوله تعالى (ومن خزي يومئذ) : والتفسير ١٣١/٧، الانعام ١٥١ في تفسير قوله تعالى (اتل ما حرم عليكم)؛ والتفسير ٣٠/٨ الانفال ٥٧ في تفسير قوله تعالى (فاما تتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)؛ والتفسير ٢٩٩/١٤: سبأ ٢٤ في تفسير قوله تعالى (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين): والتفسير ١٣٨/١٥ الصافات ١٦٧ في تفسير قوله تعالى (وان كانوا ليقولون): والتفسير ٣٠٢/١٥ غافر ١٨، في تفسير قوله تعالى (وأنذر يوم الألفة).

(٤) الامراف/ ٢٠ .

غيره من الأقوال، إذ قال ^(١) (("أن" في موضع نصب بمعنى "إلا" كراهية أن" فحذف المضاف ، هذا قول البصريين، والكوفيون : يقولون "لئلا تكونا" ، وقيل : أي ألا تكونا ملكين تعلمان الخير والشر. وقيل : طمع آدم في الخلود؛ لأنه علم أن الملائكة لا يموتون الى يوم القيامة)) .

(٢) تقديم رأي الخليل بن أحمد منفردا أو مشتركا مع سيبويه :

كان القرطبي في إعرابه للقرآن يقدم رأي الخليل مرتين ^(٢) ويقدم رأي الخليل مشتركا مع سيبويه في خمس مرات ^(٣) .

ومثال النوع الأول إعراب القرطبي لقوله تعالى (حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ^(٤) حيث أورد فيه قولين أولهما للخليل وهو المقدّم والثاني لأبي جعفر النحاس وهو المؤخر، وقال ^(٥) (("وَتَتَّبِعَ" منصوب بأن ولكنها لا تظهر مع "حتى" قال الخليل، وذلك أن "حتى" خافضة للاسم، كقوله (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ^(٦) ، وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل ألبتة، وما يخفض اسما لا ينصب شيئا. وقال النحاس : "تَتَّبِعَ" منصوب بحتى و "حتى" بدل من "أن") .

(١) تفسير القرطبي ١٧٨/٧ .

(٢) انظر مما في "تفسير القرطبي" ٩٣/٢ البقرة ١٢٠/ في إعراب قوله تعالى (حَتَّى

تَتَّبِعَ)؛ وفي التفسير ٤١٤/١ البقرة ٥٨، عن الاختلاف في أصل كلمة "خطايا"

(٣) انظر ذلك في : إعراب قوله تعالى (سُبْحَانَكَ) ، تفسير القرطبي ٢٨٧/١ البقرة

٢١، وفي كسرة "إن" وفتحها من قوله تعالى (فَأَن لَّهُ نَارٌ جَهَنَّمَ) "تفسير القرطبي"

١٩٤/٨ التوبة ٦٣؛ وإعراب قوله تعالى (مَا هَذَا بَشَرًا)، "تفسير القرطبي" ١٨١/٩

يوسف ٣١؛ وفي أصل كلمة "كأين"، "تفسير القرطبي" ٢٧٢/٩ يوسف ١٠٥؛ وإعراب

"وحده" من قوله تعالى (وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ)، "تفسير القرطبي" ٢٦٤/١٥ الزمر ٤٥ .

(٤) البقرة ١٢٠ .

(٦) القدر ٥/

(٥) "تفسير القرطبي" ٩٣/٢ .

ومثال النوع الثاني إعرابه لقوله تعالى (سُبْحَانَكَ) ^(١) إذ قدّم فيه رأي الخليل وسيبويه على رأي الكسائي وقال ^(٢) ((قوله تعالى (سُبْحَانَكَ) "سبحان" منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه، يؤدي عن معنى: نسبحك تسبيحا وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف)).

(٢) تقديم رأي سيبويه:

قدّم القرطبي رأي سيبويه في إعرابه للقرآن في سِتَّةَ عَشَرَ موضعا ^(٣)، وفي كل هذه المواضع لم يوجد أي دليل على أنه اختار واحدا من بين الآراء، وإنما قدّم رأي سيبويه من بقية الآراء. وهذا مثال ذلك:

أورد القرطبي قولين لإعراب "مَثَلٌ" من قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ

(١) البقرة ٣١/.

(٢) "التفسير" ٢٨٧/١.

(٣) انظر ذلك في هذه الأماكن: "تفسير القرطبي" ٢٢٠/١، البقرة ١٩/، ما في إعراب قوله تعالى (حَذَرَ الْمَوْتِ)؛ و"التفسير" ١٧/١ / البقرة ٨٣، في إعراب قوله تعالى (إِلَّا قَلِيلًا)؛ و"التفسير" ٢٧/٢ / البقرة ٩٠، في إعراب قوله تعالى (يَتَسَمَّاءُ اشْتَرَوْا بِهِ)؛ و"التفسير" ٢٨١/٢ / البقرة ١٨٤، في إعراب قوله تعالى (مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)؛ و"التفسير" ٤٢٧/٢ / البقرة ١٩٨، في إعراب قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ)؛ و"التفسير" ٢٩٢/٥ / النساء ٨٣ في إعراب قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ)؛ و"التفسير" ٨٩/٨ / التوبة ١٦ في إعراب قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ)؛ و"التفسير" ٣٥٦/١٠ / الكهف ٩ في إعراب قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ)؛ و"التفسير" ١٥٦/١٢ / المؤمنون ١١٥ في إعراب قوله تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)؛ و"التفسير" ٧٧/١٤ / لقمان ٢٧ في إعراب قوله تعالى (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ)؛ و"التفسير" ١٤٦/١٨ / التغابن ١٠٦، في إعراب قوله تعالى (خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ) وعدة أماكن أخرى.

الْمُتَّقُونَ^(١) الأول لسيبويه والثاني للخليل، إذ قال ^(٢) ((اختلف النحاة في رفع "مَثَل" فقال سيبويه ارتفع بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: "وفيما يتلى عليكم مَثَل الجنة" وقال الخليل: ارتفع بالابتداء وخبره "تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" أي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار؛ كقولك: قَوْلِي يقوم زيد "فَقَوْلِي مبتدأ و "يقوم زيد" خبره))

(٤) تقديم قول أبي عبيدة:

الموضع الوحيد الذي قدّم فيه رأي أبي عبيدة في ذكر الأقوال في التفسير هو تفسيره لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا)^(٣) إذ قال ^(٤) ((أي : إلهامها تحدث أخبارها بوحى الله لها - أي إليها - والعرب تضع لام الصفة موضع "إلى" قال العجاج يصف الأرض :

وَحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَاتِ^(٥)

وهذا قول أبي عبيدة "أوحى لها" ، أي إليها. وقيل : "أوحى لها" أي أمرها: قاله مجاهد. وقال السُّدِّي : أوحى لها، أي قال لها. وقيل سخرها. وقيل: المعنى: يوم تكون الزلزلة وإخراج الأرض أثقالها ، تُحْكِمُ الْأَرْضُ أَخْبَارَهَا، ما كان عليها من الطاعات والمعاصي، وما عمل على ظهرها من خير وشر، وروي ذلك عن الثوري وغيره))

(٥) تقديم رأي سعيد بن مسعدة الأخفش :

هناك ستة مواضع قدّم فيها القرطبي قول الأخفش على بقية الأقوال^(٦) في إعرابه

(١) الرعد ٣٥/ • (٢) "التفسير" ٣٢٤/٩ •

(٣) الزلزلة ٥/ • (٤) "التفسير" ١٤٩/٢٠ •

(٥) البيت للعجاج، ولم أجد في ديوانه، وذكر في اللسان مادة "وحى" صدر البيت فقط؛

والشاهد في قوله "وحى لها" بمعنى "أوحى إليها".

(٦) انظر ذلك في هذه المواضع في إعراب "مقام" من قوله تعالى (فِيمَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَقَامُ

للآيات القرآنية، ومثال هذه الحالة هو:

ساق القرطبي قولين في إعراب (عَبْدَهُ) من قوله تعالى (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيًا) ^(١) ووضع قول الأخفش أولا وقول الفراء والزجاج ثانيا، إذ قال ^(٢) ((قوله تعالى (عَبْدَهُ) قال الأخفش : هو منصوب بـ "رَحْمَةٍ" " زكريا" بدل منه؛ كما تقول : هذا ذِكْرُ ضَرْبٍ زَيْدٍ عُمَرَا؛ فعمرا منصوب بالضرب، كما أن "عَبْدَهُ" منصوب بالرحمة، وقيل : هو على التقديم والتأخير؛ معناه: ذِكْرُ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيًا رحمة؛ فـ "عبدَهُ" منصوب بالذكر ؛ ذكره الزجاج والفراء)).

تقديم رأي المازني:

(٦)

المكان الوحيد الذي قدّم فيه القرطبي رأي المازني على أقوال غيره هو ما يلي:
ذكر القرطبي ثلاثة أقوال لإعراب "معيشتها" من قوله تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قُرْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا) ^(٣) ولم يرجح أحد الأقوال ، وإن كان يردّ على القول الثاني إذ قال ^(٤) (("مَعِيشَتَهَا" أي في معيشتها فلمّا حذف "في" تعدّى الفعل؛ قاله المازني، الزجاج كقوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا) ^(٥) الفراء: هو منصوب على التفسير، قال كما تقول: أَبْطَرْتُ مَالَكَ وَبَطَرْتَهُ، ونظيره عنده: (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ^(٦) وكذا

== (إِبْرَاهِيمَ)، "التفسير" ١٣٩/٤ / آل عمران ٩٧؛ وإعراب "فُتِّتِينَ" من قوله تعالى (فَعَالِكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فُتِّتِينَ) "التفسير" ٣٠٧/٥ / النساء ٨٨؛ وإعراب "عَبْدَهُ" من قوله تعالى (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيًا) "التفسير" ٧٥/١١ / مريم ٢؛ وإعراب قوله تعالى (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا) و(رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) "التفسير" ١٢٨/١٦ / الدخان ٥؛ وإعراب قوله تعالى (فَلَا صُدِّقُوا وَلَا مَلَأُوا) "التفسير" ١١٣/١٩ / القيامة ٣١؛ وإعراب قوله تعالى (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) "التفسير" ٥٩/٢٠ / البلد ١.

(٢) "تفسير القرطبي" ٧٥/١١

(١) مريم ٢ /

(٤) "تفسير القرطبي" ٣٠٠/١٣

(٣) القصص / ٥٨

(٦) البقرة / ١٣٠

(٥) الاعراف / ١٥٥

عنده (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا^(١)) ؛ ونصب المعارف على التفسير محال عند البصريين؛ لأن معنى التفسير والتمييز أن يكون واحدا نكرة يدل على الجنس، وقيل انتصب بـ "بَطَرَتْ" و معنى "بطرت" جهلت: فالمعنى: جُهَلْتُ شكر معيشتها)).

(٧) تقديم رأي الزجاج:

فضل القرطبي رأي الزجاج فقدّمه على غيره من الآراء في ستّة مواضع^(٢)، ومثال هذا النوع هو إعرابه لكلمة "نَكَالَ" من قوله تعالى (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى^(٣)) فَسَرَدَ ثلاثة أوجه للإعراب ، وقدّم قول الزجاج على الوجهين الآخرين فقال (٤) (("ونَكَالَ" منصوب على المصدر المؤكّد في قول الزجاج؛ لأنّ معنى أخذه الله: نكل الله به، فأخرج نكال مكان مصدر من معناه، لا من لفظه، وقيل: نصب بنزع حرف الصفة، أي فأخذ الله بنكال الآخرة، فلما نزع الخافض نصب، وقال الفراء: أي أخذه الله أخذا نَكَالًا، أي للنكال)).

(٨) تقديم قول المبرّد:

قدّم القرطبي قول المبرّد على بقية الأقوال في إعرابه لكلمة "عَيْنًا" من قوله

(١) النساء / ٤ .

(٢) انظر ذلك في هذه الأماكن: "تفسير القرطبي" ٧٢/١٢ / الحج ٤١ في إعراب قوله تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ)؛ و"التفسير" ٩/١٣ / الفرقان ١٣ في إعراب قوله تعالى (دَعُوا هَٰذَاكَ شُورًا)؛ و"التفسير" ١٥/١٦ / الشورى ١٧ في إعراب "قريب" من قوله تعالى (وَمَا يَذْرُوكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)؛ و"التفسير" ٦٢/١٩ / المائدة ٣ . في إعراب قوله تعالى (وَرَبُّكَ فَكَبَّرُ)؛ و"التفسير" ٩٣/١٩ / القيامة ٣ في إعراب قوله تعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)؛ و"التفسير" ٢٠٣/١٩ / النازعات ٢٥ في إعراب "نكال" من قوله تعالى (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى).

(٤) "تفسير القرطبي" ٢٠٣/١٩ .

(٣) النازعات / ٢٥ .

تعالى (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) ^(١)، إِذْ قَالَ ^(٢) ((أي يشرب منها أهل جنة عدن، وهم أفاضل أهل الجنة، صرفاء، وهي لغيره مزاج. و"عينا" نصب على المدح. وقال الزجاج: نصب على الحال من تَسْنِيم، وتَسْنِيم معرفة. ليس يعرف له اشتقاق. وإن جعلته مصدرا مشتقا من السنام فـ "عَيْنًا" نصب؛ لأنه مفعول به : كقوله تعالى (أَوْ اطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ^(٣))، وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسليم. وعند الأخفش بـ "يسقون" أي يسقون عينا أو من عين. وعند المبرّد بإضمار "أعنى" على المدح))، فالقول المقدّم هو قول المبرّد. وهذا الموضع الوحيد الذي قدّم فيه قول المبرّد.

(٩) تقديم رأي أبي علي الفارسي :

قدّم القرطبي رأي أبي علي الفارسي على القولين الآخرين في علّة عدم انصراف قوله تعالى (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) ^(٤)، إِذْ قَالَ ^(٥) ((قال تعالى (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) وموضعها من الإعراب نصب على البدل من "ما" وهي نكرة لا تنصرف؛ لأنّها معدولة وصفة: كذا قال أبو علي، وقال الطبري: هي معارف؛ لأنّها لا يدخلها الالف واللام، وهي بمنزلة عمر في التعريف: قاله الكوفي، وخطأ الزجاج هذا القول. وقيل : لم ينصرف؛ لأنّه معدول عن لفظه ومعناه: فأحاد معدولة عن واحد واحد، ومَثْنَى معدولة عن اثنين اثنين، وَثُلَاثَ معدولة عن ثلاثة ثلاثة، وَرُبَاعَ عن أربعة أربعة، في كل واحد منهما لغتان: فَعَالٌ وَمَفْعَلٌ: يقال أَحَادٌ وَمَوْحَدٌ وَثَنَاءٌ وَمَثْنَى وَثُلَاثٌ وَمَثْلَثٌ وَرُبَاعٌ وَمَرْبُوعٌ وكذلك إلى مَعْشَرٍ وَعَشَارٍ))، ولا يوجد موضع آخر قدّم فيه قول أبي علي الفارسي.

منه هي المواضع التي جعل فيها القرطبي أقوال العلماء البصريين في مقدّمة الأقوال

(٢) "التفسير" ٢٦٦/١٩ .

(١) المطففين / ٢٨ .

(٤) النساء/ ٣ .

(٣) البلد / ١٤ .

(٥) "التفسير" ١٥/٥ .

التي حشدتها في اعراب الآيات القرآنية، وتأتي المواضع التي قدم فيها أقوال الكوفيين أفراداً وجماعة على بقية الأقوال في التفصيل الآتي:

(١) تقديم مذهب الكوفيين:

وضع القرطبي مذهب الكوفيين في مقدمة الأقوال التي نقلها القرآن في ثمانية مواضع^(١)، ومثال هذه الحالة مايلي:

قدم القرطبي مذهب الكوفيين في توجيه اعراب (أن تقولوا) من قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا^(٢) على القولين الآخرين من دون أي إشارة الى انه رجح قولاً على قول اذ قال^(٣) ((قوله تعالى (أن تقولوا) في موضع نصب قال الكوفيون، لئلا تقولوا، وقال البصريون : أنزلنا كراهية أن تقولوا^{تقولوا} وقال السفراء والكسائي: المعنى فاتقوا أن تقولوا يا أهل مكة)) .

(٢) تقديم رأي الكسائي:

ان تقديم القرطبي لرأي الكسائي على نوعية أولهما كان رأي الكسائي مشتركاً

(١) انظر أماكن ذلك في المواقع التالية : تفسير القرطبي ١٤٤/٧ والانعام ١٥٧ في اعراب قوله تعالى (ان تقولوا)؛ والتفسير ٩٠/١٠ النحل ١٥، في اعراب قوله تعالى (أن تمحبكم)؛ والتفسير ٤٣/١٧ / الذاريات ٢٣، في اعراب قوله تعالى (مثل ما أنكم تنطقون)؛ والتفسير ٢٣٤/١٧ / الواقعة ٩٥، في اضافة حق اليقين من قوله تعالى (ان هذا لهو حق اليقين)؛ والتفسير ٢٦٩/١٨ / الحاقة ١٩، في اعراب كتابية، في قوله تعالى (فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه) ؛ والتفسير ١٢٢/١٩ / الانسان ٣ من اعراب قوله تعالى (اما شاكرًا واما كفورًا)؛ والتفسير ١٦٦/١٩ / المرسلات ٣٥ في اعراب قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون) في قراءة من نصب "يوم".

(٢) الانعام ١٥٦ • (٣) التفسير ١٤٤/٧ •

مع رأي سيبويه والثاني كان رأيه منفردا، الأول في موضع واحد والثاني في ثمانية مواضع واليك المثالين: فالنوع الأول هو اعرابه لقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا^(١)) اذ قال^(٢) ((أي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله معبودين لفسدتا. قال الكسائي وسيبويه : " الا ، بمعنى غير فلمّا جعلت الا في موضع غير أعرب الاسم الذي بعدها باعراب "غير" كما قال :

وكل أخ مفارقُه أخوه لعمرُ أبيك الا الفرقدان^(٣)

وحكى سيبويه : لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنّا. وقال الفراء : الا هنا في موضع "سوى" والمعنى : لو كان فيهما آلهة سوى الله لفسد أهلها، وقال غيره : أي لو كان فيهما الهان لفسد التدبير؛ لأن أحدهما ان اراد شيئا والآخر ضده كان أحدهما عاجزا. وقيل : معنى "لفسدتا" أي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء)).

ومثال النوع الثاني هو اعراب القرطبي لكلمة "وابراهيم" في قوله تعالى (فأنجيناه وأصلح السفينة وجعلناها آية للعالمين ، وابراهيم^(٤)) اذ قال^(٥) ((قوله تعالى (وابراهيم) قال الكسائي: "وابراهيم" منصوب بـ "أنجيناه" يعني أنه معطوف على الهاء، وأجاز الكسائي أن يكون معطوفا على "نوح"^(٦)) والمعنى وأرسلنا ابراهيم، وقول ثالث: أن يكون منصوبا بمعنى واذكر ابراهيم)).

(١) الانبياء / ٢٢ . (٢) التفسير ١١ / ٢٢٩ .

(٣) البيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي ، انظر ديوانه ١٨١/ ، والشاهد في وقوع الا نعتا لكل ، وهو بمعنى غير، وأعرب الفرقدان اعرابه ، والفرقدان : نجمتان لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي (اللسان فرقد) .

(٤) العنكبوت / ١٦ .

(٥) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٣٥ .

(٦) اشارة الى الآية التي قبلها وهي (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه (٠٠٠)).

(٣) تقديم رأي الفراء:

قدّم القرطبي رأي الفراء في أَحَدَ عَشَرَ موضعا^(١)، فبهذا حلّ الفراء المرتبة الثانية بعد سيويه الذي قدّمت آراؤه في سِتَّةَ عَشَرَ موضعا. ومثال ما قدّم فيه رأي الفراء على بقية الأقوال كمايلي:

ذكر القرطبي رأي الفراء في مقدّمة ثلاثة أقوال في إعراب "نصيبا مفروضا" من قوله تعالى (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبٌ مَّفْرُوضًا)^(٢)، إذ قال^(٣) ((قال الفراء: "نصيبا مفروضا" هو كقولك: قسما واجبا، وحققا لازما: فهو اسم في معنى المصدر فلهذا انتصب. الزجاج: "انتصب على الحال، أي لهؤلاء أنصباء في حال الفرض. الاخفش: أي جعل الله ذلك لهم نصيبا)).

(١) انظر ذلك في هذه الأماكن: "تفسير القرطبي" ٢٧/٢ البقرة ٨٩ في إعراب قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَ مُمْ)؛ و"التفسير" ١٥٧/٢ البقرة ١٤٣، في إعراب قوله تعالى (وَأِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً)؛ و"التفسير" ٤٨/٥ النساء ٧، في إعراب قوله تعالى (نَصِيبًا مَّفْرُوضًا)؛ و"التفسير" ٣٠٥/١١٠ الاسراء ٧٨، في إعراب قوله تعالى (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ)؛ و"التفسير" ٣٦/١٢ الحج ٢٦، في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ)؛ و"التفسير" ٨٣/١٤ لقمان ٢٤، في إعراب قوله تعالى (بِأَيِّ آرْضٍ)، و"التفسير" ٨٩/١٧ النجم ٨، في إعراب قوله تعالى (سُبْحًا دَنَا فَتَدَلَّى)؛ و"التفسير" ١٢٦/١٨٩ الانسان ٦، في إعراب قوله تعالى (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَفَجَّرُونَهَا تُفجِّرُهَا)؛ و"التفسير" ١٦٢/١٩ المرسلات ٢٦ في إعراب "أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتٌ"؛ و"التفسير" ٩٦/١٩ القيامه ٩ في إعراب قوله تعالى (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)؛ و"التفسير" ١٦١/٢ البقرة ١٤٥ في إعراب قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ).

(٢) النساء / ٧ .

(٣) تفسير القرطبي ٤٨/٥ .

ومما ينبغي توضيحه هنا أنّ القرطبي نقل مادة تفسيره النحوي من كتب إعراب القرآن، ومعانيه، أو كتب التفسير، فوجدناه - كثيرا - يسرد جملة الأقوال في إعرابه لآية من آيات القرآن، يسردها من كتاب "إعراب القرآن" لأبي جعفر النحاس، سواء كان السرد نصّا (١) أو تصرفاً (٢)، والظاهر أنّ القرطبي اعتمد على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً، فجعله أساساً لبناء تفسيره النحوي.

وهذا الواقع يجذب سؤالاً هو: ألم يكن تقديم قول نحوي على قول نحوي آخر وارد في تفسير القرطبي هو نفس التقديم الوارد في الكتاب الذي نقل القرطبي الأقوال منه؟ فإذا كان الأمر كذلك فليس للقرطبي أثر يد في هذا التقديم، ويقتضي ذلك أنّ التقديم ليس من موقفه!

صحيح أن القرطبي في مرّات كثيرة نقل الأقوال جملة في إعرابه لآية من آيات

(١) انظر - مثلاً - المواضع التي نقل القرطبي وجوه الإعراب فيه نصّاً من كتاب "إعراب القرآن" لأبي جعفر النحاس في الأماكن اللاحقة: "تفسير القرطبي" ٢/٤ / البقرة ٢٦ / في إعراب (لِيُحَاجُّوكُمْ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ١/٢٣٩؛ و"التفسير" ٢/١٧ / البقرة ٨٣ في إعراب (إِلَّا قَلِيلًا) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ١/٢٤٢؛ و"التفسير" ٥/٢٩٢ / النساء ٨٢ في إعراب (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ١/٤٢٥؛ و"التفسير" ٢/٢٥٧ / الأعراف ١١٠ في إعراب (فَمَادَا تُمَرُّونَ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ٢/١٤٢؛ و"التفسير" ٨/٨٩ / التوبة في إعراب (أَنْ تَتْرَكُوا) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ٢/٢٠٦ وغيرها.

(٢) انظر ذلك - مثلاً - في هذه الأماكن: "التفسير" ١/٢٨٧ / البقرة ٢١ في إعراب (سُبْحَانَكَ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ١/٢١٠؛ و"التفسير" ٨/١٩٤ / التوبة ٦٣ في إعراب (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ٢/٢٢٤-٢٢٥؛ و"التفسير" ١٧/٢٣٤ الواقعة ٩٥ في إعراب (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ٤/٣٤٨، وغيرها.

القرآن نصًّا كان النقل أو تصرفًا، ولكن هذا النقل لا يعني أنَّ القرطبي ليس له رأي أو موقف من هذه الأقوال وذلك لعدة أسباب:

- أولاً: لأنَّ القرطبي تعمد في عدَّة أماكن تقديم قول نحوي وتأخير قول نحوي آخر مخالفا لما كان عليه الترتيب الموجود في الكتاب الذي نقل منه الأقوال (١).
- ثانياً: وفي مواضع كثيرة أخرى جمع القرطبي أقوالاً من عدَّة كتب من بينها كتاب "إعراب القرآن" للنحاس، فكان هذا الكتاب جزءاً في بناء إعرابه للقرآن وليس كلاً (٢).

(١) انظر إعراب القرطبي للقرآن من هذا النوع في هذه الأماكن على وجه التمثيل لا الحصر: "التفسير" ١٨٨/٧ الأعراف/٣٠ في إعراب قوله تعالى (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) حيث قدّم فيه رأي الكسائي على بقية الأقوال، وهذا مخالف لمأذكره النحاس، انظر "إعراب القرآن" ١٢٢/٢؛ و"التفسير" ٩٣/١٩ / القيامه ٤، في إعراب (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ) حيث قدّم فيه قول سيبويه على غيره، وهو مخالف لما في "إعراب القرآن" ٧٩/٥؛ و"التفسير" ١٦٢/١٩ / المرسلات ٢٥، في إعراب (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتًا) حيث قدّم فيه رأي الفراء على غيره، وهو مخالف لما في "إعراب القرآن" ١١٨/٥؛ و"التفسير" ٢٦٦/١٩ / المطففين ٢٨، في إعراب (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) حيث قدّم فيه رأي المبرد على بقية الأقوال وهو مخالف لما في "إعراب القرآن" للنحاس ١٨٢/٥ وغيرها.

(٢) انظر ذلك - مثلاً - في هذه الأماكن: "التفسير" ٣٨٦/٦ الأنعام ١، في إعراب (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) ثم انظر في "إعراب القرآن" للنحاس ٥٥/٢؛ و"التفسير" ١٤٤/٧ الأنعام ١٥٧ في إعراب (أَنْ تَقُولُوا) وانظر في "إعراب القرآن" ١٠٨/٢، و"معاني القرآن" للفراء ٣٦٦/١؛ و"التفسير" ٧٥/١١ مريم ٢، في إعراب (عَبَثَكُمْ) ثم انظر "إعراب القرآن" للنحاس ٥/٣ ومعاني الفراء ١٦١/٢؛ و"التفسير" ٢٢٩/١٨ القلم ٦، في إعراب (بَابِيتِكُمُ الْمُفْتُونُ) ثم انظر "إعراب النحاس" ٧/٥ و "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٦٤/٢ و"معاني القرآن" للأخفش ٥٠٥/٢؛ و"التفسير" ١٢٦/١٩ الإنسان ٦، في إعراب (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) ثم انظر "إعراب القرآن" ٩٨/٥ ومعاني الفراء ٢١٥/٣، وغيرها.

وبالنتيجة: هناك كثير من إعرابه للآيات القرآنية ليس منقولاً من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس ^(١)، ولتوضيح هذه الأحوال الثلاث تأتي بثلاثة أمثلة على وجه الترتيب:

أولاً: مثال الحالة الأولى:

ذكر القرطبي في إعرابه لقوله تعالى (فَرِيقًا هَدَى) ^(٢) قولين : أولهما للكسائي، والثاني : لم يذكر صاحبه؛ وهذان القولان هما أنفسهما اللذان ذكرهما أبو جعفر النحاس في كتابه "إعراب القرآن" والنص في "تفسير القرطبي" مع النص في كتاب "إعراب القرآن" متشابهان إلى حد كبير؛ ولكن القرطبي تصرف في النقل ، فقدم قول الكسائي على القول الآخر، وهذا التقديم مخالف لما كان عليه ترتيب القولين الوارد في "إعراب القرآن" للنحاس؛ لأن قول الكسائي - هناك - الثاني في الترتيب. وإليك النصين أحدهما من "تفسير القرطبي" والآخر من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس :

قال القرطبي في إعرابه لقوله تعالى (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) ^(٣) (("فَرِيقًا" نصب على الحال من المضمرة في "تعودون" أي تعودون فريقين: سَوَاءٌ دَاءٌ، وَأَشَقُّ قِيَاءً .

(١) انظر ذلك مثلاً - في هذه الأماكن : "التفسير" ٤٢٧/٢ ، البقرة ١٩٨/ ، في إعراب (وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ) وانظر "إعراب القرآن" ٢٩٦/١ ؛ و"التفسير" ٢٦٤/٤ / آل عمران ١٦٤ ، في إعراب (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ) وانظر "إعراب القرآن" ٤١٧/١ ، و"التفسير" ١٣١/٢ / الأنعام ١٥١ ، في إعراب (أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي) وانظر "إعراب القرآن" ١٠٦/٢ ؛ و"التفسير" ٢٢٢/١٢ / النور ٣٠ في إعراب (مَنْ أَبْصَارِهِمْ) وانظر "إعراب القرآن" ١٣٤/٣ ؛ و"التفسير" ٢٩٩/١٤ سبأ ٢٤ في إعراب (وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وانظر "إعراب القرآن" ٣٤/٣ ؛ و"التفسير" ٢٧٠/١٥ / الزمر ٥٥ ، في إعراب (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا) وانظر "إعراب القرآن" ١٧/٤ ، وغيرها .

(٢) الأعراف / ٣٠ .

(٣) الأعراف / ٣٠ .

يقوّي هذا قراءة أبيّ - تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة؛ عن الكسائي ٠٠٠٠ وقيل: فريقا "نصب بـ "هدى" و "فريقا" الثاني نصب بإضمار فعل؟ أي وأضلّ فريقا، وأنشد سيويه (١):

أَمْبَحَتْ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ! إِنْ مَرَزَتْ بِمِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَا

قال الفراء: ولو كان مرفوعا لجاز (٢).

وأما نمّ الإعراب في كتاب "إعراب القرآن" للتحاس فهو (٣) ((فَرِيقًا هَدَى)) نصب بهدى و "فريقا" (٤)، نصب بإضمار فعل أي وأضلّ فريقا وأنشد سيويه:

أَمْبَحَتْ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ! إِنْ مَرَزَتْ بِمِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَا

وقال الكسائي والفراء: التقدير يعودون فريقا هدى وفريقا أي يعودون فريقين. قال الكسائي: وفي قراءة أبيّ (تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة) قال الفراء: ولو كان مرفوعا لجاز (٥).

ثانيا: مثال الحالة الثانية:

أعرب القرطبي قوله تعالى (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (٦) فنذكر وجهين مختلفين للإعراب،

(١) البيتان للربيع بن ضبع الفزاري من شعراء المعمرين، انظر "الكتاب" ٩٠/١ والشاهد

فيه نصب "الذئب" بإضمار فعل - والتقدير: أخشى الذئب أخشاه.

(٢) تفسير القرطبي ١٨٨/٢

(٣) "إعراب القرآن" للتحاس ١٢٢/٢

(٤) الانعام ١/

(٥) أي "فريقا" الثاني.

الاول للثعلبي^(١) والثاني لأبي جعفر النحاس ، وهذا الأخير وحده الذي نقل من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس ، وإليك نصّ الإعراب من تفسير القرطبي ومن "إعراب القرآن" :

قال القرطبي في إعراب تلك الآية^(٢) ((وحكى الثعلبي أن بعض أهل المعاني قال : "جعل" هنا زائدة ؛ والعرب تزيد "جعل" في الكلام كقول الشاعر :

وَقَدْ جَعَلْتُ أَرَى الْاِثْنَيْنِ أَرْبَعَةً وَالْوَاحِدَ اِثْنَيْنِ لَمَّا هَدَنِي الْكَبِيرُ

قال النحاس : جعل بمعنى خلق ، وإن كانت بمعنى "خلق" لم تتعدّ إلّا إلى مفعول واحد ، وقد تقدّم هذا المعنى ، ومحامل "جعل" في "البقرة" مستوفى)) .
ونصّ أبو جعفر النحاس على الوجه الثاني وحده فقال مَبْتَدِئاً بذكر الآية ((وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ))^(٣) بمعنى "خلق" فإذا كانت "جعل" بمعنى "خلق" لم تتعدّ إلّا إلى مفعول واحد))^(٤) ،

ثالثاً : مثال الحالة الثالثة :

ذكر القرطبي وجهين لإعراب لفظ "كتابه" في قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً)^(٥) ، والوجه المقدّم للكوفيين والمؤخّر للبصريين ، ولم يرجح أحد الوجهين . وهذا الإعراب ممّا لم يذكره أبو جعفر النحاس في كتابه

(١) الثعلبي هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، مفتى من أهل نيسابور وله "الكشف والبيان في تفسير القرآن" وتوفي سنة ٤٢٧ هـ (انظر "وفيات الأعيان" ١/٧٩-٨٠) .

(٢) "تفسير القرطبي" ٦/٣٨٦ . (٣) الأنعام / ١ .

(٤) انظر "إعراب القرآن" ٢/٥٥ . (٥) الحاقة / ١٩ .

"إعراب القرآن" (١)، وما يأتي نص الإعراب في تفسير القرطبي. قال القرطبي (٢)
 (("وَكِتَابِيَّةٌ" منصوب بـ "هاؤم" عند الكوفيين • وعند البصريين بـ "اقرءوا" لأنه أقرب
 العاملين)) •

هذا، وقد سبق بيان موقف القرطبي من أقوال العلماء في إعرابه للقرآن، واتضح
 موقفه في ذلك من تقديم قول على بقية الأقوال؛ لأنّ في التقديم إشارة إلى الاهتمام
 بالمقدم، سواء أكان القول المقدم ذكر صاحبه كما في الموقف الثاني أم لم يذكر كما في
 الموقف الأول؛ ولكنّ هذا التفضيل والاهتمام غير كافٍ ليدلّ أن المقدم هو اختياره • فبهذا
 كان القرطبي أعطى لنا حُرِّيَّةَ الاختيار في وجوه الإعراب المنقولة •

وأما في الموقف الثالث فيظهر تدخّل القرطبي أكثر قوة ويتجلى هذا التداخل في ردوده
 على الأقوال التي رآها غير صحيحة، ولكنّه مع ذلك ترك بقية الأقوال المقبولة دون أن يرجّح
 قولاً على قول، وهذا الموقف منحصر في الموجز الآتي:

الموقف الثالث

"إيراد وجهين أو أكثر من وجوه الإعراب، والردّ على أحدهما وترك بقيّتها من غير
 ترجيح أو اختيار" (٣) •

تنقسم ردود القرطبي على أقوال العلماء إلى ثلاثة أقسام: قسم : ردوده على أقوال

(١) انظر "إعراب القرآن" ٢٢/٥ • (٢) "تفسير القرطبي" ٢٦٩/١٨ •

(٣) وما ينبغي بيانه: أنّ القرطبي إنّ أتى بقولين وردّ على أحدهما فإنّه بهذا العمل قد
 يدخل في إطار: اختيارات القرطبي بطريقة العرض الآتي ذكرها في المبحث القادم،
 فبذلك يحدث التداخل بين المبحثين؛، صحيح هناك شيء من التداخل بين المسألتين،
 ولكنّ هناك جانبين مختلفان، فالبحث هنا في جانب الردّ فحسب، وفي المبحث القادم
 البحث في جانب المفهوم العام لعملية العرض ، فليس هناك تعارض ولا تكرار •

العلماء البصريين، وقسم آخر : ردوده على أقوال العلماء الكوفيين، وقسم ثالث: ردوده على نحاة ومفسرين ليسوا من البصريين ولا الكوفيين.

القسم الاول : ردوده على أقوال العلماء البصريين:

وجدنا ستة عشر موضعا ردّ فيها أقوالا لخمسة أشخاص من العلماء البصريين، وهم : سيويه، وأبو عبيده، وأبو حاتم السجستاني، وسعيد بن مسعدة، الأخفش والزجاج، ويأتي مواقع هذه الردود في البيان الآتي:

١- الردّ على سيويه:

ردّ القرطبي على قول سيويه مرتين^(١)، أحدهما كان الردّ من نفسه والأخرى استعان بقول المبرّد. هذا نمّ ردّه على قول سيويه:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى (فَذَرَهُمْ) ((أمر فيه معنى التهديد. قال سيويه : ولا يقال وَذَرُوا ولا وَدَعُوا، استغنوا عنهما بترك^(٢)).

قلت : هذا إنّما خرج على الأكثر. وفي التنزيل -"وَذَرِ الَّذِينَ" (٣) و "ذَرَهُمْ" (٤) و "مَا وَدَعَكَ" (٥). وفي السنة "الينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات" وقوله "إذا فعلوا - يريد المعاصي - فقد تودّع منهم" قال الزجاج: الواو ثقيلة؛ فلما كان ترك ليس فيه واو بمعنى مافيه الواو ترك مافيه الواو. وهذا معنى قوله وليس بنقض^(٦).

(١) انظرهما في "تفسير القرطبي" : ٦٨/٧ / الانعام ١١٢، و"التفسير" ٢٠٨/١٣ / النمل ٤٤ .

(٢) انظر هذه المسألة في "كتاب سيويه" ٢٥/١ و ١٠٩/٤ .

(٣) الانعام : ٧٠ .

(٤) الحجر / ٣ .

(٥) "ما ودعَكَ" بتخفيف الدال، هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعروة بن الزبير، وهي

قراءة شاذة (انظر المحاسب ٣٦٤/٢).

(٦) "تفسير القرطبي" ٦٨/٧ / الانعام ١١٢ .

تبيّن من هذا النص أنّ القرطبي ردّ على إطلاق قول سيبويه بأنّ العرب استغنوا عن وَدَرَ وَوَدَعَ بِتَرْكٍ ، فَقَيِّدْهُ بقوله : بأن الاستغناء ليس على إطلاقه وإنّما كان الاستغناء في الغالب؛ لورود ذلك اللفظ في نصوص فصيحة ، هي قراءة قرآنية وحديث نبوي شريف، ثم ذكر علّة استغناء القرطبي عن ذلك اللفظ نقلاً عن الزجاج.

وبلاحظ هنا أنّ احتجاج القرطبي بقوليه تعالى "وَدَرَ الَّذِينَ" (١) و "نُرْهِمُ" (٢) لا يتّجه احتجاجه بهما (٣)؛ لأنّه ليس في الشاهدين واو، هو موضع العلّة استثقلته العرب في النطق به، كما قال الزجاج.

(٢) الردّ على أبي عبيدة:

ردّ القرطبي على أبي عبيدة في ثلاثة مواضع، موضع استعان فيه القرطبي في ردّه عليه بقول الزجاج والنحاس (٤)، وموضع آخر استعان بقول النحاس وابن عطية (٥)، وموضع ثالث لم يذكر مصدر القول المستعان به، ولم يبدأ بقوله "قلت" (٦) وما يلي نص الموضع الاول:

قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ) (٧) ((وقال معمر ابن المُثَنَّى أبو عبيدة: "إِذْ" زائدة؛ والتقدير: وَقَالَ رَبُّكَ؛ واستشهد بقول الأسود بن يعفر:

(١) الأنعام / ٧٠ . (٢) الحجر / ٣ .

(٣) وقد أشار إلى هذه الملاحظة مُحَقِّق تفسير القرطبي، انظر التفسير ٦٨/٧/الهامش رقم

٥:

(٤) انظر "التفسير" ٣٦٢/١/البقرة ٣٠ .

(٥) انظر "التفسير" ٤٤/٣/البقرة ٢١٧ .

(٦) انظر "التفسير" ٩٦/٤/آل عمران/ ٥٠ .

(٧) البقرة / ٣٠ .

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا مَهَاءَ لِذِكْرِهِ وَالذَّهْرُ يَعْقِبُ مَالِحًا يَفْسَادُ (١)

وانكر هذا القول الزجاج والتحاس وجميع المفسرين، قال التحاس : وهذا خطأ؛ لأنَّ "إِذَا" اسم وهي ظرف زمان ليس ممّا تزداد، وقال الزجاج: هذا اجترام من أبي عبيدة؛ ذكر الله عزو وجل خلق الناس وغيرهم؛ فالتقدير: وابتدأ خلقكم إذ قال؛ فكان هذا من المحذوف الذي دلّ عليه الكلام: كما قال:

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

يريد أينما ذهب . ويحتمل أن تكون متعلّقة بفعل مقدّر تقديره: واذكر إذ قال . وقيل هو مردود إلى قوله تعالى (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) (٢) فالمعنى الذي خلقكم إذ قال ربك ربك للملائكة).

(٣) الردّ على أبي حاتم السجستاني:

ردّ القرطبي على أقوال أبي حاتم مستعينا بأقوال ابن الأنباري في خمسة مواضع (٣)، وفي موضع واحد آخر استعان بقول التحاس (٤).

وهذا نصّ أحد المواضع التي ردّ فيها القرطبي قول أبي حاتم مستعينا بقول ابن

(١) انظر اللسان "مادة مهه" و فيه "فإذا وذلك"، والمهاه الحسن، ويقال : ليس بعيشنا مهه ومهاه: أي حسن.

(٢) البقرة ٢١/٣١ .

(٣) والجدير بالذكر أنّ المواضع التي ردّ فيها أقوال أبي حاتم بأقوال ابن الأنباري في تفسير القرطبي منقولة من كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" في كتاب الله عز وجل "لأبي بكر ابن الأنباري، سواء كان النقل نصّاً أو تصرفاً، والنقل بالتصرف كالمثال المذكور. هذا، وانظر تلك الردود الخمسة في "تفسير القرطبي"، وكتاب الإيضاح على الأماكن الاتية: التفسير: ٢٩/١٢/٢٩، وانظر في "الإيضاح" ٢٨٢/٢-٢٨٣؛ والتفسير: ١٣١/١٢/٥٥، وانظر في "الإيضاح" ٧٩١/٢-٧٩٢؛ والفتسير ١٦/٢٦٢/الفتح ١/ وانظر في "الإيضاح" ٩٠٠/٢؛ والتفسير ٨٥/١٢/النجم ١-٤، وانظر "الإيضاح" ٩١٠/٢؛ والتفسير ٢٨٦/١٩/البروج ٤ وانظر "الإيضاح" ٩٧٢/٢-٩٧٣ .

(٤) انظر تفسير القرطبي: ١٥/٩/هود ١٦ .

الانباري:

قال القرطبي مُبتدئاً بذكر الآية ((قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ))^(١) أي لُعِنَ: قال ابن عباس ، كل شيء في القرآن "قُتِلَ" فهو لعن، وهذا جواب القسم في قول الفراء، واللام فيه مضمة؛ كقوله: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا. ثُمَّ قَالَ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا))^(٢) أي لقد أفلح.

وقيل : فيه تقديم وتأخير؛ أي قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ؛ قاله أبو حاتم السجستاني، ابن الانباري: وهذا غلط؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: وَاللَّهِ قَامَ زَيْدٌ؛ على معنى قَامَ زَيْدٌ وَاللَّهُ. وقال قوم: جواب القسم "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ" وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال بينهما. وقيل: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا) وقيل: جواب القسم محذوف أي والسما ذَاتُ الْبُرُوجِ لَتَبْعَنَّ، وهذا اختيار ابن الانباري^(٣).

(٤) الرد على الأخفش:

رد القرطبي على الأخفش في ثلاثة مواضع، وفي الموضعين منها استعان القرطبي بقول التحاس في رده على الأخفش^(٤)، وفي الموضع الثالث استعان بابن الانباري والفراء، وذا نص هذا الأخير:

قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)^(٥) ((قال الأخفش "كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ" وقف تام، ثم قس قصتها فقال: (اتَّخَذَتْ بَيْتًا) قال ابن الانباري: وهذا غلط؛ لأن "اتَّخَذَتْ بَيْتًا" صلة للعنكبوت، كأنه قال (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)^(٦) فيحمل صلة للحمار ولا يحسن الوقف

(١) البروج / ٤ . (٢) الشمس / ٩ .

(٣) "التفسير" ٢٨٦/١٩ / البروج / ٤ .

(٤) انظر الموضعين في "التفسير" ٤٢٤/١ / البقرة / ٦١ في إعراب قوله تعالى (مَتَى تَنْبِطُ الْأَرْضُ)؛ والتفسير ٣٩٩/٧ / الانفال / ٣٤ في إعراب قوله تعالى (وَمَالَهُمْ إِلَّا يَعْذِبرَهُمُ اللَّهُ).

(٥) العنكبوت / ٤١ . (٦) الجمعة / ٥ .

على الحمار دون يحمل، قال الفراء: هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرًا ولا بردًا، ولا يحسن الوقف على العنكبوت؛ لأنه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شيء، فشبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به^(١).

(٥) الرد على الزجاج:

رد القرطبي على الزجاج في موضعين، في أحدهما استعان بقول أبي علي الفارسي^(٢) وفي الآخر استعان بقول النحاس، وهذا نص الرد الثاني:

قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (إِلَّا تَذَكُّرُ لِمَنْ يَخْشَى)^(٣) ((قال أبو اسحاق الزجاج: هو بدل من "تشقى" أي ما أنزلناه إلا تذكرة. النحاس: وهذا وجه بعيد؛ وأنكره أبو علي من أجل أن التذكرة ليست بشقاء، وإنما هو منصوب على المصدر، أي أنزلناه لتذكّر به تذكرة، أو على المفعول من أجله، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا للتذكرة. وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، مجازة: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى، ولعلّا تشقى^(٤))).

لقد مضت ردود القرطبي على أقوال النحاة البصريين، ولكن كلّ الردود لم تكن منه شخصيًا إلا في موضع واحد وأما في بقية المواضع فكان القرطبي يستعين بأقوال النحاة، بصريين^(٥) كانوا أو كوفيين^(٦)، وتأتي ردوده على أقوال النحاة الكوفيين على النحو التالي:

(١) "تفسير القرطبي" ٣٤٥/١٣.

(٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٧٣/٨/التوبة/٥، في إعراب قوله تعالى (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ).

(٣) طه ٢، والآيتين قبلها (طه)، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.

(٤) "تفسير القرطبي" ١٦٩/١١. (٥) كرده على سيويه مستعينا بالمبرد.

(٦) كرده على أبي حاتم مسعينا بابن الانباري والفراء.

القسم الثاني: ردوده على أقوال النحاة الكوفيين:

ردّ القرطبي على واحد وعشرين قولاً للنحاة الكوفيين جماعةً وأفراداً، والأفراد هم:

الكسائي والفراء، ومحمد بن جرير الطبري.

وكان القرطبي في ردوده على هؤلاء النحاة يمتنع بأقوال النحاة والمفسرين

الآخرين إلا في أحد ردوده على الطبري؛ إذ بدأه بقوله: «قلت»^(١)، وها هي مواقع

هذه الردود:

(١) الردّ على الكوفيين (جماعة).

رد القرطبي على أقوال الكوفيين أربع مرات^(٢)، في الأولى استعان في ردّه عليهم بقول الزجاج، وفي الثانية استعان بقول أبي علي الفارسي وفي الثالثة والرابعة استعان بقول النحاس. وذا نص ردّه على قول الكوفيين مستعينا بأبي علي الفارسي: قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)^(٣) ((نصب على المصدر المؤكد، أي حرمت هذه النساء كتاباً من الله عليكم، ومعنى "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ" كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، والكوفيون: هو نصب على الإغراء أي الزموا كتاب الله أو عليكم كتاب الله. وفيه نظر على ما ذكره أبو علي: فإن الإغراء لا يجوز فيه تقديم المنصوب على حرف الإغراء، فلا يقال: زيّدًا عليك، أو زيّدًا دونك، بل يقال: عليك زيّدًا ودونك عمروا؛ وهذا الذي قاله صحيح على أن يكون منصوباً بـ "عليكم" وأمّا على تقدير حذف الفعل

(١) انظر ذلك في "التفسير" ٣٤/٢ / البقرة ٩٦ في إعراب قوله تعالى (وَمَا هُوَ بِمُرْجَحِمٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَذَّبَ)

(٢) انظر ذلك في "التفسير" ٣٥٣/٣ / البقرة ٢٧٥ في اشتقاق لفظ "الربا"؛ و"التفسير" ١٢٣/٥ / النساء ٢٤، في إعراب (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)؛ و"التفسير" ١٠١/١٣ / الشعراء ٥٤، في إعراب (إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشَرِّ نَسَمَةٍ قَلِيلُونَ)؛ و"التفسير" ١٠٤/١٥ / الصافات ١٠٣، في إعراب (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّى لِلْجَبِينِ).

(٣) النساء ٢٤.

فيجوز، ويجوز الرفع على معنى هذا كتابُ الله وفرضه^(١).

ويلاحظ من هذا النص أن القرطبي حين انتفع بقول من أقوال العلماء ورأى أن المنقول يحتاج إلى زيادة التوضيح والتحديد حتى يصبح واضحاً وعلى حدوده الصحيحة قام بذلك؛ كقيامه بوضع حدود لعدم جواز تقديم المغري به على عامله، وذلك إذا كان العامل حرفاً مثل "عليكم"؛ لأن ما قام مقام الفعل عامل ضعيف فليس له في التقديم تصرف، وهذا مذهب البصريين^(٢).

(٢) الردّ على الكسائي:

ردّ القرطبي على الكسائي مَرتين؛ ففي المَرّة الأولى استعان بالتحّاس وفي الثانية استعان بابن عطية^(٣) وما يأتي نقّ الردّ الأوّل:

قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)^(٤) ((قال الكسائي "ذِكْرِي" في موضع نصب على الحال، النحاس: وهذا لا يحصل، والقول فسيه قول الفراء وأبي إسحاق أنّها في موضع نصب على المصدر؛ قال الفراء: أي يذكرّون ذكرى؛ وهذا قول صحيح: لأنّ معنى "إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ" إِلَّا لَهَا مُذَكِّرُونَ. وَذِكْرِي لَا يَتَّبِعُ فِيهِ إِعْرَابٌ؛ لأنّ فيها ألفاً مقصورة))^(٥).

(٣) الردّ على الفراء:

ردّ القرطبي على أقوال الفراء في اثْنَيْ عَشَرَ موضعاً، وكل الردود ليست منه وإنما كانت نقولاً استعان بها من ابن الأنباري مرة^(٦)، وبالزجاج خمس مرات^(٧)

(١) "التفسير" ١٢٣/٥ .

(٢) انظر "المقتضب" للمبرّد ٢٨٠/٣ و "املاء ما من به الرحمن" ١٧٤/١-١٧٥ .

(٣) انظر في "التفسير" ٣٩/٢ البقرة/١٠٠ ، في إعراب (أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا) .

(٤) الشعراء/٢٠٩ . (٥) "التفسير" ١٤١/١٣ .

(٦) انظر في تفسير القرطبي* ١٩/٢٧٠/الانشقاق/١-٢ في إعراب (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) .

(٧) انظر ذلك في هذه الأماكن: "التفسير" ٢٢٧/٧/الأعراف/٥٦، في إعراب (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ==

وبالنحاس ست مرات (١).

فكان يرّد على الفراء مستعينا بالنحاس في تفسيره لقوله تعالى (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا وَقَوْمَ نُوحٍ) (٢) ((في نصب "قَوْم" أربعة أقوال: العطف على الهاء، والميم في "مَرَّناهم" الثاني بمعنى اذْكُرْ، والثالث: باضمار فعل يفسره ما بعده؛ والتقدير: وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم، الرابع: أنه منصوب بـ "أَغْرَقْنَاهُمْ" قاله الفراء، وردد النحاس : قال : لأن "أغرقنا" ليس مما يتعدى الى مفعولين فيعمل في المضر وفي "قَوْمَ نُوحٍ") (٣).

(٤) الرد على محمد بن جرير الطبري:

رد القرطبي على الطبري في ثلاثة مواضع، في موضع كان الرد من القرطبي نفسه

== قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِ)؛ والتفسير ٢٤٣/٧/الاعراف/٨٠، في اشتقاق "لوط"؛ والتفسير ١٢١/٩/يوسف/٤، في اعراب (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ)؛ والتفسير ٧٥/١١/مريم/١، في اعراب (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ)؛ والتفسير ٣٩٥/١١/الانبياء/٤٨ في اعراب (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً)؛

(١) انظر ذلك في هذه الاماكن : التفسير ٣١/١٣/الفرقان/٣٧، في اعراب (قوم نوح)؛ والتفسير ١٣٩/١٣/الشعراء/٢٠٠-٢٠١ في اعراب (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) ؛ والتفسير ٦/١٤/الروم/٢ في اعراب (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)؛ والتفسير ٢٢/١٥/يس/٣٠ في اعراب (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ)؛ والتفسير ٢٤/١٥/يس/٣٤ ، في اعراب (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ)؛ والتفسير ٧٢/١٥/الصافات/٢٠، في اعراب (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين)؛

(٢) الفرقان/٣٧ .

(٣) التفسير ٣١/١٣ .

وفي الاثنين الآخرين كان يستعين بابن عطية^(١) وابن العَرَبِي^(٢) كُلٌّ على حدة، وذا
نَصْر رَدّه على الطبري معتمداً على نفسه:

أعرب القرطبي قولَ الله تعالى (وَمَا هُوَ بِمُزْحَرْجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ)^(٣)
فقال^(٤) ((اختلف النحاة في "هو"، ف قيل: هو ضمير الأحد المتقدم، التقدير ما
أُحْدَهُمْ بِمُزْحَرْجٍ، وخبر الابتداء في المجرور "أَنْ يُعْمَرَ" فاعل بمزحرجه وقالت فرقة:
هو ضمير التعمير، والتقدير وما التعمير بِمُزْحَرْجٍ، والخبر في المجرور "أَنْ يُعْمَرَ"
بدل من التعمير على هذا القول. وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت "هو" عماد.

قلت، وفيه بعد، فَإِنَّ حَقَّ العماد أن يكون بين شيئين متلازمين؛ مثل قوله: (إِنْ
كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ)^(٥)، وقوله (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)^(٦) ونحو ذلك. وقيل:
"ما" عاملة حجازية، و"هو" اسمها، والخبر في "بِمُزْحَرْجٍ" وقالت طائفة: "هو" ضمير
الأمر والشأن، ابن عطية: وفيه بعد، فَإِنَّ المحفوظ عن النحاة أن يفسر بجملة سالمة من
حَرْف جر)).

والجدير بالذكر هنا أَنَّ ما حكاه الطبري^(٧) هو مذهب بعض الكوفيين^(٨)، وذلك؛
لأنَّ العماد في مذهبهم يجوز أن يتقدّم مع الخبر على المبتدأ، فإذا قلت: "ما زيد هو
القائم" جَوَزُوا أن تقول: مَا هُوَ الْقَائِمُ زَيْدٌ^(٩)، وأما ما ذكره القرطبي فهو مذهب
البريين^(١٠).

(١) انظر ذلك في تفسير القرطبي " ٣٦٤/١٠ / الكهف / ١٢ في إعراب (أُحْصِيَ لِمَا لَبِثُوا
أَمْدًا).

(٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٣٤٨/٩ / إبراهيم / ١٣ في إعراب (أَوْ لَتَعُوْدُنَّ).

(٣) البقرة / ٩٦ . (٤) "التفسير" ٣٤/٢ .

(٥) الانفال / ٣٢ . (٦) الزخرف / ٢٦ .

(٧) بل القول بأن "هو" عماد هو اختيار الطبري، انظر تفسير الطبري ٣٢٤/٢ .

(٨) انظر تفسير البحر المحيط ٣١٦/١ .

(٩) المصدر نفسه، ٣١٦/١ . (١٠) المصدر نفسه ٣١٦/١ .

واستنبط من ذلك أن رده على الطبري وذكره لشرط العماد أن يكون متوسطاً، ميل منه إلى مذهب البصريين.

القسم الثالث:

ردوده على نحاة ومفسرين ليسوا من البصريين ولا الكوفيين، وهم : ابن قتيبة "البغدادي وأبو جعفر النحاس المصري، ومكي بن أبي طالب الأندلسي وعبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري النيسابوري، وذا تفصيله :

(١) الرد على ابن قتيبة الدينوري:

ردّ القرطبي على قول ابن قتيبة، ولم يشر إلى أنه من غيره، قال: في اختلاف رجوع الهاء في قوله تعالى (يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ) (١) ((أي يخلقكم وَيُنشِئُكُمْ فِيهِ" أي في الرحم، وقيل : في البطن . وقال الفراء وابن كيسان: "فيه" بمعنى "به". وكذلك قال الزجاج: معنى "يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ"، يكثركم به؛ أي يكثركم بجعلكم أزواجاً، أي حلائل؛ لِأَتَّهَنَ سبب النسل . وقيل : إنَّ الهاء في "فيه" للجعل، ودلّ عليه "جعل"؛ فكأنه قال: ويخلقكم ويكثركم في الجعل . ابن قتيبة: "يَذْرُؤُكُمْ به" أي في الزوج؛ أي يخلقكم في بطون الإناث، وقال : ويكون "فيه" في الرحم (٢)، وفيه بعد؛ لأنَّ الرحم مؤنثة ولم يتقدم لها ذكر)) (٣).

(٢) الردّ على النحاس :

ردّ على أبي جعفر النحاس، الذي كان كتابه "إعراب القرآن" المصدر الأساسي عند القرطبي في بناء تفسيره النحوي، ردّ عليه مرتين، مستعيناً بقول

(١) الشورى ١١/ .

(٢) انظر قول ابن قتيبة في كتابه "تفسير غريب القرآن" ٣٩١/ .

(٣) "التفسير" ٨/١٦ .

المهدي (١) أولا (٢)، وابن عطية ثانيا. قال في تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ) (٣) ((نصب على النعت لـ "قَوَّامِينَ" وإن شئت كان خبرا بعد خبر. قال النحاس: وأجود من هذين أن يكون نصبا على الحال بما في "قوامين" من ذكر الذين آمنوا؛ لأنّه نفس المعنى، أي كونوا قَوَّامِينَ بالعدل عند شهادتكم. قال ابن عطية: والحال فيه ضعيفة في المعنى؛ لأنّها تخصيص القيام بالقسط إلى معنى الشهادة فقط (٤)).

(٣) الردّ على مكي بن أبي طالب الأندلسي :

ردّ القرطبي ماذهب إليه مكي بن أبي طالب، واستعان في ردّه عليه بقول ابن عطية، وكان ذلك في إعراب قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (٥) فقال (٦) (("ابتغاء" مفعول من أجله. و "تثبيئًا من أنفسهم" عطف عليه. وقال مكي في المشكل: كلاهما مفعول من أجله. قال ابن عطية: وهو مردود ولا يصحّ في "تثبيئًا" أنه مفعول من أجله؛ لأنّ الاتفاق ليس من أجل التثبيئ، و "ابتغاء" على المصدر في موضع الحال. وكان يتوجّه فيه النصب على المفعول من أجله، لكنّ النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو

(١) المهدي: هو أحمد بن عمار المهدي التميمي، أبو العباس، مُقرّيء أندلسي أصله من المهدية بالقيروان، وله التفصيل الجامع لعلوم التنزيل في التفسير، المتوفي سنة ٤٤٠هـ (هدية العارفين ١/٧٥).

(٢) انظر ذلك في "التفسير" ٢٢٦/١١ طه/٧٣، في إعراب (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيِّمْ مِنَ السِّحْرِ).

(٣) النساء/١٣٥.

(٤) تفسير القرطبي ٤١٢/٥.

(٥) البقرة ٢٦٥.

(٦) "تفسير القرطبي" ٣١٤/٢.

"تَثْبِيْثًا" عليه)) .

(٤) ردّه عبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري:

قام القرطبي نفسه بردّ ما ذهب إليه القشيري^(١)، فافتتح ردّه عليه بقوله "قلت"، فقال في إعراب قوله تعالى (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)^(٢) ((وَالرُّؤْيَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَطْفًا عَلَى "الْجَزَى" أَي لِيَجْزِيَ وَلِيَرَى، قَالَ الزَّجَاجُ وَالْفَرَاءُ: وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : "الْجَزَى" مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ "لَتَأْتِيَنَّكُمُ السَّاعَةُ" . وَلَا يُقَالُ : لَتَأْتِيَنَّكُمُ السَّاعَةُ لِيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْقُرْآنَ حَقًّا وَإِنْ لَمْ تَأْتِهِمُ السَّاعَةُ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ رَفَعَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ .

قلت: وإذا كان "الْجَزَى" متعلّقًا بمعنى "أُثْبِتَ ذلك في كتاب مبين"^(٣) فيحسن عطف و "يرى" عليه ، أي وَأُثْبِتَ أيضًا ليرى الذين أُوتُوا العلم أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ . ويجوز (أن يكون مستأنفًا))^(٤) .

وفي ختام البحث في موقف القرطبي الثالث من أقوال النحاة السابقين واجهنا السؤال نفسه الذي واجهنا في بيان موقفه الأول والثاني: هو إذا كانت الأقوال التي استعان بها القرطبي في الردود منقولة من المصدر نفسه الذي نقل منه الأقوال المردود عليها؛ أو بعبارة أخرى : إذا كان الردّ والمردود عليه منقولين من مصدر واحد فما

(١) القشيري هو : أبو نصر عبدالرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، النحوي المتكلم، المتوفى سنة ٥١٤هـ (أنظر "سير اعلام النبلاء" ٤٢٤/١٩-٤٢٦) .

(٢) سبأ / ٦ .

(٣) يعني معنى الآية التي قبلها (٠٠، رآ في كتاب مبين) .

(٤) "تفسير القرطبي" ٢٦١/١٤ .

وظيفة القرطبي في هذه الحالة؟*

من أجل ذلك فإن هناك ثلاث درجات لردود القرطبي على أقوال النحاة السابقين*

أولاً:

أن يكون الرد والمردود عليه منقولين من مصدر واحد، سواء كان النقل نما أو بتصرف، فبهذا كان هنا الصنف أضعف الدرجات؛ ولكن ذلك لا ينفي وجود صلة بموقف القرطبي؛ لأن القرطبي الذي فهم مضمون المنقول لا يمكن نقل المنقول كما هو إذا لم يقتنع ويقبل صحته. وهذا الاقتناع والقبول نوع من موافقه.

ومثال هذا الصنف الردود المادرة من ابن الأنباري على أقوال أبي حاتم السجستاني، فكل هذه الردود منقولة من مصدر واحد هو كتاب "إيضاح الوقت والابتداء في كتاب الله عز وجل" لابن الأنباري^(١). وكذلك الردود على الفراء الواردة من الزجاج^(٢) أو النحاس^(٣) كلها منقولة من كتاب "أعراب القرآن" للنحاس.

(١) نكتفي هنا بالإشارة إلى أماكن تلك الردود في تفسير القرطبي ومصادرها؛ لأن كل ذلك قد سبق تمثيله؛ وأما ردود ابن الأنباري على أبي حاتم فقد ذكرنا أماكنها في "تفسير القرطبي" وفي كتاب "إيضاح الموقف والابتداء" جميعاً في الهامش الرقم ٢/ الصفحة () من هذه الرسالة.

(٢) انظر ذلك - مثلاً - في المواضع الآتية، التفسير ٢٢٧/٦، الأعراف ٥٦/، في أعراب (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين) وانظر في "أعراب القرآن" ١٣٢/٢؛ والتفسير ٢٤٣/٧، الأعراف ٨٠/، في اشتقاق "لوط"، وانظر في "أعراب القرآن" ٤/٣؛ والتفسير ٧٥/١١ / مريم ١/، في أعراب (نُكِرَ رحمة ربك) وانظر في "أعراب القرآن" ١٣٧/٢؛ والتفسير ٢٩٥/١١ / الأنبياء ٤٨/، في أعراب (ولقد آتينا موسى وهارونَ الفرقانَ وضياءً) وانظر "أعراب القرآن" ٧٢/٣.

(٣) انظر ذلك - مثلاً - في المواضع الآتية: التفسير ٣١/١٣ / الفرقان ٣٧/، في أعراب (وقومٌ نوح) وانظر أيضاً في "أعراب القرآن" ١٦١/٣؛ والتفسير ٦/١٤، الروم ٢/، في

ثانياً :

أن يكون المردود عليه منقولاً من مصدر والردّ منقول من مصدر آخر؛ أو هناك دليل أنّ القرطبي راجع إلى مصدر كلّ منهما (أي الردّ والمردود عليه) وهذا الصنف أقوى درجة من الصنف الأول؛ لأنّ تدخل القرطبي في نقل الأقوال أكثر وضوحاً، ولكنّ هذا الصنف أقلّ عدداً من الأول.

ومثال النوع الأول من هذا الصنف ردّ القرطبي على قول النحاس مستعينا بابن عطية^(١)، ومثال النوع الثاني ردّ القرطبي على قولي أبي عبيدة، حيث اعتمد القرطبي على الزجاج والنحاس في الردّ الأول^(٢)، واعتمد على النحاس وابن عطية في الردّ الثاني^(٣).

ثالثاً :

أن تكون الردود من القرطبي شخصياً ويفتح هذه الردود - في الأغلب - بقوله: "قلت"؛ وهذا الصنف أقوى الدرجات ولكنّها أقلّها عدداً.

= = اعراب (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ) وانظر في "إعراب القرآن" ٢٦٢/٣؛ والتفسير ٢٢/١٥ يس / ٣٠، في إعراب (يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ) وانظر في "إعراب القرآن" ٣٩٢/٣ .

(١) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٤١٢/٥ النساء / ١٣٥، في إعراب (شَهَدَاءَ لِلَّهِ) وانظر في ذلك أيضاً في إعراب القرآن للنحاس ٤٩٤/١، و "المحرر الوجيز" لابن عطية ٢٥٥/٤ .

(٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٢٦٢/١ البقرة / ٣٠، في إعراب (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ) وانظر "إعراب القرآن" للزجاج ١٢/١، و "إعراب القرآن" للنحاس ٢٠٧/١ .

(٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٤٤/٣٢ البقرة / ٢١٢، في إعراب (قَتَالٍ فِيهِمْ) ، وانظر "إعراب القرآن" للنحاس ٣٠٧/١، و "المحرر الوجيز" لابن عطية ٢٢٠/٢ .

وكان ذلك في ردوده على كل من سيبويه^(١)، ومحمد بن جرير الطبري^(٢) وعبدالرحيم ابن عبدالكريم القشيري^(٣).

هذا ويستخلص من موقف القرطبي الثالث من النحاة السابقين، أن القرطبي لم يميز مذهباً على مذهب، بصرياً كان المذهب أو كوفياً: فهو لا ينظر إلى مصادر الأقوال؛ فإذا كانت الأقوال صحيحة - في رأيه - قبلها وإذا كانت غير ذلك ردّها فإذا كانت الأقوال صحيحة - في رأيه - قبلها وإذا كانت غير ذلك ردّها - سواء كانت ردوده عليها بطريقة مباشرة؛ لأن الردود منه شخصياً، حيث ابتدأ في كل منهما بقوله: "قلت"، أو بطريقة غير مباشرة؛ لأنه استعان في الرد بأقوال غيره من النحاة والمفسرين.

وبهذا تم عرض ثلاثة أنواع لموقف القرطبي من ناحية القبول والرفض لأقوال النحاة السابقين التي لم تصل إلى حد الاختيار؛ وأما اختياراته النحوية فيبحث في المبحث الآتي.

-
- (١) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٦٨/٧ / الانعام/ ١١٢ في قول سيبويه أن العرب استغنوا عن وذر وودع بترك.
- (٢) انظر ذلك في "التفسير" ٣٤/٢ / البقرة / ٩٦، في اعراب (وما هو بمزحرجه من العذاب أن يُعمر) وانظر في تفسير الطبري ٣٧٤/٢ .
- (٣) انظر التفسير ٣٦١/١٤ . سبأ ٦ ، في اعراب (ويرى الذين أوتوا العلم).

المبحث الثاني : اختيارات القرطبي النحوية

سبق - في المبحث السابق - دراسة في موقف القرطبي من أقوال النحاة السابقين من ناحية القبول والرفض التي لم تمل إلى حد الاختيار؛ ويأتي الآن البحث في اختياراته النحوية، ونتبين ذلك من ثلاث ظواهر لطرق الاختيار عند القرطبي؛ الأولى: الاكتفاء بقول واحد في إعرابه لآية من آيات القرآن، والثانية: عرض القولين أو أكثر ورد بعضها وترك الآخر، حيث يفهم منه أنه اختار أحدها، والثالثة: التصريح بالفاظ توضح أنه اختار أحد الأقوال، ويمكن تفصيل هذه الطرق والتمثيل لها على النحو الآتي:

الطريقة الأولى : الاكتفاء بقول واحد في إعرابه للقرآن:

بلغت الحالات التي اقتصر القرطبي فيها على وجه واحد في الإعراب ستاً وعشرين مرة، ووافق في ست عشرة مرة منها البصريين، ووافق في سبع مرات أقوال الكوفيين، وثلاث مرات لابن كيسان البغدادي، ويتوزع العدد لأفراد الفئتين على ما يأتي:

(١) الاكتفاء بقول سيبويه:

حظي سيبويه عند القرطبي باهتمام ملحوظ؛ إذ كان اقتماره على قول سيبويه في إعرابه للقرآن يبلغ تسع مرات^(١)، وهو عدد عالٍ بالقياس إلى انتفاعه بالنسحاة البصريين والكوفيين على هذه الحالة، وإليك المثال:

اكتفى القرطبي بذكر قول سيبويه وحده في إعرابه للفظ (بَغْتَةً) من قوله

(١) انظر ذلك في هذه الأماكن: "تفسير القرطبي" ٤٣٨/١ / البقرة ٦٤ / في إعراب (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)؛ و "التفسير" ٣٨١/٥ / النساء ١١٣، في إعراب (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ)؛ و "التفسير" ٤٢٦/٦ / الانعام ٤٤، في إعراب (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً)؛ و "التفسير" ٣٦٧/٦ / المائدة ١١٤ / في إعراب (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا)؛ و

تعالى (أَخَذْنَاهُمْ بِغَنَّةٍ) (١) إِذْ قَالَ (٢) ((بَغْنَةً)) مصدر في موضع الحال لا يقاس عليه عند سيويه))^{*}

(٢) الاكتفاء بقول سعيد الأخفش وحده:

اكتفى القرطبي بقول الاخفش وحده في إعرابه للقرآن في ثلاثة مواضع، منها قوله في قوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) (٣) ((قال الأخفش سعيد ، "لا" زائدة" والمعنى ولا الظلمات والنور، ولا الظل والحور)) (٤) (٥).

(٣) الاختصار على قول الزجاج:

اقتصر القرطبي على قول الزجاج في اعرابه للقرآن ثلاث مرّات، ومثال أحدها مايلي:
أعرب القرطبي قوله تعالى (فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا) (٦) فَذَكَرَ قَوْلَ الزَّجَّاجِ وحده

== "التفسير" ٣٣٩/١٠ / الاسراء/٦٧ في إعراب (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْنٍ)؛ و "التفسير" ٩١/١٣ / الشعراء ٦٧، في إعراب (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) ؛ و "التفسير" ٩٩/١٣ / الشعراء ٣١، في إعراب (فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)؛ و "التفسير" ١٧٧/١٤ / الاحزاب ٣٢، في إعراب (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)؛ و "التفسير" ٢٦٥/١٥ / الزمر ٤٦، في اعراب (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ).

(١) الأنعام / ٤٤ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٤٢٦/٦ .

(٣) فاطر / ٢٠-١٩ . (٤) "التفسير" ٣٣٩/١٤ .

(٥) انظر الموضعين الآخرين في "التفسير" ٤٦/٦ / المائدة ٢، في اعراب (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) ، و "التفسير" ١٠٩/١٣ / الشعراء ٧٢، في إعراب (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ) .

(٦) النساء / ١٦٠ .

فقال (١) ((قال الزجاج؛ هذا بدل من (فِيمَا نَقُصُّهُمْ) (٢) (٣)

(٤) الاقتصار على قول البصريين:

اقتصر القرطبي على قول البصريين بأن "مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ" واحد وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) (٤) إذ قال (٥) ((مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ واحد، وكذا مَيِّتٌ وَمَيِّتَةٌ، هذا قول الحدائق من النحويين، وقال محمد بن يزيد: هذا قول البصريين، ولم يستثن أحدا، واستدل على ذلك بدلائل قاطعة، وأنشد (٦)؛

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَحَيٍّ كَأَسْفًا بَالَهُ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

قال : فهل ترى بين مَيِّتٍ وَمَيِّتٍ فرقا، وأنشد:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ بَنُويسِرٍ سَوَّاسُ مَكْرُمٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ (٧)

قال : فقد أجمعوا على أن هينون ولينون واحد، وكذا مَيِّتٌ وَمَيِّتَةٌ، وسيدا وسيدا) .
هذه هي المواضع اقتصر فيها القرطبي على أقوال البصريين في إعرابه للقرآن، وأما
المواضع السبعة الأخرى التي اكتفى فيها بأقوال الكوفيين أفرادا وجماعة فهي كالاتي:

- (١) "تفسير القرطبي" ١٢/٦ .
- (٢) النساء / ١٥٥ .
- (٣) أنظر الموضعين الآخرين في "التفسير" ١٥٨/١٣ / النمل / ٨ ، في إعراب (أَنْ بَوْرَكَ) ؛
و"التفسير" ١٥٣/١٩ ، / الانسان / ٣١ ، في إعراب (وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا .
- (٤) فاطر / ٩ . (٥) "التفسير" ٣٢٦/١٤ .
- (٦) الشعر لعدي بن الرعلاء الغساني (انظر: "الأصمعيات" ص ١٥٢ ، وفيه (.....) دليلا
سيئا باله (.....) .
- (٧) البيت لعبيد بن العرنؤس الكلابي، (أنظر "الكامل" ٧٨/١ ، وفيه ذُووٌ يَسْرُ) .

(١) الاقتصار على الكسائي مشتركا مع الفراء.

اقتصر القرطبي على قول الكسائي مشتركا مع الفراء في أربعة مواضع (١)، منها قوله في قول الله تعالى (حتى يقول) (٢) ((نصب بـ "حتى" فلذلك حذفت منه النون (٣))، هذا عين ما ذهب إليه الكسائي والفراء في أن "حتى" هي الناصبة - خلافا للبصريين الذين قالوا بأنَّ النصب بـ "أن" لازمة الإضمار بعد "حتى" (٤).

(٢) الاقتصار على قول الفراء في موضع، وفي موضع آخر مشتركا مع المؤرج (٥).

اقتصر القرطبي - في اعرابه للقرآن - على قول الفراء وحده في موضع، وفي موضع آخر اقتصر على قول منسوب إلى الفراء والمؤرج معا، واليك توضيح الموضعين:

فسر القرطبي قول الله تعالى (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) (٦) فذكر قول الفراء وحده وقال (٧) ((قال الفراء "لا صلة اي ولا تستوى الحسنة والسيئة" وأنشد:

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ (٨).

(١) انظر ذلك في الأماكن التالية : "التفسير" ٤٦٣/٣ / البقرة ٢١٦ ، في إعراب (حَتَّى يَرُدُّوكُمْ) ؛ و "التفسير" ٢٥٩/٧ / الأعراف ١١٥ ، في إعراب (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) ؛ و "التفسير" ٢٧٢/٧ ، والاعراف ١٣٧ ، في إعراب (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) ، والموضع الرابع نذكرها في المتن.

(٢) البقرة ١٠٢ .

(٣) "التفسير" ٥٤/٢ .

(٤) أنظر "معجم الهوامع" للسيوطي ١١١/٤ - ١١٢ .

(٥) والمؤرج هو : مؤرج بن عمر بن الحارث السدوسي، عالم بالعربية والأنساب المتوفى سنة ١٩٥ هـ (انظر "بغية الوعاة" للسيوطي ٣٠٥/٢ ، رقم الترجمة ٢٠٣٧).

(٦) فصلت ٣٤ . (٧) "التفسير" ٣٦١/١٥ .

(٨) البيت لجريز (انظر "شرح ديوان جريز" طبعة دار المعارف ١٩٦٩، ص ١٥٩، وفيه يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ دِينَهُمْ).

أراد "أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ" أي لا يستوى ما أنت عليه من التوحيد، وما المشر كون عليه من الشرك))^(١)

الموضع الثاني:

فسر القرطبي قوله تعالى (وَقَالَ سَاجِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)^(١) فذكر وجهاً واحداً فقط ونسبه إلى المؤرج والفراء إذ قال ^(٢) (("أو" بمعنى الواو؛ لأنهم قالوا هما جميعاً، قاله المؤرج والفراء، وأنشد بيت جرير:

أَشْعَلَبَةُ الْفَوَارِسِ أَوْ رِيحًا عَدَلَتْ بِهِمْ طَهْيَةً وَالْخِشَابُ^(٣) .

وقد توضع "أو" بمعنى الواو، كقوله تعالى: (وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا)^(٤) والواو بمعنى "أو"، كقوله تعالى (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا)^(٥) وقد تقدم جميع هذا))^(٦)

٣) الاقتصار على قول الكوفيين:

وكان ذلك في إعراب قول الله تعالى (وَجَاءَ الْمَعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ)^(٦) إذ قال ^(٧) (((لِيُؤْذَنَ) نصب بلام "كى"))) فهذا مذهب الكوفيين^(٨) .

(١) الذاريات ٣٩/١٢ (٢) "تفسير القرطبي" ٥٠/١٢ .

(٣) انظر ديوانه / ص ٨١٤ . وَطَهْيَةً - كَسْمِيَّةً - حِيٍّ من تعميم نسبوا إلى أمهم، والخِشَابُ: بَطُون من تعميم أيضا ("اللسان" مادة "طهى" و"خشب" والشاهد فيه قوله "أو رياحا" أي "ورياحا")^(٤)

(٤) الانسان ٢٤/٣ (٥) النساء ٣/٣

(٦) التوبة ٩٠/٨ (٧) "تفسير القرطبي" ٢٢٥/٨ .

(٨) "معجم الهوامع" ١٣٩/٤ .

إلى هنا تمّ عرض المواضع التي انفرد فيها القرطبي بأقوال البصريين أو الكوفيين، وتبقى الآن ثلاث مواضع انفرد فيها بأقوال ابن كيسان البغدادي، وهو ممن خلط المذهبين^(١) البصري والكوفي، وما يأتي عرض أحد هذه المواضع^(٢).

أعرب القرطبي قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) فذكر أنّ (("من" رفع بالابتداء والخبر في المجرور))^(٣) فالخبر عنده هو العامل المحذوف في المجرور (أي "كائن" أو نحوه) هذا عين مذهب بن كيسان^(٤)؛ وليس المجرور نفسه هو الخبر، خلافا لما ذهب إليه أبو علي الفارسي وابن جني^(٥).

تجلى من البحث في اختيارات القرطبي النحوية بالطريقة الأولى، أنّ القرطبي اهتم بأقوال سيبويه اهتماما أكثر من اهتمامه بأقوال النحاة الآخرين من البصريين أو الكوفيين؛ وذلك لأنّه قد اقتصر بقول سيبويه في تسعة أعاريبه للآيات القرآنية، وتحلّ أقوال الكسائي مشتركا مع الفراء مرتبة ثانية بعد سيبويه؛ إذ اقتصر القرطبي بقول واحد منسوب إلى الكسائي والفراء معا في أربعة مواضع للإعراب.

وتجلى أيضا أنّ القرطبي لا يبحر بشكل واضح إلى مذهب معيّن؛ إذ كانت اختياراته النحوية في هذه الطريقة قد تجاوزت حدود المذاهب، فاختر رأيا بصريا إذا رآه صوابا، واختار مذهباً كوفيا إذا كان صحيحاً - أو غيرهما.

هذا، وفي ختام دراسة اختياراته النحوية بالطريقة الأولى، اعترض احتمال هو: أنّ الانفراد بالأقوال ليس نتيجة اختيار، وإنّما كان نتيجة اعتماد القرطبي على كتاب "إعراب القرآن" حيث نقل منه الأعاريب كما هي؛ أو أنّ الانفراد بالأقوال ليس من باب الاختيار،

(١) ابن كيسان هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، من أهل بغداد، وله "معاني

القرآن"، توفي سنة ٢٩٩هـ (انظر "الفهرست" تحقيق ناهد عباس عثمان/١٦٠).

(٢) انظر الموضعين الآخرين في: "التفسير" ٣٤٥/٨ / يونس ٤٠، في إعراب (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ)؛ والتفسير ٣٢/٣ / البقرة ٢١٣، في إعراب (لِيَحْكُمَ).

(٣) "التفسير" ٢١٠/٨ (٤) انظر "معجم الهوامع" ٢٢-٢١/٢.

(٥) المصدر نفسه ٢٢/٢.

ولكن التراكيب النحوية التي أعربها القرطبي ليست من مسائل خلافية فاحتاج إلى اختيار أو ترجيح!، والاصوليون قالوا: الدليل، إذا تطرّق إليه احتمال سقط به الاستدلال! (١).

فأجيب عن ذلك: صحيح أنّ هذه الأعراب التي اقتصر فيها القرطبي على قول واحد كاد أن يكون نصفها من أعمال أبي جعفر النحاس في كتابه "إعراب القرآن" ونقلها القرطبي نصّاً إلى تفسيره دون نقص أو زيادة (٢)، ولكن - كما بيّناه في المسائل السابقة - أنّ كتاب "إعراب القرآن" للنحاس ليس مصدراً وحيداً لتفسير القرطبي النحوي، وأننا وجدنا الإعراب التي اقتصر فيها القرطبي على قول واحد هنا - أكثرها غير منقول من ذلك الكتاب (٣).
وأما الافتراض بأن سبب اكتفاء القرطبي بقول واحد في الإعراب هو: لأن المسألة ليست

-
- (١) انظر "كتاب الاقتراح في علم أصول النحو" للسيوطي ص ٢٩، بتصرف.
(٢) انظر بعض مواضع ذلك في "تفسير القرطبي" وفي "إعراب القرآن" للنحاس: "التفسير" ٥٤/٢ البقرة/١٠٢، في إعراب (حَتَّى يَقُولَا) وانظر في "إعراب القرآن" ٢٥٣/١؛ و"التفسير" ٣٨١/٥ النساء/١١٣؛ في إعراب (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ) وفي "إعراب القرآن" ٤٨٧/١؛ و"التفسير" ٣٦٧/٦ المائدة/١١٤، في إعراب (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا) وفي "إعراب القرآن" ٥٠/٢، و"التفسير" ٩٩/١٣ الشعراء/٣١، في إعراب (فَأَتِ بِمِثْلٍ مِّثْلٍ مِّنَ الصَّادِقِينَ) وفي "إعراب القرآن" ١٧٨/٣؛ و"التفسير" ١٥٨/١٣ النمل/٨، في إعراب (أَنْ يَبْرُكَ) وفي "إعراب القرآن" ١٩٩/٣؛ و"التفسير" ٣٣٩/١ فاطر/١٩-٢١، في إعراب (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) وانظر في "إعراب القرآن" ٣٦٩/٣؛ و"التفسير" ٢٦٥/١٥ الزمر/٤٦، في إعراب (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وفي "إعراب القرآن" ١٥/٤، وغيرها.

- (٣) انظر أعرابه من هذا الصنف التي لم ينقلها من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس: "التفسير" ٤٦/٣ البقرة/٢١٦ في إعراب (يُرَدُّوكُمْ) وانظر أيضاً في "إعراب القرآن" ٣٠٦/١؛ و"التفسير" ٤٢٦/٦ الانعام/٤٤، في إعراب (بَغْتَةً) وانظر "إعراب القرآن" ٦٧/٢؛ و"التفسير" ٢١٠/٨ التوبة/٧٥، في إعراب (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) و"إعراب==

مسألة خلافية، فليس للقرطبي مجال لاختيار!، فأجيب عنه : بأن هذا الافتراض يخالف الواقع؛ لأنه تحقق لنا أنَّ معظم هذه الأعراب التي اقتصرت فيها القرطبي على قول واحد من المسائل الخلافية^(١) وإليك مثالا واحداً منها:

== القرآن "٢٢٩/٢؛ و"التفسير" ٣٤٥/٨/ يونس ٤٠، في إعراب (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) وانظر "إعراب القرآن" ٢٥٥/٢؛ و"التفسير" ٣٣٩/١٠/ الاسراء ١٠٦/ في إعراب (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)٠ وانظر "إعراب القرآن" ٤٤٤/٢؛ و"التفسير" ٣٦١/١٥/ فصلت/٢٣٤، في إعراب (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) وانظر "إعراب القرآن" ٦٢/٤، وعدة مواضع أخرى.

(١) انظر بعض المواضع التي اكتفى فيها القرطبي بقول واحد في إعرابه للقرآن مع أنَّ هذا الإعراب مسألة خلافية هي: "التفسير" ٥٤/٢/ البقرة/١٠٢، في إعراب (حَتَّى يُقُولَ) حيث اختير النصب بحثى ذاته، وانظر الاختلاف في هذه المسألة في "مع الهوامع" ١١٢-١١١/٤، و"التفسير" ٣٢/٣/ البقرة/٢١٣، في إعراب (لِيَحْكَمْ)، حيث اختير النصب "بأن" المضمرة، وانظر الخلاف في هذا الأمر، في "مع الهوامع" ١٣٩/٤؛ و"التفسير" ١٢/٦/ النساء/١٦٠، في إعراب (فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا)، حيث اختير فيه البذل، انظر إعراب آخر لذلك في "املاء من من به الرحمن" ٢٠٠/١؛ و"التفسير" ٢٧٢/٧/ الاعراف ١٣٧، في إعراب (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا)، حيث اختير النصب بحذف "في" وانظر قولاً آخر في هذا في "مشكل إعراب القرآن" ٣٠٠/؛ و"التفسير" ٢٢٥/٨/ التوبة ٩٠/ في إعراب (لِيُؤْذَنَ) حيث اختير النصب بلام كى نفسها، وانظر رأياً آخر في "مع الهوامع" ١٣٩/٤؛ و"التفسير" ١٧٧/١٤/ الاعراب/٣٢، وفي إعراب (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) حيث اختير فيه أنَّ المضارع المتَّصل بنون الإناء مبنى، وانظر مذهبا آخر في "مع الهوامع" ٥٥/١، و"التفسير" ٣٣٩/١٤/ فاطر ١٩-٢١، في إعراب (وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) حيث اختير فيه زيادة (لا) وانظر رأياً آخر في "البحر المحيط" ٣٠٨/٧، و"التفسير" ٥٠/١٢/ الذاريات ٣٩، في إعراب (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) حيث اختير فيه أن "أو" بمعنى الواو، وانظر قولاً آخر في "البحر المحيط" ١٤٠/٨، وغير ذلك.

أعرب القرطبي قول الله تعالى (أَخَذْنَاهُمْ بِغَتَّةٍ) ^(١) فاقتصر في الإعراب بمذهب سيويه وحده إذ قال ^(٢) ((بغتة) مصدر في موضع الحال لَا يُقَامُ عليه عند سيويه)) وهذا الاقتصر بمثابة الاختيار؛ لأنّ مجيء الحال من المصدر مسألة خلافية عند النحاة؛ فذهب سيويه وجمهور البصريين إلى أنّ المصدر في موضع الحال مؤول بالمشتق، ومنهم من قال إنّهُ مصدر على حذف مضاف، فتقدير قولك: أَتَيْتَ رَكْضًا، أي إْتْيَانَ رَكْضٍ؛ ومنهم من قال إنّهُ حال على حذف مضاف أي ذا ركض؛ وقال الآخر إنّهُ مفعول مطلق للفعل السابق نوعية، وهذا مذهب الكوفيين؛ وقيل هو مفعول مطلق لفعل مقدّر من لفظه، وذلك الفعل هو الحال، أي أَتَيْتَ أُرْكَضَ رَكْضًا، وعليه الأخفش والمبرد ^(٣).

واختلف النحاة أيضًا في قياسية ذلك، فأجمع البصريون والكوفيون على أنّه لا يقاس عليه ^(٤) وانفرد المبرّد في القول بجواز ذلك قياسيًا بشرط أن يكون المصدر من نوع الفعل ^(٥)، وقيل إن المبرّد أجازه مطلقًا ^(٦).

وبهذا ينتهي البحث في اختيارات القرطبي النحوية بطريقة الاختيار الأولى، ويأتي الآن البحث فيها بطريقة الاختيار الثانية في التفصيل الآتي:

الطريقة الثانية: عرض قول أو أكثر وردّ بعضها وترك الآخر حيث يفهم منه أنه اختار أحد الأقوال:

بلغت اختيارات القرطبي النحوية بهذه الطريقة، أَرْبَعُ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ كان الاختيار لأقوال سيويه، ومرتين لقولي الزجاج، وخمس مرات لأقوال البصريين جماعة، وحظي الفراء الكوفي بثلاثة أقوال.

(١) الانعام ٤٤/ • (٢) "تفسير القرطبي" ٤٢٦/٦ •

(٣) انظر "مع الهوامع" ١٥/٤ بتصرف

(٤) المصدر نفسه ١٥/٤ •

(٥) انظر "المقتضب" ٣/٢٣٤، ٢٦٩، و ٣١٢/٤ وانظر "مع الهوامع" ١٥/٤ •

(٦) انظر "مع الهوامع" ١٥/٤ •

ويظهر من هذا التوزيع تفضيل القرطبي أقوال البصريين وبخاصة أقوال سيبويه، ويظهر أيضا تفضيله لأقوال الفراء من بين الكوفيين.^١

ومما يجدر ذكره أنّ غالب هذه الأعراب منقول نقلاً أو بتمتّع من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس؛ من أجل ذلك فلا يستبعد أنّ لمنهج النحاس في ذلك الكتاب أثراً في إبراز ظاهرة تفضيل البصريين هنا، وسنشير إلى مسألة النقول من خلال التفصيل الآتي:

(١) اختيار أقوال سيبويه:

رجّح القرطبي أقوال سيبويه بهذه الطريقة في أربعة مواضع، ويبدو أن بعض مادة الإعراب في الموضعين منها منقول من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس^(١) والإعراب في الموضع الثالث لم يذكره النحاس في ذلك الكتاب^(٢). وأمّا الإعراب الرابع فمن الواضح أنّه منقول من تفسير "المحرر الوجيز" لابن عطية، ومايلي نصّ هذا الأخير:

ذكر القرطبي في إعراب قوله تعالى (أَوْكَلِّمَ عَاهِدُوا عَهْدًا)^(٣) ثلاثة أقوال، قولاً لسيبويه وقول آخر للاخفش وقول ثالث للكسائي، ثم استعان بابن عطية في الردّ عليهم وفي اختيار رأي سيبويه، إذ قال^(٤) ((قوله تعالى (أَوْكَلِّمَ عَاهِدُوا عَهْدًا)^(٥) الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ)^(٦) (أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ)^(٧) (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ)^(٨)؛ وعلى

(١) انظرهما في "التفسير" ٤٤/٣ / البقرة ٢١٧، في إعراب "قِتَالٍ فِيهِ" وانظر "إعراب القرآن" ٣٠٧/١؛ والتفسير ٥٤/٤ آل عمران، في إعراب "اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ"، وانظر "إعراب القرآن" ٣٦٥/١.

(٢) انظر ذلك في التفسير ٢٤٣/٥ النساء ٤٥-٤٦، في إعراب (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا)، وانظر "إعراب القرآن" ٤٦٠/١.

(٣) البقرة ١٠٠ / (٤) "تفسير القرطبي" ٣٩/٢.

(٥) البقرة ١٠٠ / (٦) المائدة ٥٠.

(٧) يونس ٤٢ / (٨) الكهف ٥٠.

"ثم" كقوله (أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) (١). هذا قول سيويه. وقال الأخفش: الواو زائدة. ومذهب الكسائي أنها "أو" حركت الواو منها تسهيلا. وقرأها قوم "أو" ساكنة الواو فتجيء بمعنى "بل" كما يقول القائل: لَأَضْرِبَنَّكَ؛ فيقول المجيب: أَوْكَيْفِي اللَّهُ. قال ابن عطية: وهذا كله متكلف: والصحيح قول سيويه (٢).

وهذا النم - كما ذكرنا سابقا - أنه منقول من كتاب "المحرر الوجيز" لابن عطية، مع زيادة الشواهد القرآنية للقول الأول، وصياغة جديدة طفيفة (٣).

(٢) اختيار أقوال الزجاج:

يفهم من طريقة عرض القرطبي للمسائل أنه رجح قول الزجاج في الموضعين، وكان الإعراب في الموضع الأول منقولا نصا من كتاب "إعراب القرآن" (٤)، وأما الإعراب في الموضع الثاني فإنه منقول منه أيضا ولكن مع بعض تصرف وزيادة، ودأ نم هذا الأخير: أعرب القرطبي قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥)، فقال (٥) ((وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) خبر "إِنَّ" في قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا)، كما تقول: إن زيدا إن الخير عنده. وقال الفراء: ولا يجوز في الكلام: إن زيدا إن أخاه منطلق؛ وزعم أنه إنما جاز في الآية لأن في الكلام معنى المجازاة؛ أي من آمن ومن تهود أو تنصر أو صبا يفصل بينهم، وحسابهم على الله عز وجل. ورد أبو اسحاق على الفراء هذا القول، واستقبح قوله: لا يجوز، إن زيدا إن أخاه منطلق؛ قال: لأنه لا فرق بين زيد وبين الذين، و"إن" تدخل على كل مبتدأ فتقول إن زيدا هو منطلق، ثم تأتي بإن فتقول: إن زيدا إنه منطلق، وقال الشاعر:

- (١) يونس ٥١/٥١ (٢) انظر كتاب "المحرر الوجيز" ٤١١/١
(٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٥٦/٢/البقرة/ ١٠٢ في اعراب (لمن اشتراه) وانظر "إعراب القرآن" للنحاس ٢٥٣/١
(٤) الحج ١٧/١٧ (٥) "تفسير القرطبي" ٢٣/١٢

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَكُهُ سَرَبَالَ عَزَّ بِمِ تَزَجَى الْخَوَاتِيمِ (١)

اتضح من هذا النص أن القرطبي قدّم القول بأن خبر "إِنَّ الْكَلْبَيْنِ" قوله (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ بَيْنَهُمْ) ، وهذا مذهب الزجاج، ثم ذكر الردّ على هذا القول من الفراء، ثمّ أعقبه بالردّ على الفراء من الزجاج؛ فيفهم من هذا العرض للأقوال اختيار قول الزجاج؛ لأنّه هو المقدّم أولاً، وإبطال ردّ الفراء عليه ثانياً، وتقويته بشاهد من الشعر ثالثاً، وهذا الشاهد لم يذكره النحاس في إعرابه للآية (٢).

(٣) اختيار أقوال جماعة البصريين:

اختار القرطبي مذهب جماعة البصريين بهذه الطريقة في خمسة مواضع، وكانت أعرابه الثلاثة في المواضع الخمسة مأخوذة من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس، أحدها نصّاً (٣) والآخران بتصريف (٤)، وأمّا الإعرابان الآخران فلم أجدهما في ذلك الكتاب، ودونك أحد الإعرابين (٥).

(١) والخواتيم جمع الخاتام لغة في الخاتم . يريد أن سلاطين الآفاق يرسلون إليه خواتمهم خوفاً منه فيُضاف ملكهم إلى ملكه . وهذا البيت من قصيدة لجبريل يمدح بها عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك (انظر خزائن الاداب: ٣٦٤/١٠ وفيه "لباس ملك") والشاهد فيه : قوله "إِنَّ اللَّهَ سَرَبَكُهُ، حيث وقع خبراً لـ "إِنَّ الْخَلِيفَةَ".

(٢) انظر "إعراب القرآن" ٩٠/٣ .

(٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٤٣٣/٢ / البقرة ٢٠١ في إعلال كلمة "قنا" وانظر

"إعراب القرآن" ٢٩٢/١ .

(٤) انظرهما في "التفسير" ١٢١/١٢ / المؤمنون ٣٢ ، في إعراب (وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)

و"إعراب القرآن" ١١٣/٣ ، و"التفسير" ٦/١٤ / الروم ٤ ، في بناء صَرْفِي

لكلمة "سنين" وانظر "إعراب القرآن" ٢٦٢/٣ .

(٥) انظر الآخر غير المذكور، في "التفسير" ٣٥٣/٣ / البقرة ٢٢٥ ، في أصل كلمة "الربا"

وانظر "إعراب القرآن" ٣٤١/١ .

وصح القرطبي في موضع إعراب (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) من قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (١) فذكر وجه إعراب ابتدأه بقوله: "قيل" ثم أتى بالرد عليه وتبعه بالوجه الصحيح عند البصريين، إذ قال (٢) ((وقيل: لمن بدل من قوله: "لكم" ولا يجيزه البصريون، لأن الغائب لا يبدل من المخاطب، وإتما اللام من "لمن" متعلقة بـ "حسنه" وأسوة" اسم "كان" و "لكم" الخبر)) .

سبقت اختياراته للمذاهب البصرية أفراداً وجماعة، وفيما يلي عرض لاختيارات القرطبي لأقوال الفراء الكوفي:

- اختيار أقوال الفراء

اختار القرطبي مذهب الفراء بهذه الطريقة في ثلاث مواضع، وأحد الأعراب في تلك المواضع مأخوذ نصاً من كتاب "إعراب القرآن" للتحاس (٣) والآخر مأخوذ منه أيضاً ولكنه بتصريف وزيادة (٤)، وأمّا الثالث فليس منقولاً منه، وذا نص هذا الأخير: قال القرطبي في إعراب قوله تعالى (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنَدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) (٥) على قراءة نصب "عاليهم" ((وقال الفراء: هو كقولك فوقهم، والعرب تقول: قومك داخل الدار فينصبون داخل على الظرف؛ لأنه محل، وأنكر الزجاج هذا وقال: هو مما لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفاً لم يجز إسكان الياء، ولكنه بالنصب على الحال من شيئين:

-
- (١) الأحزاب ٢١/ . (٢) انظر "تفسير القرطبي" ١٥٦/١٤ .
 (٣) انظر ذلك في "التفسير" ١٤١/١٤ / الشعراء / ٢٠٩، في إعراب (يَذْكُرُوا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)، وانظر "إعراب القرآن" ١٩٣/٣ .
 (٤) انظر "التفسير" ٣٧٢/١ / البقرة / ٤٨، في إعراب (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) وانظر "إعراب القرآن" ٢٢١/١ .
 (٥) الانسان ٢١/ .

أحدهما الهاء والميم في قوله: "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ" أي على الأبرار "وَلِدَانٌ" عالياً الأبرار
 ثياباً سُنَنِي؛ أي يطوف عليهم في هذه الحال، والثاني أن يكون حالاً من الولدان؛ أي
 (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنْتَوَرًا) (١) في حال علو الثياب أَبْدَانَهُمْ. وقال أبو
 علي: العامل في الحال إما (لَقَامَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (٢) وَإِمَّا (جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا) (٣) قال:
 ويجوز أن يكون ظرفاً فصراً. المهدوي: ويجوز أن يكون اسم فاعل ظرفاً؛ كقولك هو
 ناحية من الدار، وعلى أن عالياً لما كان بمعنى "فَوْقَ" أَجْرَى مُجْرَاهُ فجعل ظرفاً (٤).

الطريقة الثالثة: "التصريح بالفاظ توّضح أنّه اختار أحد الأقوال"

إنّ طريقة الاختيار الثالثة التي اتّبعها القرطبي هي: التصريح بالفاظ توّضح أنّه اختار أحد الأقوال؛ وهذه الطريقة تعدّ أقوى دلالة من الطريقتين السابقتين؛
 لما في هذه الأخيرة من وُضوح الدلالة اللفظية؛ لأنّ القرطبي في الغالب استخدم
 صيغة التفضيل من أفعالٍ مُختلفةٍ كلّها تعني تفضيل قول على بقية الأقوال أو
 اختيار أحدها. وأمّا أنواع التعبيرات التي استخدمها القرطبي في توضيح اختياراته
 النحوية، فهي كالآتي: "الصّحيح القول الأول" (٥)، "وهو أصحّ ما قيل فيه" (٦)، و
 "أصحّ ما قيل فيها" (٧)، و "الجيد أنْ لَا" (٨)، و "هو أجودّ ما قيل فيه" (٩) و "هو
 الصواب" (١٠)، و "التأويل الأول أصوب" (١١) و "الأحسن كذا" (١٢)، "الأول أحسن" (١٣)،

- | | |
|--|---|
| (١) الإنسان ١٩/ | (٢) الإنسان ١١/ |
| (٣) الإنسان ١٤/ | (٤) "تفسير القرطبي" ١٩/١٤٥-١٤٦ |
| (٥) انظر تفسير القرطبي الجزء ٢/ والصفحة ٤٢٨ والسطر ٤، من سورة البقرة والآية ١٩٩؛ | |
| و"التفسير" ١٣/١٦٠/٧/ النمل ٩/ | (٦) "تفسير القرطبي" ١٨/١٦٣/١٤/الطلاق ٤/ |
| (٧) "التفسير" ٨/٣٧٤/١/يونس ٨٨/ | (٨) "التفسير" ٥/٣٣٨/٤/النساء ٩٤/ |
| (٩) "التفسير" ٦/٣٩٦/٢/الانعام ١٢/ | (١٠) "التفسير" ١/٣٨٣/٤/البقرة ٤٩/ |
| (١١) "التفسير" ٣/٣١٧/١٤/٢٦٥/ | (١٢) "التفسير" ١٢/٢٦٣/١/الحديد ٢٧/ |
| (١٣) "التفسير" ٤/٢٤١/٣/ال عمران ١٥٣؛ و "التفسير" ٧/١٨٥/١٥/ الاعراف ٢٦/ | |

وقول رابع هو أحسنها^(١)، وهذا أحسن^(٢) والأول أولى^(٣)، وعلى الأول فهو أولى^(٤)، وهذا أولى^(٥)، ونحوهما.

وتنقسم اختيارات القرطبي النحوية بهذه الطريقة إلى فئتين "فئة لم يذكر فيها القرطبي أصحاب الأقوال المختارة، ويبلغ عددها خمسة وعشرين قولاً، وفئة أخرى صرح فيها بأصحابها، وعدد الأقوال المختارة من هذه الفئة عشرة أقوال.

وإذا نظرنا إلى الأقوال المختارة التي لم يذكر أصحابها، ورجعنا إلى مذاهب النحاة والمعرّبين للقرآن السابقين وجدنا أنّ ثلاثة اختيارات للقرطبي من هذه الفئة موافقة لاختيار الثّماس في كتابه "إعراب القرآن"^(٦)، وستة اختيارات أخرى موافقة لابن عطية في "المحرر الوجيز"^(٧)، وأنّ اختياريّة الآخرين أحدهما موافق لراي أبي علي

- (١) "التفسير" ١٤/٣٢٤/١٠ / فاطر ٧ . (٢) "التفسير" ٨/٣١٢/٢١ / يونس ٩ .
 (٣) "التفسير" ٤/٢٦٦/٢ / آل عمران ٣٥ / و"التفسير" ٢٠/٢٠٦/٣ / قريش ٢ .
 (٤) "التفسير" ٣/١٩٣/٢ / البقرة ٢٢٥ .
 (٥) "التفسير" ١/٢٨٧/٢١ / البقرة ٥٠ .
 (٦) انظر ذلك في هذه الاماكن "تفسير القرطبي" ٤/٦٦ / آل عمران ٣٥، في إعراب (مُحَرَّرًا) وانظر "إعراب القرآن" "للنحاس ١/٣٦٩؛ و"التفسير" ٧/١٨٥/الاعراف ٢٦، في اعراب (وَلِبَاسُ التَّقْوَى)، و"إعراب القرآن" ٢/١٢٠؛ و"التفسير" ١٤/٣٢٤ / فاطر ٧، في اعراب (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)، و"إعراب القرآن" ٣/٣٦٢ .
 (٧) انظر ذلك في الاماكن: "التفسير" ١/٢٨٧/ البقرة ٥٠، في اعراب (وَلَوْ فَرَقْنَا بِكُم) ، و"المحرر الوجيز" لابن عطية ١/٢٨٨؛ و"التفسير" ٣/١٩٢ / البقرة ٢٢٥ ، في اعراب (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ)، و"المحرر الوجيز" ٢/٣١٠، و"التفسير" ٣/٢٠٣ / البقرة ٢٣٦، في اعراب (حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) و"المحرر الوجيز" ٢/٣٢١، و"التفسير" ٤/٢٣ / آل عمران ١١، في اعراب (كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ) و"المحرر الوجيز" ٣/٣٢؛ و"التفسير" ٥/٢٥٠، النساء ١١، في إعراب (فَرِيضَةً)، وانظر "المحرر الوجيز" ٣/٥١٩ .

الفارسي^(١) والأخرى لأبي البقاء العكبري^(٢)، وهناك اختياران قدّم بهما القرطبي بقوله "قلت"^(٣)، وأما بقية اختياراته الاثنى عشرة فلم أعر على من سبق إليها من النحاة السابقين^(٤) في المصادر التي وقفت عليها. وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الحالات:

- ما وافق اختيار النحاس:

ومثال هذا الصنف إعرابه لقوله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)^(٥) حين ذكر أربعة وجوه لإعراب "الذين"، ثم اختار أحدها بصراحة. واختيار القرطبي هنا هو اختيار النحاس نفسه في كتاب "إعراب القرآن"، وذا نص قول القرطبي^(٦) ((قال تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا

-
- (١) انظر "تفسير القرطبي" ٢٦٠/١٢ / الحديد/ ٢٤، في إعراب (قَالَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)، وانظر "البحر المحيط" ٢٢٦/٨.
- (٢) انظر "التفسير" ١/٢ / البقرة: ٢٥ في إعراب (يَسْمَعُونَ)، وانظر "املأ من من به الرحمن" للعكبري ٤٥/١.
- (٣) انظرهما في "التفسير" ٢٥٠/١ / البقرة ٢٥٩، في إعراب (فَأَمَّا لَهُمُ اللَّهُ)؛ والتفسير. ٣٨٤/١ / البقرة/ ٤٩، في إعراب (يَذَّبِحُونَ).
- (٤) انظر ذلك في هذه المواضع "تفسير القرطبي" ٢٣٠/٤ آل عمران ١٤٦، في اختيار أصل كلمة "استكانوا"؛ و"التفسير" ٤٢٧/٢ / البقرة ١٩٩ - في الاختيار بأن "ثم" في قوله تعالى (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ليست للترتيب؛ و"التفسير" ٢٤١/٤ آل عمران ١٥٣، في إعراب (لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)؛ و"التفسير" ٢٤٧/٤ آل عمران ١٥٧، في إعراب (وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّكُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)؛ و"التفسير" ١٢/٥ / النساء ٣، في إعراب (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)؛ و"التفسير" ٣١٢، ٨ / يونس ٩، في إعراب (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ)؛ و"التفسير" ٨٨/١٨ / الصف ١١، في إدغام (يَغْفِرُ لَكُمْ) وعدة مواضع أخرى.

(٥) فاطر ٧/

(٦) انظر "تفسير القرطبي" ٣٢٤/١٤

عَذَابٌ شَدِيدٌ^(١) يكون "الذين" بدلا من "أصحاب" فيكون في موضع خفض أو يكون بدلا من "حزبه" فيكون في موضع نصب، أو يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع، وقول رابع وهو أحسنها - يكون في موضع رفع بالابتداء، ويكون خبره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)؛ وكأنه سبحانه يبين حال موافقته ومخالفته، ويكون الكلام قد تم في قوله: (وَمِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ثم ابتداء فقال (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)).

والآتي نص الإعراب في كتاب "إعراب القرآن" للنحاس: ((الَّذِينَ كَفَرُوا) يكون بدلا من "أصحاب"، ويكون في موضع خفض، ويكون بدلا من "حزبه" فيكون في موضع نصب، أو يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع، وقول رابع: وهو أحسنها، يكون في موضع رفع بالابتداء، ويكون خبره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ))^(٢).

- ما وافق اختيار ابن عطية:

ومَحَّ القُرْطُبِي موضع "ما" مع الإعراب في قوله تعالى (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ)^(٣)، فذكر أربعة وجوه، واختار أحدها؛ والمختار عنده هنا هو المختار نفسه عند ابن عطية في "المحرر الوجيز" وذا نص قول القرطبي^(٤) ((- قوله تعالى (مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ) "ما" في موضع نصب بـ "يقطعون" و"أَنْ" إِنْ شِئْتَ كَانَتْ بَدَلًا مِنْ "مَا" وَإِنْ شِئْتَ مِنْ الْهَاءِ فِي "بِهِ" وَهُوَ أَحْسَنُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَثَلًا يُوْمَلُ: أَيِ كَرَاهَةِ أَنْ يُؤْمَلَ)) والآتي نص الإعراب الوارد في "المحرر الوجيز": ((وَأَنْ فِي مَوْضِعٍ نَصْبٍ بَدَلٍ مِنْ "مَا" أَوْ مَفْعُولٍ مِنْ أَجْلِهِ، وَقِيلَ "أَنْ" فِي مَوْضِعٍ خَفْضٍ بَدَلٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (بِهِ) وَهَذَا مَتَّجِهٌ))^(٥).

- ما لم أعر على من سبق إلى اختياره:

ومثال هذا الصنف، اختياره لحذف جواب القسم في توجيه إعراب قوله تعالى (وَلَوْ كُنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)^(٦) إِذْ قَالَ^(٧)

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) فاطر ٧/ | (٢) انظر "إعراب القرآن" ٣/٣٦١-٣٦٢ • |
| (٣) البقرة ٢٧/ | (٤) "تفسير القرطبي" ١/٢٤٧ • |
| (٥) انظر "المحرر الوجيز" ١/٢٢٠ • | |
| (٦) آل عمران ١٥٧/ | (٧) "تفسير القرطبي" ٤/٢٤٧ • |

((جواب الجزاء محذوف استغنى عنه بجواب القسم في قوله (لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً) وكان الاستغناء بجواب القسم أولى؛ لأنه له صدر الكلام ومعناه لَيَغْفِرَنَّ لَكُمْ))، ولم أعرش على من سبقه إلى هذا الاختيار في المصادر التي وقفت عليها^(١).

وأما الأقوال التي ذكر معها أصحابها والتي صرح القرطبي باختيارها فإنها تتوزع على النحاة اللاحقة أسماؤهم؛ قول واحد للخليل وسيبويه معاً^(٢)، وواحد آخر لسيبويه منفرداً^(٣)، وواحد للأخفش^(٤)، وواحد للمبرد^(٥)، وللزجاج واحد آخر^(٦)، ولأبي علي الفارسي واحد^(٧)، ولجماعة البصريين اثنان^(٨) ولقتادة واحد^(٩) وللغراء الكوفي واحد^(١٠).

(١) انظر في هذه المصادر : "إعراب القرآن" ٤١٥/١، ومشكل إعراب القرآن" ١٧٧/

و"المحرر الوجيز" ٣٩٤/٣؛ وإملا من مَنْ به الرحمن" ١٥٥/١، والبحر المحيط" ٩٥/٣.

(٢) انظر في "التفسير" ٣٧٤/٨ / يونس ٨٨، في إعراب (رَبَّنَا لِيَصِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ).

(٣) انظر في "التفسير" ٢٩١/٥ / النساء/ ٨٣ في إعراب (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ).

(٤) انظر في "التفسير" ٧٧/١١ / مريم ٤ في إعراب (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا).

(٥) انظر في "التفسير" ٣١٧/٣ / البقرة/ ٢٦٥، في إعراب (فَإِنْ لَّمْ يَصِبْهَا وَأَبْلُ فَطُلْ).

(٦) انظر في "التفسير" ٣٩٦/٦ / الانعام ١٢ في إعراب (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

(٧) انظر في "التفسير" ٢٦٣/١٧ / الحديد / ٢٧ في إعراب (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا).

(٨) انظرهما في "التفسير" ٣٤٣/١١ / الانبياء/ ٩٧، في إعراب (وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ)؛

و"التفسير" ١٦٠/١٣ / النمل / ٩، في إعراب (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

(٩) انظر ذلك في "التفسير" ٨٥/١٧ / النجم / ٣، في إعراب (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) وفتادة هو : فتادة بن دُعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، عالم بالحديث والعربية، المتوفي سنة ١١٨هـ- انظر "وفيات الأعيان"

٨٥/٤، وشذرات الذهب" ١٥٣/١).

(١٠) انظر ذلك في التفسير ٣٠٩/٥ - ٣١٠ / النساء/ ٩٠، في إعراب (حَصْرَتْ صُدُورَهُمْ).

ويلاحظ من هذا التقسيم أنَّ للكوفيين نصيباً واحداً فقط من عَشْرٍ اختياراتٍ للقرطبي من الفئة الثانية، فهذا يدلُّ على اهتمام القرطبي بالمذهب البصري اهتماماً أكثر من اهتمامه بالمذهب الكوفي؛ ولكنَّ ممَّا لا يمكن دفعه أنَّ لآراء النحاس أثراً في تكوين هذه النتيجة؛ لأنَّ خمسَ الاختيارات من عدد هذه الفئة هي اختيارات النحاس في كتاب "إعراب القرآن" بالفاظها^(١)، كما في المثال الآتي:

اختر القرطبي أنَّ لا يُجَاز بـ "إذا" واحتج لهذا الاختيار بشاهد من الشعر وذلك في إعرابه لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا)^(٢). حين قال^(٣) ((وفي "إذا" معنى الشرط، فلذلك دخلت الفاء في قوله "فتبينوا" . وَقَدْ يُجَازَى بها كما قال :

وَإِذَا تُصِيبُكَ خَصَامَةٌ فَتَجَمَّلْ^(٤)

والجيد ألاَّ يُجَازَى بها كما قال الشاعر:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدَّدَ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ^(٥).

(١) هذه الاختيارات الخمس هي الاختيارات التي ذكرنا مواقعها آنفاً فتلك الاختيارات: الأول للخليل وسيبويه، وانظر أيضاً في إعراب القرآن " ٢/٢٦٦، والثاني لسيبويه وانظر "إعراب القرآن" ١/٤٧٥، والثالث للأخفش، وانظر "في إعراب القرآن" ٣/٥٠، والرابع لغتادة؛ نسب القرطبي اختيار قول قتادة إلى النحاس، ولم أجد قول النحاس في كتابه، انظر "إعراب القرآن" ٤/٢٦٥، والخامس للبصريين، وانظر "إعراب القرآن" ٣/٨٠-٨١ / الانبياء ٩٧/٠.

(٢) النساء ٩٤/٠

(٣) انظر "تفسير القرطبي" ٥/٣٣٨.

(٤) الشاهد لعبدقيس بن خفاف البرجسي وصدده: "وَأَسْتَفِنَ مَا أَغْنَاكَ رُكُّكَ بِالْغَيْسِ" (انظر المفضليات " ٧٥٢).

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، (انظر المفضليات ٨٤٧) والشاهد فيه: عدم المجازاة بإذا، فقال تقنع " بغير الفاء.

ونذكر القرطبي اختياره لهذا المذهب في الموضوعين الآخرين من تفسيره، حيث نسب الاختيار فيهما إلى سيبويه^(١).

وهذا الاختيار هو عين اختيار النحاس في كتابه "أعراب القرآن"، بل النص المذكور منقول حرفياً من هذا الكتاب.

ونختتم البحث في "اختيارات القرطبي النحوية" بعرض اختياراته البارزة، ويكون العرض على مجموعتين، أولاهما: مجموعة الاختيارات بطريقة الانفراد بالقول، وبطريقة العرض معاً، وثانيتها: مجموعة الاختيارات بطريقة التصريح بالآلفاظ^(٢)، وذلك على النحو التالي:

- المجموعة الأولى من اختيارات القرطبي النحوية:

- ١- اختياره بأن "إِذْ" ليست ممتاً تُزاد "تفسير القرطبي" ٢٦٢/١ / البقرة ٣٠، في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ):
- ٢- اختيار رفع ما بعد "لولا" على الابتداء والخبر محذوف وجوبا "تفسير القرطبي" ٤٣٨/١ / البقرة ٦٤، في إعراب قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ و"التفسير" ٣٨١/٥ / النساء ١١٣ في إعراب قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ).
- ٣- اختياره أن حقَّ العماد أن يكون بين شيئين متلازمين: "التفسير" ٣٤/٢ / البقرة ٩٦ في إعراب قوله تعالى (وَمَا هُوَ بِمُرْجَحِجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ).
- ٤- اختيار النصب بـ "حتى" ذاتها، "التفسير" ٥٤/٢ / البقرة ١٠٢، في إعراب قوله تعالى (حَتَّى يَقُولَ)؛ و "التفسير" ٤٦/٣ / البقرة ٢١٦، في إعراب قوله تعالى (حَتَّى يَرْتَوْكُم).
- ٥- اختيار النصب بـ "أن" المضرة بعد لام "كي" "التفسير" ٣٢/٣ / البقرة ٢١٣، في إعراب قوله تعالى (لِيَحْكُم).

(١) انظرهما في "تفسير القرطبي" ٢٠١/١، والبقرة ١١، و"التفسير" ٢٩١/٥ / النساء ٨٣.

(٢) بني التقسيم هنا على أساس قوة دلالة الاختيار لتلك الأقوال، فالطريقة الأولى والثانية متقاربتان والثالثة أقواها.

- ٦- اختياره "البعض" في قوله تعالى (بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) ليس بمعنى "الكل"؛ وقد يأتي البعض بمعنى "الكل" إذا انضمت إليه قرينة تدل عليه، "التفسير" ٩٦/٤ آل عمران/ ٥٠ .
- ٧- اختياره لإعراب "رَبَّنَا" في قوله تعالى (قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا) بالنصب على النداء الثاني، "التفسير" ٣٦٧/٦/المائدة/ ١١٤ ، ومثله في إعراب قوله تعالى (قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) "التفسير" ٢٦٥/١٥/ الزمر / ٤٦ .
- ٨- اختيار جواز وقوع مصدر حالا، وهو مؤول بمشتق، ولا يقاس عليه "التفسير" ٤٢٦/٦/ الانعام/ ٤٤، في إعراب قوله تعالى (أَخَذْنَاهُمْ بِفِتْنَةٍ) .
- ٩- رفضه لإطلاق القول بأن العرب استغنوا عن وَدَرَ و وَدَعَ بِتَرْكِهِ، وإنما كان الاستغناء عنهما على الأكثر، "التفسير" ٦٨/٧/ الانعام/ ١١٢ .
- ١٠- اختياره لنصب قوله تعالى (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) على حذف "في" "التفسير" ٢٧٢/٧/ الاعراف/ ١٣٧ .
- ١١- اختياره بأن نصب كلمة "قرآنا" من قوله تعالى (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ) بفعل مضمَر يفسره الظاهر: "التفسير" ٣٣٩/١٠/ الاسراء/ ١٠٦، ومثله في إعراب قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) "التفسير" ١٨٢/١٩/ عم/ ٣٠ .
- ١٢- اختياره بأن "كان" في قوله تعالى (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) زائدة "التفسير" ٩١/١٣ / الشعر / ٦٧ .
- ١٣- اختياره بأن الفعل المضارع المتصل بنون إناء مبني "التفسير" ١٢٧/١٤ / الاحزاب/ ٣٢ في إعراب قوله تعالى (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) .
- ١٤- اختياره بأن "لا" الثانية في قوله تعالى (وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) زائدة التفسير ٣٣٩/١٤/ فاطر ٢١؛ ومثله في إعراب قوله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) "التفسير" ٣٦١/١٥/ فصلت/ ٣٤ .
- ١٥- اختياره بأن "أو" في قوله تعالى (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ) بمعنى الواو "التفسير" ٥/١٧/ الذاريات/ ٣٩ .

المجموعة الثانية من اختيارات القرطبي النحوية:

- ١- اختياره بأن إعراب (أَنْ يُوَصَّلَ) من قوله تعالى (مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) بدل من الهاء في "به" "التفسير" ٢٤٧/١ / البقرة ٢٧٠ .
- ٢- اختياره بعدم جواز العطف على الضمير المستتر من دون تأكيد، "التفسير" ٣٠٠/١ / البقرة ٣٥٠ ، في إعراب قوله تعالى (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ) .
- ٣- اختياره بجواز إضافة آل إلى المضمرة، فيقال: آله "التفسير" ٣٨٣/١ / البقرة ٤٩ .
- ٤- اختياره بجواز زيادة الواو "التفسير" ٣٨٤/١ / البقرة ٤٩، في إعراب قوله تعالى (يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) .
- ٥- اختيار استعمال الباء على بابها في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ) ، "التفسير" ٢٨٧/١ / البقرة ٥٠ .
- ٦- اختياره بأن جملة "يسمعون" من قوله تعالى (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) في موضع نصب خبر "كان"، "التفسير" ١/٢ / البقرة ٧٥ .
- ٧- اختياره بأن "أن" في قوله تعالى (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) في موضع نصب على حذف "في" "التفسير" ٢٤٤/٣ / البقرة ٢٤٦ .
- ٨- اختياره بأن نصب كلمة "ابتغاء" في قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) على المصدر في موضع الحال، "التفسير" ٣١٤/٣ / البقرة ٢٦٥ .
- ٩- اختياره بأن تقدير قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَمِيزْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ) أي فطل يكفيها، "التفسير" ٣١٧/٣ / البقرة ٢٦٥ .
- ١٠- اختياره بأن قوله تعالى (وَمَا اسْتَكَانُوا) مشتق من "الاستكانه" "التفسير" ٢٣٠/٤ / آل عمران ١٤٦ .
- ١١- اختياره بأن ثم "في قوله تعالى (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ليست للترتيب، "التفسير" ٤٢٧/٢ / البقرة ١٩٩ .
- ١٢- اختياره بعدم حذف المضاف في إعراب قوله تعالى (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) لأن الكتاب منا "الفرض"، "التفسير" ١٩٢/٣ / البقرة ٢٣٥ .

- ١٣- اختياره بأنَّ نَصَبَ "حقاً" في قوله تعالى (حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) على المصدر؛
"التفسير" ٢٠٣/٣ / البقرة ٢٣٦ .
- ١٤- اختياره بأن اعراب قوله تعالى (كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف،
والتقدير "دأبهم كذاب آل فرعون" التفسير ٢٣/٤ / آل عمران ١١ .
- ١٥- اختياره بأنَّ نصب كلمة "محزراً" في قوله تعالى (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحْزَرًّا فَتَقَبَّلْ مِنِّي) على أنه حال، "التفسير" ٦٦/٤ / آل عمران ٣٥ .
- ١٦- اختيار القول بأن اللام في قوله تعالى (لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) متعلقة بقوله
تعالى (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) "التفسير" ٢٤١/٤ / آل عمران ١٥٣ .
- ١٧- اختيار الاستغناء بجواب القسم عن جواب الجزاء في إعرابه لقوله تعالى (وَلَكِنَّ قَتَلْتُمُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) التفسير ٢٤٧/٤ / آل
عمران ١٥٢ .
- ١٨- اختياره بأنَّ "من" و "ما" قد يتعاقبان كما في قوله تعالى (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ) "التفسير" ١٢/٥ / النساء ٣٠ .
- ١٩- اختياره بأنَّ نصب كلمة "فريضة" في قوله تعالى (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) على أنه مصدر مؤكد،
التفسير ٢٥/٥ / النساء ١١ .
- ٢٠- اختياره بجواز وقوع الفعل الماضي حالا ، التفسير ٣١٠/٣٠٩/٥ / النساء ٩٠ في
اعراب قوله تعالى (أَوْ جَاؤُكُمْ حَبْرَتٌ مَدُونَةٌ) .
- ٢١- اختياره بالآي جازي بإذا، "التفسير" ٣٣٩/٥ / النساء ٩٤، في إعراب قوله تعالى (يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا) .
- ٢٢- اختياره بأنَّ قوله تعالى (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) إعرابه مبتدأ وخبر،
"التفسير" ٣٩٦/٦ / الانعام ١٢ .
- ٢٣- اختياره بأنَّ اللام في قوله تعالى (رَبَّنَا لِيُخَلِّتُوا عَنْ سَبِيلِكَ) لام العاقبة والمصيرورة
"التفسير" ٣٢٤/٨ / يونس ٨٨ .
- ٢٤- اختياره بأن تقدير قول تعالى (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أي : وهم إليها سابقون، "التفسير
١٣٣/١١ / المؤمنون ٦١ .

- ٢٥- اختياره في إعرابه لقوله تعالى (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) بأن الهاء كناية عن الأمر والشأن "التفسير" ١٦٠/١٣ / النمل / ٩ .
- ٢٦- اختياره بأن قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) في موضع رفع بالابتداء وخبره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)، "التفسير" ٣٤٢/١٤ / فاطر / ٧ .
- ٢٧- اختياره بأن قوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) على تأويل "وما ينطق بالقرآن عن هواه" وتكون "عن" على بابها "التفسير" ٨٥/١٧ / النجم / ٣ .
- ٢٨- اختياره بأن "هو" في قوله تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فصل، "التفسير" ٢٦٠/١٧ / الحديد / ٢٤ .
- ٢٩- اختياره بأن كلمة "رهبانية" في قوله تعالى (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) منصوبة بإضمار فعل "التفسير" ٢٦٣/١٧ / الحديد / ٢٧ .
- ٣٠- اختياره بترك الإدغام في قوله تعالى (يَغْفِرْ لَكُمْ) "التفسير" ٨٨/١٨ / الصف / ١١ .
- ٣١- اختياره بأن قوله تعالى (أَنْ أُرْتَبِئُمْ) متصل بأول السورة "التفسير" ١٦٣/١٨ / الطلاق / ٤ .
- ٣٢- اختياره بأن كلمة "نباتا" في قوله تعالى (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) مصدر على غير مصدر، لأن مصدره: أنبت نباتا، "التفسير" ٣٠٥/١٨ / نوح / ١٧ .
- ٣٣- اختياره بنصب كلمة "رحلة" في قوله تعالى (رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) على المصدر "التفسير" ٢٠٦/٢٠ / فريش / ٢ .

المبحث الثالث : مصطلحات القرطبي النحوية

استخدم القرطبي المصطلحات البصرية والمصطلحات الكوفية جميعها جميعا في تفسيره النحوي، ولا يطره ميله الى اختيار أحد المذهبين في استخدام المصطلحات: بل أن هناك دليلا يبين محاولته الواضحة في تخفيف كثافته الاختلال بين المذهبين، ولا سيما الاختلاف بينهما في استخدام المصطلحات لمعان لا يكادون يختلفون فيها، وما دام الاختلاف في الاسماء دون المسميات.

ومما اُضح من الدراسة في :مصطلحات القرطبي النحوية " ايضا، ان منهجه في استخدام المصطلحات النحوية متقارب مع منهج ابي جعفر النحاس في كتابه "اعراب القرآن"، وتبين ذلك من خلال موازنة الاعراب للآيات القرآنية في الكتابين؛ اذ ليس هناك تناقض بين المنهجين؛ لأن كثيرا من استخدم القرطبي للمصطلحات البصرية فنقول من كتاب "اعراب القرآن"، وأن قليلا من استخدامه للمصطلحات الكوفية فنقول أيضا من ذلك الكتاب. ويستنتج استنتاج آخر من هذا الواقع هو أن تأثر القرطبي بالنحاس في استعمال المصطلحات البصرية أكثر وضوحا من تأثره في استعمال المصطلحات الكوفية. وهذه الملاحظات تجلت في العناصر التالية :

- (١) ايراد مصطلح بصري وكوفي معا لوجه اعراب واحد.
- كان القرطبي في مواضع عدة يستخدم مصطلحا بصريا وكوفيا معا في ايضاحه لوجه اعراب واحد. وأما المصطلحات الواردة في هذه الحالة فهي "الفصل مع العماد"^(١) والبدل مع

(١) انظر تفسير القرطبي ٥٩/١٩ المزمّل ٢٠/ في اعراب قوله تعالى (وما تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا)، و "العماد" هو "الضمير اللاغي الذي يتوسط بين المبتدأ والخبر واسم كان وخبرها واسم ان وخبرها ومفعولي "ظن" (انظر مدرسة الكوفة" ص ٣١٢)

التفسير" (١)، والتمييز مع التفسير (٢) و "البدل مع التكرير" (٣) و "الترجمة مع البدل" (٤)، والزائدة مع الصلة (٥).

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٣٨٤/١ / البقرة / ٤٩ ، في إعراب قوله تعالى (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ) و "التفسير" عند الفراء الكوفي له ثلاثة معانٍ: أولاً: يدل على ما يعرف بالمفعول لأجله عند البصريين، كما ورد في إعرابه لقوله تعالى (يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُورَ الْمَوْتِ) (انظر "معاني الفراء" ١٧/١ / البقرة / ١٩) وثانياً: كان التفسير بمعنى التمييز ، كما في إعرابه لقوله تعالى (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) (انظر "معاني الفراء" ٧٩/١ / النساء ٤) وثالثاً: بمعنى البدل، وهذا المعنى هو المقصود في تفسير القرطبي في الموضع المذكور (انظر "معاني الفراء" ٦٩/٢ / إبراهيم ٦ ، في إعراب قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ)، وانظر هذه المسألة في "المصطلح النحوي" ص ١٦٤-١٦٥ .

(٢) انظر "تفسير القرطبي" ٩٢/١١ / مريم/ ٢٦ ، في إعراب قوله تعالى (فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)، ومصطلح "التفسير" في هذا الموضع بمعنى "التمييز" كما ذكره الفراء في "معاني القرآن" ١٦٦/٢ في إعراب الآية نفسها (وَقَرِّي عَيْنًا)، وسبق البيان آنفاً في الهامش رقم (١)، إنَّ للتفسير عند الفراء ثلاثة معانٍ .

(٣) يأتي نصُّ هذا لإعراب في المثال الثاني الآتي؛ و"التكرير" هنا بمعنى "البدل" عند مصطلح البصريين، وأمَّا الكوفيون فاختلفوا في تسميته ((فقال الاخفش يسمونه الترجمة والتبيين، وقال ابن كيسان يسمونه التكرير)) (انظر "شرح التصريح على التوضيح" ١٥٥/٢ .

(٤) انظر "تفسير القرطبي" ٢٢١/١٩ / عبس / ٢٥ ، في إعراب قوله تعالى (إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) ؛ والترجمة " مصطلح كوفي ليدل على ما يعرف بالبدل عند البصريين (انظر الهامش قبل هذا الرقم) .

(٥) انظر "التفسير" ٥١/٢٠ / الفجر / ١٦ في إعراب قوله تعالى (إِذَا مَا ابْنَلَاهُ رَبُّهُ)؛ والصلة " مصطلح الفراء لما يسميه البصريون بالزيادة والحشو (انظر "المصطلح النحوي" ص ١٢٨) .

وجدنا سبعة أعراب^(١) من هذا النوع في تفسير القرطبي، وكلها ليست منقولة من كتاب "إعراب القرآن" لأبي جعفر النحاس غير إعراب واحد، وهذا الإعراب الوحيد ساقه القرطبي عند تفسير قول الله تعالى (وَأُولَئِكَ مِمَّ الْمُفْلِحُونَ)^(٢) فَقَالَ^(٣) (("هَمْ" يجوز أن يكون مبتدأ ثانياً وخبره "المفلحون" والثاني وخبره خبر الأول، ويجوز أن تكون "هم" زائدة يسميها البصريون فاصلة والكوفيون عمادا - و "المفلحون" خبر "أولئك")) .

فقد ذكر في هذا النص المصطلحين: "الفاصلة" و "العماد" الأولى للمذهب البصري والثاني للمذهب الكوفي، والمصطلحان للدلالة على حالة إعراب واحد، هو زيادة ضمير "هم" في الآية المذكورة؛ فهذا مذهب أبي جعفر النحاس؛ إذ نقل هذا الإعراب حرفياً من كتابه "إعراب القرآن"^(٤) وهذا مذهب القرطبي أيضاً؛ لأنه نهج هذا المنهج، كما ورد في المواضع التي سبق ذكرها، وفيما يلي أحد أمثلة تلك المواضع:

أعرب القرطبي قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)^(٥) فذكر مصطلحي المذهب البصري والكوفي معاً للتعبير عن موقع (إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) من الإعراب، من دون أي إشعار بأنه فضل أحدهما على الآخر، فكان اختلاف الأسماء ليس مُشْكِلاً عنده، إذ قال^(٦) (((مَا فَعَلُوهُ) أي القتل والخروج (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) "قليل" بدل من الواو، والتقدير ما فعله أحد إلا قليل. وأهل الكوفة يقولون : هو على التكرير ما فعلوه ما فعله (إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ))) .

وتدريستنبط من هذه الظاهرة أن للقرطبي منحي واضحاً في المحاولة لتقريب المذهبين البصري والكوفي، إذ ذكر المصطلحين للمذهبين المختلفين لمسألة واحدة، فكانت أراد بذلك أن يبين لنا أن المذهبين لم يختلفا في جوهر المسألة وإنما اختلفا في عرضها أو تسميتها فحسب.

(١) سبق ذكر المواضع الستة وسابعتها المثال الآتي في المتن.

(٢) البقرة / ٥ .

(٣) "التفسير" ١٨١/١ .

(٤) انظر "إعراب القرآن" ١٨٤/١ .

(٥) النساء / ٦٦ . (٦) انظر "تفسير القرطبي" ٢٢٠/٥ .

(٢) استخدام القرطبي للمصطلحات البصرية:

إنَّ بعض مصطلحات النحو البصرية التي استخدمها القرطبي في تفسيره النحوي كالآتي: (١) الاستقرار (٢)، والبسـدل (٣) والبيان (٤)، والتمييز (٥)،

- (١) اقتصر العرض على المصطلحات المختلف فيها عند المذاهب.
- (٢) انظر "تفسير القرطبي" ٢/٢٩/السطر ١٩/البقرة ٩١، و"الاستقرار" استخدمه القرطبي نقلا عن النحاس (إعراب القرآن" ١/٢٤٨) للدلالة على الظرف، واستخدم سيويه مصطلح الاستقرار للدلالة على الظرف أو الجار المجرور الذي ذكر عاملهما (انظر "الكتاب" ١/٥٦/السطر ٨، و"حاشية المبان" ١/٢٠٠).
- (٣) البذل ، مصطلح بصري يقابله "الترجمة" أو "التبيين" أو "التكرير" عند الكوفيين (شرح الاشموني" ٢/١٢٥، وشرح التصريح على التوضيح" ٢/١٥٥) واستخدمه القرطبي في عدة مواضع منها "التفسير" ١/٢٤٧/السطر ١٢.
- (٤) البيان ، مصطلح استخدمه القرطبي كثيرا نقلا عن النحاس للدلالة على التمييز، ولم نعثر على من سبقهما في الاستعمال، وأما الخليل بن أحمد^{نقده} استعمل كلمة "التبيين" والتفسير معا للدلالة على التمييز (انظر الكتاب ٢/١٨١/السطر ١، والاظهار للبر كوى ص ١٣٦). و"التبيين" و"البيان" متقاربان، فلعل الثاني استعمال آخر للاول؛ وانظر بعض المواضع استخدم فيها مصطلح البيان في "تفسير القرطبي" وفي "إعراب القرآن" للنحاس فيما يلي: "التفسير" ١/٤٢٠/السطر ٣/البقرة ٦٠ وفي "إعراب القرآن" ١/٢٣٠/السطر ١٣؛ و"التفسير" ٢/٤٣٢/السطر ٤، وفي "إعراب القرآن" ١/٤٩٢/السطر ١٠؛ و"التفسير" ٥/٢٤٨/السطر ١٤، وفي "إعراب القرآن" ١/٤٦٢/السطر ١٢، و"التفسير" ٦/٢٥٥/السطر ٥، وفي "إعراب" ٢/٣٦/السطر ١٢، وغيرها.
- (٥) التمييز مصطلح بصري يقابله "التفسير" عند الفراء الكوفي (انظر "معاني الفراء" ١/٢٩/السطر ١٣، واستخدمه القرطبي في عدة مرات، منها: "التفسير" ٢/٢٥١/السطر ٢؛ و"التفسير" ١١/٦٦/السطر ١٢، وغيرها.

والزائدة (١)، والصفة (٢)، والضمير (٣)، والظرف (٤)، والفعل (٥)، والمفعول من أجله (٦).

وأما أصحاب وجوه الإعراب التي عثر عنها بهذه المصطلحات - في أكثر من ثلاثين موضعاً - وقفت عليها - فلم يذكر هؤلاء الأصحاب في تلك المواضع إلا في القليل (٧).

- (١) الزائدة مصطلح بصري يقابله "الملة" عند الكوفيين (انظر "شرح المفصل" ١٢٨/٨ / السطر ١٠/١) وبعض المواضع التي استخدم فيها القرطبي هذا المصطلح هو "التفسير" ٤٢٤/١ / السطر ١؛ و"التفسير" ٢٤٤/٣ / السطر ١٦ .
- (٢) الصفة مصطلح بصري يقابله "النعته" عند الكوفيين (انظر "معجم الهوامع" ١٢١/٥) وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٢٠٣/٣ / السطر ١٩ .
- (٣) "الضمير" مصطلح بصري يقابله "المكنى" أو "الكناية" عند الكوفيين (انظر "شرح المفصل" ٨٤/٣) وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ١٢/١١ / السطر ٨ .
- (٤) الظرف : مصطلح استخدمه سيويه فعرف بأنه مصطلح بصري (انظر "كتاب سيويه" ٢٨٥/٣ والمصطلح النحوي" ١٤٠، ١٤١) : والظرف عند الفراء يسمى "المحل" وعند الكسائي وأصحابه يسمى "صفة" (انظر "حاشية الحضري" ١٩٦/١) وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٢٩١/٣ / السطر ٥ .
- (٥) "الفعل" مصطلح بصري، ويقابله "العماد" عن الكوفيين (انظر "شرح المفصل" ١١٠/٣ / السطر ١٠) . وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٢٦٠/٧ / السطر ٢ .
- (٦) "المفعول من أجله" هو مصطلح بصري ، وعثر الكوفيون عنه وعن ثلاثة مفاعيل أخرى (المفعول المطلق والمفعول فيه، والمفعول معه) بمصطلح "مشبه بالمفعول" (انظر "معجم الهوامع" ٨/٣) . وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٣١٤/٣ / السطر ٥ .
- (٧) وذلك ذكر مصطلح "مفعول من أجله" لقتادة والسدي (انظر التفسير ٢٨/٢ / السطر ١٣) ومصطلح "البدل" للأخفش (التفسير ١١٣/٧ / السطر ١٠) ؛ ومصطلح التمييز للزجاج (التفسير ٧٧/١١ / السطر ٩) .

وإن كثيراً من هذه الأعراب منقول من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس^(١)، وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الأحوال:

- مثال ما يستخدم فيه مصطلح بصري ويذكر معه صاحبه:
ذكر القرطبي أوجه الأعراب في قوله تعالى (قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٢)، أحدهما أن "أن" زائدة على التقدير قالوا ومالنا لا نقاتل في سبيل الله، وهذا الوجه للأخفش البصري، وقال القرطبي في ذلك (٣) ((قال الأخفش أن زائدة، وقال الفراء: هو محمول على المعنى، أي وما منعنا، كما تقول: مالك ألا تصلي! أي ما منعك، وقيل: المعنى وأي شيء لنا في ألا نقاتل في سبيل الله! قال النحاس: وهذا أجودها، وأن" في موضع نصب)).

وهذا الإعراب مما نقله القرطبي من "إعراب القرآن" للنحاس جملة منصوماً (٤).

- مثال ما يستخدم فيه مصطلح بصري ولم يذكر معه صاحبه:
وذلك كما في إعرابه لقوله تعالى (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) (٥) حين قال (٦) ((أي علم ما كان وما يكون، "علماً" نصب على التمييز)).
فذكر فيه مصطلح "التمييز" ولم يذكر معه صاحب وجه الإعراب.

(١) كل "مصطلح البيان" الوارد في تفسير القرطبي ويقصد به "التمييز" منقول من النحاس، وقد ذكرنا أربعة مواضع منها (انظر هامش الصفحة (١٦٩) رقمه (٤))، وكذلك مصطلح الظرف الوارد في التفسير ٢٩/٢ السطر/١٣، وفي "إعراب القرآن" ٢٤٨/١ السطر/٣، ومصطلح المفعول من أجله "الوارد في" التفسير ٢٠/٣ السطر/٦، وفي "إعراب القرآن" ٢٩٩/١ السطر/١٧؛ ومثله في التفسير ٢٣١/٣ السطر/١٧، وفي "إعراب القرآن" ٣٢٤/١ السطر/١ وغيرها.

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (٢) البقرة / ٢٤٦ | (٣) "تفسير القرطبي" ٢٤٤/٣ |
| (٤) "إعراب القرآن" ٣٢٥/١ | (٥) الأعراف / ٨٩ |
| (٦) "تفسير القرطبي" ٢٥١/٧ | |

(٣) استخدام القرطبي للمصطلحات الكوفية :

هناك أحد عشر مصطلحاً كوفياً استخدمها القرطبي للتعبير عن الوجوه الإعرابية المختلفة، وبعضها ذكر مرتين أو أكثر حتى بلغ المواضع التي ذكر فيها تلك المصطلحات أكثر من خمسة وعشرين موضعاً، والمصطلحات هي "الإدغام" (١) و"لا" التبرئة (٢) و"الترجمة" (٣) و"التفسير" (٤) و"التكرير" (٥)، و"الجحد" (٦)، و"حرف الصفة" (٧).

(١) "الإدغام" بتخفيف الدال مصطلح كوفي، ويقابله "الإدغام" بتشديد الدال عند البصريين (انظر "شرح المفصل" ١٠/١٢١/١)، وانظر استخدام هذا المصطلح في تفسير القرطبي ١٨/٨٨/السطر ٧/ .

(٢) "لا" التبرئة مصطلح كوفي ويقابله "لا" النافية للجنس عند البصريين ؛ وذلك المصطلح مما استخدمه الفراء (انظر معاني القرآن ١٢٠/١) وانظر استخدام ذلك في "التفسير" ١٠/٣٢٩/السطر ١٠، و"التفسير" ٩/٣٩/السطر ١٩/ .

(٣) "الترجمة" مصطلح كوفي يقابله البديل عند البصريين، وانظر عن هذا في هامش الصفحة (٣٦٩) ذي رقم (٣) وانظر استعمال هذا المصطلح في تفسير القرطبي، ١٥/٢٥٢/السطر ١٧/ .

(٤) "التفسير" ذكره القرطبي في تفسيره منموباً إلى الفراء للدلالة على ما يسمى بالبديل عند البصريين (انظر "تفسير القرطبي" ١٠/٣٨٤/السطر ١٨؛ وانظر معاني القرآن " للفراء ٢/٦٩/السطر ٢) .

(٥) "التكرير" مصطلح كوفي يقابله البديل عند البصريين (انظر هامش الصفحة (١٦٩) رقم (٣) من هذه الرسالة، وذكره القرطبي منموباً إلى الكسائي في "تفسيره" ٣/٤٤/السطر ١١/ .

(٦) "الجحد" مصطلح كوفي وضعه الفراء، ويقابله النفي عند البصريين (انظر "معاني القرآن" ١/٥٢/السطر ٨، و ١/٤٧٩/السطر ١٠، وانظر "المصطلح النحوي" ص (١٧١) وذكر هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٢٠/١٠٥/السطر ٨/ .

(٧) "حرف الصفة" مصطلح كوفي يقابله حرف الجرّ عند البصريين (انظر "شرح المفصل" ٤/٧٤/٨) وذكره القرطبي في "تفسيره" ١٩/٢٠٣/السطر ٢/ .

والخروج^(١)، و "الصلة"^(٢)، و "الكناية"^(٣)، و "النعته"^(٤).

ومن نتائج الدراسة في هذه الظاهرة أن هذه المصطلحات لم تنسب إلى أصحابها في الأعراب التي ذكرها القرطبي إلا في القليل^(٥)، ومنها أيضا أن هذه الأعراب ليست منقولة من "إعراب القرآن" للنحاس إلا قليلا^(٦)، وهذا عكس ما كان في ظاهرة استخدام المصطلحات البصرية، إذ كانت الأعراب في الغالب منقولة من ذلك الكتاب وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الأحوال:

- (١) "الخروج" مصطلح استعمله الفراء ولم يضع لهذا المصطلح حداً، ولم يستخدمه غيره (انظر "المصطلح النحوي/١٨٨) وذكره القرطبي منسوبا إلى الفراء (انظر "تفسير القرطبي" ٩٣/١٩ السطر ١؛ وانظر "معاني القرآن" ٢٠٨/٣ السطر ٦) .
- (٢) "الصلة" مصطلح كوفي يقابله "الزيادة" عند البصريين (انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨/٨) وذكره القرطبي في "تفسيره" ١٠٨/٦ السطر ٨، وتفسيره ١٠٣/١٠ السطر ٨ ؛ وتفسيره ١٢٥/١٢ السطر ٣، وتفسيره ٢٧٤/١٨ السطر ٨، وغيرها .
- (٣) "الكناية" مصطلح كوفي يقابله "الضمير" عند البصريين (انظر "شرح المفصل" ٨٤/٣، وانظر "مع الهوامع" ١٩٤/١)؛ وانظر استعمال هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٣٠١/٩ السطر ١٣؛ و ١/١١ السطر ٩ .
- (٤) "النعته" مصطلح كوفي، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة (مع الهوامع" ١٧١/٥) وانظر استخدام هذا المصطلح في "تفسير القرطبي" ٤١٢/٥ السطر ١٤ .
- (٥) وذلك في استعمال مصطلح التفسير للفراء (انظر تفسير القرطبي" ٣٨٤/١ السطر ١٧)؛ ومصطلح "التكرير" للكسائي (تفسير القرطبي ٤٤/٣ السطر ١٤) ومصطلح "الصلة" و "الخروج" كلاهما للفراء (انظر الاول في "تفسير القرطبي ٣٦/١٢ السطر ١٤، والثاني في "تفسير القرطبي" ٩٤/١٩ السطر ١) .
- (٦) هناك إعرابان من هذا الصنف نقلهما القرطبي من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس :

- مثال ما استخدم فيه مصطلح كوفي وذكر معه صاحبه:

مثال هذا النوع إعراب القرطبي لقوله تعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) (١) إذ ذكر فيه وجه إعراب عبّر عنه بالترجمة والتفسير، وذكر معهما على بن حمزة الكسائي صاحب المصطلحين الكوفيين، وقال القرطبي في ذلك (٢) ((قال الكسائي: نصب "رجلا"؛ لأنّه ترجمة للمثّل وتفسير له (٣) وإن شئت نصبته بنزع الخافض، مجازةً: ضرب الله مثلاً برجل فيه شركاء متشاكسون)).

- مثال ما استخدم فيه مصطلح كوفي ولم يذكر معه صاحبه:

وذلك كاعراب القرطبي لقوله تعالى (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) (٤) إذ ذكر فيه وجه إعراب عبّر عنه بالتبرئة، من غير ذكر صاحب الوجه، وقال في ذلك (٥) ((اي لا مانع؛ فإنّه يوم حقّ فيه العذاب إلى الكفار، وانتصب "عاصم" على التبرئة، ويجوز "لا عاصم اليوم" تكون "لا" بمعنى ليس)).

- مثال استخدام مصطلح كوفي في إعراب منقول من كتاب "إعراب القرآن":

وذلك إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَأَسْرَوْهُ يُضَاعَةُ) (٦) حين قال (٧) ((الهاء كناية عن يوسف عليه السلام؛ فأما الواو فكناية عن إخوته، وقيل: عن التّجار الذين اشتروه، وقيل عن الوارد وأصحابه)).

== الأول إعراب قوله تعالى (وَأَسْرَوْهُ يُضَاعَةُ) (انظر "تفسير القرطبي" ١٥٤/٩ / يوسف ١٩، وانظر "إعراب القرآن" ٣٨٩/٢، حيث ذكر فيهما مصطلح الكناية)؛ والثاني إعراب قوله تعالى (قَالَ فِيهِ) (انظر تفسير القرطبي" ٤٤/٣ / البقرة ٢١٧، وانظر "إعراب القرآن" ٣٠٧/١، حيث ذكر فيهما مصطلح "التكرير") والأول منقول نصاً والثاني بتمرّف.

(١) الزمر ٢٩ • (٢) "تفسير القرطبي" ٢٥٢/١٥ •

(٣) الترجمة والتفسير هنا بمعنى البذل • (٤) هود ٤٣ •

(٥) "تفسير القرطبي" ٣٩/٩ • (٦) يوسف / ١٩ •

(٧) انظر "تفسير القرطبي" ١٥٤/٩ •

فقد ذكر في هذا الإعراب مصطلح "الكناية" الذي يقابله مصطلح "الضمير" عند البصريين، وهذا الإعراب منقول بنصه من كتاب "إعراب القرآن" للتحاس^(١).

(١) انظر "إعراب القرآن" للتحاس ٣١٩/٢ .

المبحث الرابع: مصادر القرطبي النحوية واللغوية

يعدّ تفسير القرطبي تفسيراً فنياً، أو تفسيراً بالرأي الجائز - كما سبق بيان ذلك في المدخل - فالتفسير من هذا النوع يعتمد في فهم نصوص القرآن على الأحاديث المأثورة والنحو واللغة.

وتنقسم مصادر القرطبي النحوية واللغوية إلى عدّة أصناف: الأول: كتب النحو، والثاني: كتب "معاني القرآن" و"إعراب القرآن"، والثالث: كتب القراءات، والرابع: كتب اللغة، والخامس: كتب التفسير، وما يلي تفصيل ذلك:

الأول: كتب النحو:

لم نجد دليلاً على أنّ القرطبي رجع إلى كتب النحو إلاّ إلى "كتاب سيبويه" ومع ذلك لا يعني أنّ الأقوال المنسوبة إلى سيبويه كلّها مأخوذة من الكتاب، بل أغلبها منقول ممن اعتمدوا على سيبويه في كتبهم، كإعراب القرآن^(١) للنحاس، و"المحتسب"^(٢) لابن جني، و"تفسير المحرّر الوجيز"^(٣) لابن عطية وغيرها. والدليل على أنّ القرطبي رجع إلى كتاب سيبويه، أنّه نقل إعرابه لقوله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ)^(٤) من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس؛ ويبدو ذلك بالمقارنة

- (١) انظر - مثلاً - رأي سيبويه في إعراب قوله تعالى (قُلُواْ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ) في "تفسير القرطبي" ٤٣٨/١/البقرة ٦٤، وفي "إعراب القرآن" للنحاس ٢٣٣/١؛ وانظر في إعراب قوله تعالى (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) في "تفسير القرطبي" ١٥٦/٤/آل عمران ١٠١، وفي "إعراب القرآن" ٣٩٨/١، وغيرهما وهو كثير.
- (٢) انظر حكاية سيبويه في إعراب (أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ) برفع "بعوضة" في "التفسير" ٢٤٣/١/البقرة ٢٦، وفي "المحتسب" لابن جني ٦٤/١.
- (٣) انظر قول سيبويه في إعراب قوله تعالى (أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُواْ عَهْدًا) في "التفسير" ٣٩/٢/البقرة ١٠٠، وفي "المحرّر الوجيز" لابن عطية ٤١١/١.
- (٤) آل عمران ٢٦.

بين النصين، ولكن القرطبي أدخل التغيير؛ إذ زاد بنظير الآية المذكورة هو قوله تعالى (اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(١)، وهذه الآية هي ما ذكرها سيبويه في كتابه. ونص الإعراب في الكتب الثلاثة ما يلي:

النص في تفسير القرطبي ((و"مَلِكٌ" منصوب عند سيبويه على أنه نداء ثان. ومثله قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(٢)) ولا يجوز عنده أن يوصف "اللَّهُمَّ"؛ لأنه قد ضمت إليه الميم. وخالفه محمد بن يزيد وإبراهيم بن السري الزجاج فقالا: "مالك" في الإعراب صفة لاسم الله تعالى، وكذلك "فاطر السموات والأرض... (٣)".

والنص في "إعراب القرآن" للنحاس (("مَالِكُ الْمَلِكِ" ^(٤)) منصوب عند سيبويه على أنه نداء ثان ولا يجوز أن يكون عنده صفة لقوله: "اللهم" من أجل الميم، وخالفه محمد بن بن يزيد وإبراهيم بن السري في هذا وقالوا: يجوز أن يكون صفة كما يكون صفة إذا جئت بيا ^(٥))).

فيلاحظ شبه كبير بين النصين، ولكن نظير الآية المذكورة هو قوله تعالى (اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(٦)، الذي أتى به القرطبي في تفسيره ليس مذكورا في "إعراب القرآن" للنحاس، بل هو موجود في كتاب سيبويه، وما هو ذا نصه: قال سيبويه ^(٧) ((وقال الخليل رحمه الله: اللَّهُمَّ نداء، والميم ما هنا بدل من

(١) الزمر/٤٦ •

(٢) الزمر/٤٦ •

(٣) "تفسير القرطبي" ٥٤/٤ •

(٤) آل عمران/٢٦ •

(٥) "إعراب القرآن" ٣٦٥/١ •

(٦) الزمر/٤٦ •

(٧) "كتاب سيبويه" ١٩٦/٢ •

يا، فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخرُ الكلمة بمنزلة يا في أولها، إلا أن الميم ها هنا في الكلمة كما أن نون المسلمين في الكلمة بُنيت عليها، فالميم في هذا الاسم حرفان أولهما مجزوم، والهاء مرتفعة لأنه وقع عليها الاعراب. وإذا ألحقت الميم لم تصف الاسم، من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنزلة صوت كقولك: يا هنا، وأما قوله عز وجل: (اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (١) فعلى يا، فقد مرّفوا هذا الاسم على وجوه لكثرت في كلامهم؛ ولأن له حالاً ليست لغيره).

ودليل آخر، أعرب القرطبي قوله تعالى (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) (٢) فقال (٣) ((أي عما لا يحل من الزنا وغيره. وفي قوله: "والحافظات" حذف يدل عليه المتقدم، تقديره: "والحافظات"، فاكتفى بما تقدم. وفي (الذاكرات) (٤) أيضاً مثله، وتظيره قول الشاعر:

وَكُمْتَ مَمْتَاةً كَانَ مَتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشَعَرَتْ لَوْنٌ مَذْمَبٌ (٥)

وروى سيويه: "لَوْنٌ مَذْمَبٌ" بالنصب، وإنما يجوز الرفع على حذف الهاء، كأنه قال: "واستشعرته" "فيم رفع "لونا") (٦).

ومضمون هذا الإعراب يتفق مع مضمون الإعراب في كتاب "إعراب القرآن" للنحاس (٦)، ولكن الشاهد، والقول عن رواية سيويه ليس موجودين في ذلك الكتاب.

(٢) الأحزاب ٣٥/

(١) الزمر ٤٦/

(٣) "تفسير القرطبي" ١٨٥/١٤

(٤) الأحزاب ٣٥/

(٥) البيت لطفي الغنوي (انظر ديوانه: ص ٧) والشاهد فيه: "لَوْنٌ مَذْمَبٌ" بالرفع على إعمال الأول، وبالنصب على إعمال الثاني. والخَلَّ الكُمْتُ: المشربة حمرة، جمع كُمَيْت. والمَمْتَاة: الشديدة الحمرة. مَتُونَهَا: ظهورها.

(٦) انظر "إعراب القرآن" ٣١٥/٣

وانما ذكر الشاهد على تلك الرواية في كتاب سيويه^(١)، باب "الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك" أي "باب التنارع".

الثاني: "كتب معني القرآن" و"اعراب القرآن":

ان "الكتب من هذا الصنف التي رجع اليها القرطبي في بناء تفسيره هي: "معاني القرآن" للقراء (ت ٢٠٧هـ) و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) و"اعراب القرآن" المنسوب الى الزجاج (ت ٣١١هـ) و"ايضاح الوقف والابتداء" لأبي بكر الانباري (ت ٣٢٨هـ) و"اعراب القرآن" للنحاس (ت ٣٣٧هـ) و"مشكل أعراب القرآن" لمكر بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)."

وكان اعتماد القرطبي على هذه الكتب لا يقتصر في الاعراب، بل كذلك في توجيه القراءات واللغات وشرح للمعاني، ولكن "اعتماده عليها - بطبيعة الحال - ليس على مستوى واحد؛ لأن محتوى هذه الكتب لم يكن على درجة واحدة أيضا كمّا ونوعاً؛ فمحتوى كتاب "معاني القرآن" للأخفش أقل وأضيق من "اعراب القرآن" للنحاس^(٢)، مثلاً.

ويعدّ كتاب "اعراب القرآن" للنحاس أهم هذه المجموعة بل أهم مصادر القرطبي النحوية كلها؛ لأنه اعتمد عليه اعتماداً كبيراً وبنى أعرابه للقرآن في تفسيره على أساس هذا الكتاب - كما سبق بيان ذلك^(٣).

(١) انظر "كتاب سيويه" ٧٧/١ .

(٢) لأن "اعراب القرآن" احتوى على الاعراب، وتوجيه القراءات، واللسغات، واختلاف العلماء، وشرح للمعاني كما ذكر ذلك مؤلفه في المقدمة (انظر "اعراب القرآن" ١٦٥/١) وهو على خمس مجلدات، وأما "معاني القرآن" فهو على مجلدين فقط.

(٣) انظر في "المبحث: الاحتجاج بالنثر" وفي "موقف القرطبي من النحاة السابقين" وفي "مصطلحات القرطبي النحوية" من هذه الرسالة.

وما يلي بعض المواقع التي نقل القرطبي فيها تفسيره من هذه الكتب:

١- ما نقل عن "معاني القرآن" للفراء.

أعرب القرطبي قوله تعالى (مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا^(١)) وأخذ مادة الإعراب من "إعراب القرآن" للنحاس و"معاني القرآن" للفراء، ونص: الإعراب في هذه الكتب آت: النص في "تفسير القرطبي" (("مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا^(٢)" أي في الجنة، ونصب "مُتَكَبِّرِينَ" على الحال من الهاء والميم في "جَزَاهُمْ" والعامل فيها جزي ولا يعمل فيها "صَبَرُوا"؛ لأنَّ الصبر إنما كان في الدنيا والاعتكاف في الآخرة. وقال الفراء: وإن شئت جعلت "مُتَكَبِّرِينَ" تابعا، كأنه قال جزاهم جنة متكبين فيها^(٣))).

والنص في "إعراب القرآن" للنحاس ((قال الفراء: نصب "متكبين" على القطع وهو عند البصريين على الحال من الهاء والميم، والعامل فيه جزاء ولا يجوز أن يعمل فيه "صبروا"؛ لأنَّ "متكبين" إنما هو في الجنة، والصبر في الدنيا. ويجوز أن يكون منصوبا على أنه نعت لجنة، ولذلك حسن؛ لأنه قد عاد الضمير عليها^(٤))).

وبالمقارنة بين النصين الماضيين تبين أن مضمونيهما لم يختلفا، ولكن كلام الفراء المنقول في "تفسير القرطبي" أوسع مما هو عليه في "إعراب القرآن"؛ لأنه إنما ذكر فيه ((قال الفراء: نصب "متكبين" على القطع؛ وذلك لأنَّ القرطبي رجع إلى "معاني القرآن" للفراء فأخذ منه مباشرة كلام الفراء مع قليل من التصرف. وإليك نمته: ((وقوله تعالى: (متكبين فيها^(٥)) منصوبة كالقطع. وإن شئت جعلته تابعا للجنة، كأنك قلت، جزاهم جنة متكبين فيها^(٦))).

(١) الانسان/١٣ .

(٢) الانسان/١٣ .

(٣) "تفسير القرطبي" ١٩/١٣٧ .

(٤) "إعراب القرآن" للنحاس ٥/١٠٠ .

(٥) الانسان/١٣ .

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/٢١٦ .

٢- ما نقل من "مجاز القرآن" لأبي عبيدة.

هذا الكتاب من المصادر التي نقل منها القرطبي تفسيره أيضاً، وليس كل المنقول منه مقبولا لديه، - كما سبق ذكر ذلك -، وذا مثال ما نقل منه القرطبي حرفياً.

قال القرطبي في بيان معنى (مَنْ اللَّهُ) من قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) (١) فقال (٢) ((و"مِنْ" في قوله "مِنْ اللَّهِ" بمعنى "عند الله": قاله أبو عبيدة))، فهذا القول مأخوذ حرفياً من "مجاز القرآن" (٣).

٣- ما نقل من "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج.

أعرب القرطبي قوله تعالى (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ) (٤) فقال (٥) ((أي لـأولادكم غير الوالدة؛ قاله الزجاج. قال النحاس: التقدير في العربية أن تسترضعوا أجنبية لأولادكم: مثل (كَالْوَهْمِ أَوْ وَزَنُوهُمْ) (٦) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم؛ وحذفت اللام؛ لأنه يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف (٧)).

فقد ذكر القرطبي في ذلك إعراب قولين: أحدهما للزجاج والآخر للنحاس، والقولان متفقان في المضمون، ولكنهما مأخوذان من مصدرين مختلفين، فقول النحاس مأخوذ نصاً من كتابه "إعراب القرآن" (٧)، وقول الزجاج وجدناه موافقاً لما ذكر في "إعراب

(١) آل عمران/ ١٠.

(٢) "تفسير القرطبي" ٢٢/٢.

(٣) "مجاز القرآن" ٧٨/١.

(٤) البقرة/ ٢٣٣.

(٥) "تفسير القرطبي" ١٧٢/٣.

(٦) المطففين/ ٣.

(٧) "إعراب القرآن" للنحاس ٣١٧/١.

القرآن" المنسوب إلى الزجاج، ونصّ القول فيه ((ومنه قوله تعالى (أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ^(١)) أي لأولادكم)).

وفي موضع آخر بيّن القرطبي إعراب قوله تعالى (غُفْرَانُكَ^(٢)) فقال^(٣) ((وقوله (غُفْرَانُكَ^(٤)) مصدر كالكفران والخسران، والعامل فيه فعل مقدر، تقديره: اغفر غفرانك؛ قاله الزجاج)).

هذا القول المعزوّ إلى الزجاج وجدناه موافقا لما ذكر في "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج؛ إذ قيل فيه ((فمن ذلك قوله تعالى (قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ^(٥)) أي نسألك غفرانك، ونستغفر غفرانك، واغفر لنا غفرانك^(٦))).

فوجدنا بين القولين في الكتابين شَبْهًا في الأسلوب، وهما متفقان في المضمون؛ ولزاد قوة الشَبْه بينهما إذا نظرنا إلى عنوان الباب الذي تكون هذه المسألة تندرج تحته في ذلك الكتاب، وهو "باب ما جاء في التنزيل من المصادر المنصوبة بفعل مضمّر دلّ عليه ما قبله"^(٧)، فكان الباب يتحدّث عن العامل الفعل المقدّر، هي عين المسألة التي ركّز عليها الزجاج فيما نقله القرطبي.

ومما يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار في هذه الحقيقة هو أن بعض الأقوال في "كتاب إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج، حقًا للزجاج، مع قبول وجود الأقوال الأخرى في ذلك الكتاب لغير الزجاج، كالأقوال أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ)

(١) "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج ١١٠/١ .

(٢) البقرة/٢٨٥ .

(٣) "تفسير القرطبي" ٤٢٩/٣ .

(٤) البقرة/٢٨٥ .

(٥) البقرة/٢٨٥ .

(٦) "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج ٧٦٧/٢ .

(٧) المصدر نفسه ٧٦٧/٢ .

وغيرهما^(١): وهذا مخالف لما ذهب إليه محقق الكتاب الذي رجّح أنّ ذلك الكتاب ليس للزجاج، وإنّما لمكي بن أبي طالب صاحب "مشكل إعراب القرآن" المتوفى سنة ٤٣٧هـ^(٢).

٤- ما نقل من "كتاب إيضاح الوقف والابتداء" في كتاب الله عز وجل "لأبي بكر ابن الأنباري".

هذا الكتاب من المصادر المهمة أيضا عند القرطبي، وكل أقوال أبي حاتم السجستاني وردود ابن الأنباري عليها الواردة في تفسير القرطبي هي كلّها مأخوذة من هذا الكتاب - كما سبق بيان ذلك^(٣) - ونقل القرطبي الأقوال من هذا الكتاب بطريقة النص. في أغلب الأحيان^(٤)، وإليك مثالا واحدا منها:

نقل القرطبي قول أبي حاتم السجستاني ورد ابن الأنباري عليه في إعراب قوله تعالى (وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاجِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)^(٥)، وقال^(٦) ((قال السجستاني: إن شئت أبدلت (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) مِنْ (مَا ضَلَّ صَاجِبُكُمْ). قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأنّ "إِنْ" الخفيفة لا تكون مبدلة من "ما"، الدليل على هذا إنك لا تقول: "وَاللَّهُ مَا قُمْتُ إِنْ أَنَا لَقَاعِدٌ")، وهذا الإعراب مما نقله القرطبي حرفيا من كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" لابن

(١) أي الأقوال التي لا يمكن أن يكون الزجاج قد نقلها من أصحابها؛ لأنهم ممّن عاشوا بعده؛

وهذا من الأسباب التي بها رجّح إبراهيم الأنباري أنّ كتاب "إعراب القرآن" المذكور لمكي بن أبي طالب وليس للزجاج، (انظر "إعراب القرآن" ١٠٩٥/٣ وما بعدها).

(٢) "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج ١٠٩٨/٣.

(٣) انظر ذلك في ختام البحث في موقف القرطبي الثالث من النحاة المتأخرين في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٤) انظر مثلاً في "تفسير القرطبي" ٢٩/١٢ / الحج ٢٣؛ و"التفسير" ١٣١/١٢ / المؤمنون ٥٥؛ و٢٨٦/١٩ / البروج ٤ وغيرها.

(٥) النجم ١-٤. (٦) "تفسير القرطبي" ٨٥/١٢.

الأُنباري (١).

٥- ما نقل من كتاب "أعراب القرآن" للنحاس:

هذا الكتاب أهمّ مصادر القرطبي النحوية، ولقد أوضحنا في مواضع كثيرة اعتماد القرطبي على هذا الكتاب، الذي جعله أساساً لبناء تفسيره النحوي (٢).
وقد سبق بيانه أيضاً أنّ القرطبي لم يذكر - في مواضع كثيرة - مصادر النقول، فكثير من الأعراب في الحقيقة أنّها مسرودة من هذا الكتاب (٣).
ولكنّ الأمر الذي ينبغي التنبيه عليه هنا هو أنّ هناك أقوالاً كثيرة منسوبة إلى النحاة السابقين أمثال سيويه (ت ١٨٠هـ) والكسائي (ت ١٩٣هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وسعيد الأَخفش (ت ٢١٥هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ)، في الحقيقة أنّها مأخوذة بالفاظها من هذا الكتاب أيضاً، ولم يذكر القرطبي أنّها منه، وكأنّها في الظاهر مأخوذة من كتب هؤلاء العلماء، أو من مصادر مختلفة.

والتّظي عن ذكر المصادر هو أمرٌ مخالف لما تعهّد به القرطبي نفسه بأنّ يضيف الأقوال إلى أصحابها، كما صرّح به في مقدّمة تفسيره (٤)، اللهمّ إلاّ إذا قصد بتعهّده نسبة الأقوال إلى أصحابها فحسب، وليس ذكر مصادر الأقوال.

ومايلي بعض الأمثلة لهذه المسألة الأخيرة:

- (١) "إيضاح الوقف والابتداء" ٩١٠/٢.
- (٢) انظر في المبحث في "الاستشهاد بالنثر" وفي "موقف القرطبي من النحاة السابقين" وفي "المصطلحات النحوية عند القرطبي" من هذه الرسالة.
- (٣) انظر في "المبحث في "الاستشهاد بالنثر" مثلاً، وفي المواضع التي سنذكرها في الأمثلة.
- (٤) وقال في هذا "وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها" ("التفسير" ٣/١).

١- قول سيبويه :

أعرب القرطبي قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ^(١)) فنقل قول سيبويه حرفيا من كتاب "إعراب القرآن" للنحاس، دون إشارة إلى أنه منه وقال^(٢) ((رفع بالابتداء عند سيبويه ولا يجوز أن يظهر الخبر عنده، والكوفيون يقولون: رفع بلولا))^(٣).

ب- قول الكسائي:

بيّن القرطبي قوله تعالى (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا^(٤)) فأورد ما ذكره النحاس في إعراب هذه الآية من غير إشارة إلى أن الإعراب منقول منه وقال^(٥) ((قال الكسائي: هو نصب على الاستثناء، وقال الزجاج نصب مفعول من أجله: أي للرحمة^(٦))).

ج- قول الفراء:

لقد أثبتنا أن القرطبي رجع إلى "معاني القرآن" للفراء، ولكنّه في غير موضع

(١) النساء/ ٨٣ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٢٩٢/٥، وانظر هذا الإعراب في "إعراب القرآن" للنحاس ٤٧٥/١ .

(٣) انظر مثله في "تفسير القرطبي" ٤٣٨/١/البقرة/٦٤، في إعراب قوله تعالى (فَلَوْلَا

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)، ثم انظر في "إعراب القرآن" للنحاس ٢٣٣/١؛ وفي "تفسير

القرطبي" ١٥٦/٤ آل عمران/١٠١، في إعراب قوله تعالى (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ)، ثم انظر

في "إعراب القرآن" للنحاس ٣٩٨/١، وعدة مواضع أخرى .

(٤) يس / ٤٤ .

(٥) "تفسير القرطبي" ٣٥/١٥ .

(٦) انظر مثله في "التفسير" ١١١/١١/مريم/٤٤، في إعراب قوله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ

كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)، ثم انظر "إعراب القرآن" للنحاس ١٩/٣؛ و"التفسير" ١٢٣/١٥

الصفحات/١٤٣، في إعراب قوله تعالى (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ)، وانظر "إعراب

القرآن" ٤٣٩/٣ .

نقل آراء الفراء ليس من معانيه بل من "إعراب القرآن" للنحاس، ولم يشر إلى أن المنقول منه، ومثال ذلك:

أوضح القرطبي إعراب قوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ^(١))، فقال^(٢) ((و"الْمُسْلِمِينَ" اسم "إِنَّ" و"الْمُسْلِمَاتِ" عطف عليه، ويجوز رفعهن عند البصريين، فأما الفراء: فلا يجوز عنده إلا فيما يتبين فيه الإعراب))، فهذا الإعراب منقول كلياً من كتاب "إعراب القرآن" وليس فيه إشارة إلى أنه منه^(٣).

هـ- قول سعيد الأخفش:

لم أجد إثباتاً أن القرطبي نقل أقوال سعيد الأخفش من كتابه "معاني القرآن"، بل وجدنا أن معظم الأقوال المنسوبة إلى سعيد الأخفش في تفسير القرطبي مأخوذة من كتاب "إعراب القرآن" من غير الإشارة إلى أنها منه^(٤)، ومن ذلك إعرابه لقوله

(١) الأحزاب ٣٥/٣ :

(٢) "تفسير القرطبي" ١٨٥/١٤ .

(٣) انظر "إعراب القرآن" ٣١٥/٣، وانظر مثله في "التفسير" ٢٨٨/٨/التوبة ١٢٣ في إعراب قوله تعالى (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٤٠/٣، وفي "التفسير" ١٢٦/١٩/الإنسان ٢٦ في إعراب (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)، ثم انظر في "إعراب القرآن" ٢١٥/٣ .

(٤) انظر -مثلاً- في "تفسير القرطبي" ٢٨٤/١/البقرة ٤٩، في إعراب قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٢٣/١؛ وفي "التفسير" ٤٣٢/١/البقرة ٦١، في إعراب قوله تعالى (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٣٢/١؛ وفي "التفسير" ٢٩٣/٥/النساء ٨٤ في إعراب (لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٤٧٦/١ .

تعالى (وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) ^(١) حين قال ^(٢) ((قال الأخفش سعيد: "لا" زائدة؛

والمعنى ولا الظلمات والنور، ولا الظل والحرور)) .

هذا الإعراب منقول بالفاظه من "إعراب القرآن" للنحاس ^(٣) .

و- قول المبرد:

إن معظم الأقوال المنسوبة إلى المبرد في تفسير القرطبي هي مأخوذة من

"إعراب القرآن" للنحاس ^(٤)، فحالة أقوال المبرد كحالة أقوال الأخفش، فمن ذلك كما

يلي:

يبين القرطبي إعراب قوله تعالى (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ^(٥)) وقال ^(٦) ((قال

أبو عبيدة: "إذ" زائدة، وقال محمد بن يزيد، التقدير أذكر إذ. وقال الزجاج: المعنى

واسم آل عمران إذ قالت امرأة عمران)) .

ز- قول الزجاج:

ومن أقوال الزجاج المنقولة من "إعراب القرآن" إعراب القرطبي لقوله تعالى

(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ^(٧)) حين قال ^(٨) ((قال الزجاج (الذين)

(١) فاطر/٢٠

(٢) "التفسير" ٣٣٩/١٤ .

(٣) انظر "إعراب القرآن" ٣٦٩/٣ .

(٤) انظر -مثلاً- "تفسير القرطبي" ٤٥٢/١/البقرة/٧٠، في إعراب قوله تعالى (إِنْ شَاءَ

اللَّهُ)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٣٦/١؛ و"التفسير" ١٧/٢/البقرة/٨٣، في إعراب

قوله تعالى (إِلَّا قَلِيلًا)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٤٢/١؛ و"التفسير"

٨٩/٨/التوبة/١٦، في إعراب (أَنْ تَتَرَكُّوا)، ثم انظر "إعراب القرآن" ٢٠٦/٢ .

(٥) آل عمران/٣٥ .

(٦) "التفسير" ٦٥/٤، وانظر في "إعراب القرآن" ٣٦٩/١ .

(٧) الحج/٤١ .

(٨) "التفسير" ٢٢/١٢ .

في موضع نصب ردّا على "من" يعني في قوله (وَلَيَنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ^(١)) وقال غيره:
 "الذين" في موضع خفض ردّا على قوله: (أَذِّنْ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ^(٢))، ويكون (الَّذِينَ) إنْ مَكْنَاهُمْ
 فِي الْأَرْضِ^(٣) أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن في الأرض
 غيرهم^(٤))).

٦- ما نقل من "مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب:
 هذا الكتاب أحد المصادر التي رجع إليها القرطبي، ومن الأعراب التي نقلها
 القرطبي منه هو إعرابه لقوله تعالى (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ^(٥)) حين قال^(٦)
 ((... قال مكّي: هذا أصل لا خلاف فيه: وتقدير الآية: وواعدناكم اتيان جانب
 الطور؛ ثم حذف المضاف)).
 هذا القول مأخوذ لفظاً من كتاب "مشكل إعراب القرآن"^(٧).

الثالث: "كتب القراءات":

- (١) الحج/٤٠.
- (٢) الحج/٣٩.
- (٣) الحج/٤١.
- (٤) انظر مثالا آخر في "التفسير" ٤/٦٥/٤ آل عمران/٣٥ من إعراب قوله تعالى (إِذْ قَالَتِ
 أَمْرَأَةٌ عِمْرَانُ) وانظر في "إعراب القرآن" ١/٣٦٩.
- (٥) طه/٨٠.
- (٦) "تفسير القرطبي" ١١/٢٣٠.
- (٧) انظر "مشكل إعراب القرآن" ٤٧١/٤، وانظر هذا النوع في "التفسير" ٨/٣٤/٨ الأنفال/٥٩،
 في توجيه قراءة "أَنَّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ" بفتح الهمزة، ثم انظر في "المشكل" ٣١٩؛ وفي
 "التفسير" ١٤/١١٤/١ الأحزاب/١، في إعراب قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ)، ثم
 انظر "المشكل" ٥٧٢.

إنّ القراءات القرآنية أحد أركان تفسير القرطبي الأساسية؛ لأنّ القراءة إذا كانت صحيحة فهي جنة في الأحكام؛ وإيضاح أحكام القرآن هو الغرض الرئيس في تأليف هذا التفسير، الذي جعل اسمه: "الجامع لأحكام القرآن"، وإذا كانت القراءات شاذة ففائدتها تفسير القراءة الصحيحة، كما سبق بيانه في البحث في الاحتجاج بالقراءات القرآنية.

وهذه القراءات صحيحة كانت أو شاذة محتاجة إلى بيان وجوه إعرابها؛ ليتضح معاني الآية المختلفة باختلاف القراءات.

ومن المصادر التي اعتمد عليها القرطبي في هذا المجال كتاب "الحجة للقرآن السبعة" لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وكتاب "المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني (ت ٣٩٢هـ)؛ ويحتوي الكتاب الأول على القراءات السبع ووجوه إعرابها، والثاني على القراءات الشاذة، ووجوه إعرابها أيضاً. ولم يتكئ القرطبي في مجال القراءات وتوجيهات إعرابها على هذين المصدرين فحسب، بل كتب "معاني القرآن" و"إعراب القرآن" التي سبق ذكرها. وكذلك كتب التفسير التي سيأتي بيانها، هي مصادر غنية بمسائل القراءات وتوجيهات إعرابها عند القرطبي.

وما يلي موضعان نقل فيهما القرطبي تفسيره من المصدرين المذكورين كل على حدة:

- أوضح القرطبي وجهي القراءتين في "يَحْسِبُهُمْ" ^(١) "بفتح السين وكسرهما، من قوله تعالى (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) ^(٢) وقال ^(٣) ((وفتح السين وكسرهما في "يحسبهم" لغتان، قال أبو علي والفتح أقيس؛ لأنّ العين من الماضي مكسورة فبابها أن تأتي في المضارع مفتوحة. والقراءة بالكسر حسنة، لمجيء السمع به وإن كان شاذاً عن القياس)).

(١) القراءتان صحيحتان، (انظر "السبع في القراءات" ١٩١/٠).

(٢) البقرة/ ٢٧٣.

(٣) "تفسير القرطبي" ٣/ ٤١٠.

هذا التوجيه كله منقول من كتاب "الحجة للقراءة السبعة" لأبي علي الفارسي بتصريف^(١).

- ما نقل من كتاب "المحتسب" لابن جني:

أوضح القرطبي وجه قراءة "بعوضة" بالرفع في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً)^(٢) فنقل قول ابن جني عن توجيه هذه القراءة الشاذة وقال^(٣) ((قال أبو الفتح: ووجه ذلك أن "ما" اسم بمنزلة الذي، و"بعوضة" رفع على إضمار المبتدأ التقدير: لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة مثلاً: فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ، ومثله قراءة بعضهم "تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ" أي على الذي هو أحسن، وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً: أي هو قائل^(٤))).

الرابع: كتب اللغة:

يعد كتاب "الصّحاح" للجوهري (ت ٣٩٣هـ) من أهم المصادر اللغوية عند القرطبي في تفسيره، وهذا يرجع إلى اهتمام القرطبي ذاته بهذا الكتاب؛ إذ اختصر هذا الكتاب و"كتاب الأفعال" لابن القطّاع (ت ٥١٥هـ) في كتاب سمّاه "المصباح في الجمع بين الأفعال والصّحاح"^(٥).

ومن مصادر القرطبي في اللغة كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ) و"مجلد اللغة" لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)؛ وكذلك كتب "معاني القرآن" و"إعراب القرآن"

(١) انظر "الحجة للقراءة السبعة" ٤٠٢/٢، وانظر مثله في "التفسير" ١٦٥/٢/البقرة/١٤٨

في بيان قوله تعالى (وَلِكُلِّ وُجْهٌ)، ثم انظر "الحجة للقراءة السبعة" ٢٤٢/٢.

(٢) البقرة/٢٦.

(٣) "تفسير القرطبي" ٢٤٣/١، ثم انظر "المحتسب" ٦٤/١؛ وانظر مثله في "التفسير"

٣٠١/٣/البقرة/٢٦٠، في توجيه قراءة (فَمَرَّهِنَّ) بكسر الصاد وشدّ الراء المفتوحة، ثم

انظر في "المحتسب" ١٣٦/١.

(٤) انظر "تكملة تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان، نسخة بالألمانية ج ١، ص ٢٣٧.

التي تحدثنا عنها، وكتب التفسير، التي يأتي ذكرها.
هذه هي مصادر القرطبي اللغوية، وإليك ثلاثة مواطن انتفع فيها القرطبي بالكتب
الثلاثة الماضية في تفسيره.

١- ما انتفع فيه بكتاب "الصّحاح" للجوهري:

بيّن القرطبي الفروق في اللغة بين قراءتي "الْوَتْر" بكسر الواو وفتحها من
قوله تعالى (وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ) ^(١) فقال ^(٢) ((٠٠٠ وقرأ بن مسعود وأصحابه والكسائي
وحمزة وخلف و"الْوَتْر" بكسر الواو والباقون (بفتح الواو) وهما لغتان بمعنى واحد.
وفي الصّحاح: الوتر (بالكسر): الفرد، والوتر (بفتح الواو) الذل، هذه لغة أهل
العالية. فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم. فأما تميم فبالكسر فيهما))
هذا التوجيه مما نقله القرطبي من كتاب "الصّحاح" للجوهري نصاً ^(٣).

٢- ما انتفع فيه بكتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت ^(٤):

فرّق القرطبي بين معنى "الظّل" و"القيء" في تفسيره لقوله تعالى (أَلَمْ تَر
إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) ^(٥)، واستعان بقول ابن السكيت وقال ^(٦) ((قال ابن
السكيت: الظلّ ما نسخته الشمس والقيء ما نزع الشمس))^(٧).

(١) الفجر/٣ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٤١/٢٠ .

(٣) "الصّحاح" ٩٤٧/٣؛ وانظر مثله في "التفسير" ٤٢٧/١/البقرة/٦٠ في تفسير قوله
تعالى (وَعَدَسَهَا)، ثم انظر "الصّحاح" ٩٤٧/٣؛ وكذلك "التفسير" ٣٢٨/٣/البقرة/٢٦٨
في تفسير قوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ). ثم انظر "الصّحاح" ٧٨٢/٢،
وغيرهما .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت، أبو يوسف البغدادي، عالم بنحو الكوفيين (انظر
"بغية" الوعاة" ٣٤٩/٢).

(٥) الفرقان/٤٥ . (٦) "تفسير القرطبي" ٣٧/١٣ .

وهذا القول مما نقله القرطبي من كتاب "إصلاح المنطق" بالمعنى^(١).

٣- ما انتفع فيه بكتاب "مجلد اللغة" لابن فارس:
أوضح القرطبي إعراب قوله تعالى (بَعَثَكُمْ لِبَعْضِ عَدُوِّهِ) (٢) فذكر العلة في أفراد الخبر فقال "عدو" ولم يقل "أعداء"، ثم نقل قول ابن فارس وقال (٣) (وقال ابن فارس العدو اسم جامع للواحد والاثنتين والثلاثة والتأنيث وقد يجمع))
هذا القول مما مرده القرطبي من كتاب "مجلد اللغة" لابن فارس، بالنص^(٤).

الخامس: "كتب التفسير":

إن كتب التفسير التي اعتمد عليها القرطبي في المسائل النحوية واللغوية هي: تفسير "غريب القرآن" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) و"جامع البيان في تفسير القرآن" لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) و"التحصيل" لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، للمهدوي^(٥) (ت ٤٤٠هـ) و"النكت والعيون"

-
- (١) انظر "إصلاح المنطق" ٣٢٠، وانظر مثله من "التفسير" ٦٦/١٦/الزخرف/١٣، في تفسير قوله تعالى (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) . ثم انظر "إصلاح المنطق" ٢٢٩ .
- (٢) البقرة/٣٦ .
- (٣) "تفسير القرطبي" ٣٢٠/١ .
- (٤) انظر "مجلد اللغة" ٦٥٣/٢، وانظر مثله في "التفسير" ٤٢٩/١/البقرة/٦١ . في تفسير قوله تعالى (امْطُؤْا مِرْأًا) . ثم انظر "مجلد اللغة" ٨٣٣/٢ .
- (٥) حقق محمد بن يوسف شرجي الجزء الأول من هذا التفسير إلى نهاية سورة البقرة، في رسالة الماجستير في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ١٩٨٢، وحققت سناء فضل عباس سورتي آل عمران والنساء في رسالة ماجستير في الكلية ذاتها عام ١٩٨٩، والمهدوي هو: أحمد بن عمار بن أبي العباس، التميمي، أبو العباس، مقرئ أندلس (انظر "كشف الظنون" ٤٦٢ و"هدية العارفين" ٢٥/١)

للماوردي^(١) (ت ٤٥٠ هـ) و"التيسير في التفسير" لأبي نصر القشيري^(٢) (ت ٥١٤ هـ) و"الكشاف" للزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) و"المحرر الوجيز" لابن عطية (ت ٥٤١ هـ) و"أحكام القرآن" لمحمد بن عبدالله ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ).

ويختلف مقدار اعتماد القرطبي على هذه الكتب كما ونوعاً، فأكثر استفادة القرطبي من تفسير الماوردي في مسائل اللغة، وكان تفسير القشيري معيناً لمسائل القراءات ووجوه إعرابها؛ وقد سبق استظهار القرطبي بقول القشيري في الرد على المنكرين للقراءة^(٣)، وأما تفسير ابن عطية فأكثر انتفاع القرطبي به في المسائل النحوية. وما يلي أمثلة لانتفاع القرطبي بهذه التفاسير كل على حدة.

١- ما نقل من "تفسير غريب القراءة" لابن قتيبة.

أعرب القرطبي قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ)^(٤) فنذكر عدة أقوال لنحاة مختلفين، ومنها قول ابن قتيبة حين قال^(٥) ((وقال القُتَيْبِيُّ: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز؟ فأبذل قتالا من الشهر...)). وهذا القول منقول حرفياً من "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة^(٦).

(١) والماوردي هو: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن، صاحب كتاب "الأحكام السلطانية"

وتصانيف أخرى كثيرة (انظر شذرات الذهب ٢/٢٨٥).

(٢) انظر "طبقات المفسرين" للداودي ١/٢٩٢؛ والقشيري هو: أبو نصر عبدالرحيم بن الإمام

شيخ الصوفية أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن النيسابوري، النحوي المتكلم ("سير أعلام

النبلاء" ١٩/٤٢٤-٤٢٦).

(٣) انظر في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٤) البقرة/٢١٧.

(٥) "تفسير القرطبي" ٣/٤٤.

(٦) "تفسير غريب القرآن" ٨٢/٠.

- ٢- ما نقل من "جامع البيان في تفسير القرآن" للطبري:
- نقل القرطبي قول الطبري في إعرابه لقوله تعالى (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ^(١)) فقال^(٢) ((وقال الطبري: الألف واللام في الكتاب للعهد، والمراد التوراة)). وهذا ما نقله بالمعنى من تفسير الطبري^(٣).
- ٣- ما نقل من "التحصيل" للمهدي:
- أوضح القرطبي إعراب "ثُمَّ جَاءَكُمْ" وما بعده، في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ^(٤))، فنقل قول المهدي نصاً من تفسيره فقال^(٥) ((قال المهدي، وقوله "ثُمَّ جَاءَكُمْ" وما بعده جملة معطوفة على الصلة والعائد منها على الموصول محذوف؛ والتقدير ثم جاءكم رسول مصدق به^(٦))).
- ٤- ما نقل من تفسير الماوردي:
- فرّق القرطبي بين معني الغم والكرب في تفسيره لقوله تعالى (وَهُوَ مَكْظُومٌ^(٧)) فاستعان بقول الماوردي فقال^(٨) ((قال الماوردي والفرق بينهما أن الغم في القلب والكرب في الأنفاس ، وقيل مكظوم محبوس))، هذا النص منقول حرفياً من تفسير "النكت والعيون" للماوردي^(٩).

-
- (١) البقرة/٣١٣ . (٢) "تفسير القرطبي" ٣٢/٣ .
- (٣) "تفسير الطبري" ٢٨٠/٤ . (٤) آل عمران ٨١/ .
- (٥) "تفسير القرطبي" ١٢٥/٤ .
- (٦) انظر "التحصيل"، تحقيق سورتي آل عمران والنساء، لثناء فضل عباس، رسالة الماجستير، ص ١٦٨؛ وانظر مثالا آخر في "التفسير" ١٣٢/٢، ١٣٠، في بيان قوله تعالى (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ثم انظر "التحصيل"، تحقيق سورة البقرة، لمحمد شرجي، رسالة الماجستير، ص ٢٢٣ .
- (٧) القلم/٤٨ . (٨) "تفسير القرطبي" ٢٥٣/١٨ .
- (٩) انظر "النكت والعيون" (تفسير الماوردي) ج ٦ ص ٢٣ .

٥- ما نقل من تفسير القشيري:

انتفع القرطبي بقول القشيري في توجيه قراءة إظهار النون في قوله تعالى (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) (١) وقال (٢) ((وأظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى : ("مَنْ رَاقٍ" واللام في قوله : (بَلْ رَانَ) (٣) لئلا يشبه "مَرَّاق" وهو بائع المرقعة، وبَرَّان في تشنية البر. والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف من "مَنْ رَاقٍ" وفتحة النون في "بَلْ رَانَ" تكفي في زوال اللبس. وأمثلة مما ذكر: قصد الوقف على "من" و "بل" فأظهرهما: قاله القشيري (٤).

٦- ما نقل من "الكشاف" للزمخشري

نقل القرطبي قول الزمخشري نصا في توجيه قراءة (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (٥)، برفع "الشعراء" ونصبه ، ولم يذكر مصدر النقل، إذ قال بعد ذكر الآية المذكورة ((لم يختلف القراء في رفع "الشعراء" فيما علمت، ويجوز النصب على إضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرأ عيسى ابن عمر. قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حب النصب: فقرأ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) (٦) ، و (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (٧) و (سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا) (٨).

هذا النص هو نص قول الزمخشري في تفسيره حين قال (٩) ((وقرأ عيسى بن عمر: والشعراء، بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، قال أبو عبيد: كان الغالب

- | | |
|--|----------------------------|
| (١) القيامة/ ٢٢ | (٢) "تفسير القرطبي" ١١٢/١٩ |
| (٣) المطففين / ١٤ | |
| (٤) انظر مثالا آخر في "التفسير" ١٠/ ١٢٩ / النحل/ ١٠٥ ، في تفسير قوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ). | |
| (٥) الشعراء/ ٢٢٤ | (٦) المائدة / ٣٨ |
| (٧) المسد / ٤ | (٨) النور / ١ |
| (٩) "التفسير" ١٢/ ١٥٢ | |
| (١٠) الكشاف / ٣ / ٢٤٤ | |

عليه حبّ النصب قرأ (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (١) (وَالشَّارِقَ وَالشَّارِقَةَ) (٢) و (سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا) (٣).

فاتضح من المقارنة بين النصين أنّ التوجيه لنصب "الشعراء" منقول من "الكشاف" للزمخشري وإنّ لم يشر القرطبي إلى ذلك (٤).

٧- ما نقل من "المحرّر الوجيز" لابن عطية.

نقل القرطبي أقوال ابن عطية ممّا أو تمّرفاً، سواء ذكر المصدر (٥)، أو لم يذكر، ومثال الطريقة الأخيرة إعرابه لقوله تعالى (حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) (٦) حين قال (٧) ((وَحَقًّا صفة لقوله متاعاً، أو نصب على المصدر وذلك أدخل في التأكيد للأمر، والله أعلم)).

هذا النصّ هو ذاته في تفسير "المحرّر الوجيز" في إعراب الآية المذكورة (٨).

٨- ما نقل من "أحكام القرآن" لابن العربي.

اختلف العلماء في ما عاد الضمير عليه في (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) من قوله تعالى (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ) (٩) فأورد القرطبي عدّة أقوال فمنها قول

(١) المسد / ٤ . (٢) المائدة / ٣٨ .

(٣) النور / ١٠ .

(٤) انظر ما نقل من الزمخشري وذكر المصدر في "تفسير القرطبي ٢٦٢/١٦ / الفتح / ١،

في إعراب (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) وانظر "الكشاف" ١٣٣/٣ .

(٥) انظر ما نقل ممّا وذكر المصدر في تفسير القرطبي ٣٣١/٣ / البقرة / ٢٧٠، في إعراب

قوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) ، ثم انظر "المحرّر الوجيز" ٤٥٨/٢، وانظر ما نقل

تمّرفاً ولم يذكر المصدر في "تفسير القرطبي" ٣٥٦/٨ / يونس / ٦٢ ، في إعراب قوله

تعالى (مَنْ مِّثْقَالِ) ثم انظر تفسير ابن عطية ١٧٢/٢ .

(٦) البقرة / ٢٣٦ .

(٧) "تفسير القرطبي" ٢٠٣/٣ . (٨) "المحرّر الوجيز" ٣٣١/٢ .

(٩) النحل / ٦٦ .

سيبويه ورد ابن العربي عليه، والردّ والمردود عليه منقولان من كتاب ابن العربي المذكور وقال القرطبي في ذلك ((١٠٠٠ فقيلاً: هو عائد إلى ما قبله وهو جمع المؤنث قال سيبويه: العرب يخبر عن الأنعام يخبر الواحد: قال ابن العربي؛ وما أراه عوّلاً عليه إلا من هذه الآية وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بإدراكه)) (١).

هذا المنقول مأخوذ من "أحكام القرآن" لابن العربي بنصّه (٢).

(١) تفسير القرطبي ١٠/١٢٣ .

(٢) "أحكام القرآن" ص ١١٣٨، وانظر نحوه في "التفسير" ٩/٣٤٨ / إبراهيم/١٣ / في إعراب قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ) وانظر أحكام القرآن ص ١١٠٤ .

الفصل الثالث
مسائل النحو التطبيقية
عند القرطبي

المبحث الاول
الاعراب التطبيقية عند القرطبي

المبحث الثاني
مسائل الصرف واللغة عند القرطبي

المبحث الثالث
احتفاء القرطبي باختلاف اللغات

المبحث الرابع
مسائل النحو وأثرها في المعنى

الفصل الثالث

مسائل النحو التطبيقية عند القرطبي

يشمل هذا الفصل أربعة مباحث، الأول: "الإعراب التطبيقي عند القرطبي" والثاني "مسائل الصرف واللغة عند القرطبي" والثالث: "احتفاء القرطبي باختلاف اللغات" والرابع: "مسائل النحو وأثرها في المعنى".

المبحث الأول : "الإعراب التطبيقي عند القرطبي"

الإعراب لغة: الإبانة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الثَّيْبُ يُعْرَبُ عَنْهَا لِسَانُهَا وَالْبِكْرُ تَسْتَأْمِرُ فِي نَفْسِهَا" (١).

والإعراب اصطلاحاً، كما قال ابن جني: إبانة المعاني بالألفاظ: أو بما يقوم مقامها (٢) ومعنى "التطبيق" هو: إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها (٣).

(١) انظر "تهذيب اللغة" و "لسان العرب" في مادة "عرب"؛ وذكر فيهما أن للعلماء

اختلافاً في تشكيل كلمة "يعرب": فمنهم من شكل "يُعْرَبُ" من الإعراب، منهم من قال: "يُعْرَبُ" من التعريب؛ والكلمتان: التعريب والإعراب معانٍهما واحد وهو الإبانة.

(٢) انظر "الخصائص" ٣٥/١ بتمرّف، ويبيّن فيه ابن جني حالات تقوم مقام الألفاظ في الإبانة، منها: وجوب تقديم الفاعل على المفعول إذا خيف اللبس، في مثل: ضَرَبَ يحيى بُشْرَى، ومنها: قيام المعنى مقام الإبانة بالألفاظ، نحو: أكل يحيى كمثري، فيجوز فيه التمرّف بالتقديم والتأخير، ومنها قيام الحال مقامها: كما لو أومأت إلى رجل وفَرَس، فقلت: كَلَّمْ هذا هذا فلم يجبه؛ لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت: لأنّ في الحال بيان لما تعنى.

(٣) انظر "المعجم الوسيط" ٥٥٠/٢، وهذا المعنى للتطبيق مُحدث، ولم يعرف ذلك عند القدماء، وإنّما عرف عندهم أن التطبيق بمعنى: إصابة السيف المِفْصل، أو تقريب الفرس في العدو أو تعميم الغيم بعطره (انظر: "القاموس المحيط" مادة "طبق").

فالمراد بالاعراب التطبيقي" هو : " استخدام قواعد الاعراب من أجل الابانة عن معاني النصوص القرآنية" (١).

وتحتوى الدراسة في "الاعراب التطبيقي عند القرطبي" على خمس مسائل :
 المسألة الأولى: محاولة الاجابة عن سؤال : لماذا أعرب القرطبي مواضع من القرآن ولم يعرب مواضع أخرى؟ أو بعبارة أخرى: لماذا لم يعرب القرطبي كل آيات القرآن؟
 المسألة الثانية: هي العلل النحوية :
 المسألة الثالثة: معاني الحروف
 المسألة الرابعة: توجيه اعراب القراءات القرآنية

وتفصيل هذه المسائل على الترتيب الاتي :

المسألة الأولى:

لماذا أعرب القرطبي مواضع من القرآن ولم يعرف مواضع أخرى؟
 أو بعبارة أخرى لماذا لم يعرب القرطبي كل آيات القرآن؟
 ان القصد في تطبيق الاعراب على النصوص القرآنية لأجل ابانة معانيها والنصوص التي تحتاج الى الابانة والايضاح هي النصوص المشككة من حيث التركيب النحوي، وان لم يكن في معنى الآية اشكال فلا يحتاج الى الاعراب (١) والاشكال النحوي يكمن في الاحوال اللاحقة :
اولا: ما لا يظهر على آخره الحركات الاعرابية
 فمن هذا الصنف الاسم المقصور (٢)؛ لأن الحركات الاعرابية لا تظهر في آخره بل يقدر فيه والاعراب من هذا النوع يسمى بالاعراب التقديري (٣).

(١) كما صرح به في تفسير قوله تعالى (ولما فتحو متاعهم) حين قال ((الآية ليس فيها

معنى يشكل)) "التفسير" ٢٢٤،٩ / يوسف ٦٥/ .

(٢) والاسم المقصور هو : الاسم الذي حرف اعرابه ألف لازمة (انظر شرح ابن عقيل ٢/٣٧٢).

(٣) انظر "مع الهوامع" ٤٣/١، وذكر السيوطي أربعة أنواع للاعراب المقدر: الاول ما يقدر

ومن هذا الصنف ايضا: الاسم المبني، والجملة التي تحل محل المفرد^(١) لأن الحركات الإعرابية لا تظهر فيهما ولا تقدر، وإنما كان الإعراب مطبوعاً فحسب، ويسمى ذلك بالإعراب المحلي^(٢)، وما يلي مثال إعراب "الاسم المقصور":
 فسر القرطبي قوله تعالى (وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى) (٣)
 فأظهر موقع كلمة "السلى" من الإعراب؛ لأن حركة الإعراب مقدرة في آخرها، لكونها من الأسماء المقصورة، ويبين أيضا العلة في جعل حركة الإعراب فيها مقدرة، حين قال (٤)
 ((~~السلى~~): "السلى" عطف على "المن" ولم يظهر فيه الإعراب؛ لأنه مقصور ووجب هذا في المقصور كله؛ لأنه لا يخلو من أن يكون في آخره ألف، قال الخليل: والألف حرف هوائي لا مستقر له؛ فأشبه الحركة فاستحالت حركته، وقال الفراء: لو حركت الألف صارت همزة".

== فيه الحركات كلها، والأسماء المقصورة من هذا النوع، والثاني: ما يقدر فيه حركتان فقط الضمة والكسرة، وذلك المنقوص، والثالث: ما يقدر فيه حركة واحدة وهي الضمة وذلك المضارع الذي آخره واو أو ياء، والرابع، ما يقدر فيه السكون وهو ثلاثة أشياء: أحدها ما كسر للالتقاء الساكنين والثاني: المهموز إذا أبدل ليناً محضاً، والثالث: "لم يلد" مضارع "ولد" إذا سكن لامه وفتحت الدال للالتقاء الساكنين أو وصل بضمير وفتحت الدال أو كسرت (انظر "معجم الهوامع" ١/١٨١-١٨٦ بتصرف).

(١) لأن شرط الجمل التي لها محل من الإعراب أن تكون صالحة ليحل محلها المفرد، وذكر ابن هشام تسعة مواقع للجمل التي لها محل من الإعراب وهي: الواقعة حالا أو مفعولاً، أو المضاف إليها، أو الواقعة بعد الفاء أو إذا جواباً لشرط جازم، أو التابعة لمفرد، أو التابعة لجملة لها محل من الإعراب، أو الجملة المستثناة أو الجملة المسند إليها (أنظر "مغنى اللبيب" ص ٥٣٦-٥٦٠).

(٢) انظر "معجم الهوامع" ١/٤٣ (٣) البقرة ٥٧.

(٤) تفسير القرطبي، ١/٤٠٨، وانظر مثالا آخر في إعراب "هدى" (التفسير ٦/١٨٨).

(المائدة/٤٤)

بعض الأمثلة لإعراب الأسماء المبنية:

فمنها : إعراب اسم الضمير:

ذكر القرطبي موقع كلمة "أنتم" من الإعراب في قوله تعالى (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) (١) فقال (٢) (("أنتم" في موضع رفع بالابتداء ولا يعرب؛ لأنه مضمَر، وضُمَّت التاء من "أنتم" لأنها كانت مفتوحة إذا خاطبت واحدا مذكرا - ومكسورة إذا خاطبت واحدة مؤنثة؛ فلما شَبَّت أو جَمَعْتَ لم يبق إلَّا الضمة)) .

ومنها: إعراب اسم الإشارة:

بيّن القرطبي موضع "ذلك" من الإعراب في قوله تعالى (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) (٣) فقال (٤) ((وموضع "ذلك" نصب : أي جزيناهم ذلك بكفرهم)) .

ومنها: إعراب اسم الموصول:

أعرب القرطبي قوله تعالى (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا) (٥) فذكر موقع "الَّذِينَ" من الإعراب وقال (٦) (("الذين" في موضع رفع أي فبدّل الظالمون منهم قولا غير الذين قيل لهم وذلك أنه قيل لهم: قولوا حطّة، فقالوا حنطة على ما تقدم)) (٧) .
وأما الجمل فأتت في الأصل إلّا يكون لها موضع من الإعراب، وإذا كان لها موضع من الإعراب تقدّر بالمفرد (٨) ، وهذه أمثلة لبعض مواقع الجمل التي لها موضع من الإعراب:

- | | |
|--|---|
| (١) البقرة / ٨٦ | (٢) "تفسير القرطبي" ١٩/٢ |
| (٣) سبأ / ١٧ | (٤) "تفسير القرطبي" ٢٨٨/١٤ |
| (٥) البقرة / ٥٩ | (٦) "تفسير القرطبي" ٤١٥/١ |
| (٧) انظر موضعين آخرين لإعراب الاسم الموصول، الأول في "التفسير" ٢٧٦/٥ / النساء ٧٢ | |
| | ، في إعراب قوله تعالى (لَمَنْ كُيِّبَتْ) والثاني في "التفسير" ٢٢/٨ / الانفال ٤٢ |
| | في إعراب قوله تعالى (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ) |
| (٨) قال به الرّضي الاسترأبادي (أنظر شرح الكافية ٣٩/٢) بتمصرف. | |

- مثال: إعراب الجملة الفعلية الواقعة موقع الخبر:
أعرب القرطبي جملة (يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) في قوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) (١) فقال (٢) ((قوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ) ابتداء (يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) في موضع الخبر))^{*}
- مثال إعراب الجملة الفعلية الواقعة موقع اسم "كان":
أوضح القرطبي إعراب جملة (أَنْ يَعْمُرُوا) من قوله تعالى (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ) (٣) فقال (٤) ((الجملة من "أَنْ يَعْمُرُوا" في موضع رفع اسم "كان"))^{*}
- مثال إعراب الجملة الاسمية الواقعة موقع الحال:
أبان القرطبي إعراب جملة (وَهُوَ مُحْسِنٌ) في قوله تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ١٠٠٠) (٥) فقال بعد ذكر الآية (وَهُوَ مُحْسِنٌ) جملة في موضع الحال (٦)
- مثال إعراب الجملة الشرطية (٧) الواقعة موقع الحال:
أعرب القرطبي جملة (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) في قوله تعالى (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ) (٨) فقال بعد ذكر الآية ((فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ) ابتداء وخبر (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) شرط وجوابه، وهو في موضع الحال، أي فمثله كمثل الكلب لاهثاً)) (٩).
وأما الجملة التي ليس لها محل من الإعراب (١٠) فإتباعها بحاجة أيضا إلى إبانة موقع

(١) البقرة ٢٢٣ • (٢) "تفسير القرطبي" ١٦٠/٣ •
 (٣) التوبة ١٧ • (٤) "التفسير" ٨٩/٨ •
 (٥) البقرة ١١٢ • (٦) "تفسير القرطبي" ٢٥/٢ •
 (٧) أقرّ الزمخشري الجملة الشرطية (انظر شرح المفصل ٨٨/١) وجعلها ابن هشام من قبيل الجملة الفعلية (انظر مغنى اللبي من ٤٩٢) •
 (٨) الأعراف ١٧٦ • (٩) التفسير ٣٢٢/٧ •
 (١٠) ذكر ابن هشام سبع مواقع للجملة التي ليس لها محل من الإعراب، هي "المستأنفه،

الجملة فيقال - مثلا - "الجملة ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها كذا" لأن هذه الجملة مثل الجملة التي لها محل من الإعراب من حيث التركيب النحوي، فلا يظهر فيه أثر الإعراب وعدمه؛ ولأن الحكم بأن الجملة ليس لها محل من الإعراب، إعراب أيضا.

وقد طبق القرطبي هذه الإبانة في تفسيره، ومن ذلك إعرابه لقوله تعالى (وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا هَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ) (١)، حين قال (٢) ((أَهَذَا الَّذِي) أي يقولون: أهذا الذي؟ فأضمر القول وهو جواب "إذا" وقوله (إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا) كلام معترض بين "إذا" وجوابه)).

ثانيا: ما تعدد فيه أوجه الإعراب :

وجدنا في تفسير القرطبي أنّ بعض تراكيب الألفاظ في النصوص القرآنية له عدّة وجوه من الإعراب، ويظهر أنّ هذا التعدد له أسباب كثيرة، منها فيما يتعلّق بعلاقة معاني القرآن بعضها ببعض، ومنها ما يتعلّق بمعان المفردات ومنها ما يتعلّق بالحديث الشريف، وهذه المسائل مما ليس نحن بمصدّه.

وأما الأسباب التي لها صلة بالنحو فإنّها تنقسم إلى قسمين: أولهما: أنّ تعدد وجوه الإعراب بسبب اختلاف المذاهب النحوية في المسائل النحوية، أو يمكن أن يقال أنّ الاختلاف في التفسير النحوي من أثر الاختلاف النحوي عند النحاة. وثانيهما: أنّ ذلك التعدد بسبب طبيعة أحوال الإعراب القابلة للاحتمال، وقد عرض ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" عدّة احتمالات ممكنة لأحوال الإعراب، واستشهد كثيرا بالإعراب التطبيقي للنصوص القرآنية، فمن ذلك مسألة حول احتمال "ما الحجازية والتميمية"، وما يحتمل المصدرية والمفعولية "وما

== والمعتضة والتفسيرية، والمجاب بها القسم، والواقعة جوابا لشرط غير جازم أو جازم ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية، والواقعة صلة لاسم أو حرف، والتابعة لما لا محلّ له (انظر "مغني اللبيب" ص ٥٠٠ وما بعدها).

(٢) "التفسير" ٢٨٨/١١.

(١) الانبياء ٣٦/.

يحتمل المصدرية والظرفية والحالية" و "ما يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لأجله" و "ما يحتمل الحالية والتمييز" وغير ذلك^(١)، وفيما يأتي تفصيل القسمين:

القسم الاول: تعدّد وجوه الإعراب بسبب اختلاف المذاهب في المسائل النحوية:
ويمكن تقسيم بعض مسائل الخلاف^(٢) إلى صنفين: أحدهما اختلاف يرجع إلى تصنيف بعض الكلمات، فكلمة "ماذا" أهي كلمتان أم كلمة واحدة؟ مثلاً، والصنف الثاني: اختلاف يرجع إلى اختلاف المذاهب في النظرة المنطقية، للمسائل النحوية، مثل: الأمل في الحال أن يكون مشتقاً فهل يقع المصدر حالاً أولاً؟ ونحوه، وإليك مثال الصنفين:

- مثال الاختلاف الذي يرجع إلى تصنيف بعض الكلمات:

اختلف العلماء في "ذا" الموصولة إذا ركبت مع "ما": فهل تصبحان اسماً واحداً أو تكون "ماذا" مركبة في كلمتين، فالإمام الأول ذهب الجمهور وإلى الثاني ذهب ابن عصفور^(٣)، فلهذا الاختلاف أثره في إعراب تلك الكلمة الواردة في النصوص القرآنية، فمن ذلك، إعراب القرطبي لقوله تعالى (مَاذَا يُنْفِقُونَ)^(٤) فذكر وجهة نظر المذهبين في إعراب كلمة "ماذا" وجعل المذهبين من قبيل جواز الوجهين وقال في ذلك: ((قوله تعالى (مَاذَا يُنْفِقُونَ) "ما" في موضع رفع بالابتداء و"ذا" الخبر، وهو بمعنى "الذي" وحذفت الهاء، لطول الاسم، أي مألذي

(١) انظر "مغني اللبيب" ص ٧٢٧ وما بعدها.

(٢) هذا التقسيم تمثيل وليس حصراً، لأنّ هناك مسائل الخلاف أخرى يمكن تصنيفها في غير الصنفين المذكورين، كالاختلاف في بناء العنادى العلم المفرد وعدم بنائه، فذهب البصريون إلى الأول وذهب الكوفيون إلى الثاني. ويمكن تصنيف هذا الاختلاف في اختلاف الإعراب والبناء (انظر هذا الاختلاف في "معجم الهوامع" ٣/٢٨٨).

(٣) انظر "المعجم" ١/٢٩٠-٢٩١، وابن عصفور، هو علي بن مؤمن بن محمد، أبو الحسن الأشبيلي، من كتبة "المقرّب"، (انظر "بغية الوعاة" ٣/٢١٠، الترجمة: ١٨١٠).

(٤) البقرة ٢١٥.

ينفقونه، وإن شئت كانت "ما" في موضع نصب بـ "ينفقون" و"ذا" مع "ما" بمنزلة شيء واحد (١).

- مثال الاختلاف الذي يرجع إلى اختلاف المذاهب في التَّظَرُّع المنطقية للمسائل النحوية.
ويمكن تقسيم مثال هذا الصنف إلى ثلاث فئات: الأولى : ذكر أحد المذهبين أو المذاهب في الإعراب، والثانية: ذكر المذهبين أو أكثر جميعاً، مبيّناً بأنّ هذه المذاهب أوجه جائزة، والثالثة: ذكر المذهبين أو أكثر في الإعراب من غير تصريح بالجواز، وإليك الأمثلة:
- الفئة الأولى:

إنّ الأصل في الحال أن تكون مشتقّةً واختلف النحاة في مجيء المصادر حالاً، مثل أُتِيَتْهُ رَكْعًا وَلَقِيَتْهُ فَجْأَةً، فذهب سيبويه وجمهور البصريين إلى أنّها مصادر في موضع الحال مؤولة بالمشنق، أي رَاكِعًا وَمَفْاجِئًا، وذهب بعضهم إلى أنّها مصادر على حذف مضاف أي إِتِيَاكَ رَكْعًا وَلِقَاءَ فَجْأَةٍ، وذهب الكوفيون إلى أنّها مفاعيل مطلقة للأفعال السابقة نوعية، وقيل هي مفاعيل مطلقة لفعل مقدّر في لفظها وذلك الفعل هو الحال، أي أُتِيَتْ أُرْكُضُ رَكْعًا، وعليه الأُخْفَش والمبرّد (٢).

واتّضح من ذلك أنّ وقوع المصدر حالاً من المسائل المختلف فيها بين النحاة، ولكن القرطبي اكتفى بذكر مذهب واحد كما في إعرابه لقوله تعالى (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) (٣)، إذ قال (٤) ((مصدر في موضع الحال، أي ملحقين)).

-
- (١) "تفسير القرطبي" ٣/٣٦٠ وانظر مثالا آخر في إعراب قوله تعالى (وَقَوْمِهِ مَآذًا تَعْبُدُونَ) "التفسير" ٩١/١٥ / الصافات / ٨٥ .
(٢) انظر "مع الهوامع" ٤/١٤-١٥ بتصرف .
(٣) البقرة / ٢٢٣ .
(٤) "التفسير" ٣/٣٤٢ وانظر مثالين آخرين في "التفسير" ٤/١٢٨ / آل عمران / ٨٣، في إعراب قوله تعالى (طَوْعًا وَكَرْهًا)؛ وانظر "التفسير" ٥/٩٤ / النساء / ١٩ - في إعراب قوله تعالى "كَرْهًا".

- مثال الفئة الثانية :

اختلف النحاة في عامل النصب في حالة إضمار "أن" بعد لام كي" التي لم تقترن بـ "لا" ؛ لأنها إذا اقترنت بها وجب إظهارها؛ فذهب الكوفيون: هي الناصبة وقال ثعلب^(١): قيامها مقام "أن" وقال ابن كيسان^(٢) تقدّر "أن" أو "كي"^(٣)، وأما القرطبي فقد ذكر مذهبين مختلفين في ذلك - وأشار بجوازهما على حد سواء وذلك في إعرابه لقوله تعالى (لِيَحَاجُّوكُمْ)^(٤) حين قال (٥) ((نصب بلام كي" وإن شئت بإضمار "أن" وعلامة النصب حذف النون)) .

- ومثال الفئة الثالثة،

أجاز الكوفيون حذف "لا" النافية، ومنعها البصريون ، ويخرجون بحذف المضاف لمواقع قال فيها الكوفيون بحذفها، ومن ذلك ما ذكره القرطبي في إعراب قوله تعالى (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا)^(٦) حين قال (٧) ((أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي يفهموه وهو في موضع نصب؛ المعنى كراهية أن يفهموه ، أو لئلا يفهموه)) فذكر القرطبي المذهبين معاً، ولم يرجح أحدهما على الآخر .

(١) وشعلب هو : أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس إمام الكوفيين في النحو واللغة، من كتبه "معاني القرآن" والفصيح (انظر "إنباه الرواه" ١٣٨/١ - ١٥١ - وبغية الوعاة" ٣٩٦/١ ، الترجمة ٧٨٢) .

(٢) وابن كيسان هو : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي ، ممن خلط المذهبين البصري والكوفي، ومن كتبه المذكر والمؤنث (انظر "أخبار النحويين البصريين" ص ١٠٨ ، والبغية" ١٨/١)

(٣) انظر هذا الاختلاف في "ممع الهوامع" ١٣٩/٤ .

(٤) البقرة / ٧٦ .

(٥) "تفسير القرطبي" ٤/٢ ، وانظر إعراباً آخر أجاز فيه الوجهين على حد سواء، في

"التفسير" ٣١١/١ / البقرة ٣٥ .

(٦) الأنعام ٢٥٠ .

(٧) "التفسير" ٤٠٤/٦ .

وفي موضع آخر ذكر المذهبيين السابقين والاثنيين الآخرين للمسألة نفسها ولم يذكر كذلك القول الراجح، وذلك في إعرابه لقوله تعالى (وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)^(١) حين قال ^(٢) ((إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ)) "أَنْ" في موضع نصب، بمعنى إِلَّا كراهية أَنْ، فحذف المضاف، هذا قول البصريين، والكوفيون يقولون لئلا تكونا، وقيل: أي إِلَّا إِلَّا تَكُونَا مَلَكَيْنِ تعلّمان الخير والشر، وقيل: طمع آدم في الخلود؛ لأنه علم أَنَّ الملائكة لا يموتون إلى يوم القيامة)).

القسم الثاني: تعدّد وجوه الإعراب بسبب طبيعة أحوال الإعراب القابلة للاحتمال.

إنّ بعض تراكيب ألفاظ النصوص القرآنية يحتمل وجهين من الإعراب أو أكثر، وهذا التعدد من أثر الاختلاف النحوي عند النحاة أولاً - كما سبق ذكره - ومن طبيعة أحوال الإعراب القابلة للاحتمال ثانياً، ومن بين هذه الاحتمالات هي:

أ- احتمال النعت والقطع.

احتمل لفظ "الَّذِينَ" في قوله تعالى (وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^(٣) أَنْ يكون في موضع خفض على النعت للخاصعين وأن يكون من موضع رفع على القطع، وقال القرطبي في ذلك ((قوله تعالى (الَّذِينَ يَظُنُّونَ) "الذين" في موضع خفض على النعت للخاصعين ويجوز الرفع على القطع))^(٤).

ب- احتمال المبتدأ والتوكيد والفاصلة.

احتمل لفظ "هم" في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)^(٥) أَنْ يكون مبتدأ أو توكيداً أو فاصلة، وقال القرطبي في هذا الإعراب ((و "هم" يجوز أن يكون

(١) الاعراف / ٢٠ .

(٢) "التفسير" ١٧٨/٧، وانظر مثلاً آخر في إعراب قوله تعالى (إِنِّي أُعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ): التفسير ٤٨/٩ / هود/٤٧ .

(٣) البقرة / ٤٦ .

(٤) "تفسير القرطبي" ٣٧٥/١ .

(٥) البقرة / ١٢ .

مبتدأ و "المفسدون" خبره، والمبتدأ وخبره خبر "إن"، ويجوز أن تكون "مهم" توكيدا للهاء والميم في إثمهم ويجوز أن تكون فاصلة - والكوفيون يقولون عمادا - والمفسدون "خبر" إن؛ والتقدير: ألا إثمهم المفسدون ((١)).

ج- احتمال الحال والمفعول الثالث.

يجوز نصب "حسرات" في قوله تعالى (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) (٢) على الحال: لاحتمال كون الرؤية بصرية، فتتعدى كلمة "يُرِيهِمُ" إلى المفعولين فقط - ويجوز نصبها على المفعول الثالث؛ لاحتمال كون الرؤية قلبية فتتعدى الكلمة إلى ثلاثة المفاعيل، وقال القرطبي في هذا الإعراب (("يُرِيهِمُ اللَّهُ" قيل: هي من رؤية البصر؛ فيكون متعديا لمفعولين، الأول الهاء والميم في "يُرِيهِمُ" والثاني: "أَعْمَالَهُمْ" وتكون حَسَرَاتٍ، حال، ويحتمل أن يكون من رؤية القلب: فتكون "حَسَرَاتٍ" المفعول الثالث)) (٣).

د- ما يحتمل أن يكون حالا أو منقطعا.

ومن هذا الصنف إعرابه لقوله تعالى (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) (٤) إذ قال القرطبي (٥) ((يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) في موضع نصب على الحال من الهاء والميم من "يُحْشَرُهُمْ" ويجوز أن يكون منقطعا فكأنه قال قَهُمْ يَتَعَارَفُونَ)).

هـ- احتمال "ما" أن تكون مصدرية وموصولة.

وذلك في إعراب قوله تعالى (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) (٦) حين قال القرطبي (٧) (("ما تنفح أن تكون مصدرية وتنح أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي: مَثَلُ مَا يَنْفِقُونَهُ)).

(٢) البقرة ١٦٢/

(١) "تفسير القرطبي" ٢٠٤/١

(٤) يونس / ٤٥

(٣) "تفسير القرطبي" ٢٠٧/٢

(٦) آل عمران ١١٧/

(٥) "التفسير" ٣٤٨/٨

(٧) "التفسير" ١١٧/٤

و- ما يحتمل أن يكون الاستثناء فيه متصلاً أو منقطعاً.

ومن هذا الصنف إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ* إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ) (١) حين قال (٢) (أي لكن مَنْ استرق السمع أي الخطفة اليسيرة، فهو استثناء منقطع، وقيل : هو متصل، أي إِلَّا مَنْ استرق السمع، أي حفظنا السماء من الشياطين أَنْ تسمع شيئاً من الوحي وغيره؛ إِلَّا مَنْ استرق السمع فإِذَا لم نحفظها منه أَنْ تسمع الخبر من أخبار السماء سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئاً، لقوله : "إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ") .

ز- ما يحتمل أن تكون الجملة في موضع نصب على الحال، أو مستأنفة، فلا محل لها من الإعراب.

ومن هذا النوع إعراب القرطبي لجملة "يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ" في قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) (٣) حين قال (٤) ((يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ) في موضع نصب على الحال، والتقدير: استوى على العرش مُغْشِياً اللَّيْلُ النَّهَارَ، وكذا (يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) حال من الليل: أي يُغْشَى الليل النهار طالبا له، ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة ليس بحال)) .

١

(١) الحجر ١٨/ .

(٢) "التفسير" ١٠/١٠ وانظر مثلية في التفسير ٧١/٨، التوبة ٤، في إعراب قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، والتفسير ١١/٩ / هود/ ١١، في إعراب قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) .

(٣) الاعراف ٥٤/ .

(٤) "التفسير" ٢٢١/٧، وانظر مثله في "التفسير" ٢٠٨/٧ الأعراف، في إعراب قوله تعالى (وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ) .

خ- الاحتمال في عود الضمير (١).

إنَّ الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور وقد يخرج عن الأصل لإدليل (٢)، ومن هذا ينشأ الاحتمال وإليك أمثلة ذلك:

منها: إعراب القرطبي لقوله تعالى (لَا نَشْتَرِي بِمِ شَمًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (٣) حين قال (٤)
 ((والهاء في "به" عائد على اسم الله تعالى ، وهو أقرب مذكور، المعنى: لا نبيع
 حُظُنًا من الله تعالى بهذا العرض ، ويحتمل أن يعود على الشهادة وذكّرت على معنى
 القول . كما قال صلى الله عليه وسلم: "وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ
 حِجَابٌ" فأعاد الضمير على معنى الدعوى الذي هو الدعاء)) .
 ومنها: إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصَدَّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
 آمَنَ بِهِ) (٥) حين قال (٦) ((قوله تعالى (مَنْ آمَنَ بِهِ) الضمير في "به" يحتمل أن
 يعود على اسم الله تعالى وأن يعود إلى شُعَيْب في قول مَنْ رَأَى الْقُعُودَ عَلَى الطَّرِيقِ
 لِلصَّدِّ ، وأن يعود على السبيل)) .

ثالثاً: مالا يتضح فيه العامل (٧)

فمن ميادين الإعراب التطبيقي ما لا يتّضح فيه العوامل، فوظيفة الإعراب حينئذٍ إيضاح
 تلك العوامل، فمن ذلك إظهار عامل "إذ" الظرفية في المثالين الآتيين:

(١) إن الإشكال النحوي الذي يتعلّق بعود الضمير متنوع، وما ذكرناه نوع واحد فقط، وأفرد
 الزركشي إيضاح هذا الإشكال تحت عنوان "قاعدة في الضمائر" (انظر "البرهان"
 ٢٤٠-٢٤١/٤)

(٢) انظر "البرهان" ٢٤٩/٤ بتصريف . (٣) المائدة / ١٠٦ .

(٤) "التفسير" ٣٥٧/٦ . (٥) الاعراف / ٨٦ .

(٦) "التفسير" ٢٤٩/٧ .

(٧) هذه الحالة الثالثة لمواقع الإشكال النحوي الذي بحاجة إلى إعراب .

أعرب القرطبي قوله تعالى (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ) (١) فقال (٢) ((قال أبو عبيدة: "إِذْ" زائدة، وقال محمد بن يزيد: التقدير أذكر إِذْ. وقال الزجاج: المعنى واصطفى آل عمران إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ)).

وأعرب في موضع آخر قوله تعالى (وَمَكْرُواْ وَكَمَرُواْ اللّٰهُ. وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْأَيْكَ زَآفِعُكَ إِلَيَّ) (٣) فقال (٤) (العامل في "إِذْ" مكروا، أو فعل مضمر)).

ومن ذلك إيراد أقوال العلماء في عامل "إِذَا" في قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ) (٥) إِذْ قَالَ القرطبي (٦) ((ولا يصح عند جمهور النحاة أن تعمل "الوصية" في "إِذَا"؛ لأنها في حكم الملة للمصدر الذي هو الوصية وقد تقدمت، فلا يجوز أن تعمل فيها متقدمة. ويجوز أن يكون العامل في "إِذَا" كتب، والمعنى: توجه إيجاب الله إليكم ومقتضى كتابه إذا حضر؛ فعبر عن توجه الإيجاب يُكتب لينتظم إلى هذا المعنى أنه مكتوب في الأزل. ويجوز أن يكون العامل في "إِذَا" الإيضاء يكون مقدراً دلّ على الوصية "المعنى: كتب عليكم الإيضاء إذا)).

ومن ذلك إيراد أقوال العلماء في عامل "يوم" من قوله تعالى (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) (٧) حين قال (٨) ((وانتصب يوماً "على الحمل على الموضع" في هذه الدنيا؛ واستغنى عن حرف العطف في قوله "من المقبوحين" كما استغنى عنه في قوله: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّآيَهُمْ كَلْبُهُمْ) (٩) ويجوز أن يكون العامل في "يوم" مضمرًا يدلّ عليه قوله: "هم من المقبوحين" فيكون كقوله: يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين)).

(٢) "التفسير" ٦٥/٤ •

(٤) "التفسير" ٩٩/٤ •

(٦) "التفسير" ٢٥٩/٢ •

(٨) "التفسير" ٢٩٠/١٣ •

(١) آل عمران ٣٥/ •

(٣) آل عمران ٥٥/ •

(٥) البقرة ١٨٠/ •

(٧) القصص ٤٢/ •

(٩) الكهف ٢٢/ •

ويجوز أن يكون العامل في "يوم" قوله: "هم من المقبوحين" وإن كان الظرف متقدماً، ويجوز أن يكون مفعولاً على السعة، كأنه قال: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ولعنة يوم القيامة)).

ومن ذلك إيضاح عوامل الأحوال التالية:

أولاً: إيضاح عامل جملة حالية (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) من قوله تعالى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١) حين قال (٢) ((ابتداءً وخبر؛ ويحتمل أن يكون في موضع الحال والعامل "تعبد"))).

وثانياً: إيضاح عامل "خالدين" المنصوب على الحال في إعراب قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا) (٣) حين قال (٤) ((و "خالدين" نصب على الحال من الهاء والميم في "عليهم" والعامل فيه الظرف من قوله "عليهم"؛ لأنّ فيها معنى استقرار اللعنة))).

وثالثاً: إيضاح عامل "مبشراً" المنصوب على الحال في إعراب قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (٥) إذ قال (٦) ((ومبشراً نصب على الحال، والعامل فيها معنى الإرسال وإليكم صلة الرسول))).

رابعاً : ما كان فيه حذف:

إنّ الحالة الرابعة لمواقع الإشكال النحوي الذي هو بحاجة إلى الإعراب هي ما كان فيه حذف ومسألة الحذف في كتب النحو ليست داخلةً في عنوان واحد، ولكنها منتشرة في داخل موضوعات النحو المختلفة، فحذف الخبر - مثلاً - نجده في كتاب سيبويه في "باب من الابتداء

(٢) "التفسير" ١٣٨/٢ .

(١) البقرة/ ١٣٣ .

(٤) "التفسير" ١٩٠/٢ .

(٣) البقرة / ١٦٢ .

(٦) "التفسير: ٨٢/١٨ .

(٥) المص ٦/ .

يضمّر فيه ما يبني على الابتداء^(١) وفي "المقتضب" نجده في "باب المبتدأ المحذوف الخبر استغناء عنه، وهو باب (لَوْلَا)^(٢)؛ وحذف كل من المبتدأ والخبر وجدناهما في "شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك" تحت عنوان "الابتداء"^(٣). ونجد "حذف المضاف إليه وبقاء المضاف على إعرابه" في "المقتضب" عند باب الاسمين اللذين لفظهما واحد والآخر منهما مضاف^(٤). وبينما نجد حذف المضاف في "باب الظروف من الأمكنة والأزمنة من الكتاب نفسه^(٥)، وفي "شرح ابن عقيل"، يبحث حذف كل من المضاف والمضاف إليه في باب الإضافة^(٦).

وصّف ابن جني مسألة الحذف مع بعض مسائل أخرى في عنوان "شجاعة العربية"^(٧) وفسّر السيوطي هذه التسمية؛ لأنّه يشجّع على الكلام^(٨).
وجمع ابن هشام أنواع الحذف وبيّن شروطه^(٩)، وأورد شواهد كثيرة من النصوص القرآنية

-
- (١) انظر كتاب "سيبويه" ١٢٩/٢ •
(٢) انظر "المقتضب للمبرد" ٧٦/٣ •
(٣) انظر شرح ابن عقيل ٢٠٨/١ •
(٤) انظر "المقتضب" ٢٢٨/٤ •
(٥) انظر "المقتضب" ٣٤٣/٤ •
(٦) انظر شرح ابن عقيل ٦٦/٢، ٦٨ •
(٧) انظر الخصائص ٣٦٠/٢ •
(٨) انظر "اللاتقان" ١٧٣/٣ •
(٩) هي عند ابن هشام ثمانية:
١- وجود دليل حالي أو مقالي •
٢- ألا يكون ما يحذف كالجزء فلا يحذف الفاعل •
٣- ألا يكون مؤكدا •
٤- ألا يؤول إلى اختصار المختصر فلا يحذف اسم الفعل، لأنّه اختصار الفعل •
٥- ألا يكون عاملا ضعيفا، كالجار والناصب للفعل •
٦- ألا يكون عوضا عن شيء • فلا تحذف التاء في "عدة" •

والأشعار تحت عنوان "الذكر أماكن من الحذف يتمرن بها المعرب" (١).

وأما الزركشي فجعل الحذف من أساليب القرآن وفنونه البليغة، وفرّق بينه وبين الإيجاز لأنّ الحذف شَمُّ مَقَرٍّ، نحو (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) (٢) بخلاف الإيجاز: فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجَمَّة بنفسه (٣)، بينما السيوطي جعل الحذف أحد قسمي الإيجاز (٤)، والإيجاز من أساليب البلاغة (٥).

ومهما يكن من أمر، فإنّ الحذف مسألة نحوية وبلاغية في آن واحد، تَجَنَّبْنَاهُ، وليس هنا مجال تفصيل مسألة الحذف وإنما ذكرناها في معرض الأحوال المشكّلة التي هي ميدان الإعراب التطبيقي عند القرطبي، وما يلي أمثلة لمواقع الحذف من القرآن وأنواعه التي أبانها القرطبي في تفسيره.

- مثالين لحذف المضاف.

أحدهما صرح القرطبي أن لقوله تعالى (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ) (٦) حذفاً وتقديره كما قال (٧) ((حَقَّقُوا بِهَا شَهَادَتَهُمْ عنده، ورفعوا التهمة عن أنفسهم لئلاّ يتّهمهم، فقولهم، و"أَسْأَلُ الْقَرْيَةَ" أي أهلها: فحذف، ويريدون بالقرية مصر))، وبين أيضاً أن لآية تفسيراً آخر لا حذف فيه، (٨).

والآخر ما كان حذف المضاف فيه وجوباً لفساد المعنى بدونه كما في قوله تعالى (بَشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (٩) وقال القرطبي في إعرابه ((التقدير يقال لهم: بَشْرَاكُمْ الْيَوْمَ دَخُولَ جَنَاتٍ ولا بد من تقدير حذف المضاف لأنّ البشريّ حدث، والجنة عين

٧ = - ألا يؤدّي حذفه إلى تهية العامل وقطعه عنه، ولأى أعمال العامل الضعيف

مع أماكن أعمال العامل القوي، فامتنع لاجتماع الأمرين عند البصريين حذف

المفعول في "زيدٌ ضربته" (انظر "مغني اللبيب" ص ٢٨٦-٢٩٦) يتمرّف).

(١) المغني، ص ٨١١ • (٢) يوسف ٨٢ •

(٣) انظر "البرهان" ١٠٢/٣ • (٤) انظر "الاتقان" ١٧٠/٣ • والقسم الآخر إيجاز القصر.

(٥) انظر "الطراز" ٣١٦/٣ • (٦) يوسف ٨٢ •

(٧) "تفسير القرطبي" ٢٤٦/٩ • (٨) "التفسير" ٢٤٦/٩ •

(٩) الحديد ١٢ •

فلا تكون هي هي (((١) .

- مثال حذف المضاف إليه .

فمن هذا الصنف احتمال قوله تعالى (وَهِيَ تَمْزُّ مَرَّ السَّحَابِ) (٢) لعدة أعراب منها حذف المضاف إليه، وقال القرطبي عنه (٣) ((تقديره مرًا مثل مرّ السحاب، فأقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف مقام المضاف إليه)) ثم ذكر عدة أعراب محتملة أخرى (٤) .

- ما يحتمل فيه حذف الخبر والمبتدأ .

وذلك في تفسير قوله تعالى (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) (٥) حين قال (٦) قوله تعالى (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) ابتداء والخبر محذوف، أي قول معروف أولى وأمثل ذكره النحاس والمهدوي . قال النحاس: ويجوز أن يكون قول معروف "خير ابتداء محذوف" أي الذي أمرتم به قول معروف .

- مثال حذف اسم كان .

كما في إعراب قوله تعالى (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ) (٧) حين قال القرطبي (٨) ((عَرَضًا) خبر كان (قَرِيبًا) نعته (وَسَفَرًا قَاصِدًا) عطف عليه . وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه، التقدير: لو كان المدعو إليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا أي سهلا معلوم الطرق - لَا تَبْعُوكَ)) .

- مثال حذف الرابط .

وذلك كحذف الهاء التي تربط بين الملة والموصول في قوله تعالى (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ

(١) "التفسير" ٢٤٤/١٧ . (٢) النمل/٨٨ .

(٣) "التفسير" ٢٤٣/١٣ . (٤) التفسير ٢٤٣/١٣-٢٤٤ .

(٥) البقرة ٢٦٣ . (٦) "التفسير" ٣٠٩/٣ .

(٧) التوبة/٤٢ . (٨) "التفسير" ١٥٣/٨ .

مِنْ شَيْءٍ (١) حين أعرب القرطبي بقوله (٢) ((ما في قوله "ما غنمتم" بمعنى "الذي" والهاء محذوفة: أي الذي غنمتموه)) .

- مثال حذف حرف الجر .

وذلك كما في إعرابه لقوله تعالى (وَلَكِنْ تَوَاعَدْتُمْ سِرًّا) (٣) حين قال (٤) ((أي على سرّ فحذف الحرف؟ لأنه مما يتعدى إلى مفعولين إحداهما بحرف جر)) .

- مثال حذف الفاء التي في جواب الشرط .

وذلك كما في إعرابه لقوله تعالى (وَلَقَدْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (٥) حين قال (٦) ((أي جحدتم حقّي . وقيل: نعمي؛ وعدّ بالعذاب على الكفر، كما وعدّ بالزيادة على الشكر، وحذفت الفاء التي في جواب الشرط من "إنّ" للشهرة)) .

- مثال حذف القول :

كان ذلك في إعرابه لقوله تعالى (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (٧) حين قال (٨) ((كلوا فيه حذف، تقديره "وقلنا كلوا" فحذف اختصاراً لدلالة الظاهر عليه)) .

- مثال حذف الشرط :

كان ذلك في إعرابه لقوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٩) حين قال (١٠) ((والفاء في قوله (فهذا يوم البعث) جواب لشرط محذوف دلّ عليه الكلام: مجازة: وإن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث) .

(٢) "التفسير" ١٠/٨ .

(١) الانفال/٤١ .

(٤) "التفسير" ١٩٠/٣ .

(٣) البقرة/٢٣٥ .

(٦) "التفسير" ٣٤٣/٩ .

(٥) ابراهيم/٧ .

(٨) "التفسير" ٤٠٨/١ .

(٧) البقرة/٥٧ .

(١٠) "التفسير" ٤٨/١٤ .

(٩) الروم/٥٦ .

- مثال حذف جواب "لولا"

كان ذلك في إعرابه لقوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ) (١)
حين قال (٢) (("أَنْ" في موضع رفع أي لولا رؤية برهان ربه، والجواب محذوف لعلم السامع: أي
لكان ماكان)) .

المسألة الثانية : العلة النحوية*

العلّة : لغة : عبارة عن معنى يحلّ بالمحلّ فتغيّر به حال المحلّ، ومنه يسمّى المرض علّة؛
لأنّه بطوله يتغيّر حال الشخص من القوة إلى الضعف (٣)،
والعلة إصطلاحاً: ما يتوقف عليه وجود الشيء (٤)
والعلة شريعة: عبارة عما يجب الحكم به معه (٥)
فالعلّة النحوية: ما يتوقف عليه وجود الأحكام النحوية.

تقسيم العلة النحوية:

تنقسم علل النحويين إلى ضربين : واجب لا بدّ منه؛ لأنّ النفس لا تطيق في معناه
غيره، وهذا لأحقّ بعلة المتكلّمين، كقلب الألف واوا للضمّة قبلها، وياء للكسرة قبلها، ومنع
الابتداء بالساكن والجمع بين الألفين المدّتين؛ إذ لا يكون ما قبل الألف إلّا مفتوحاً فلو التقت
ألفان مدّتان لوقعت الثانية بعد ساكن (٦).

(١) يوسف / ٢٤ . (٢) "التفسير" ١٦٩/٩ .

* هذه المسألة هي المحتوى الثاني للدراسة في "الإعراب التطبيقي عند القرطبي".

(٣) انظر "التعريفات" ص ١٥٩ .

(٤) نفسه / ١٠٢ . (٥) نفسه ، ص ١٦٠ .

(٦) قال ابن جنّي عن هذا المثال الأخير ((ومن المستحيل جمعك بين الألفين المدّتين، نحو
ما صار إليه قلب لام كساء ونحوه قبل إبدال الألف همزة وهو خطأ كساء، أو قضاء،
فهذا تتوهمه تقدّيراً ولا تلفظ به البتّة)) . (انظر الخصائص / الجزء ١ / ٨٨ - ٨٩).

والثاني ما يمكن تحمّله لكن على استكراه، وهذا لأحقّ بعلل الفقهاء، كما يمكن النطق به على مشقّة كقلب الواو ياءً بعد الكسرة إذ يمكن أن تقول في عفافير عفافور لكن مستكره (١).

انواع العلل النحوية:

إنّ لاعتلال النحويين صنفين: أولهما علّة تطرّد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم، ثانيهما: علّة تظهر حكمتها وتكشف عن صحّة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم (٢) والمشهور من الصنف الأول أربعة وعشرون نوعاً (٣) وأمّا الثاني فيُسمّى علّة السعلّة، وهذه التسمية - كما قال ابن جني - على سبيل المجاز لأنّ هذا الصنف في الحقيقة شرح وتفسير وتتميم للسعلّة وليس علّة عينها (٤).

- العلل النحوية في تفسير القرطبي:

وكان القرطبي في إعرابه للقرآن يتبع بعض الأحكام النحوية بعّلّها، ومن أنواع هذه العلل ومواقعها في التفسير الأمثلة الآتية:

أولاً: علّة التشبيه:

ومثال هذا النوع علّة بناء "ثمّ" الظرفية على الفتح؛ لأنّها أشبهت "هناك" في

(١) أخذنا ذلك من "الاقتراح"، ص ٥٠، بتصرف، وهو منقول مختصراً من كلام ابن جني في

"الخصائص"، ٨٢/١، وما بعدها.

(٢) انظر "الاقتراح" ص ٤٨، بتصرف.

(٣) وتلك الأنواع هي: علّة سماع، وتشبيه، واستغناء، واستشقال، وفرق، وتوكيد، وتعويض، ونظير ونقيض، وحمل على المعنى، ومُشاكلة ومُعادلة، وقُرب، ومُجاوزة، ووُجوب، وجواز، وتغليب، واختصار، وتخفيف، ودلالة حال، وأصل، وتحليل، وإشعار، وتضادّ، وأوّل (الاقتراح/٤٨).

(٤) نفسه، ص ٤٩ بتصرف.

الإشارة إلى البعد، كما في إعراب القرطبي لقوله تعالى (فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَجَهَّ اللَّهُ) (١) حين قال (٢) ((وَتَمَّ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الظَّرْفِ، وَمَعْنَاهَا الْبَعْدُ إِلَّا أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْفَتْحِ غَيْرُ مَعْرَبَةٍ؛ لِأَنَّهَا مُبْهَمَةٌ، تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ هُنَاكَ لِلْبَعْدِ، فَإِذَا أُرِدَتْ الْقُرْبُ قُلْتُ هُنَا)).

ثانياً: علة الاستغناء:

ومن هذا النوع ماذهب إليه سيبويه أنه لا يقال وَذَرُّوْا وَلَا وَادِرْ إِلَّا شَاذًا، لِأَنَّ الْعَرَبَ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِتَرْكِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ الْقُرْطُبِيُّ فِي إِعْرَابِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ) (٣) حين قال (٤) ((فَذَرُّوْهَا تَأْكُلْ) أَمْرٌ وَجَوَابُهُ وَحَذَفَتْ النُّونُ مِنْ "فَذَرُّوْهَا" لِأَنَّهُ أَمْرٌ وَلَا يُقَالُ: وَذَرَّ وَلَا وَادِرْ إِلَّا شَاذًا، وَلِلنَّحْوِيِّينَ فِيهِ قَوْلَانِ: قَالَ سَيْبَوِيهِ: اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِتَرْكِ، وَقَالَ غَيْرُهُ لَمَّا كَانَتْ الْوَاوُ ثَقِيلَةً وَكَانَ فِي الْكَلَامِ فِعْلٌ مَعْنَاهُ لَا وَاوُ فِيهِ الْغَوْهَ)).

ثالثاً: علة الاستثقال:

كعدم انصراف لفظ "لقمان" لاجتماع ثَقَلَيْنِ؛ أحدهما زيادة الألف والنون والآخر التعريف حيث أورد ذلك القرطبي في إعرابه لقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (٥) حين قال (٦)

(١) البقرة/١١٥.

(٢) "تفسير القرطبي" ٧٩/٢، وانظر مثالين آخرين في "التفسير" ٢٨٦/٧ الاعراف/١٥٠ في اعراب قوله تعالى (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا)؛ و"التفسير" ٧/١٤ الروم/٤، في اعراب قوله تعالى (مَنْ قَبْلَ وَمَنْ بَعْدَ).

(٣) هود/٦٤. (٤) "تفسير القرطبي" ٦٠/٩.

(٥) لقمان/١٢.

(٦) "تفسير القرطبي" ٥٩/١٤، وانظر موضعاً آخر في علة اختيار بناء "كيف" على الفتح في "التفسير" ١٥٦/٤ آل عمران/١٠١، في إعراب قوله تعالى (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ).

((ولم ينصرف "القمان" لأن في آخره ألفا ونونا زائدتين: فأشبهه فعلان الذي أنشأه "فعل" فلم ينصرف في المعرفة؛ لأن ذلك ثقل ثان، وانصرف في النكرة، لأن أحد الثقليين قد زال: قاله النحاس))^{*}

رابعاً: علة الفرق:

مثال هذا النوع حذف ألف "ما" الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر، للفرق بين الاستفهامية والخبرية، كما في قوله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ) ^(١) وقال القرطبي في إعرابه (الأصل "لِمَا" فحذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر) ^(٢).

خامساً: علة الحمل على المعنى.

مثال ذلك دخول الفاء في لفظ "فَتَعَسَا" من قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَالْأَمَلُ أَعْمَالُهُمْ) ^(٣) حملاً على الإيهام في معنى "الذين"، وقال القرطبي في هذا الإعراب ((وَأَصْلُ أَعْمَالُهُمْ) أي أبطؤها؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان، ودخلت الفاء في قوله: فَتَعَسَا، لإجل الإيهام الذي في "الذين" وجاء وَأَصْلُ أَعْمَالُهُمْ على الخبر حملاً على لفظ الذين، لأنه خبر في اللفظ؛ فدخلت الفاء حملاً على المعنى، و"أَصْلُ" حملاً على اللفظ ^(٤))).

سادساً: علة الحال.

ومن هذا الصنف إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) ^(٥) حين

(١) آل عمران ٦٥.

(٢) "تفسير القرطبي" ١٠٧/٤ وانظر مثالا آخر في إعراب قوله تعالى (وَلَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ) في التفسير ٢٥٥/٦ / المائدة ٨٢.

(٣) محمد ٨.

(٤) تفسير القرطبي ٢٣٣/١٦، وانظر مثالا آخر في إعراب قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في التفسير ٤٣٥/١ / البقرة ٦٢.

(٥) طه ٨٠.

قال (١) ((وَالْأَيْمَنَ" نصب ؛ لآتته نعت للجانب، وليس للجبل يمين ولا شمال، فإذا قيل، خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ على يمينك من الجبل وكان الجبل على يمين موسى إذ أتاه)).
 سابعاً: علة الأصل:

من ذلك علة قراءة قوله تعالى (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ) (٢) بكسر النون، وقال القرطبي في توجيه إعراب هذه القراءة ((فَمَنْ اضْطُرَّ) قرئ بضم النون للاتباع، وبالكسر هو الأصل للاتقاء الساكنين)) (٣).
 ثامناً: علة الجواز:

قال القرطبي في قوله تعالى (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) (٤) حين قال ((من" في محل رفع عطفاً على التاء في قوله "أَسَلَّمْتُ" أي ومن اتبعن أسلم أيضاً، وجاز العطف على ضمير من غير تأكيد للفصل بينهما) (٥)).

تاسعاً: علة الأولى:

ومثال ذلك إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَالِىَ مَدْيَنَ) (٦) حين قال (٧) ((قيل: في مَدْيَنَ اسم بلد وقطر، وقيل اسم قبيلة كما يقال: بكر وتميم، وقيل: هم من ولد مَدْيَنَ بن إبراهيم الخليل عليه السلام، فمن رأى أن مدين اسم رجل لم يصرفه؛ لآتته معرفة أعجمي، ومن رآه اسماً للقبيلة أو الأرض فهو أخرى بآلاً يصرفه)).

(١) "التفسير" ٣٣٠/١١ ، وانظر مثالا آخر في إعراب قوله تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتْرَةٍ) (٢) في "القرطاس" في "التفسير" ٣٩٣/٦ / الانعام/ ٧ .

(٢) البقرة / ١٢٣، وبالكسر قراءة حمزة وأبي عمرو وعاصم، وبالضم قرأ الباقون (انظر "حجة القراءات" / ١٢٢) .

(٣) "التفسير" ٢٢٤/٢، وانظر نحوه في إعراب قوله تعالى (قَالَتْ أَخْرِجِي عَلِيَّهِنَّ) في "التفسير" ١٧٩/٩ / يوسف / ٣١ .

(٤) آل عمران / ٢٠ (٥) "التفسير" ٤٥/٤ (٦) الاعراف / ٨٥ .

(٧) "التفسير" ٢٤٧/٧ .

المسألة الثالثة: معاني الحروف

إنّ المسألة الثالثة التي تعرّض لها القرطبي في إعرابه للقرآن، بيان معاني الحروف، ولهذا البيان عدة أحوال؛

منها: بيان معنى الحرف وفائدته في الآية:

ومثال هذا النوع بيان القرطبي لمعنى "لَكِنْ" وفائدتها في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) (١) حين قال (٢) ((وَلَكِنْ حَرَفُ تَأْكِيدٍ وَاسْتِدْرَاكٍ وَلَا بَدَأَ فِيهِ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ؛ إِنْ كَانَ قَبْلَهُ نَفْيٌ كَانَ بَعْدَهُ إِجَابٌ وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ إِجَابٌ كَانَ بَعْدَهُ نَفْيٌ. وَلَا يَجُوزُ الْاِقْتِصَارُ بَعْدَهُ عَلَى اسْمٍ وَاحِدٍ إِذَا تَقَدَّمَ الْإِجَابُ، وَلَكِنْكَ تَذَكَّرَ جُمْلَةً مُضَادَّةً لِمَا قَبْلُهَا كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلِكَ جَاءَنِي زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو لَمْ يَجِيءْ؛ وَلَا يَجُوزُ جَاءَنِي زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو شَمَّ تَسَكَّتْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ اسْتَغْنَوْا بِبَلٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَنْ لَكِنْ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِذَا تَقَدَّمَ النَفْيُ كَقَوْلِكَ: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو)) .

ومثال آخر بيانه لفائدة اللام المزحلقة في قوله تعالى (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ) (٣) حين قال (٤) ((هَذِهِ لَامُ التَّأْكِيدِ دَخَلَتْ فِي خَبَرِ إِنْ وَسَيَّلَهَا أَنْ تَكُونَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهَا تَوْكِيدُ الْجُمْلَةِ إِلَّا أَنَّهَا تُزْحَلِقُ عَنْ مَوْضِعِهَا؛ كَذَا قَالَ سَيُوبِيهِ تَقُولُ: إِنْ عَمْرًا لَخَارَجَ؛ وَإِنَّمَا أُخِّرَتْ عَنْ مَوْضِعِهَا لِئَلَّا يَجْمَعَ بَيْنُهَا وَبَيْنَ إِنْ؛ لِأَنَّهُمَا يَوْدِيَانِ عَنْ مَعْنَى وَاحِدٍ. وَكَذَا لَا يَجْمَعُ بَيْنَ إِنْ وَإِنَّ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ وَأَجَازَ هِشَامٌ: إِنْ أَنَّ زَيْدًا مَنْطَلِقُ حَقٍّ؛ فَإِنَّ حَذَفْتَ حَقًّا لَمْ يَجَزْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَحْوِيِّينَ عِلْمَتُهُ؛ قَالَهُ النُّحَاسُ)) .

ومنها: بيان معنى الحرف وتأثيره في بناء الحكم الشرعي.

وذلك كبيانه لمعنى "مَعَ" في قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

(٢) "التفسير" ٢٠٤/١ .

(١) البقرة ١٢/ .

(٤) "التفسير" ٣٢٦/١٥ .

(٣) غافر ٥٩/ .

الرَّاكِعِينَ^(١) حين قال^(٢): "مَعَ" تقتضى المعية والجمعية، ولهذا قال جماعة من أهل التأويل بالقرآن: إِنَّ الأَمْرَ بالصَّلَاةِ أَوَّلًا لم يقتضِ شهود الجماعة، فأمرهم بقوله "مع" شهود الجماعة، وقد اختلف العلماء في شهود الجماعة على قولين؛ فالذي عليه الجمهور أَنَّ ذلك من السنن المؤكدة، ويجب على من أذعن التخلف عنها من غير عذر العقوبة^{*} وقد أوجبها بعض أهل العلم فرضاً على الكفاية^(٣))).

وكبيان معنى "إلى" وأثرها في استنباط الحكم من قوله تعالى (ثُمَّ أَتَمَّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)^(٤) حين قال^(٥) ((أمر يقتضى الوجوب من غير خلاف، و"إلى" غاية، فإذا كان بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه؛ كقولك: اشتريتُ الفدان إلى حاشيته، أو اشتريت منك من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة والمبيع شجر؛ فإنَّ الشجرة داخلة في المبيع، بخلاف قولك "اشتريت الفدان إلى الدار؛ فإن الدار لا تدخل في المحدود إذ ليست من جنسه فشرط تعالى تمام الصوم حتى يتبين الليل، كما جوِّز الأكل حتى يتبين النهار))^{*}.

ومنها: تحديد معنى الحرف وفائدته في الآية:

إن للواو عدّة معان: منها ما هو لمطلق الجمع ومنها ما هو للمعية، ومنها ما هو لعطف ما لا يستغنى عنه، نحو اختصم زيد وعمرو^(٥) وحدّد القرطبي فائدة الواو في جملة (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) على أنها لعطف جملة على جملة، والمعنى منقطع من الذي قبله، وتلك الجملة من قول تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُنِيرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)^(٦) وقال القرطبي عن ذلك الاعراب ((وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) الواو عاطفة جملة على جملة، والمعنى منقطع من الذي قبله^(٧))).

(١) البقرة ٤٣/ • (٢) تفسير القرطبي ١/ ٣٤٨ •

(٣) البقرة ١٨٧/ • (٤) تفسير القرطبي ٢/ ٣٢٧ •

(٥) انظر "مع الهوامع" ٥/ ٢٢٣-٢٣٢ •

(٦) الأحزاب/ ٤٧ • (٧) "تفسير القرطبي" ١٤/ ٢٠١ •

ومثال آخر أن "مِنْ" تفيد لابتداء الغاية، مكاناً أو زماناً مع خلاف، وتفيد أيضاً للتبعيض وغيرها (١) وحدد القرطبي فائدتها في قوله تعالى (مَا سَيَقْكُم مِّنْ أَكْمٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) (٢) على أنها لاستغراق الجنس وقال (٣) ((مِنْ" لاستغراق الجنس، أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط)) .

ومنها: تداخل معاني الحروف:

قد يحلّ حرف محلّ حرف آخر في النصوص القرآنية . فجعل الكوفيون هذه الظاهرة من تناوب حروف المعاني، وأمّا البصريون فقالوا إنّ لكلّ حرف خصوصيّة فلا يتداخل بعضها في بعض؛ وإذا واجهوا تلك الحالة بادّروا إلى التاويل يَقبلها الحرف أو تضمين فعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، وإذا لا يمكن ذلك جعلوه من قبيل الشنوذ - وقد ذكرت هذه المسألة ، وموقف القرطبي منها عند البحث في "الاستشهاد بالقرآن" - ولكنّ الذي يعيننا هنا أنّ تداخل معاني الحروف نوع من أنواع الأشكال النحوي الذي جعله القرطبي من محتويات إعرابه للتفسير، وإليك الأمثلة:

منها: مجيء "أم" بمعنى "بل" أو بمثابة ألف الاستفهام ليبتدأ بها .
كإعراب القرطبي لقوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) (٤) حين قال (٥) ((أَمْ حَسِبْتُمْ) و"أم" هنا منقطعة، بمعنى "بل"، وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيء بمثابة ألف الاستفهام ليبتدأ بها)) .
ومنها: مجيء "مِنْ" بمعنى "عند"

وذلك في إعراب القرطبي لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) (٦) حين قال (٧) ((ومن في قوله " مِنَ اللَّهِ" بمعنى عند الله : قاله أبو عبيدة)) .

(١) انظر "معجم الهوامع" ٢١١/٤ - ٢١٥ .

(٢) الأعراف / ٨٠ . (٣) "تفسير القرطبي" ٢٤٥/٧ .

(٤) البقرة / ٢١٤ . (٥) "تفسير القرطبي" ٣٤/٣ .

(٦) آل عمران / ١٠ . (٧) "تفسير القرطبي" ٢٢/٤ .

ومنها مجيء اللام بمعنى "في".

كما في إعراب القرطبي لقوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ) ^(١) حين قال ^(٢) ((واللام في قوله "اليوم" بمعنى "في" قاله الكسائي، وقال البصريون: المعنى لحساب يوم، الطبري: لما يحدث في يوم))^{*} ومنها: استعمال "إِذَا" في موضع "إِذَا"

كما في إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَكَلِّتُنَا) ^(٣) حين قال ^(٤) ((أي: إِذْ وَقَفُوا غداً، و"إِذَا" قد تستعمل في موضع "إِذَا"، و"إِذَا" في موضع "إِذَا" وما سيكون فكانت كان؛ لأنَّ خبر الله تعالى حق وصدق، فلهذا عبّر بالماضي، ومعنى "إِذَا وَقَفُوا" حبسوا))^{**}

(١) انظر "معجم الهوامع" ٢١/٢-٢٢، يتصرف .

(٢) الانعام ٣/ .

(٣) "تفسير القرطبي" ٣٩/٦ .

(٤) الانعام ٣/ .

المسألة الرابعة: توجيه إعراب القراءات القرآنية

تصدى العلماء لتوجيه إعراب القراءات القرآنية، صحيحة كانت القراءة أو شاذة^(١)، وقاموا بترجيح قراءة على أخرى، وتمادى بعضهم في التمسك بالقواعد النحوية فخطأوا القراءات التي لا تتفق مع أصولهم ومقاييسهم النحوية وإن كانت هذه القراءات صحيحات متواترات، ونقل القرطبي هذه التوجيهات والأعاريب في تفسيره، ودافع في مواضع كثيرة عن القراءات الصحيحة من إنكار واستبعاد، وكان في ردوده على المنكرين يستعين بآراء العلماء الآخرين أو يتمدّد ذلك بنفسه، كل هذه المسائل قد أوضحنا تفصيلها في ذكر "موقف القرطبي من القراءات" عند البحث في "الاستشهاد بالقراءات القرآنية".

ويدخل في مسألة "توجيه إعراب القراءات" أيضاً ذكر احتمالات إعرابية ليست من القراءة، فلا يجوز القراءة بها؛ لأنّ القراءة سئة متبعة^(٢)، وإنما ذكرت هذه الاحتمالات افتراضية في غير القرآن؛ فلذلك وجدنا إشارات كثيرة توضّح أنّ هذه الاحتمالات جائزة في غير القرآن باستخدام عبارات: "يجوز في الكلام"^(٣)، "ويجوز في العربية"^(٤)، "وأجاز الفراء في غير القراءة"^(٥)، "ويجوز في غير القرآن"^(٦).

(١) تقدم التعريف بالقراءة الصحيحة والشاذة، عند البحث في "الاستشهاد بالقراءات القرآنية".

(٢) المقصود بـ "السنة المتبعة": "أنّ اتّباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة، ولا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة. وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة أو أظهر منها" (انظر "الاتقان" ٢١١/١).

(٣) التفسير ٤٠٩/٢ / السطر ١٠. (٤) "التفسير" ٢٢/٤ / السطر ٧.

(٥) "التفسير" ٤٨/٩ / السطر ٢٢.

(٦) هناك أكثر من خمسة وعشرين موضعاً استخدم فيها عبارة "ويجوز في غير القرآن" للدلالة على أن الإعراب المحتمل ليس من القراءة، وبعض هذه الأماكن هي: "التفسير" ٢٤١/١، السطر ٨، "والتفسير" ٢٧٥/١ / السطر ١٠، "والتفسير" ٣٧٧/١ / السطر ٣، "والتفسير" ١٧/٤٠٠/١، "والتفسير" ٢٦/٢ / السطر ١٢، و ١٤٧/٢، السطر ١، ٢٠٤/٢ / السطر ٧، و ٢٦٧/٢ / السطر ١٤، و ١٤/٢ / السطر ٢، و ٣٦/٣ / السطر ٤، و ١٢٧/٣ / السطر ١٠؛ =

وهناك مواضع كثيرة أيضا ذكرت فيها احتمالات إعرابية وهي ليست من القراءات القرآنية. ولم توجد إشارة إلى أن تلك الاحتمالات ليست من القراءة، ولهذا النوع صنفان: أولهما منسوب إلى النحاة^(١)، والآخر: غير منسوب^(٢).

هذه المسائل كلها داخلة في محتوى "توجيه إعراب القراءات" أو بعبارة أبي جعفر النحاس: القراءات التي تحتاج أن يبين إعرابها والعلل فيها^(٣)، فهذه المسائل جوانب الدراسة حول القراءات التي تتعلق بالإعراب، وفيما يلي أمثلة لبيان ذلك:

= و ٢٦٥/٣ السطر/ ١٤ ، و ٢٧١/٣ السطر/ ٦؛ و ٤٢٨/٣ السطر/ ٨؛ و ٢٢/٤ السطر/ ٧، و ١٣٩،٤/٥ السطر/ ٥، و ٢٧٥،٤/٤ السطر/ ٤، و ٢٩٠/٧ السطر/ ١٤، و ٤٨/٧ السطر/ ٣؛ و ٢٧٠/٧ السطر/ ٢٢، و ٩٥٥/٨ السطر/ ١٣، و ٣٦١/٨ السطر/ ١٧؛ و ٤٨/٩ السطر/ ٢٢، و ١٩٩/٩ السطر/ ١١؛ و ٣٠٥/١٤ السطر/ ١٦، و ٣٢٢/١٤ السطر/ ٣.

(١) من ذلك ما نسب إلى سيبويه "التفسير" ٢/٣١٩/١٤؛ وما نسب إلى الكسائي "التفسير" ٥٢/٧ السطر/ ١٨؛ و ٥٢/٧ السطر/ ١٩، و ٥٤/٧ السطر/ ٩، و ٥٨/٨ السطر/ ٨، وما نسب إلى الأخفش والكسائي والفراء "التفسير" ٢١/٨ السطر/ ١٤، وما نسب إلى الكسائي والفراء: التفسير ٢٦٧/١١ السطر/ ١٥ و ٢٦٨/١١ السطر/ ١٨، وما نسب إلى الفراء وحده "التفسير" ٢٠٠/٩ السطر/ ٨، و ٢٢٦/١ السطر/ ٦، و ٢٨٧/١١ السطر/ ١٢؛ و ١١٤/١٢ السطر/ ١٥؛ و ٣٠٦/١٢ السطر/ ٢٣؛ و ٩٩/١٣ السطر/ ١٨؛ و ١٩٣/١٣ السطر/ ١٦؛ وما نسب إلى الأخفش "التفسير" ٣٩٧/٦ السطر/ ٣، و ٢٩٩/١٥ السطر/ ٩، وما نسب إلى الزجاج "التفسير" ٢١٧/٧ السطر/ ٩؛ و ٦٠/٩ السطر/ ١٠، وما نسب إلى النحاس "التفسير" ١٩٠/١١ السطر/ ١٦.

(٢) ومن مواضع هذا الصنف ما يلي: "التفسير" ٤٥٠/١ السطر/ ٦، و ٤٦٤/١ السطر/ ٧، و ٤١/٢ السطر/ ٢، و ٦٩/٢ السطر/ ١٦، و ٤١٤/٣ السطر/ ٢٣، و ٥/٦ السطر/ ٢٠، و ٦/١٢ السطر/ ١٨، و ٢٢٠/٦ السطر/ ١٦، و ١٦٤/٧ السطر/ ١٨، و ٣٣٤/١٣ السطر/ ١٣؛ و ٣٦٨/٨ السطر/ ١٠، و ٤١/٩ السطر/ ٧، و ٤١٣/١٠ السطر/ ١٦؛ و ١٨٢/١٢ السطر/ ١٦؛ و ٢٢٤/١١ السطر/ ٣، و ٣٢٦/١١ السطر/ ٢٠، و ٦/١٣ السطر/ ١١، وغيرها.

(٣) هذا قول النحاس حين أوضح محتويات كتابه "إعراب القرآن" فمن بينها "الإعراب" و "القراءات التي تحتاج أن يبين إعرابها والعلل فيها، واختلاف النحاة، ومعاني الحروف" (انظر مقدمة المؤلف "إعراب القرآن" ١/١٦٥).

- مثال توجيه اعراب قراءتين صحيحتين .
 كاعراب القرطبي لقوله تعالى (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) ^(١) حين قال ^(٢) ((نصب على البيان
 وهذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وقرأ سائر الكوفيين "حافظاً" ^(٣) على الحال .
 وقال الزجاج على البيان)) .

- مثال توجيه اعراب قراءتين صحيحتين واختيار إحداهما .
 كاعراب القرطبي لقوله تعالى (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ^(٤) حين قال ^(٥) ((هذه
 قراءة العامة على أنه مسمى الفاعل "الموت" نصبا؛ أي قضى الله عليها وهو اختيار ابن أبي
 حاتم وأبي عبيد لقوله في أول الآية: "الله يتوفى الأنفس" فهو يقضى عليها . وقرأ الاعمش
 ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي "قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتُ" ^(٦) على ما لم يسم فاعله، النحاس :
 المعنى واحد غير أن القراءة الأولى أبين وأشبه بِنَسَقِ الكلام؛ لأنهم قد اجمعوا على
 "وَيُرْسِلُ" ^(٧) ولم يقرؤا "وَيُرْسَلُ" .

- مثال الرد على استبعاد قراءة صحيحة .
 استعان القرطبي بقول النحاس في الرد على استبعاد أبي حاتم وأبي عبيد لقراءة ابن
 عامر (أَنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ) ^(٨) بفتح الهمزة ^(٩)، وقال ^(١٠) ((وقرأ ابن عامر "أَنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ"

-
- (١) يوسف ٦٤/ . (٢) "التفسير" ٢٢٤/٩ .
 (٣) انظر القرائتين "في كتاب السبعة في القراءات" ص ٣٥٠ .
 (٤) الزمر ٤٢/ . (٥) التفسير ٢٦٣/١٥ .
 (٦) انظر القراءتين في كتاب "السبعة في القراءات" ص ٥٦٢ .
 (٧) والآية (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) الزمر/ ٤٢ .
 (٨) الانفال ٥٩/ .
 (٩) انظر قرائتي "أَنَّهُمْ" بفتح الهمزة وكسرهما في "كتاب السبعة في القراءات" ص ٣٠٨ .
 (١٠) التفسير ٣٤/٨ .

بفتح الهمزة^٤ واستبعد هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد، قال أبو عبيد: وإِثْمًا يجوز على أن يكون المعنى؛ ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون، قال النحاس: الذي ذكره أبو عبيد لا يجوز عند النحويين البصريين، لا يجوز "حسبت زيدا أنه خارج" إلا بكسر الألف، وإِثْمًا لم يجز؛ لأنه في موضع المبتدأ، كما تقول: "حسبت زيدا أبوه خارج" ولو فتحت لصار المفعول "حسبت زيدا خروجه" وهذا محال، وفيه أيضا من البعد أنه لا وجه لما قاله يمح به معنى؛ إلا أن يجعل "لا" زائدة ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله عز وجل إلى التطول بغير حجة يجب التسليم لها. والقراءة جيدة على أن يكون المعنى "لأنهم لا يعجزون" مكي: فالمعنى؛ لا يحسبن الكفار أنفسهم فاتوا لأنهم لا يعجزون؛ أي لا يفوتون، ف "أن" في موضع نصب بحذف اللام، أو في موضع خفض على إعمال اللام لكثرة حذفها مع "أن" وهو يروى عن الخليل والكسائي. وقرأ الباقون بكسر إن على الاستئناف والقطع مما قبله، وهو الاختيار لما فيه من معنى التأكيد ولأن الجماعة عليه).

- ما جاز في العربية وليس من القراءة، مع الإشارة.

ومثال هذا النوع إعراب القرطبي لقوله تعالى (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) حين قال (٢) (هُمْ) مبتدأ "خالدون" خبره والظرف ملغى، ويجوز في غير القرآن نصب خالدين على (الحال).

ومثال آخر إعرابه لقوله تعالى ((إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا)) (٣) حين قال (٤) ((وهذا النبي)) أفرد ذكره تعظيما له، كما قال (فيهم) فأكبره ونخل ورمان (٥) وقد تقدم في "البقرة" هذا المعنى مستوفى، و"هذا" في موضع رفع عطف على الذين "والنبي" نعت لهذا أو عطف بيان، ولو نصب لكان جائزا في الكلام عطفًا على الهاء في "اتبعوه").

(٢) "تفسير القرطبي" ٢٤١/١ .

(٤) "تفسير القرطبي" ١٠٩/٤ .

(١) البقرة ٢٥/ .

(٣) آل عمران ٦٨/ .

(٥) الرحمن ٦٨/ .

ما أجازته النحاة وليس من القراءة من غير الإشارة .

مثال ذلك ما أجاز الكسائي نصب لفظ "فتنة" من قوله تعالى (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)^(١)، ولم يشر إلى أنَّ الجواز في غير القرآن ، وقال القرطبي في ذلك ((تكن فتنة "أي محنة بالحرب وما أنجر" معها من الغارات والجلاء والأسر، والفساد الكبير: ظهور الشرك، قال الكسائي: ويجوز النصب في قوله "تكن فتنة" على معنى تكن فعلتكم فتنة وفسادا كبيرا))^(٢)

ومن ذلك ما أجازته الكسائي والفراء في إعراب قوله تعالى (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ)^(٣) وفي ذلك قال القرطبي^(٤) ((وأجاز الكسائي والفراء "لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ" بالرفع بمعنى قلوبهم لاهية . وأجاز غيرهما الرفع على أن يكون خبرا بعد خبر وعلى إضمار مبتدأ، وقال الكسائي: ويجوز أن يكون المعنى: إِلَّا اسْتَمَعُوهُ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ)).

ومن ذلك ما أجازته الفراء واستبعد النحاس عليه، وقال القرطبي^(٥) ((أَضْغَاتِ أَحْلَامٍ)^(٦) قال الفراء: ويجوز "أَضْغَاتِ أَحْلَامٍ" ، قال النحاس: النصب بعيد؛ لأنَّ المعنى: لم تر شيئا له تأويل، إنما هي أضغاث أحلام، أي أطلاط)).

(١) الانفال / ٢٣ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٥٨/٨ .

(٣) الانبياء / ٣ .

(٤) "التفسير" ٢٦٨/١١ .

(٥) "تفسير القرطبي" ٢٠٠/٩ .

(٦) يوسف / ٤٤ .

المبحث الثاني: مسائل الصرف واللغة عند القرطبي

يقدم بمسائل الصرف واللغة هنا بعض المسائل التي تندرج تحت علمي الصرف واللغة التي انتفع بها القرطبي في بيان معاني القرآن، كما انتفع بالنحو في ذلك، وعلم الصرف أو التصريف^(١) ((هو علم "يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية، وما لحروفها من أصالة وزيادة، ووجهة وإعلال وشبه ذلك^(٢))). وأما علم اللغة فهو علم يبحث فيه عن الألفاظ ودلالاتها على المعاني^(٣))). وعلم اللغة أحد أربعة علوم جعلها ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أركاناً للسان العربي، وهذه الأربعة هي: علم النحو وعلم اللغة وعلم البيان وعلم الأدب^(٤))).

(١) استخدم القدماء مصطلح التصريف بدلا من الصرف ككتاب التصريف للمازني مثلاً، وأول استخدام للصرف بمعنى التصريف ما وجدناه عند أحمد بن محمد، أبي الفضل الميبداني صاحب "مجمع الأمثال" (ت ٥١٨هـ) إذ جعل "الصرف" عنواناً لكتابه الذي سماه نزهة الطرف في علم الصرف، ولكنه استخدم مرة أخرى اصطلاح "التصريف" حين أوضع فائدة الصرف وقال فإن التصريف أحد أركان الأدب وبه يعرف سعة كلام العرب (النزهة/٢) وفي موضع آخر بين علاقة كلمتي التصريف والصرف فقال ((فالتصريف" تفعيل من الصرف، وهو أن تصرف الكلمة الواحدة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة)) (النزهة/٤)، وجمع ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) مصطلحين معا في بيت واحد من ألفيته حين قال "حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِي وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفٍ حَرِي (انظر" شرح ابن عقيل" ٤٤٨/٢).

(٢) انظر" شرح ابن عقيل" على الفية ابن مالك ٤٤٨/٢ .

(٣) اتخذت هذا التعريف من مفهوم "علم اللغة" الذي وضعه ابن خلدون في مقدمته؛ إذ يشتمل توضيحه على "المعجمات" و"المترادف" والمشتراك ونحو ذلك مما يتعلّق بالألفاظ

ودلالاتها على المعاني (انظر" مقدمة ابن خلدون" ص ٥٤٨-٥٥٠).

(٤) انظر" مقدمة ابن خلدون" ص ٥٤٥، وما بعدها.

علاقة الصرف بالنحو:

إنَّ الصرف جزءٌ من النحو، فالنحاة جعلوا مسائل الصرف جزءاً من بحثهم في النحو، فكتاب سيبويه يشمل مسألتين جميعاً، وإنَّ كان سيبويه قد يميّز بينهما وينصّ على ذلك حين قال^(١) «سنبيّن ذلك في باب "التصريف" إن شاء الله»؛ ومعظم أبواب الجزء الأول من "المقتضب" للمبرد (ت ٢٨٥هـ) تبحث في المسائل الصرفية: كـ "باب الأبنية ومعرفة حروف الزوائد"^(٢)، و "باب معرفة الأفعال أصولها وزوائدها"^(٣)، و "باب المسائل في التصريف فيما اعتلّ" منه موضع العين^(٤) وأبواب الإدغام^(٥).

ونظم ابن مالك بعض مسائل الصرف في أبيات وجعلها في المجموعة الأخيرة من أبيات ألفيته وشرحها ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) — وعنونها بالتصريف^(٦). ولكن ذلك لا يمنع وجود مؤلفات تبحث في مسائل الصرف مستقلة عن النحو "ككتاب التصريف" لبكر بن محمد المازني (ت ٢٤٩هـ) الذي شرحه ابن جني في كتاب سماء "المنصف" وكتاب "نزهة الطرف في علم الصرف"^(٧) لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ). والظاهر أن الفصل بين العلمين في البحث النظري ممكن ولكن الفصل بينهما في التطبيق العملي عسير إن لم يكن مستحيلاً في بعض الحالات^(٨)؛ لأنَّ إحدى الكلمات إذا تغيّرت بنيتها فإنّها تستدعى تغييراً مماثلاً في بنية كلمة أخرى بناء على قانون المطابقة النحوية؛ ويتّضح ذلك -مثلاً- في تغيير الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول،

(١) انظر كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون ٢/٣٦٤.

(٢) انظر "المقتضب" ١/٥٢.

(٣) نفسه ١/٧١. (٤) نفسه ١/١٧٢.

(٥) نفسه ١/١٩٢. (٦) انظر "شرح ابن عقيل" ٢/٤٤٨.

(٧) طبع هذا الكتاب في "مطبعة الجوانب البهية" بقسطنطينية ١٢٩٩هـ، بغير تحقيق.

(٨) قلنا في بعض الحالات لأنَّ هناك تغييراً في بنية الفعل ولا يستدعى تغييراً في كلمات أخرى كالإبدال في اذكر وأذكر، مثلاً.

فإنَّ التغيير من الأول إلى الثاني يقتضي عليه تغيير في الجملة من حيث الإعراب، فإذا كان لفظ الدرس في مثل "حفظ محمد الدرس" منصوب على المفعول به، أصبح اللفظ مرفوعاً لوقوعه نائباً عن الفاعل، ويقال "حَفِظَ الدَّرْسُ" (١).

هذا وجرت عادة النحاة بذكر مسألة التصغير، والتكسير، وبناء الآلات وأسماء المصادر، وبعض مسائل أخرى قبل "التصريف" وإن كانت تلك المسائل منه (٢)؛ وذكروا تحت عنوان "التصريف" مسألة الإدغام والزيادة والحذف والنقل، والقلب، والإبدال في بنية الكلمة، وما شابه ذلك مما لا يتَّمل باختلاف المعاني (٣).

- علاقة علمي الصرف واللغة بالنحو ووظيفتهما في التفسير:

قبل توضيح وظيفتي علمي الصرف واللغة في التفسير يجدر ذكر المسائل التي سيأتي البحث فيها؛ لفائدة تتَّضح فيما بعد، وهذه المسائل هي: الإدغام والزيادة والحذف والنقل والابdal في بنية الكلمة، والاشتقاق، والمترادف، والمشارك اللفظي، والأضداد، ويمكن تصنيف هذه المسائل إلى ثلاث مجموعات، الأولى التصريف، والثانية الاشتقاق (٤) والثالثة: اللغة.

(١) انظر لفتات ومواقف" للدكتور محمد بركات حمدي أبي علي، ص ٢٢-٢٣ بتصرف؛ وفي

هذا الكتاب حاول المؤلف أن يثبت أن "الصرف" جزء من النحو وليس علماً مستقلاً بذاته وأتى بأدلة نظرية وتطبيقية (انظر "لفات ومواقف" ص ٩-٣٨).

(٢) قال به أبو حيان، ونقله السيوطي (انظر "مع الهوامع" ٢٢٨/٦ بتصرف).

(٣) هذه المسائل هي محتوى كتاب "المنصف لابن جني، وانظر باب التصريف في "شرح ابن عقيل" ٤٤٨/٢ وما بعدها "والكتاب السابع في التصريف" في "مع الهوامع" ٢٢٨/٦، وما بعدها.

(٤) جعل السيوطي "الاشتقاق" من محتوى مسائل التصريف في كتابه "مع الهوامع" (انظر "مع

الهوامع" ٢٣٠/٦).

وهذه المجموعات الثلاث متممة لدراسة أثر النحو في تفسير القرطبي في السفسطين الماضين، وتتضح علاقة النحو بها في بيان صرح به ابن جني في مقدمة كتابه المنصف، حين قال^(١) "التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجانسانه والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق".

وأما وظيفتا علمي الصرف واللغة في التفسير فإن بالصرف تعرف أصول الكلمات العربية من الزوائد الداخلة عليها، أو القلب والحذف والنقل والابدال التي حصلت فيها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به^(٢)، وإذا عرفت أصول الكلمات يبقى تحديد معانيها، وإن تعددت الكلمات لمعنى واحد فهي من صنف المترادف، وإن تغيرت المعاني لكلمة واحدة، وكان التغير ليس من قبيل التضاد فهي من المشترك اللفظي، وإن كان من قبيل التضاد فهي من الأضداد^(٣).

فهدف الوظائف مجتمعة مع وظيفة النحو عملية مهمة لتحديد وبيان معاني ألفاظ القرآن مفردات وجمل.

ويأتي الآن بيان مسائل الصرف واللغة، على هذا التفصيل.

أولاً: مسائل الصرف:

١- الادغام

والمقصود بالادغام هو "اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"^(٤).

وينقسم الادغام إلى ثلاثة أقسام : ادغام متمثل : وهو ما اتفق الحرفان مخرداً وصفة وادغام متجانس : ما اتفقنا مخرجا واختلفاً صفة، وادغام متقارب : ما تقربا مخرجا أو صفة^(٥).

(١) انظر المنصف ٤/١ .

(٢) قال به ابن جني (انظر المنصف ٢/١ بتصريف).

(٣) سيأتي بيان هذه المسائل وتعريفها لاحقاً.

(٤) انظر الانتقال في علوم القرآن ١٠/٢٦٣ .

(٥) انظر "الاتقان" ١/٢٦٤ بتصريف وقسم السيوطي الادغام إلى قسمين مثليين ومتقاربين في

كتابه "مجمع الهوامع" (انظر "مجمع الهوامع" ٦/٢٨٠ و ٢٩١ .

- فائدة الادغام:

للادغام فائدة من ناحيتين: الأولى: ناحية نطق الكلمات، فإنه يفيد التخفيف^(١)؛ لأنَّ النطق بالحرفين المتماثلين أو متقاربين في المخرج أو الصفة ثقيلٌ على اللسان. ومن ناحية أخرى أنَّ معرفة حقيقة الادغام وأنواعه وأحكامه^(٢) لها فائدة في تفسير ألفاظ القرآن من وجهين: الأوَّل البحث عن أصول الكلمة ليتوصل إلى تحديد معانيها، والثاني: توجيه قراءات قرآنية؛ لأنَّ الفك والادغام أحد أنواع اختلاف القراءات^(٣). هذا، وبالنظر إلى موقع الحرفين ينقسم الادغام إلى قسمين: الأول ما كان الحرفان في كلمة واحدة، وهذا الذي نحن بصدد البحث فيه؛ لأنَّه يتعلق ببنية الكلمة، والثاني: ما كان الحرفان في كلمتين مختلفتين، فالادغام من هذا القسم لوظيفة قراءة قرآنية. وإليك أمثلة الادغام الذي انتفع به القرطبي في تفسيره على حسب الأقسام الثلاثة الماضية، وكان الادغام في كلمة واحدة.

(١) الادغام المتماثل:

بين القرطبي أمل كلمة "الصَّالِّينَ"^(٤) قبل حصول الادغام، موضحاً تتابع عملية الادغام وقال^(٥) ((الأمل في الصَّالِّينَ: الصَّالِّينَ حُدِفَتْ حركة اللام الأولى ثم أدغمت اللام في اللام

(١) انظر "شرح المفصل" ١٢١/١٠.

(٢) قال السيوطي في بيان حكم الادغام المثليين وشروط وجوبه "الادغام هو قسمان الأول في المثليين، ويجب أن سكن الأول غيرهما سكت، ولا همزة منفصلة عن الفاء، ولا مدّة في آخره أو مبدلة دون لزوم، أو تحركا في كلمة إن لم يصدر، أو لم يوصلا بمدغم، أو ملحق ولا يزيد أحدهما له، ولا عرض تحريكهما، ولا كانا واوَيْن طرفين، ولا في اسم" (انظر "معجم الهوامع" ٢٨٠/٦).

(٣) فسر أبو الفضل الرازي الحديث "إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف" على أنَّه سبعة أحرف" على انه سبعة أوجه اختلاف السابع منها: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والادغام والإظهار ونحو ذلك) (انظر "الاتقان" ١٣٣/١).

(٤) الفاتحة ٧/ (٥) "تفسير القرطبي" ١٥١/١.

ساكنان مدّة الالف واللام المدغمة))٠

ووجه في موضع آخر قراءة مَنْ قرأ "تَضَارَّ" (١) بفتح الراء المشددة، فذكر أصل الكلمة مُطَرَّلًا مجرى عملية الادغام، ثم تبع ذلك بمعنى الآية وقال (٢) "وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي تَضَارَّ" (٣) بفتح الراء المشددة وموضعه جزم على النهي: وأصله "لاتضارر" على الأصل، فادغمت الراء في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهكذا يفعل في المضاعف إذا كان قبله فتح أو ألف، تقول: عَصَ يا رجل، وضَارَ فلان يا رجل، أي لا ينزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع وألفها الصبي))٠

(٢) الادغام المتجانس :

بين القرطبي أن أصل كلمة "ادَّارَأْتُمْ" من قوله تعالى (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) (٤)، "تَدَارَأْتُمْ" فادغمت التاء في الدال: لأن الحرفين اتفقا في المخرج (٥)، وإن اختلفا في الصفة، لأن التاء حرف مهموس والدال حرف مجهور (٦)،

(١) وهي من قوله تعالى (لَاتَضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَهُ بِوَلَدِهِ) البقرة ٢٣٣/٠

(٢) تفسير القرطبي ١٦٢/٣ ٠

(٣) وهي من قوله تعالى (لَاتَضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَهُ بِوَلَدِهِ) البقرة ٢٣٣/٠

(٤) البقرة ٢٢/٠٠

(٥) قال ابن جني عن مخرجهما "مما بين طَرَفِ اللسان وأصول الشايات مخرجُ الطاء والدال والتاء" (انظر "سر صناعة الإعراب" ٤٧/١)٠

(٦) بين ابن جني معنى المجهور فقال ((إنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت)) وبين أيضا معنى المهموس وقال ((وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو سُسُس كَكَك هَهَه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لَمَّا أمكنك)) (انظر "سر صناعة الإعراب" ٦٠/١) والمجهور عند المحدثين ((ما يهتز" معه الوتران الصوتيان ويسمع لهما صوت موسيقى حين النطق به" والمهموس عندهم "هو الذي لا يهتز" معه الوتران الصوتيات ولا يسمع لهما رنين حين

وقال^(١) «ومعنى "أذارتهم" اختلتقم وتنازعتم قاله مجاهد، وأصله "تَدَارَأْتُمْ" ثم ادغمت التاء في الدال ولا يجوز الابتداء بالمدغم؛ لأنه ساكن فزيد ألف الوصل»^(٢).
وفي موضع آخر أوضح أن أصل قوله تعالى (يَطْيَرُوا بِمُوسَى) ^(٣) "يَطْيَرُوا" فأدغمت التاء في الطاء، فهما اتفقا في المخرج؛ لأن مخرجهما ما بين طرف اللسان وأصول الشنأيا^(٤)، ولكن التاء حرف مهموس^(٥) والطاء حرف مجهور^(٦) وقال القرطبي^(٧) ((يَطْيَرُوا بِمُوسَى) أي يتشاءموا به . نظيره (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ))^(٨) والأصل "يَتَطْيَرُوا" ادغمت التاء في الطاء))^(٩).

(٣) الإدغام المتقارب.

أوضح القرطبي أن في قوله تعالى (إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّرُوا)^(١٠) إدغاما؛ لأن أصل الكلمة "أَنْ يَتَذَكَّرُوا" فأدغمت التاء في الصاد، وهما متحدتان في الصفة؛ لأنهما مهموستان^(١١)، ومتقاربتان في المخرج؛ لأن مخرج التاء ما بين طرف اللسان وأصول الشنأيا^(١٢)، ومخرج الصاد ما بين الشنأيا وطرف اللسان^(١٣)، وقال القرطبي^(١٤) ((قوله تعالى (إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّرُوا)) أصله "أَنْ يَتَذَكَّرُوا" فأدغمت التاء في الصاد))^(١٥).
وبين أيضا أن في قوله تعالى (مَنْ حَبِطَتْ)^(١٦) إدغاما؛ لأن الأصل حَطَوِي، فأدغمت

==النطق به". (انظر "الأصوات اللغوية" ٤٥٦/١) وانظر قول ابن جني في كون "التاء"

مهموسا و"الدال" مجهورا ("سر صناعة الإعراب" ١٤٥/١، ١٨٥).

(١) تفسير القرطبي ٤٥٦/١ (٢) الأعراف ١٣١/١

(٣) انظر سر صناعة الإعراب ٤٧/١ (٤) المصدر نفسه ١٤٥/١

(٥) المصدر نفسه ٢١٧/١ (٦) تفسير القرطبي ٢٦٤/٧

(٧) النساء / ٨٧ (٨) النساء / ٩٢

(٩) انظر صفتيهما كلا على حدة في "سر صناعة الإعراب" ١٤٥/١ و ٢٠٩

(١٠) المصدر نفسه ٤٧/١ (١١) المصدر نفسه ٤٧/١

(١٢) "تفسير القرطبي" ٣٢٣/٥ (١٣) النساء / ٩٢

(١٤) الأعراف / ١٤٨

الواو في الياء، لأنهما تقارباً في المخرج، فمخرج الواو: ما بين الشفتين^(١)، ومخرج الياء: وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى^(٢)، وكلاهما مجهوران^(٣)، وقال القرطبي في بيان عملية الإدغام ((والأصل طَوِي شَم أدغمت الواو في الياء فانكسرت اللام لمجاورتها الياء، وتكسر الحاء لكسرة اللام، وضمها على الأصل))^(٤).

(ب) الزيادة:

والمقصود بالزيادة هي: "الحاق كلمة من الحروف مالميس منها"^(٥)، وحروف الزيادة عشرة وهي الهمزة والالف والهاء والياء والنون والتاء والسين والميم والنواو واللام، وجمعها العلماء في جملة "سَالَتُمُونِيهَا؛ أَوْ الْيَوْمَ نَنْسَاهُ" أَوْ نَحُومًا^(٦)، وزيادة الحروف ممّا يشترك فيه الفعل والاسم، وليس للحرف حظّ فيها؛ لأنّ الزيادة ضرب من التصريف، ولا يكون ذلك في الحرف^(٧).

- فائدة معرفة الزيادة في تفسير القرآن.

الإمام بأحوال الزيادة وقواعدها^(٨) يفيد العلم بأصول الكلمات، التي بها تحدّد المعاني أولاً، وثانياً: أنّ الحروف الزائدة أنفسها، فوائدها مختلفة في تكوين الكلمات معنًى

(١) انظر "سر صناعة الاعراب" ٤٨/١ • (٢) المصدر نفسه ٤٧/١ •

(٣) انظر صفتيهما كلّاً على حدة في "سر صناعة الاعراب" ٥٧٣/٢ و ٧٢٩ •

(٤) "التفسير" ٢٨٤، ٧ • (٥) انظر "شرح المفصل" ١٤١/٩ •

(٦) المصدر نفسه ١٤١/٩ • (٧) المصدر نفسه ١٤١/١ بتصرف •

(٨) ذكر السيوطي بعض القواعد يعرف بها زيادة الحروف؛ فمنها: "يُحْكَمُ بزيادة النون إذا

صحبت أكثر من أصلين وكانت مؤخّرة بعد ألف زائدة نحو: قطران وعثمان وسرحان؛ وكذا

يُحْكَمُ بزيادة الميم إذا صحبت أكثر من أصلين؛ وكانت مصّرة نحو مَنسَج ومَرْحَب، فإن

كان بعدها أعلان فقط قضي عليها بالأمانة، إذ لا أقلّ من ثلاثة أصول (انظر "ممع

الهوامع" ٢٣٧/٦ وما بعدها) •

وبناءً، فالحرف الزائد يكون لأحد سبعة أشياء (١).

الاول: لمعنى، وهو أقوى الزائد كحرف المضارعة.

الثاني: الإمكان: كهمزة الوصل.

الثالث: لبيان الحركة: كهاء السكت في الوقف.

الرابع: للمد: ككتاب وعجوز وقضيب.

الخامس: للعوّض: كتاء التانيث في زنادقة، فإتھا عوض من ياء زنديق، ولذا لا

يجتمعان.

السادس: لتكثير الكلمة: الف "قبعثرى" ونون "كنهيل".

السابع: للإلحاق: كواو-كوثر، وياء "ضيغم".

وما يلي بعض الأمثلة لزيادة الحروف في الأفعال والأسماء التي انتفع بها القرطبي في

تفسيره لألفاظ القرآن الكريم.

- مثال زيادة السين والتاء في صيغة "استفعل"

وضع القرطبي فائدة السين الزائدة في فعل "استمقى" من قوله تعالى (وَإِذْ

اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) (٢) وقال (٣) ((كسرت الذال لالتقاء الساكنين والسين سين

السؤال: مثل: استعلم واستخير واستنصر، ونحو ذلك: أي طلب وسأل السقي لقومه).

- مثال زيادة تاء التانيث في صيغة الجمع.

ذكر القرطبي أنّ زيادة الهاء في صيغة الجمع التي تفيد تأكيد تانيث الجماعة

شاذة لا يقاس عليها، وقال (٤) ((قوله تعالى (وَبِعُولَتَنَّهُ) (٥) البعولة جمع البعل،

وهو الزوج، سمي بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها؛ ومنه قوله تعالى

(أَتَدْعُونَ بَعْلًا) (٦) أي ربّا: لعلوه في الربوبية: يقال: بعل بُعولة: كما يقال في

(١) انظر "معجم الهوامع" ٢٤٤/٦ • (٢) البقرة ٦٠ •

(٣) "تفسير القرطبي" ٤١٧/١ • (٤) "تفسير القرطبي" ١١٩/٣ •

(٥) البقرة ٢٢٨ • (٦) الصافات ١٢٥ •

جمع الذكر، ذكر وذكورة: وفي جمع الفعل: فَعَلَ فَعُولَةٌ، وهذه الهاء زائدة مؤكدة لتأنيث الجماعة، وهو شاذ لا يقاس عليه، ويعتبر فيها السماع؛ فلا يقال في لَعَبٍ: لَعَّوبَةٌ).^(١)

- زيادة الألف والنون.

بيّن القرطبي زيادة الألف والنون في "لقمان": وذكر أيضا فائدتهما وأثرهما من حيث الإعراب فقال^(١) ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)^(٢) مفعولان، ولم ينصرف "لقمان": لأن في آخره ألفا ونونا زائدتين: فأشبهه فعلان الذي أُنْشَاهُ فَعَلَى فلم ينصرف في المعرف: لأن ذلك ثقل ثان، وانصرف في النكرة: لأن أحد الثقلين قد زال: قاله النحاس)).^(٣)

- زيادة الواو والتاء.

بيّن القرطبي في لفظ "ملكوت" زيادتين هما الواو والتاء وبيّن أيضا أن لهما فائدة هي للمبالغة في الصفة، وذلك في تفسير قوله تعالى ((وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ)^(٤) حين قال^(٥) ((أَيُّ مَلِكٍ، وَزِيدَتِ الواو والتاء للمبالغة في الصفة، ومثل ذلك الرغبوت والرهبوت والحيروت)).^(٦)

(ج) الحذف.

والمقصود بالحذف هو حذف حرف أصلي أو زائد في الكلمة لعل^(٧).
وقسم السيوطي الحذف إلى قسمين: مطّرد وشاذ، ولكته لم يضع حدودا لكل من القسمين، وإنما ذكر مواقعهما في العربية، وليس هنا موضع بسطها^(٨).

(١) "تفسير القرطبي" ٥٩/١٤ (٢) لقمان ١٢/

(٣) الانعام ٧٥/ (٤) "تفسير القرطبي" ٢٣/٧

(٥) يفهم هذا التعريف من بيان السيوطي لأنواع الحذف (انظر "معجم الهوامع"

٢٤٨/٦-٢٥٥).

(٦) انظر "معجم الهوامع" ٢٤٨/٦ وما بعدها، ومن الحذف المطّرد، حذف فاء "وعد" في

وأما حذف الحروف الذي انتفع به القرطبي في تفسيره فيحتوى على القسمين جميعا، فالمطرّد كما سيأتي في المثال الأول هو "حذف الواو" التي هي فاء الفعل في أمره"، وأما المثال الثاني هو "حذف الهمزة، التي هي فاء الفعل في أمره" فجعله السيوطي مطّردا، وهو شاذّ عند سيبويه^(١)، والأمثلة الثلاثة الباقية من الحذف الشاذّ، وهذه الأمثلة هي:

(١) حذف الواو التي هي فاء الفعل في أمره.

ذكر القرطبي أنّ أصل لفظ "قنا" في قوله تعالى (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)^(٢) "أوقنا" فحذفت الواو التي هي فاء الفعل، واستغنى عن همزة الوصل: ثم أورد اختلاف النحاة في علة الحذف فقال^(٣) ((قوله تعالى (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)^(٤) أصله "قنا" "أوقنا" حذفت الواو في يقي ويشي؛ لأنها بين ياء وكسرة، مثل يعد: هذا قول البصريين، وقال الكوفيون: حذفت فرقا بين اللازم والمتعدي قال: محمد بن يزيد: هذا خطأ، لأنّ العرب تقول: وَرَمَ يَرْمُ فيحذفون الواو)).

(٢) حذف الهمزة التي هي فاء الفعل:

بيّن القرطبي أنّ حذف الهمزة من لفظ "كَلَّا شَاذّ"، وهذا مذهب سيبويه، وقال في ذلك^(٥) ((قوله تعالى (وَكَلَّامَيْنِهَا رَعْدًا)^(٦) حذفت النون من "كَلَّا"؛ لأنّه أمر، وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وحذفها شاذّ قال سيبويه: من العرب من يقول أَوْ كَلَّ فَيَتَمَّ)).

== مضارعه، وأمره ومصدره، وحذف همز "أفعل" في مضارعه، وعين فيعلوله خلافا للكوفية، وواو "فَيْعَل" وفَيْعَلَة وبعض مواضع أخرى، ومن الحذف الشاذّ كحذف إحدى يائتي "يستحيي" وغيرها (أنظر "مع الهوامع" ٢٤٨/٦-٢٥٥).

(١) انظر هذا الخلاف في "مع الهوامع" ٢٥٢/٦.

(٢) البقرة ٢٠١/٢٠ "تفسير القرطبي" ٤٣٣/٢٠.

(٣) البقرة ٢٠١/٢٠ "تفسير القرطبي" ٣١٠/١.

(٤) البقرة ٣٥/٣٥.

(٣) حذف تاء المضارعة لإجتماعهما بالمثل :

وذلك كما في تفسيره لقوله تعالى (فَإِنْ تَوَلَّوْا) ^(١) حين قال ^(٢) ((في موضع جرم فلذلك حذفت منه النون، والأصل "تَتَوَلَّوْا" فحذفت التاء لإجتماع تاءين)) .

(٤) حذف الياء، وهي لام الفعل :

وذلك كتفسير القرطبي لقوله تعالى (فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرِ يَأْ) ^(٣) حين قال ^(٤) ((وباع أصله باغي، ثقلت الضمة على الياء فسكنت، والتنوين ساكن، فحذفت الياء والكسرة تدل عليها)) .

(٥) حذف الياء وهي ياء المتكلم،

بين القرطبي أصل قوله تعالى (نَحْمُ كَيْدُونِ) ^(٥) فقال ^(٦) ((والأصل "كيدوني" حذفت الياء؛ لأن الكسرة تدل عليها، وكذا (فَلَا تَنْظُرُونَ)) ^(٧) .

(د) النقل :

والمقصود بالنقل هو :نقل حركة لين عين فعلٍ للساكن قبلها، إن كانت من فعل أو اسم بالشروط المذكورة ^(٨) .

وشروط النقل تنقسم إلى قسمين ^(٩) :

الاول : شروط النقل في الفعل :

(١) ألا يكون للتعجب فلا تنقل الحركة في نحو :ما أَبَيَّنَ هذا وما أَطَوَّلَهُ .

(١) هود ٥٧/ . (٢) "تفسير القرطبي" ٥٣/٩ .

(٣) البقرة ١٧٣/ . (٤) "التفسير" ٢٣١/٢ .

(٥) الاعراف ١٩٥/ . (٦) "التفسير" ٣٤٣/٧ .

(٧) الاعراف ١٩٥/ . (٨) انظر "معجم الهوامع" ٢٧٣/٦ بتصريف .

(٩) انظر "معجم الهوامع" ٢٧٣/٦-٢٧٤ بتصريف .

- (٢) ولا مضاعف اللام فلا تنقل الحركة في نحو: أبيض وأسود حذرا من الإلباس.
 (٣) ولا مُعَلّ اللام، فلا تنقل الحركة في نحو: أهوى، واستحيا حذرا من توالى إعلالين
 (٤) ولا مصرفا من نحو عَوَرَ^(١).

الثاني: شروط النقل في الاسم:

- (١) ألا يكون غير جار على فعلٍ مُصَحَّح بخلاف نحو: مَقَاوِلُ^(٢) وَمَبَايِعُ.
 (٢) ولا يكون أوّله ميما مفتوحة كمَقَاوِلُ أو مكسورة كمَخِيطُ. فتعلّ مثل مُقِيمُ.
 (٣) ولا يكون موافقا للمضارع في الزيادة والوزن معا. فلا تعلّ مثل أسود، وأطول
 منك: لآته لو أعلّ التبس بلفظ الفعل.
 والنقل قد يتبعه تصريف آخر أَوَّلًا^(٣) فالأول: كالنقل في كلمة "أقام": لأنّ الأصل
 "أَقُومُ" فنقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ثم أبدلت العين لتحركها في الأصل
 وانفتاح ما قبلها فصار "أقام".
 والثاني مثل يَقُولُ، أصله: يَقُولُ، فنقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فصار
 "يَقُولُ".

وأما انتفاع القرطبي بظاهرة النقل في تفسيره لألفاظ القرآن فكما يلي:

- مثال النقل متبوعا بقلب الواو ياء.
 ذكر القرطبي أنّ أصل "قيل" قول؟ لأنّ من القول، فجرى عليه نقل وقلب، وذلك
 في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)^(٤) حين قال^(٥) ((قوله
 : قيل من القول وأصله قول: نقلت كسرة الواو إلى القاف فانقلبت الواو ياء)).

(١) أي من كل فعل موافقا له "فعل" الذي بمعنى "أفعل".

(٢) أي جمع مقول.

(٣) انظر "مع الهوامع" ٢٧٥/٦ . بتصرف.

(٤) البقرة ١١/.

(٥) "تفسير القرطبي" ٢٠١/١ .

- مثال النقل مثلًا بقلب الواو ياءً،

بيّن القرطبي أنّ أصل "مآب" من قوله تعالى (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَكَاتِ) (١)
مَأْوَب، على وزن مَفْعَل فجرى عليه نقل وقلب، وفي ذلك قال (٢) ((وَأصل "مآب"
مَأْوَب، قلبت (٣) حركة الواو إلى الهمزة وأبدل من الواو ألفاً مثل "مقال"))).

- ومثال ما يجتمع فيه النقل والقلب والحذف:

وذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٤) حين قال (٥) ((وَأصل
"نستعين" نَسْتَعُونُ، قلبت (٦) حركة الواو إلى العين فصارت ياءً، والمصدر "استعانسة"
والأصل "استعوان": قلبت حركة الواو إلى العين فانقلبت ألفاً ولا يلتقي ساكنان
فحذفت الألف الثانية لأنها زائدة. وقيل الأولى؛ لأن الثانية للمعنى، ولزمت الهاء
عوضاً)) .

(هـ) الإبدال:

والإبدال: هو إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض (٧).
وقسم السيوطي الإبدال إلى قسمين: شائع وغير شائع (٨).
والشائع: ما كان الإبدال بين الأحرف التي تجمعها جملة (طَوَيْتُ دَائِمًا).
وغير الشائع: ما وقع في كل حرف إلا الألف (٩).

(١) آل عمران ١٤/١٤٠ (٢) "تفسير القرطبي" ٣٧/٤ .

(٣) أي نقلت. (٤) الفاتحة ٥/٥٠ .

(٥) "التفسير" ١٤٦/١ (٦) أي نقلت.

(٧) أنظر الصاحبى ٣٢٣/٣٠٠ (٨) "معجم الهوامع" ٢٥٦/٦٠٠ .

(٩) وفي الظاهر تناقض بين القسمين ولكن في الحقيقة ليس بينهما تناقض؛ لأن الشائع
الإبدال في أحرف (طَوَيْتُ دَائِمًا) المحصور أحواله فيما ذكره السيوطي نفسه في الكتاب
المذكور؛ لأنه صرح - بعد ذكر تلك الأحوال - بقوله ((وما خرج عما قرّر من هذا
الباب فهو شاذّ مسموع يحفظ، ولا يقاس عليه، أو لغة قليلة لقوم من العرب)) ===

ونغيير الحروف بحروف أخرى عند السيوطي - يسمى إبدالاً، سواء كان التغيير بين الحروف الصحيحة أو بين حروف العلة والهمزة^(١) كذلك ، خلافاً لابن يعيش الذي جعل الأول من قبيل الإبدال والثاني من قبيل القلب^(٢)، والاختلاف إنما يكون في المصطلح دون الجوهر.

وتمسكاً بالتقسيم الذي ذهب إليه السيوطي إنقسم انتفاع القرطبي بظاهرة الإبدال في تفسيره إلى قسمين: شائع وغير شائع، ويأتي بيان الإبدال الشائع بالترقية بين الإبدال والقلب في الاصطلاح تسهيلاً في تصنيف الأمثلة فيكون الإبدال الشائع في تفسير القرطبي على صنفين:

الصنف الأول: "القلب"

وللقلب أنواع:

منها قلب الواو ياء:

ومثال ذلك انتفاع القرطبي بظاهرة القلب في الكشف عن أصل كلمة "مَوَازِينُهُ" من قوله تعالى (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)^(٣) حين قال^(٤) (("مَوَازِينُهُ" جمع ميزان، وأصله "مَوْزَن" قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها)) .

== (الهمع " ٢٧٢/٦)؛ إذْ فالإبدال غير الشائع: ما كان الإبدال ليس من أحوال الإبدال في القسم الأول إلا الألف: لأنَّ إبدالها شائع في كلِّ الأحوال . وأحوال الإبدال الشائعة التي ذكرها السيوطي: إبدال الواو والياء همزة، وإبدال الهمزة مَدَّةً تجانس الحركة، وتخفيف الهمزة المفردة الساكنة، وإبدال الواو ياء، وإبدال الألف ياء، وإبدال الياء ألفاً، وإبدال النون ميماً، وإبدال الواو والياء تاء، وإبدال التاء طاء، وإبدال التاء دالاً (انظر "الهمع" ٢٥٦/٦-٢٧٢) .

(١) تلحق الهمزة في حكم حروف العلة لمقارنتها إياها وكثرة تغييرها (انظر "شرح المفصل" ٧/١٠) .

(٢) المصدر نفسه ١٠/ ٧ . (٣) الاعراف ٩/ .

(٤) "تفسير القرطبي" ١٦٦/١ .

ومثال آخر، انتفاعه بهذه الظاهرة في ذكر أصل كلمة "خِيفَةٌ" من قوله تعالى (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) ^(١) حين قال ^(٢) ((وَأصل "خِيفَةٌ" خَوْفَةٌ، قلبت الواو ياء؛ لانكسارها قبلها: خاف الرجل يخاف خَوْفاً وخِيفَةً - فهو خَائِفٌ - وقومٌ خَوْفٌ على الأصل وخِيفَ على اللَّفْظ)).

ومنها : قلب الواو ألفا :

كتمريفه للفظ "ماء" في قوله تعالى (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) ^(٣) حين قال ^(٤) ((وَأصل "الماء" مَوّه" قلبت الواو ألفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقلت "مَاد" فالتقى حرفان خفيّان فأبدلت من الهاء همزة، لأنها أجلد، وهي بالألف أشبه: فقلت : ماء: الألف الأولى عين الفعل وبعدها الهمزة التي هي بدل من الهاء، وبعد الهمزة ألف بدل من التنوين)).

ومنها: قلب الياء ألفا :

كتمريفه للفظ "اخْتِيَار" في قوله تعالى (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا) ^(٥) حين قال ^(٦) ((وَأصل "اخْتَار" اخْتِيرَ" ، فلما تحركت الياء وقبلها فتحة قلبت ألفا ، نحو قَالَ وَبَاعَ)).

ومنها قلب الواو همزة :

ومثال ذلك، ذكر القرطبي لأصل كلمة "أَحَدٌ" من قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ^(٧) حين قال ^(٨) ((وَأصل "أَحَدٌ" وَحَدٌ، قلبت الواو همزة)).

-
- | | |
|-------------------|---------------------------|
| (١) الاعراف / ٢٠٥ | (٢) "التفسير" ٣٥٥/٧ |
| (٣) البقرة / ٢٢ | (٤) "تفسير القرطبي" ٢٢٩/١ |
| (٥) الاعراف / ١٥٥ | (٦) "التفسير" ٢٩٤/٧ |
| (٧) الاخلاص / ١ | (٨) "التفسير" ٢٤٤/٢ |

وذكر في موضع آخر، أصل "كلمة" أَقْتَتَ "على أَنَّها" وَقْتَتَ "وذلك في تفسير قوله تعالى (وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتَ)" (١) حين قال (٢) ((والهمزة في "أَقْتَتَ" بدل من الواو؛ قاله الفراء والزجاج، قال الفراء وكل واو ضُمَّت وكانت ضُمَّتْها لازمة جاز أن يبدل منها همزة، تقول: مَلَى القوم إحداثاً. تريد "وَحْدَاناً"، ويقولون: هذه وجود حسان وأَجُوه، وهذا: لأنَّ ضمة الواو ثقيلة. ولم يجرِ البدل في قوله (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)؛ لأنَّ الضَّمة غير لازمة)) .

- والصف الثاني: الإبدال:

وللابدال أنواع:

منها : إبدال تاء "الافتعال طاء" .

شاع بدل الطاء من تاء الافتعال تلو حرف من حروف الإطباق (٣)، هي الطاء الصاد والطاء والضاد، ومما انتفع به القرطبي في تفسيره ذِكْرُهُ لأصل كلمة "اصْطَفَيْنَاهُ" من قوله تعالى (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا) (٤) حين قال (٥) (والأصل في "اصطفيناه" اصْطَفَيْنَاهُ، وأبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق، واللفظ مشتق من الصَّفْوَة ومعناه تخير الأصفى)) .

ومن ذلك ذِكْرُهُ لأصل كلمة "تَصْطَلُونَ" من قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (٦) حين قال (٧) ((أصل الطاء تاء فأبدلت منها هنا طاء؛ لأنَّ الطاء مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسناً)) .

ومنها: إبدال تاء "الافتعال دالاً" .

(١) المرسلات/ ١١ . (٢) "تفسير القرطبي" ١٥٧/١٨ .

(٣) انظر "معجم الهوامع" ٢٧١/٦ والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، ولولا الإطباق، لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام. (الخ) انظر "سر صناعة الإعراب" ٦١/١ .

(٤) البقرة / ١٣٠ . (٥) "تفسير القرطبي" ١٣٣/٢ .

(٦) النمل / ٧ . (٧) "تفسير القرطبي" ١٥٧/١٣ .

شاع بدل الدال من تاء الافعال الواقعة بعد دال أو ذال أو زاي،^(١)، وانتفع القرطبي بهذا التصريف في عدة مواضع، فمنه يكره لأصل كلمة "مُدْخَلًا" من قوله تعالى (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ)^(٢) حين قال^(٣) ((أو مُدْخَلًا) مُفْتَعَلٌ مِنَ الدُّخُولِ؛ أي مَسْلُكًا نَحْتَفِي بالدخول فيه، وأعاده لإختلاف اللفظ، قال النحاس : الأصل مُدْخَلٌ قلبت التاء دالا؛ لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة وهما من مخرج واحد))^{*}

ومن هذا النوع ما ذكره القرطبي في أصل كلمة "مُذَكِّرٌ" من قوله تعالى (فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ)^(٤) حين قال^(٥) ((وأصله مُذَكِّرٌ، مُفْتَعَلٌ مِنَ الذِّكْرِ، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء ذلاً لتوافق الدال في الجهر وأدغمت الدال فيها))^{*}

ومنه أيضاً إيضاحه لأصل لفظ "تَزْدَرِي" من قوله تعالى (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ)^(٦) حين قال^(٧) ((والأصل تَزْدَرِيهِمْ حذف الهاء والميم لطول الاسم والدال مبدلة من تاء؛ لأن الأصل في "تَزْدَرِي" تَزْعَرِي، ولكن التاء تبدل بعد الزاي دالا؛ لأن الزاي مجهورة والتاء مهموسة، فأبدل من التاء حرف مجهور من مخرجها))^{*}

لقد سبق استعراض الإبدال الشائع الذي انتفع به القرطبي في تصريفه لألفاظ القرآن وتفسيرها، وهناك عدة إبدالات أخرى من غير هذا الصنف، التي انتفع بها القرطبي، فهذه الإبدالات لا يُقاس عليها عند السيوطي أو إنها لغة قليلة لقوم من العرب^(٨)، ولهذا الصنف الأخير أنواع^{*}

فمنها: ما كان الإبدال بين الحرفين المتقاربين في المخرج والمتفقين في الصفة،

- (١) انظر "معجم الهوامع" ٢٧٦/٦ (٢) التوبة ٥٧/٠
 (٣) "تفسير القرطبي" ١٦٥/٨ (٤) القمر ١٥/٠
 (٥) "تفسير القرطبي" ١٣٣/١٧ (٦) هود ٣١/٠
 (٧) "تفسير القرطبي" ٢٧/٩ (٨) انظر قول السيوطي من "معجم الهوامع" ٢٧٢/٦

كاللام والراء^(١)،

ومن هذا النوع تفسير القرطبي لكلمة "الخَيْر" في قوله تعالى (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي)^(٢) إذ صرح بأن المقصود بها "الخَيْل" فأبدل السلام راءً، وقال القرطبي في ذلك^(٣) ((يعني بالخير الخَيْل، والعرب تسميها كذلك، وتعاقب بين الراء واللام، فتقول: انْهَمَلْتُ الْعَيْنَ وانْهَمَرْتُ. وَخَلْتُ وَخَرْتُ إذا خدعت، قال الفراء: الخير في كلام العرب والخَيْل واحد)) .

ومنها: ما كان الإبدال بين الحرفين المتحدّين في المخرج والمختلفين في الصفة كالهاء والهمزة^(٤) .

ومن هذا النوع، قلب الهاء، همزةً في مثل "ماه" بعد قلب الواو ألفاً، في أصل لفظ "الماء" لأن الأصل: مؤه، كما سبق ذكره في تمثيل "قلب الواو ألفاً" .

ومنها: ما كان الإبدال بين الحرفين المتباعدين في المخرج والمختلفين في الصفة، كالهاء والميم^(٥) .

ومن هذا النوع، توجيه القرطبي لقراءة ابن الزبير^(٦) "قَدَمَدَم" في قوله تعالى

(١) ومخرج اللام "من حافة اللسان من أُنْهاها إلى منتهى طَرَف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحَنَك الأعلى فما قُويق الضاحك والنباب والرَّباعية والثنية" ومخرج الراء (من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام) (انظر "سر صناعة الاعراب" ٤٧/١) واللام والراء مجهورتان (انظر "سر صناعة الاعراب" ٣٢١/١ و ١٩١) .

(٢) ص ٣٢/ . (٣) "تفسير القرطبي" ١٩٤/١٥ .

(٤) لأن مخرج الهاء والهمزة أقصى الحلق (انظر "سر صناعة الاعراب" ٤٦/١) غير أن الهاء، مهموسة (المصدر نفسه ٥٥١/٢) والهمزة مجهورة (المصدر نفسه ٦٩/١) .

(٥) لأن الهاء مخرجها أقصى الحلق والميم ما بين الشفتين (المصدر نفسه ٤٦/١-٤٨) والأولى مهموسة (المصدر نفسه ٦١/١) والثانية مجهورة (المصدر نفسه ٤١٣/١) .

(٦) وابن الزبير هو عبدالله بن الزبير بن العوام القُرشي الأسدي، أبو بكر، صحابي جليل المتوفي سنة ٧٣هـ (انظر الترجمة ^{عنه} في "فوات الوفيات" ٤٤٥/١-٤٥٠) .

(قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) (١) على أنها لغة" وقال: (٢)

((وقرأ ابن الزبير "قَدَمَدَمَ" هما لغتان: كما يقال امتنع لوند وانتقع))

ومنها: ما يجتمع في كلمة واحدة إبدالان: أولهما الإبدال بين الحرفين المتحددين في المخرج والمختلفين في الصفة هما الدال والتاء (٣)؛ والثاني: الإبدال بين الحرفين المتحددين في المخرج والمتفقين في الصفة، وهما الميم والباء (٤).

وذلك في تصريف القرطبي لقوله تعالى (وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا) (٥)؛ لأنه أورد أن

المؤرج والأخفش ذهبا إلى أن الأصل دَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا" وقال (٦) ((وقال المؤرج والأخفش دَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا. تبدل التاء والباء من الدال والميم)).

ومنها: إبدال الباء من أحد حرفي التضعيف، كراهة التضعيف، وهو شاذ لا يقاس عليه أيضا (٧).

ومما ورد في ذلك في تفسير القرطبي، تفسيره لقوله تعالى (فَكَيْفَ تُمْلَى عَلَيْهِ) (٨)؛ لأنه بين أن أصل تُمْلَى تَمَلَّ، وقال (٩) ((وتَمْلَى "أملد" "تَمَلَّ": فأبدلت اللام الأخيرة بـاء من التضعيف كقولهم تقضي البازي، وشبهه)).

وفي موضع آخر جعل القرطبي إبدال أحد حرفي التضعيف أحد الوجوه المحتملة لتفسير قوله تعالى (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (١٠)؛ لأنه لا يستبعد أن يكون أصل

(١) الشمس / ١٤ (٢) "تفسير القرطبي" ٧٩/٢٠

(٣) الدال والتاء مخرجهما واحد، وهو ما بين طَرْف اللسان وأَمُول الثنايا (انظر "سر صناعة الاعراب" ٤٧/١) غير أن الدال مجهورة (انظر "سر صناعة الاعراب" ١٨٥/١) والتاء مهموسة (المصدر نفسه ١٤٥/١)

(٤) الميم والباء مخرجهما واحد، هو ما بين الشفتين (المصدر السابق ٤٨/١) وكلاهما مجهور (المصدر السابق ٤١٣/٢ و ١١٩/١)

(٥) الفرقان/ ٣٩ (٦) "تفسير القرطبي" ٣٤/١٣

(٧) انظر "شرح المفصل" ٢٤/١٠ (٨) الفرقان / ٥

(٩) "تفسير القرطبي" ٤/١٣ (١٠) القيامة / ٢٣

"يتمطى" يتمطط وقال في ذلك ^(١) ((اي يتبختر، افتخارا بذلك قاله مجاهد وغيره، مجاهد: المراد به أبو جهل، وقيل: "تمطى" من المطا وهو الظهر، والمعنى يلوى مطاء، وقيل أصله يتمطط وهو التمدد من التكسل والتثاقل، فهو يتثاقل عن الداعي الى الحق؛ فأبدل من الطاء ياء كرامة التضعيف)) ^(٢).

(و) الاشتقاق ^(٣).

والاشتقاق : هو: أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى ^(٤)، وينقسم الاشتقاق الى قسمين : صغير وكبير. والاشتقاق الصغير : هو انتزاع كلمة بتغيير في الصيغة، مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الاحرف الاصلية وفي ترتيبها، مثل ضرب ويضرب واضرب وضارب من الضرب ^(٥) والاشتقاق الكبير: هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في ترتيب بعض احرفها مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الاحرف مثل لَكَمَ وكَلَمَ وملَكَ وكمل ^(٦). والاشتقاق في المعنى به هنا هو الاشتقاق الصغير لأن هذا النوع وحده هو المأثور توظيفه في تفسير القرطبي.

(١) "تفسير القرطبي" ١١٤/١٩ .

(٢) انظر موضعين آخرين للابدال من هذا النوع الأول في تفسير القرطبي لقوله تعالى (والشمس وضحاها) التفسير ٢٠/٢٣ / الشمس / ١٠ والثاني في تفسيره لقوله تعالى (وقد خاب من دساما)؛ التفسير ٢٠/٢٢ / الشمس / ١٠ .

(٣) قال ابوحيان : التصريف اعم من الاشتقاق (المزهر ١/٣٥١) فمن أجل ذلك جعل السيوطي الاشتقاق من مسائل التصريف (انظر "معجم الهوامع" ٦/٢٣٠).

(٤) قال به عبدالله أفندي أمين (انظر مطلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الاول ١٩٣٤ ص ٣٨١).

(٥) المرجع نفسه ص ٣٨١ .

(٦) المرجع نفسه ص ٣٨١ . وذكر الباحث قسمين آخرين للاشتقاق وهما : الكُبَار، وهو الابدال مثل علوان وعنوان ، والآخر : الكبار : وهو النحت، مثل "عيشمي" من عبدالشمس=

ويظهر من توظيف هذا الاشتقاق في تفسير القرطبي عدة فوائد:
فمنها: معرفة الاختلاف في معنى (المشتق) بسبب الاختلاف في أصل الكلمة (المشتق
منه) *.

ومن هذا النوع اختلاف العلماء والمفسرين في معنى أدنى "من قوله تعالى
(قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)" (١)، وذلك الاختلاف بسبب اختلافهم في
اشتقاق كلمة "أدنى" أهى من الدنو أم من الدنيء" أم من الدون، وقال القرطبي في
تفسيره لتلك الآية ((و"أدنى" مأخوذ عند الزجاج - من الدنو أي القرب في القيمة: من
قولهم: ثوب مقارب: أي قليل الثمن، وقال علي بن سليمان: وهو مهمون من الدنيء
البين الدناءة بمعنى الأخس، إلا أنه خفف همزته * وقيل مأخوذ من الدون أي الأخط؛
فأصلة أدون، أفعل، قلب فجاء افلح، وحولت الواو ألفا لتطرفها)) (٢).

ومن هذا النوع ما ذكره القرطبي في اختلاف معنى "المحراب" من قوله تعالى
(فخرج على قومه من المحراب) (٣)؛ والاختلاف ليس في كون "المحراب" اسماً لموضع
الملاة، ولكن الاختلاف في أصل معنى كلمتي "المحراب" إذ يحتمل أن تكون الكلمة من
"الحرب" بسكون الراء أو "الحرب" بفتحها، وفي ذلك قال القرطبي (٤): ((أي أشرف
عليهم من النملى والمحراب أرفع المواضع وأشرف المجالس * وكانوا يتخذون المحاريب
فيما ارتفع من الأرض: دليله محراب داود عليه السلام على ما يأتي * واختلف الناس في
اشتقاقه؛ فقالت فرقة: هو مأخوذ من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقال
فرقة: هو مأخوذ من الحرب (بفتح الراء) كأنه ملازمه يلقي منه حرباً وتعباً ونصباً) *.

== انظر "المرجع السابق" من (٣٨٢) *

(١) البقرة / ٦١ *

(٢) "تفسير القرطبي" ٤٢٨/١ *

(٣) مريم / ٩ *

(٤) "تفسير القرطبي" ٨٥-٨٤/١١ *

ومنها: معرفة احتمال الكلمة لمعنيين: بسبب اشتراك وزنهما لصيغتين مختلفتين:
فمن ذلك احتمال لفظ "مَحْيِص" من قوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْيِصٍ) (١) لأن يكون اسم مكان أو مصدر ميم، لاشتراكهما في الوزن، وقال القرطبي في ذلك ((أي من مهرب وملجأ، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر، والمعنى مألنا وجه نتباعد به عن النار)) (٢).

ومن هذا الصنف احتمال لفظ "تَوَقَّاهُمْ" من قوله تعالى (تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) (٣) لأن يكون فعلا ماضيا، وأن يكون فعلا مستقبلا؛ لاشتراكهما في الوزن في الحالة الأولى على الأصل والحالة الثانية على حذف إحدى التاءين. وقال القرطبي في ذلك ((قوله تعالى (تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يحتمل أن يكون فعلا ماضيا لم يستند بعلامة التانيث، إذ تانيث لفظ الملائكة غير حقيقي، ويحتمل أن يكون فعلا مستقبلا على معنى تَتَوَقَّاهُمْ فحذفت إحدى التاءين)) (٤).

ومنها الفائدة في توجيه القراءات القرآنية:

ومن ذلك التوجيه لقراءة قوله تعالى (وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا) (٥) بضم ميم مَدْخَلًا وفتحها؛ والقراءتان كلتاهما تحتمل على الصيغتين: صيغة المصدر أو صيغة اسم المكان ويختلف الإعراب في الحالتين، وبين القرطبي ذلك بقوله (٦) ((قوله تعالى (وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا) قرأ أبو عمرو وأكثر الكوفيين مَدْخَلًا بضم الميم، فيحتمل أن يكون مصدرا، أي إدخالا والمفعول محذوف أي ونُدْخِلْكُمْ الْجَنَّةَ إدخالا، ويحتمل أن يكون بمعنى المكان فيكون مفعولا، وقرأ أهل المدينة بفتح الميم، فيجوز أن يكون مصدر "دخل" وهو منصوب بإضمار فعل، التقدير: ونُدْخِلْكُمْ فَتَدْخُلُونَ مَدْخَلًا، ودل الكلام عليه، ويجوز أن يكون اسم مكان فينتصب على أنه مفعول به، أي وَنُدْخِلْكُمْ مَكَانًا كَرِيمًا وهو الجنة)) (٧).

(١) إبراهيم ٢١/

(٢) "تفسير القرطبي" ٣٥٥/٩

(٣) النساء ٩٧/

(٤) "تفسير القرطبي" ٣٤٥/٥

(٥) النساء ٣١/

(٦) "تفسير القرطبي" ١٦١/٥

ثانياً: مسائل اللغة:

قسم سيويه الألفاظ ودلالاتها على المعاني إلى ثلاثة أقسام: هي اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين كجكس وكهب: واختلاف اللفظين والمعنى واحد كدَهَبَ وانطَلَقَ، واتَّعَافَ اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك، وَجَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ السَّوْجِدِ، وَوَجَدْتُ إِذَا أَرَادَ وَجْدَانِ الخالصة (١).

ويعرف القسم الأول بالألفاظ المُنْبَاطِئَة، والقسم الثاني بالألفاظ المُتَرَادِفَة والقسم الثالث بالألفاظ المُشْتَرَكَة (٢).

وما يلي ذكر موقف العلماء من الألفاظ المُتَرَادِفَة والمُشْتَرَكَة والأَمْدَاد، وأثر كلٍ منهما في تفسير القرطبي:

أولاً: موقف العلماء من الألفاظ المترادفة:

أنكر جماعة من العلماء منهم أبو علي الفارسي (٣) (ت ٣٢٧هـ) وأحمد بن فارس (٤) (ت ٣٩٥هـ) وقوع تَرَادُف الألفاظ، فأنكر الأخير كونَ لفظ السيف والمنتهد والصارم أسماء لشيء واحد: بِحُجَّةِ أَنَّ الاسم هو السيف وحده وغيره صفات (٥).
والإنكار المطلق لوقوع الترادف في الألفاظ له تجاوب عند علماء آخرين، فألف أبو هلال العسكري (٦) (ت ٣٩٥هـ) كتاباً سماه "الفروق في اللغة" حيث جهد في التفريق بين الألفاظ

(١) انظر كتاب "سيويه" ٢٤/١ بتصرف.

(٢) استخدم الغزالي هذه المصطلحات في تقسيمه لدلالة الألفاظ، غير أنه زاد قسماً رابعاً هو المُنَوَاطِئَة، فهي تُطْلَق على ما يُسَمَّى باسم الجنس كالزُّجْل الذي هو يدٌ على زيدٍ وعمرو وبكر وغيرهم (انظر "المستصفى" ص ٤٢-٤٣).

(٣) انظر "المزهر" ٤٠٥/١. (٤) انظر "الصاحبي" ص ١١٤.

(٥) انظر "المزهر" في علوم اللغة وأنواعها ٤٠٥/١.

(٦) هو الحسن بن عبدالله بن سهل، أبو هلال العسكري، عالم بالأدب، ومن كتبه "جمهرة الأمثال" وكتاب الصناعتين؛ النظم والنثر. وغيرهما (انظر "خزانة الأدب" ٢٣٠/١).

المقاربة المعنى: ففرّق بين معنى العلم والمعرفة^(١) والفتنة والذكاء^(٢)، والوهن والضعف^(٣)، وغيرها.

إنّ الترادف في الألفاظ ظاهرة واقعة في اللغة العربية؛ لأنّه من العسير إن لم يكن مستحيلاً - التفريق بين البَرّ والجَنَطة والقَمَح مثلاً، وقال ابن جني: "وينبغي أن يحمل كلام مَنْ منعه، على مَنْعِهِ في لغة واحدة فأما في لغتين فلا يَنْكره عاقل"^(٤)، فَمَنْ أَجَلْ هذا أَقَرَّ الإمام فَخْرُ الدين الرازي وقوَع الترادف بَقَيْد - ويتّضح هذا القَيْد في تعريفه للمُترادف حيث قال^(٥) ((هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)) ففي هذا التعريف قَيِّد الرازي قبوله بوقوع الترادف أن تكون دلالة الألفاظ على شيء واحد باعتبار واحد، وذلك مثل الجَنَطة والبَرّ والقَمَح، فكُلُّها تدل على شيء واحد؛ لأنّ تلك الألفاظ خَلَّتْ من الوصفية واتَّسَمَت بِدَآتِيَةِ فحسب، بخلاف السَّيف والمَّارِم، فلِئَهِمَا عند الرازي - ليسا من الترادف؛ لأنّ دلالتَهُمَا على شيء واحد باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة^(٦).

- ظاهرة الترادف في تفسير القرطبي:

ابتعد القرطبي عن استعمال الترادف كظاهرة لغوية في تفسيره لألفاظ القرآن ويظهر هذا الابتعاد في وصف القول أن الغَيْظ والغَضَب مترادفان بآته ليس بجيّد^(٧)، فضلاً عن ذلك أننا لم نعرّ على استخدامه لظاهرة الترادف في بيانه لألفاظ القرآن. وعلى عكس ذلك كثر استخدامه للفروق اللغوية كطريقة في تفسير الألفاظ القرآنية وفي توجيه القراءات. وكان التفريق في المعاني بين الكلمتين المختلفتين

(١) انظر "الفروق في اللغة"، ص ٧٢. (٢) نفسه ٧٧/.

(٣) نفسه / ١٠٨. (٤) "المزهر" ٤٠٥/١.

(٥) انظر "المزهر" ٤٠٢/١.

(٦) انظر "المزهر" ٤٠٣/٤٠٢/١ بتصرف.

(٧) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ): "تفسير القرطبي" ٢٠٧/٤ آل

عمران/ ١٣.

كَالنُّشُورِ وَالْإِعْرَاضِ^(١)، وَالظُّلْمَ وَالْهَمْزَ^(٢)، وَبَيَّنَ الْكَلِمَتَيْنِ الْمُتَّفَقَتَيْنِ فِي مَعْظَمِ حُرُوفِهِمَا كَعَزَمَ وَحَزَمَ^(٣)، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَمْ تَخْتَلِفَا إِلَّا فِي حَرَكَةِ أَحَدِ حُرُوفِهِمَا كَدَوْلَةٍ بِضَمِّ الدَّالِ وَفَتْحِهَا^(٤).

ولعل التشدد في التفريق بين المعاني المتقاربة في الألفاظ المختلفة أو شبه المتفقة هي محاولة من القرطبي لتحري الدقة في تفسيره لألفاظ القرآن وأما الترادف فلا يحقق ذلك فابتعد عنه.

ومثل هذه الأحوال فذكرها في عدة عناوين:

(١) إنكاره للترادف.

وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ)^(٥)؛ لأنه ذكر العلاقة بين معنى الغيظ والغضب، والفرق بين المعنيين، وأنكر أن يكون اللفظان بمعنى واحد، وقال في ذلك ((والغيظ أصل الغضب، وكثيرا ما يتلازمان لكن فرقاً ما بينهما، أن الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولا بدّه ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله. في المفضوب عليهم، وقد فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس بجيد والله أعلم^(٦))).

(١) وذلك في بيان قوله تعالى (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا) "التفسير" ٤٠٣/٥ النساء ١٢٨.

(٢) وذلك في بيان قوله تعالى: (وَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) التفسير: ٢٤٩/١١ طه/١١٢.

(٣) وذلك في تفسير قوله تعالى (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ): التفسير ٢٥٢/٤ آل عمران: ١٥٩.

(٤) وذلك في توجيه قراءة قوله تعالى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً) بفتح الدال وضعها، التفسير ١٦/١٨ الحشر/٧.

(٥) آل عمران ١٣٤.

(٦) "تفسير القرطبي" ٢٠٧/٤.

(٢) التفريق في المعاني بين كلمتين مختلفتين:

فرّق القرطبي معنى "النشور" في قوله تعالى (وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا) (١) مستعينا بأبي جعفر النحاس فقال (٢): ((قال النحاس الفرق بين النشور والإعراض أنَّ النشور التباعد، والإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها))^{*} وفرّق في موضع آخر بين معنى "الظلم" و "الهضم" من قوله تعالى (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (٣) مستعينا بما ذكره أحد المفسرين وقال (٤) ((الماوردي (٥): والفرق بين الظلم والهضم أنَّ الظلم المنع من الحق كله، والهضم المنع من بعضه، والهضم ظلم وإن اختلفا من وجه))^{*}

(٣) التفريق في المعاني بين كلمتين متفقتين في معظم حروفيهما:

فهم من طريقة العرض أنَّ القرطبي لا يقبل أن يكون لفظ العزم والحزم بمعنى واحد/ لأنه أورد رد ابن عطية على ما ذهب إليه النقاش (٦) بأن اللفظين من الترادف، وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (٧) حين قال (٨) ((وقال النقاش : العزم والحزم واحد والحاء مبدلة من العين : قال ابن عطية : وهذا خطأ : فالعزم جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه والعزم قصد الإمضاء :

(١) النساء/ ١٢٨ • (٢) "التفسير" ٤٠٣/٥ •

(٣) طه / ١١٢ • (٤) "التفسير" ٢٤٩/١١ •

(٥) الماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب : أبو الحسن الماوردي : إمام في الفقه والأصول والتفسير ومن كتبه "الأحكام السلطانية" وكتاب في التفسير" وتوفي سنة ٤٥٠هـ — (انظر شذرات الذهب ٢٨٥/٣) •

(٦) النقاش : هو محمد بن الحسن بن محمد، أبو بكر النقاش، مفسر، ومن كتبه "شفاء المذنب" وفي التفسير" وتوفي سنة ٣٥١هـ (انظر غاية النهاية ١١٩/٢) •

(٧) آل عمران/ ١٥٩ •

(٨) "تفسير القرطبي" ٢٥٢/٤ •

والله تعالى يقول (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ) ^(١) فالمشاورة وما كان في معناها هو الحزم، والعرب تقول: قد أحزم لو أعزم)) .

(٤) التفريق بين معاني لكلمتين لا تختلفان إلا في حركة أحد حروفهما .
ومن هذا الصنف التفريق بين العَرَض بفتح الراء وتسكينها، وذلك في تفسير قوله تعالى (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ) ^(٢) حين قال ^(٣) ((والعَرَض: متاع الدنيا بفتح الراء، وبإسكانها ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير)) .

(٥) الانتفاع بالفروق اللغوية في توجيه القراءة القرآنية .
كتوجيه القرطبي لقراءة في قوله تعالى (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً) ^(٤) بالضاد المعجمة، والماد غير المعجمة ^(٥) وفي ذلك قال ^(٦) ((والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف، والقبض بأطراف الأصابع ونحوهما الحَضْم والقَضْم، والقبضة بضم القاف القدر المقبوض)) .

ثانياً: موقف العلماء من المشترك اللفظي:

يُراد بالمشترك اللفظي: اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ^(٧) .

-
- (١) آل عمران / ١٥٩ . (٢) الاعراف / ١٦٩ .
(٣) "تفسير القرطبي" ٣١١/٧ .
(٤) طه / ٩٦ .
(٥) القراءة (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً) بالضاد المعجمة قراءة الجمهور، والقراءة (قَبَضْتُ قَبْضَةً) بالماد غير المعجمة، قراءة أبي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة ("تفسير القرطبي" ٢٤٠/١١) .
(٦) "تفسير القرطبي" ٢٤٠/١١ .
(٧) انظر "المزمر" ٣٦٩/١ .

ذهب أكثر العلماء إلى وجود الاشتراك اللفظي^(١) فمنهم سيويه (ت١٨٠هـ) - كما سبق ذكره - ومحمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ) . وآلف هذا الأخير كتاباً سماه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) فأورد فيه الألفاظ المشتركة . والألفاظ المتضادة^(٢) ؛ على اعتبار أنّ الأضداد ضرب من الاشتراك؛ لأنّ الاشتراك اختلاف التغيرات والأضداد اختلاف التضاد .

وأنكر جماعة من العلماء وجود هذه الظاهرة - منهم ابن درستويه^(٣) (ت٣٤٧هـ) وأمّا أبو علي الفارسي فقد فصل موقفه منه : فرفض أن يكون الاشتراك اللفظي قصداً في الوضع أو أصلاً ؛ ولكنته قيله إذا أريد به تداخل اللغات أو التوسع في الاستعمال اللغوي حتى أصبح الاستعمال الثاني بمنزلة الأصل ، وفي ذلك قال إنّ ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألاّ يكون قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنته من لغات تداخلت أو تكون كلّ لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب ، فتصير بمنزلة الأصل))^(٤) .

وعلق رمضان عبدالنواب على ما ذكره أبو علي الفارسي بقوله ((وفي ضوء هذا الذي ذكره أبو علي الفارسي ، ينبغي أن ننظر إلى المعاني الكثيرة المختلفة التي تذكرها المعاجم العربية لهذا اللفظ أو ذاك))^(٥) .

(١) "المزهر" ٣٦٩/١ .

(٢) ذكر السيوطي هذا الكتاب فأورد بعض ما احتواه من الألفاظ المشتركة والمتضادة ، ومثال الأول ضربت زيدا وضربت مثلاً ، وضربت في الأرض إذا أبعدت ، وكذلك العين ، عين المال والعين التي يَبصر بها وعين الماء ، ومثال الأضداد : جلل للكبير والصغير وللعظيم أيضاً : والجَوْن للأسود والأبيض وهو في الأسود أكثر والقوي للقوي والضعيف (انظر المزهر" ٣٨٨/١) .

(٣) انظر "المزهر" ٣٨٤/١ .

(٤) انظر "المخصص" لابن سيده ٢٥٩/١٣ .

(٥) انظر "فصول في فقه الله" ص ٣٢٥-٣٢٦ .

وقد اشترط ابراهيم انيس التعداد بالمشارك اللفظي ألا تكون هناك علاقة بين المعاني المختلفة في الألفاظ المشتركة. وإذا تبين أن أحد المعنيين هو الأصل والآخر مجاز له فلا يعدّ مثل هذا من المشترك اللفظي (١).

- ظاهرة المشترك اللفظي في تفسير القرطبي:

يظهر أثر الانتفاع بظاهرة المشترك اللفظي بشكل جلي في تفسير القرطبي، فحالة القرطبي مع الاشتراك اللفظي ليست كحالته مع الترادف، التي أوضحناها. ونصّ القرطبي - في عدة مرات - على أنّ الألفاظ من المشترك اللفظي - أي مما اتفق لفظه واختلف معناه - وهي كالألفاظ الآتية "الذكر" (٢) و"العَيْن" (٣) و"الحَبْل" (٤) و"المَوْلَى" (٥) و"المَسْح" (٦) و"الوَلَد" (٧) و"الحَرْج" (٨) و"الحَجَر" (٩).

-
- (١) انظر في "اللهجات العربية" ص ١٩٢ وما بعدها.
 - (٢) وذلك في تفسير قوله تعالى (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) "التفسير" ١/٣٣١/البقرة ٤٠.
 - (٣) سيذكر في المثال.
 - (٤) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) "التفسير" ٤/١٥٨/آل عمران ١٠٣.
 - (٥) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا) "التفسير" ٥/١٦٦/النساء ٣٣.
 - (٦) وذلك في تفسير قوله تعالى (فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ) "التفسير" ٥/٢٣٩/النساء ٤٣.
 - (٧) وذلك في تفسير قوله تعالى (أَنْ أَمْرًا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) "التفسير" ٦/٢٨/النساء ١٢٦.
 - (٨) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُمْلَهُ يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا) "التفسير" ٧/٨٢/الانعام ١٢٥.
 - (٩) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا) "التفسير" ٨/٩٤/الانعام ١٢٨.

و"الامة" (١) و"الكفار" (٢)، وما يلي بعض أمثلة منها:

- لَفْظُ الْعَيْنِ:

أوضح القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) (٣) إن لفظ "العين" من الأسماء المشتركة: لأنه يدل على عدّة معان وقال (٤) ((والعينين من الاسماء المشتركة؛ يقال: عين الماء وعين الإنسان، وعين الزُّكْبَةِ وعين الشمس، والعين سحابة تُقبل من ناحية القبلة والعين: مطر يدوم خمسا أو سِتًّا لا يقلع، وبلد قليل العين: أي قليل الناس، وما بها عَيْن: محرّكة الياء، والعين: الثقب في المِزادة، والعين: من الماء مشبهة بالعين من الحيوان: لخروج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان، وقيل: لما كان عين الحيوان أشرف ما فيه، شُبِّهَتْ به عين الماء: لأنها أشرف ما في الأرض)) .

- لَفْظُ الْمَوْلَى:

اشترك في لفظ "المولى" عدّة معان، وانتفع القرطبي بهذه الدلالة اللغوية في تفسيره لقوله تعالى (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا) (٥) حين قال (٦) ((: قوله تعالى (مَوَالِيًّا) أعلم أنّ المولى لفظ مشترك يطلق على وجوه؛ فيسمى المعتقد مولى والمعتق مولى، ويقال: المولى الأسفل والأعلى أيضا، ويسمى الناصر: المولى؛ ومنه قوله تعالى (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) (٧) ويسمى ابن العمّ مولى والجار مولى، وأمّا قوله تعالى (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا) (٨) يريد عصبة: لقوله عليه السلام "ما أبقت السّهام

(١) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَلَكِنَّ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا يَحْسِبُونَ) التفسير ٩/١٠/هـود ٨ .

(٢) سيذكر في المثال (٣) البقرة ٦٠ .

(٤) "تفسير القرطبي" ١/٤٢٠ . (٥) النساء/٣٣ .

(٦) "تفسير القرطبي" ٥/١٦٦ . (٧) محمد ١١/ .

(٨) النساء ٣٣ .

فَلَاؤَلَى عَصَبَةٍ ذَكَرَ وَمِنَ الْعَصَبَاتِ الْمَوْلَى الْأَعْلَى لَا الْأَسْفَلَ، عَلَى قَوْل أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ: لِأَنَّ الْمَفْهُومَ فِي حَقِّ الْمَعْتَقِ أَنَّهُ الْمَنْعَمُ عَلَى الْمَعْتَقِ، كَالْمَوْجَدِ لَهُ: فَاسْتَحَقَّ مِيرَاثَهُ لِهَذَا الْمَعْنَى))^(١).

- لَفْظُ "الْكَفَّارِ".

يَدُلُّ لَفْظُ الْكَفَّارِ عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فَجَاءَ بِمَا يَخْصُمُهُ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَاللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمًا)^(١) والقول بتخصيص لفظ "الأثيم" لمعنى "الكفار" أحدَ الرأيين في تفسير تلك الآية، وقال القرطبي في ذلك ((وصف "كفَّار" بأثيم مبالغة، من حيث اختلف اللفظان وقيل: لإزالة الاشتراك في كَفَّارٍ إِذْ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْمَزَارِعِ الَّذِي يَسْتَرْ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ))^(٢).

ثالثاً: موقف العلماء من الأضداد:

والمقصود بالأضداد "هي ألفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر أي أنّ الاختلاف بينهما اختلاف تضادّ لا اختلاف تغاير)^(٣)، والأضداد فرع من المشترك اللفظي، قال علي بن محمد الكيا^(٤) ((المشترك يقع على شيئين ضدّين وعلى مختلفين غير ضدّين، فما يقع على الضدين كالجون، وجل^(٥)، وما يقع على مختلفين غير ضدّين كالعين^(٦))).^(٧)

(١) البقرة ٢٧٦/٣ (٢) "تفسير القرطبي" ٣/٣٦٢.

(٣) انظر "فقه اللغة العربية" ص ١٥٢.

(٤) هو علي بن محمد الكيا، بكسر الكاف أبو الحسن الهراسي، فقيه شافعي، مفسّر له كتب في أصوله الفقه وتوفي سنة ٥٠٤هـ (انظر "شذارت الذهب" ٨/٤-١٠).

(٥) قال المبرّد: الجَوْنُ للأَسْوَدَ والأَبْيَضَ وهو في الأَسْوَدَ أَكْثَرُ: وَجَلَّ لِلْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَلِلْعَظِيمِ أَيْضًا (المظهر" ٣٨٨/١ بتصرف).

(٦) العين للدلالة على المال: والعين التي يبصر بها، وعين الماء، والعين من السحاب الذي يأتي من قبل القبلة، وعين الميزان (المزهر" ٣٨٨/١ بتصرف).

(٧) انظر "المزهر" ٣٨٢/١.

وعلى ضوء ما ذكره الكيا نستطيع أن نفسر عدم تعرّض سيويه للالفاظ المتضادة حينما ذكر أنواع الالفاظ ودلالاتها على المعاني، إذ اكتفى بذكر ثلاثة الانواع: هي المتباينة والمترادفة والمُشتركة^(١) : وذلك لأنّ الأضداد فرع من المشترك اللفظي، ويؤيد ذلك ذكر المبرّد للالفاظ المشتركة والالفاظ المتضادة كليهما جميعا في كتابه المسمى: "ما اتفق لفظه"، واختلف معناه"، مع أن عنوان الكتاب لم يدلّ - في الظاهر - إلّا على الفاظ المشترك فحسب^(٢).

هذا، واختلف العلماء في وجود الأضداد كما اختلفوا في وجود المترادف والمشارك اللفظي، ومن أنكر وجود الأضداد ابن درّستويه (ت ٣٤٧هـ) ويدلّ على ذلك تأليفه لكتاب في إبطال الأضداد^(٣).

وأما أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) الذي سبق إنكاره لظاهرة الترادف فهو من أقوى الناس دفاعا عن هذه الظاهرة، وصرّح أنّ ((من سنّ العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد، نحو الجوّن للأسود للجوّن للأبيض))^(٤)، وردّ على من أنكر وجودها فقال^(٥) ((وأنكر ناس هذا المذهب وأنّ العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده - وهذا ليس بشيء)).

وملاحظة ابن فارس لسنن العرب في الاسماء يؤكدها ما ذكره الدكتور ابراهيم انيس: بأنّ العلاقة بين شيئين متضادين أقرب العلاقة بين أنواع المعاني، فمن أجل ذلك فوقع اللفظ لمعنيين متضادين قريب غير بعيد. وقال في هذا ((والضدية نوع من العلاقة بين المعاني بل ربّما كانت أقرب إلى الذهن، من أية علاقة أخرى، فمجرّد ذكر

(١) أوضحنا ما ذكره سيويه في بداية البحث في مسائل اللغة.

(٢) ذكر السيوطي هذا الكتاب وأورد بعض ما احتواه من الأمثلة في المشترك اللفظي كضربت زيدا، وضربت مثلاً، وضربت في الأرض إذا أبعدت، وكالعين، ومن الأضداد: مثل الجوّن وجلل، والرجاء (انظر "المزهر" ١/٣٨٨).

(٣) انظر "المزهر" ١/٣٩٦. (٤) "المصاحبي" ص ١١٧.

(٥) "المصاحبي" ص ١١٧.

معنى من المعاني. يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ولا سيما بين الألوان: فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني^(١).

- ظاهرة الأضداد في تفسير القرطبي:

انتفع القرطبي بظاهرة الأضداد في تفسيره للألفاظ القرآن انتفاعاً ظاهراً، ولم يختلف انتفاعه بها مع انتفاعه بظاهرة الاشتراك اللفظي الذي سبق بيانه. والألفاظ التي ذكر أنها من الأضداد هي: "أَسْرَ" (٢) و"عَفَا" (٣) و"رَسَخَ" (٤) و"خَافَ" (٥) و"شَرَى" (٦) و"هَجَدَ" (٧) و"الغَابِرَ" (٨) و"وَرَاءَ" (٩)، وإليك المثالين:

(١) لفظ "عفا".

وظف القرطبي ظاهرة الأضداد في تفسيره لقوله تعالى (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) (١٠) فذكر أنَّ لفظ "عفا" له معنيان متضادان بعد أن بيّن المقصود باللفظ المذكور في الآية، وقال في ذلك ((قوله تعالى: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) العفو: عفو الله جل

(١) انظر في "اللهجات العربية" ص ٢٠٧.

(٢) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَأَسْرَوْا الدَّامَةَ) "التفسير" ٣٠٣/١٤ / سبأ/ ٣٣.

(٣) سيذكر في المثال الآتي.

(٤) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) "التفسير" ١٢/٤ / آل عمران/ ٧.

(٥) سيذكر في المثال الآتي.

(٦) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَشَرُّهُ بِثَمَنِ خَيْرٍ) "التفسير" ١٥٥/٩ / يوسف / ٢٠.

(٧) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ) "التفسير" ٣٠٧/١٠ / الاسراء/ ٧٩.

(٨) وذلك في تفسير قوله تعالى (كَأَنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ) "التفسير" ٢٤٦/٧ / الاعراف / ٨٣.

(٩) وذلك في تفسير قوله تعالى (وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) "التفسير" ٣٩/٢ / البقرة / ٩١.

(١٠) البقرة / ٥٢.

وعزَّ عن خلقه؛ وقد يكون بعد العقوبة وقبلها، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، وكل من استحق عقوبة فتُرِكَتْ له فقد عُفِيَ عنه. فالعفو: محو الذنب؛ أي مَحَوْنَا ذُنُوبَكُمْ وتجاوزنا عنكم. مأخوذ من قولك: عَفَتَ الريح الأثر: أي أذهبته. وعفا الشيء: كثر. فهو من الأضداد؛ ومنه قوله تعالى: (حَتَّى عَفَّوْا) ((١)).

(٢) لفظ "خاف"

وَصَحَّ القرطبي سبب اختلاف العلماء في تفسير معنى "خَفْتُمْ" من قوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ) ((٢))، وذلك أَنَّ لفظ "خَفْتُمْ" له معنيان متضادان، إحداهما "أَيَقَنْتُمْ" والآخر "طَنَنْتُمْ"، ثم ذكر المعنى المراد في الآية المذكورة مستعينا بما ذكره ابن عطية فقال (٣) ((و"خَفْتُمْ" من الأضداد؛ فإنه يكون المَخَوْف منه معلوم الوقوع، وقد يكون مَظْنُونًا؛ فلذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الخوف، فقال أبو عبيدة: "خَفْتُمْ" بمعنى أَيْقَنْتُمْ، وقال آخرون: "خَفْتُمْ" طَنَنْتُمْ. قال ابن عطية: وهذا الذي اختاره الحُذَاق وأنه على بابه من الظن لا من اليقين، التقدير: من غلب على ظنّه التقمير في القسط لليتيمة فليعدل عنها)).

وبهذا انتهى البحث في بعض مسائل الصرف واللغة وأثرها في تفسير القرطبي، والمبحث الآتي "احتفاء القرطبي باختلاف اللغات".

(١) "التفسير" ٣٩٧/١ .

(٢) النساء/ ٣ .

(٣) "التفسير" ١٢/٥ .

المبحث الثالث : اختفاء القرطبي باختلاف اللغات^(١)

اختلف العلماء في فهم الحديث الصحيح المتواتر^(٢) (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَفَرَةٍ أَحْمَرٍ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهَا)^(٣)، وسبب هذا الاختلاف عدم وجود نص أو

(١) اللغات جمع اللغة، والمقصود باللغة هنا اللهجة؛ وقال الدكتور إبراهيم أنيس عن المقصود باللهجة واللغة في معنهما الحديث ((اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص)) وقال أيضاً إن القدماء استخدموا لفظ "اللسان" للتعبير عن اللغة، بمعناها الحديث (انظر اللهجات العربية ٣، ص ١٦-١٧) بتصرف.

(٢) نص على تواتره أبو عبيد (انظر "الإتقان" ١/١٣١) والحديث المتواتر "هو الذي رواه جمع كثير يؤمن تواترهم على الكذب عن مثلهم إلى انتهاء السند. وكان مستندهم الحسن (انظر "منهج النقد في علوم الحديث" ص ٤٠٤) .

(٣) وتماثل الحديث: عن عمر بن الخطاب قال ((سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله عليه السلام فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم قلبته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أثر (١) يبين معنى سبعة أحرف، في الحديث المذكور (٢)، فذهب العلماء في تفسيره إلى مذاهب شتى وذكر الزركشي أربعة عشر مذهباً (٣) وبينما حشد السيوطي خمسة وثلاثين قولاً (٤).

ورأى أحد المذاهب أن المقصود بـ "سبعة أحرف" في الحديث المذكور هو "سبع لغات يسبع فبائِل العرب" وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه؛ وإثماً المراد أن القرآن نُزل على سبع لغات متفرقة فيه (٥). ويتفرع على هذا المذهب أقوال: أحدها: أن القرآن نُزل بلغة قريش، فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش (٦)، والدليل على ذلك قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) (٧).

== فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها فقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت، ثم قال إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبع أحرف فأقرؤا ما تيسر منه (انظر فتح الباري "دار أحياء التراث العربي/ط٤، ج ٩ ص ٢٠-٢٢).

- (١) والمقصود بأثر هو الحديث (انظر منهج النقد ص ٢٩) .
- (٢) قال به ابن العربي (انظر "البرهان" ٢١٢/١).
- (٣) انظر "البرهان" ٢١٣-٢٢٢/١ .
- (٤) انظر "الاتقان" ١٣١/١ - ١٤٢ .
- (٥) انظر "البرهان" ٢١٧/١، بتصرف وإلى هذا ذهب أبو عبيد وشعلب واختاره ابن عطية (انظر "البرهان" ٢١٧/١ و"الاتقان" ١٣٥/١).
- (٦) انظر "الاتقان" ١٣٥/١ بتصرف و قريش أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن حزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (انظر "جمهرة أنساب العرب" ١٢).
- (٧) إبراهيم ٤/ .

وهذا مذهب ابن قتيبة^(١).

والثاني: أنَّ القرآن نُزِّلَ بلغة مَضَر، وَحَجَّة ذلك قول عثمان ((نُزِّلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ مَضَرَ))^(٢) وقال قاسم بن ثابت^(٣) ((إِنَّ قُلْنَا مِنْ الْأَحْرَفِ لَقَرِيشَ، وَمِنْهَا لَكِنَانَةٌ وَلَاسِدٌ^(٤) وَمُهْذِلٌ^(٥) وَتَمِيمٌ^(٦) وَضَبَّةٌ^(٧) وَالْغَافِقُ، وَقَيْسٌ^(٨)؛ لَكَانَ قَدْ أَتَى عَلَى قِبَائِلِ مَضَرَ فِي قِرَاءَاتِ السَّبْعِ تَسْتَوْعِبُ اللُّغَاتِ الَّتِي نُزِّلَ بِهَا الْقُرْآنُ))^{*}

والثالث: أنَّ القرآن نُزِّلَ بلغة قريش ومُهْذِل وتَمِيم والأَزْد^(٩) وَرَبِيعَةَ^(١٠)،

(١) "اللاتقان" ١٣٥/١ • وابن قتيبة: هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، صاحب "مشكل القرآن" وغيره، وتوفي سنة ٢٧٠هـ (انظر ترجمته في "إنباه الرواة" ١٤٣/٢-١٤٧).

(٢) انظر "البرهان" ٢١٩/١ بتصرف •

(٣) "البرهان" ٢١٩/١، وقاسم بن ثابت هو: قاسم بن ثابت بن حزم أبو محمد الاندلسي عالم بالحديث واللغة والنحو وله "الدلائل" وتوفي سنة ٢٠٢هـ (انظر "بغية الوعاة" ٢٥٢/٢).

(٤) كنانة وأسد إبننا خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر (جمهرة أنساب العرب/ ١١) •

(٥) مهذيل هو مهذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر (انظر "الجمهرة" ١١/، ٤٦٦) •

(٦) هو تميم بن مَرٍّ بن أد بن طابخة بن إلياس (الجمهرة ٤٦٦) •

(٧) وَضَبَّةٌ هو ضَبَّةٌ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر (الجمهرة ١٩٨) •

(٨) وقيس هو قيس عيلان بن مضر (انظر "الجمهرة" ٤٦٨) •

(٩) والأزد هو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (الجمهرة ٤٨٤) •

(١٠) وربيعة هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (الجمهرة ١٠) •

وهوازن^(١) وسعد بن بكر^(٢) كلّها عدنانية إلاّ الأزد فهي قحطانية، وهذا قول أبي حاتم السجستاني^(٣).

هذه ثلاثة أمثلة لمذهب العلماء في تفسير "سبع اللغات" التي نزل القرآن بها^(٤) وهذه الأقوال الثلاثة تعطي لنا ثلاثة تصوّرات : أولا نزل القرآن بلغات بطون قريش. وثانيا: نزل القرآن بلغات أوسع من دائرة لغات بطون قريش : ولكّنها لم تخرج عن دائرة لغات قبائل مضر، وثالثا: نزل القرآن بلغات بعضها عدنانية وبعضها قحطانية، ولكّنها لم تخرج عن لسان العرب.

وهناك مذهب رابع هو أنّ في القرآن خُمسِينَ لغةً، وهي تشمل لغات القبائل في الجزيرة العربية، وبعض لسان الأمم المجاورة للجزيرة العربية كالفرس والروم والحبشة وغيرها^(٥) ويبحث هذا الأخير في نهاية هذا المبحث بعنوان "موقف القرطبي من المعرّب في القرآن".

ويظهر أنّ التمسك بكون القرآن نزل بعدّة لغات هو الذي جعلت اللغات بسببه مصدرا من المصادر في تفسير القرآن وتوجيه القراءات القرآنية عند المفسرين والمُعربين.

(١) وهوازن هو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان (الجمهرة/٢٦٤).

(٢) وسعد بن بكر هو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان (الجمهرة/٢٦٥).

(٣) هو سهل بن محمد، أبو حاتم السجستاني، صاحب المبرّد، مات بالبصرة سنة ٢٥٥هـ (انباء الرواة/٢-٥٨-٢٦٤).

(٤) ذكر هنا ثلاثة الأقوال على سبيل الانتقاء، فرض كافية لتوضيح فروق الاختلاف، وانظر بقية الأقوال من "البرهان" ٢١٧/١-٢٢٠ و ٢٨٣-٢٨٦ وانظر أيضا "الإتقان" ١٣٥-١٣٦ و ١٠٢/٢.

(٥) انظر "الإتقان في علوم القرآن" ١٠٢/٢.

وظاهرة تفسير القرآن وتوجيه القراءات القرآنية بالنظر إلى اختلاف لغات القبائل واضحة في تفسير القرطبي، سواء أكان التفسير والتوجيه من ناحية الإعراب؛ لأنَّ اختلاف لغات القبائل في الإعراب، أو من ناحية تغيير الحركات في الاسم أو في الحرف؛ لأنَّ اختلاف اللغات كان في تغيير الحركات فيهما، أو نحو ذلك.

وأما لغات القبائل التي احتفى بها القرطبي فتتقسم إلى ثلاثة أقسام:

الاول: لغات قبائل عدنانية: وهؤلاء قريش (١)، وتميم (٢) وربيع (٣) وقيس (٤) وأسد (٥) وبكر (٦) ومذيل (٧) وعك (٨).

الثاني: لغات قبائل قحطانية: أزد شنوءة (٩)

(١) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٨١/٦ / السطر ٦ / ٠ و ١١٧/١٠ / السطر ٦ / ٠
٣٤٦/١١ / السطر ٦ / ٠

(٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٣٢٩/١ / السطر ١٦ / ٠ و ٤٢٠/١ / السطر ٢ / ٠
٣٨٥/٣ / السطر ١٢ / ٠ و ١٠/٥ / السطر ٢٠ / ٠

(٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٢١٩/١ / السطر ١٠ / ٠

(٤) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٦/١٤٦/١ و ١٠٨/٩ / السطر ٧ / ٠ و ١٠/١٠ / السطر ١٠ / ٠

(٥) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٦/١٤٦/١ و ٦/٢٩٨/٨ / ٠

(٦) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١١٥/٤ / السطر ١٩ / ٠ وبكر هو: بكر بن مر بن أد بن طابخة (انظر "جمهرة أنساب العرب" ٢٠٦/٠).

(٧) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٣٢٨/١ / السطر ١٧، و ١٨٦/١١ / السطر ١٢ / ٠ و ٤/٢٠ / السطر ١ / ٠

(٨) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٦٥/١١ / السطر ١٧، وعك: هو عك بن عدنان (انظر جمهرة الانساب/٩).

(٩) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٧٨/١ / السطر ١٢ / ٠ و ٦٥/١٧ / السطر ٢١ / ٠، وأزد شنوءة أحد أربعة أقسام لبني الأزد (انظر "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة" ١٥/١).

وَلَكَيْ، (١)، وَمَذْج (٢) وَجَمِير (٣).

الثالث: مجموعة لغات لم يذكر أسماء قبائلها وإنما اكتفى القرطبي بالقول: ومن العرب (٤) وأهل الحجاز (٥) وأهل نجد (٦) وأهل العالية (٧) ولغة معروفة (٨) ولغة يمانية فصيحة (٩) ولغة (١٠)، ولغتان (١١) وثلاث لغات (١٢) وأربع لغات (١٣) وخمس لغات (١٤).

- (١) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١١/١٦٦ / السطر ٢، وطيء: هو جَلْهَمَة بن، أَدَد بن يَشْجَب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (انظر (الجمهرة/٣٩٨)).
- (٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٢/٢٨٩؛ وَمَذْج هو مالك بن أَدَد (الجمهرة/٤٧٦).
- (٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٤/٥١ / السطر ١٠، و ١٢/١٢٣، وَجَمِير هو جَمِير بن سبأ بن يَشْجَب بن يَعْرُب بن قحطان (الجمهرة/٤٣٢).
- (٤) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١/٣٨٠، و ٦/٩، و ٧/٢٦٤، و ٩/٥٤١.
- (٥) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٣/٢٨٥، و ٥/١٩، و ٧/٤٨٥، و ٨/٢٩٨، و ٩/١٠٨، والحجاز حدوده من تخوم صنعاء من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام وإنما سمي حجازاً لأنه حَجَزَ بين يَهَامَة ونَجْد، فمكة تهامة والمدينة حجازية والطائف حجازية (انظر "معجم البلدان" ٢/٢١٩).
- (٦) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٧/٥٠، و ١٢/٢٢٩.
- (٧) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٦/٤٣٨، و ٢٠/٤١٨.
- (٨) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٦/٤٠٠.
- (٩) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١٩/١٨١.
- (١٠) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٢/١٨، و ٣/٢٠٤، و ٣/٢٨٨، و ٤/٣٧٥.
- (١١) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١/٤٠٤، و ١/٤٢٩، و ٤/١٥٤، و ٥/٣٧٥، و ٥/١٨٣، و ١٩/٨٤، و ١٩/٢١٩.
- (١٢) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٥/٣٦٠.
- (١٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ١/١٠٠.
- (١٤) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٣/٣١٦.

ويأتي الآن مثال انتفاع القرطبي باختلاف اللغات لإعراب القرآن وتفسيره وتوجيه قراءاته، ويكون عرض المثل على حسب المواضيع الآتية:

(١) الاختلاف في الإعراب:

إن إحدى المسائل التي اختلف فيها القبائل مسألة الإعراب وانتفع القرطبي بهذا الاختلاف لإعراب القرآن وتفسيره. فمن ذلك قول القرطبي نقلاً عن أبي جعفر النحاس في إعراب قوله تعالى (وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) ^(١) حين قال ^(٢) (كسرت "إِنَّ"؛ لأنها مبتدأ بعد القول وفتحها لغة) "أي فتحها في غير القرآن جائز لأنه لغة من لغات العرب".

ومثال آخر إعرابه لقوله تعالى (وَتِلْكَ عَادٌ) ^(٣) إذ قال ^(٤) ((ابتداء وخبر، وحكى الكسائي أن من العرب من لا يصرف "عاداً" فيجعلها اسماً للقبيلة)).

ومثال ثالث في توجيه إعراب قراءة صحيحة (مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ) ^(٥) بالرفع، حين قال ^(٦) ((مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ) أي نساؤهم بأُمَّهَاتِهِمْ. وقرأ العامة: أُمَّهَاتِهِمْ بخفض التاء على لغة أهل الحجاز كقوله تعالى (مَا هَذَا بَشَرًا) وقرأ أبو معمر والسلمي وغيرهما "أُمَّهَاتِهِمْ بالرفع" ^(٧) على لغة تميم. قال الفراء: أهل نجد وبنو تميم يقولون "مَا هَذَا

(١) النساء ١٥٢/.

(٢) انظر في ذلك "تفسير القرطبي" ٩/٦. انظر "إعراب القرآن للنحاس" ٥٠٢/١.

(٣) مود ٥٩/.

(٤) انظر "تفسير القرطبي" ٥٤/٩.

(٥) المجادلة ٢/.

(٦) "تفسير القرطبي" ٢٧٩/١٢.

(٧) قال ابن مجاهد ((قرأ عامم في رواية المفصل (مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ) رفعاً. ولم يختلف في أن الحرف نصب في لفظ حفص: (مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ) ولم يروه عن عامم غيره)) (انظر "كتاب السبعة في القراءات" ٦٢٨).

بَشَرٌ" و "مَا مِّنْ أُمَّهَاتِهِمْ بِالرَّفْعِ" (١).

(٢) الاختلاف في استخدام أوزان الفعل:

ولهذا الاختلاف أنواع:

منها: اختلاف الوزن بالزيادة أو التضعيف،

ومثال هذا النوع استخدام "وَفَى" على وزن فَعَلَ في لغة و "أَوْفَى" على وزن "أَفْعَلَ" في لغة أخرى للدلالة على معنى واحد، وذلك في تفسير قوله تعالى (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (٢) وقال القرطبي (٣) ((يَقَالُ: وَفَى وَ أَوْفَى لَغَتَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (٤) وَقَالَ تَعَالَى (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) (٥)).

ومثال آخر استخدام "قَصَرَ" على وزن فَعَلَ وَقَصَرَ على وزن فَعَّلَ في لغة أخرى و "أَقْصَرَ" على وزن "أَفْعَلَ" في لغة ثالثة، كما في تفسير القرطبي لقوله تعالى (أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) (٦) حين قال (٧) ((أَنْ فِي مَوْضِعٍ نَمْبِ إِي فِي أَنْ تَقْصُرُوا" قَالَ أَبُو عبيد: فِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ قَصَرَتِ الصَّلَاةُ وَقَصَّرَتْهَا وَأَقْصَرَتْهَا)).

ومثال ثالث: استخدام "حَزَنَ" على وزن فَعَلَ في لغة وَأَحْزَنَ في لغة أخرى، هما لمعنى واحد؛ وذلك في توجيه قراءتين لقوله تعالى (لَا يُحِزُّكَ) (٨) بضم الياء وكسر الزاي، وأخرى بفتح الياء، وضم الزاي، وقال القرطبي (٩) ((قوله تعالى (لَا يُحِزُّكَ) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي، وَالْحَزَنُ خِلَافُ السُّرُورِ، وَحَزَنَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ حَزِنٌ وَحَزِينٌ وَأَحْزَنَهُ غَيْرُهُ وَحَزَنَهُ أَيْضًا مِثْلُ: اسْلَكْهُ وَسَلَكْهُ، وَمَحْزُونٌ بِنِى عَلَيْهِ: قَالَ الْيَزِيدِيُّ: حَزَنَهُ لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَأَحْزَنَهُ لُغَةُ تَمِيمٍ، وَقَدْ

(١) انظر مثالين آخرين في التفسير "١٦٠/٨"، في اعراب قوله تعالى (هُوَ مَوْلَانَا)

والتفسير ٢٧٣/٩ في اعراب قوله تعالى (بُغْتَةُ).

(٢) المائدة / ١ (٣) "تفسير القرطبي" ٣٢/٦ .

(٤) التوبة / ١١١ (٥) النجم / ٣٧ .

(٦) النساء / ١٠١ (٧) "تفسير القرطبي" ٣٦٠/٥ .

(٨) المائدة / ٤١ (٩) "تفسير القرطبي" ١٨١/٦ .

قرىء بهما)) .

ومثال رابع استخدام "بَدَل" على وزن فَعَلَ وأَبْدَلَ على وزن "أَفْعَلَ" في لغتين مختلفتين لمعنى واحد، وذلك في توجيه قراءتين لقوله تعالى (عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا) (١) وقال القرطبي (٢) ((وقراءة العامة يُبدِلُنَا "بالتخفيف" وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد وهما لغتان)) .

ومنها : اختلاف الوزن بتغيير الحركات :

ومن هذا النوع استخدام "ركن" "يركن" على وزن فعل يفعل في لغة أهل الحجاز، واستخدم "رَكَن" "يركَن" على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ في لغة تميم وقيس، وانتفع بهذا الاختلاف في توجيه قراءة قوله تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (٣) وقال القرطبي (٤) ((قرأ الجمهور "تَرَكَنُوا" بفتح الكاف: قال أبو عمرو هي لغة أهل الحجاز، وقرأ طلحة بن مصرف (٥) وقتادة (٦) وغيرهما "تَرَكَنُوا" بضم الكاف: قال الفراء: وهي لغة تميم وقيس، وجوز قوم رَكَنَ يَرْكَنُ مثل مَنْعَ يَمْنَعُ)) .

ومثال آخر استخدام ضَلَّيْتُ على وزن فَعَلْتُ وَضَلَّيْتُ على وزن فَعَلْتُ في لغتين مختلفتين وانتفع بهذا الاختلاف لتوجيه قراءتي لقوله تعالى (قَدْ ضَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُهْتَدِينَ) (٧) بفتح اللام وأخرى بكسرها وقال القرطبي (٨) ((قرىء ضَلَّيْتُ بفتح اللام وكسرها وهما لغتان. قال أبو عمرو بن العلاء: ضَلَّيْتُ بكسر اللام لغة تميم وهي قراءة

(١) القلم ٣٢/ . (٢) "تفسير القرطبي" ٢٤٥/١٨ .

(٣) هود ١١٣/ . (٤) "تفسير القرطبي" ١٠٨/٩ .

(٥) هو : طلحة بن مصرف بن عمرو، أبو محمد الكوفي، تابعي مشهور، له اختيار في

القراءة ينسب إليه وتوفي سنة ١١٢هـ (انظر غاية النهاية ١/٣٤٣) .

(٦) وقتادة هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب البصري المفسر، توفي سنة ١١٧هـ (انظر غاية

النهاية ٢/٢٥٥) .

(٧) الانعام ٥٦/ . (٨) التفسير ٤٣٨/٦ .

يحيى بن وثاب^(١) وظلحة بن مصرف، والأولى هي الأصلح والأفصح؛ لأنها لغة أهل الحجاز وهي قراءة الجمهور وقال الجوهري^(٢)، والضلّال والضلالة ضدّ الرشاد وقد ضللت أضلّ. قال الله تعالى (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي)^(٣) فهذه لغة نجد وهي الفصحى، وأهل العالية يقولون: وَضَلَلْتُ بالكسر أضلّ^(٤).

ومثال ثالث استخدام لفظ "أَجَنَحَ" على وزن "افْعَلَ" في لغة تميم، ولفظ "أَجَنَحَ" بضم النون، على وزن أَفْعَلَ في لغة قيس؛ وانتفع بهذا الاختلاف لتوجيه قراءتي "أَجَنَحَ" في قوله تعالى (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)^(٥) حين قال القرطبي^(٥) ((وقرأ الجمهور "فاجْنَحَ" بفتح النون، وهي لغة تميم. وقرأ الأشهب العقيلي "فاجْنَحَ" بضم النون، وهي لغة قيس. قال ابن جني، وهذه اللغة هي القياس)).

ومثال رابع استخدام المَفْرَ بفتح الفاء و"المَفْرَ" بكسرها، في لغتين مختلفتين، وانتفع بهذه الاختلاف لتوجيه قراءتي قوله تعالى (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ)^(٦) بفتح الفاء وكسرها وقال القرطبي^(٧) ((وقراءة العامة "المَفْرُ" بفتح الفاء واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم: لأنه مصدر وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم؛ قال الكسائي: هما لغتان مثل مَنَبَ وَمَدَبَ، وَمَصَحَ وَمَصَحَ)).

ومنها : كسر حرف المضارعة :

(١) هو : يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء، الكوفي، المقريء، المتوفي سنة ١٠٣ هـ (انظر غاية النهاية ٣٨٠/٢).

(٢) والجوهري: هو اسماعيل بن حماد أبو بصر التركي. صاحب "كتاب الصحاح" توفي سنة ٣٩٣ هـ (انظر ترجمته في "بغية الوعاة" ٤٤٦/١-٤٤٧).

(٣) الانعام ٥٦. (٤) الانفال/ ٦١.

(٥) تفسير القرطبي " ٣٩/٨. (٦) القيامة/ ٤.

(٧) تفسير القرطبي " ٩٧/١٩.

ومن هذا النوع توجيه قراءة (وَابْتَكَ نَسْتَعِينُ)^(١) بكسر النون؛ لأنها لغة من لغات العرب: وقال القرطبي^(٢) ((وقرا يحيى بن وثاب والأعمش^(٣): نَسْتَعِينُ بكسر النون، وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعه ليحل على الله من إِسْتَعَانَ فكسرت النون كما تُكسر ألف الوصل)).

ومثال آخر انتفاع تلك اللغة لتوجيه قراءة "مَنْ إِنْ تَيْمُنْهُ"^(٤) بكسر التاء؛ حين قال القرطبي^(٥) ((وقرا ابن وثاب والأشهب العقيلي "مَنْ إِنْ تَيْمُنْهُ" على لغة من قرأ "نَسْتَعِينُ" وهي لغة بكر وتميم)).

(٣) الاختلاف في التصريف:

ومثال هذا النوع مجيء مصدر "كَذَّبَ" بوزن فَعَّلَ على "كَذَّابٍ"، عند لغة يمانية فصيحة، وقال القرطبي^(٦) ((وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا)^(٧)) أي بما جاءت به الأنبياء . وقيل: بما أنزلنا من الكتب وقراءة العامة "كَذَّابًا" بتشديد الدال وكسر الكاف، على كَذَّبَ، أي كَذَّبُوا تكديبا كبيرا، قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة يقولون: كَذَّبَتْ به كِذَّابًا، وَخَرَّجْتَ القميصَ خِرَّاقًا: وكل فعل في وزن (فَعَّلَ) فمصدره فِعْالٌ مشدَّد في لغتهم)).

(٤) الاختلاف في تغيير حركات الاسم المعرب، في غير حرف الإعراب:

ومما اختلفت فيه القبائل، نطقُ الأسماء المَعْرَبَةِ بكسرة أو ضمة أو فتحة ولكن الاختلاف ليس في مواقع الإعراب، فمثال ذلك كالآتي:

(١) الفاتحة ٥/ . (٢) "تفسير القرطبي" ١٤٦/١ .

(٣) والأعمش هو سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي بالولاء الكوفي، أخذ القراءة عَرَضًا عن جماعة منهم عاصم بن أبي النجود. ويحيى بن وثاب، توفي سنة ١٤٨هـ (أنظر "غاية النهاية" ٣١٥/١-٣١٦) .

(٤) آل عمران ٧٥/ . (٥) "تفسير القرطبي" ١١٥/٤ .

(٦) "تفسير القرطبي" ١٨١/١٩ . (٧) النبأ/ ٣٠ .

فمن ذلك اختلاف العرب في نطق كلمة "الْقَرْيَةُ" قوم فَتَحُوا الْقَافَ، وقوم كَسَرُوهَا؛ وانتفع بهذا الاختلاف في تفسير قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) (١) وقال القرطبي (٢) ((وَالْقَرْيَةُ (بكسر القاف) لغة اليمن)) .

ومن ذلك اختلافهم في نطق كلمة "النُّحْلَةُ" فقوم بكسر النون، وقوم بضمها وانتفع بهذا الاختلاف في تفسير قوله تعالى (وَأَتَوْنَا نِسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (٣) وقال القرطبي (٤) ((قوله تعالى (نِحْلَةً) النُّحْلَةُ وَالنُّحْلَةُ، بكسر النون وضمها لغتان)) .

ومن هذا النوع اختلافهم في نطق كلمة "قُنُونٌ" فنطقت قيس بضم القاف، ونطق أهل الحجاز بكسرها، وانتفع بهذا الاختلاف لتفسير قوله تعالى (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ ثَلَاثَةٍ قُنُونًا) (٥) وقال القرطبي في هذا التفسير ((قال سيوييه : ومن العرب من يقول "قُنُونٌ" قال الفراء " هذه لغة قيس، وأهل الحجاز يقولون :قُنُونٌ"، وتميم يقولون :قُنْيَانٌ" ثم يجتمعون في الواحد فيقولون : قُنُونٌ وَقُنُونٌ)) (٦) .

وكذلك الاختلاف بين القبائل في النطق لكلمة "عِلْظَةٌ" لغة بفتح الغين وأخرى بكسرها وثالثة بضمها، واستفيد من الاختلاف في توجيه قراءة قوله تعالى (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) (٧) وقال القرطبي (٨) ((ورى الفضل (٩) عن الأعمش وعاصم (١٠) "غِلْظَةً" بفتح الغين وإسكان اللام قال الفراء: لغة أهل الحجاز وبني أسد بكسر الغين: ولغة بني تميم غِلْظَةٌ بضم الغين)) .

(١) البقرة ٥٨/ • (٢) "تفسير القرطبي" ٤٠٩/١ •

(٣) النساء ٤/ • (٤) "تفسير القرطبي" ٢٤/٥ •

(٥) الانعام ٩٩/ • (٦) "تفسير القرطبي" ٤٨/٧ •

(٧) التوبة ١٢٣/ • (٨) "تفسير القرطبي" ٢٩٨/٨ •

(٩) والفضل هو الفضل بن يحيى بن شامي أبو محمد الأنباري، روى القراءة عَرَضًا وَسَمَاعًا عن حفص عن عاصم (انظر غاية النهاية ١١/٢) .

(١٠) هو عاصم بن أبي النجود بهذلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر أحد القراء السبعة،

توفي سنة ١٢٧هـ (غاية النهاية ١/٣٤٦) .

(٥) الاختلاف في تغيير حركات الكلمات المبنية من الحروف والأسماء.

أولاً- تغيير الحركات في الحروف:

ومن هذا الصنف تغيير حركة لام الأمر، ففتحها وكسرها لغتان مختلفتان، واستفيد من هذا الاختلاف في توجيه قراءة قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (١)؛ وقال القرطبي (٢) ((وقرأ عكرمة "لَيْلَفًا" بفتح اللام على الأمر، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود، وفتح لام لغة حكاها ابن مجاهد (٣) وغيره)).

ثانياً: تغيير الحركات في الأسماء المبنية:

ومن العرب من كسروا هاء "مِنْهُمْ"؛ وذكر القرطبي ذلك في تفسير قوله تعالى (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) (٤) حين قال (٥) ((وقال سيويه: وأعلم أن ناساً من ربعة يقولون "مِنْهُمْ" بكسر الهاء اتباعاً لكسر الميم: ولم يكن المسكن حاجزاً حصيناً عندهم)).

ومن هذا الصنف لغات في "حَيْثُ"، وذكرها القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (وَكُلًّا مِنْهَا رَغْداً حَيْثُ شِئْتُمَا) (٦) حين قال (٧) ((وَحَيْثُ وَحَيْثُ وَحَيْثُ وَحَوْثُ وَحَوْثُ وَحَاثُ كُلُّهَا لغات ذكرها النحاس وغيره)).

ومنه أيضاً لغات في "لَدُنْ"، وذكرها القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) (٨) حين قال (٩) ((وفي "لَدُنْ" أربع لغات: لَدُنْ بفتح اللام وضم الدال

(١) قريش ١/ . (٢) "تفسير القرطبي" ٢٠٢/٢٠

(٣) وابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر، صاحب كتاب السبعة في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ (انظر غاية النهاية ١/١٢٩ وما بعدها).

(٤) البقرة ٧٥/ . (٥) "تفسير القرطبي" ١/٢ .

(٦) البقرة ٣٥/ . (٧) "تفسير القرطبي" ١/٣٠٣ .

(٨) آل عمران ٨/ . (٩) "تفسير القرطبي" ٢١/٤ .

وجزم النون، وهي أفصحها: وبيفتح اللام وضم الدال، وحذف النون؛ ويضم اللام وجزم

الدال وفتح النون، وبيفتح اللام وسكون الدال وفتح النون)).

ومنه ايضاً لغات في "أَفِي" اسم فعل مضارع، بمعنى أَتَجَرَّ، وذكرها القرطبي من توجيه قراءة من قرأ أَفِي؛ منون محفوز في قوله تعالى (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا) (١) حين قال (٢) ((وَقَرَأَ أَفِي منون محفوز (٣)؛ كما تخفض الأصوات وتنون: تقول: صر صر، وفيه عشرة لغات: أَف، وَأَفْ، وَأَفِي، وَأَفَا، وَأَفِي وَأَفْ وَأَفَّه وإف لك (بكسر الهمزة) وَأَفَّ (بضم الهمزة وتسكين الفاء) . وَأَفَّا (مخففة الفاء) ((.

(٦) الاختلاف في حذف الياء وإثباتها:

ومن العرب من أبقي الياء في نحو "دَاعِي" و "وَالِي" في الوقف، وذكر القرطبي هذه اللغة في توجيه قراءة من قرأ (فَمَا لَهُ مِنْ مَّادِي) (٤) حين قال (٥) ((وَقَرَأَ "فَمَا لَهُ مِنْ مَّادِي" و "وَالِي" (٦) وَوَاقِي (٧) بالياء في حالة الوصل لإِتِّقَائِهَا مع التنوين، وقد أمانا هذا في الوقف؟ فردت الياء فصار "مَادِي" و "وَالِي" و "وَأَفِي" وقال الخليل في نداء قاضٍ: يا قاضي، بإثبات الياء؛ إذ لا تنوين مع النداء كما لا تنوين في نحو الدَّاعِي والمُتَّعَالِي)).

(١) الاسراء ٢٤/ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٢٤٣/١٠ .

(٣) وَأَفَّ، بكسر الفاء والتنوين، قراءة نافع، وحفص عن عاصم، وَأَفَّ بفتح الفاء قراءة

ابن كثير وابن عامر، وَأَفَّ بالكسر بغير تنوين قراءة ابن عمرو وعاصم من رواية أبي بكر وحمزة والكسائي (كتاب السبعة/ ٣٧٩).

(٤) الرعد/ ٣٤ .

(٥) "التفسير" ٣٢٤/٩ .

(٦) اي في قوله تعالى (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِ مَنْ وَآلٍ) الرعد/ ١١ .

(٧) اي في قوله تعالى (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ) الرعد/ ٣٤ .

٦- الاختلاف في إبدال حرف بحرف^(١) أو إبقائه على الأصل.

ومن ظواهر اختلاف لغات العرب، إبدال الياء من أحد حرفي التضعيف^(٢)، فنطقي قوم "أَمَلَّتْ" على الأصل. ونطق قوم آخرون "أَمَلَيْتُ؛ لَأَنَّهُ أَخَفَّ، وَكَلَّمَا اللَّغَتَيْنِ وَارِدَتَانِ فِي الْقُرْآنِ، وَانْتَفَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ لِتَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)^(٣) وَقَالَ^(٤) ((وَهُوَ الْمَدْيُونُ الْمَطْلُوبُ يُقَرَّرُ عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِهِ لِيَعْلَمَ مَا عَلَيْهِ، وَالْإِمْلَاءُ وَالْإِمْلَالُ لِمَتَانِ: أَمَلَّ وَأَمَلَّى، فَأَمَلَّ لُغَةً أَهْلُ الْحِجَازِ وَبَنِي أَسَدٍ؛ وَتَمِيمٌ يَقُولُ: أَمَلَيْتُ. وَجَاءَ الْقُرْآنُ بِاللَّغَتَيْنِ: قَالَ عَزَّوَجَلَّ (فَهِيَ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَمِيلًا). وَالْأَصْلُ أَمَلَّتْ أَبْدَلَ مِنَ اللَّامِ يَاءً؛ لَأَنَّهُ أَخَفَّ)).

ومن ذلك أيضا إبدال الصّاد من السين، وساغ قلب السين صادًا إذا وقعت قبل غين أو خاء أو قاف أو طاء^(٥)، وبهذه الظاهرة وجه القرطبي قراءة من قرأ (بِمُسَيِّطِرٍ) بالسين على الأصل وقراءة (بِمُصَيِّطِرٍ) بالصاد على الإبدال^(٦) في قوله تعالى (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطِرٍ)^(٧) وقال^(٨) وقرأ هارون الأعور "بِمُسَيِّطِرٍ" (بفتح الطاء) والمسيطرون وهي لغة تميم)).

(١) البدل: أن تقيم حرفا مقام حرف؛ إما ضرورة وإما صنعة واستحسانا (انظر "شرح المفصل" ٧/١٠).

(٢) انظر "شرح المفصل" ٢٤/١٠.

(٣) البقرة ٢٨٢/.

(٤) "تفسير القرطبي" ٣٨٥/٣.

(٥) انظر "شرح المفصل" ٥١/١٠.

(٦) قراءة "بِمُسَيِّطِرٍ" بالسين وكسر الطاء، لابن عامر، والكسائي و"بِمُصَيِّطِرٍ" بالصاد، لابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم (انظر كتاب السبعة ٦٨٢/).

(٧) الغاشية ٢٢/.

(٨) "التفسير" ٣٧/٢٠.

(٧) الاختلاف من الإمالة والتفخيم (١)

العرب مختلفون فمنهم من أمال وهم أهل نجد، ومنهم من لم يمل وهم أهل الحجاز، والإمالة طارئة من أجل الخفة؛ ومثال الانتفاع بهذه الظاهرة، قول القرطبي في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى) (٢) ((أهل نجد يميلون ليدلّوا على أنه من ذوات الياء، وأهل الحجاز يَفَحِّمُونَ) (٣).

وانتفع القرطبي بهذه الظاهرة أيضا في توجيه قراءة (كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٤) بالإمالة في "رَأَى" حين قال (٥) ((وقرأ حمزة والكسائر والأعمش وأبو بكر والمفضل "رَأَى" بالإمالة، لأنّ فاء الفعل الراء، وعينه الألف منقلبة من ياء، فحسنت الإمالة لذلك، ومن فتح فعلى الأصل؛ لأنّ فاء الفعل في فعل مثل كاد وباع ونحوه)) (٦).

(٨) الاختلاف في المعنى

ومن أنواع اختلاف اللهجات لقبائل العرب اختلاف في المعنى؛ فالكلمة الواحدة قد تدلّ على معنى في قبيلة، وتدلّ على معنى آخر في قبيلة أخرى، وانتفع بهذه الظاهرة لتفسير القرآن، كتفسير القرطبي لقوله تعالى (أَيُّسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ

(١) قال ابن يعيش في الفرق بين الإمالة والتفخيم ((الإمالة في العربية عدول بالألف على استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفعمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء يكون شدة الإمالة وبحسب بعده تكون خفتها؛ والتفخيم هو الأمل والإمالة طارئة والذي يدلّ أن التفخيم هو الأصل؛ أنه يجوز تفخيم كل ممال، ولا يجوز إمالة كل مفعم، وأيضا فإنّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب ("شرح المفصل" ٥٤/٩).

(٢) البقرة ٢٩/٠ (٣) "التفسير" ٢٦٠/١

(٤) المطففين ١٤/٠ (٥) "التفسير" ٢١١/١٩

فِي التُّرَابِ) (١) حين قال (٢) ((عَلَى هَوْنٍ) أَي هَوَانٍ، وكذلك قرأ عيسى الثقفي (٣) على هَوَانٍ والهَوْنُ : الهَوَانُ بلغة قريش : قاله اليزيدي (٤)، وحكاه أبو عبيد عن الكسائي، وقال الفراء : هو القليل بلغة تميم، وقال الكسائي، هو البلاء والمشقة وقالت الخنساء :

نُهِنُ النَّفْسَ وَهَوْنَ النَّفْسِ
سَ يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَبْقَى لَهَا (٥).

ومن هذا النوع أيضا تفسير القرطبي لقوله تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) (٦) حين قال (٧) ((الرِّزْقُ مصدر رَزَقَ يَرْزُقُ رِزْقًا وَرَزَقًا، فالرِّزْقُ بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وجمعه أرزاق، والرِّزْقُ : العطاء والزَّارِقِيَّةُ، ثياب كتان بيض . وأرَزَقَ الجند : أَخَذُوا أَرْزَاقَهُمْ، والرزقة : المرة الواحدة، وهكذا قال أهل اللغة، وقال ابن السكيت : (٨) : الرِّزْقُ بلغة أُرْدَ شنوءة : الشُّكْر وهو قوله عز وجل (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْتَبُونَ) أَي شُكْرَكُمْ التَّكْذِيبَ ويقول : رَزَقْنِي أَي شُكْرْنِي)) (٩).

(١) النحل / ٥٩ . (٢) "تفسير القرطبي" ١١٧/١٠ .

(٣) هو عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، النحوي البصري، وله اختيار في القراءات على قياس العربية، وهو مؤلف "الجامع والاكمال" وتوفي سنة ١٤٩هـ (انظر "غاية النهاية" ٦١٣/١ الترجمة ٢٤٩٨) .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، عالم بالعربية من أهل البصرة، وله من كتب "النوادر في اللغة" ومختصر في النحو" وتوفي سنة ٢٠٢هـ (انظر "غاية النهاية" ٣٧٥/٢ ، الترجمة ٣٨٦٠) .

(٥) الكريهة : الشدة في الحرب (مختار الصحاح كره) والشاهد في قوله "هَوْنُ النَّفْسِ" أي مَشَقَّتْهَا .

(٦) البقرة / ٣ . (٧) "تفسير القرطبي" ١٧٨/١ .

(٨) هو يعقوب بن اسحاق بن السكيت، أبو يوسف البغدادي، كان عالما بنحو الكوفيين واللغة والشعر، وتوفي سنة ٢٤٤هـ (انظر "بغية الوعاة" ٣٤٩/٢ ، الترجمة ٢١٥٩) .

(٩) الواقعة / ٨٢ .

- موقف القرطبي من المعرب * في القرآن:

تقدم ان العلماء اختلفوا في معنى الحديث الصحيح " ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف"، وتنقسم آراؤهم الى أربعة مذاهب، والمذهب الرابع قال: ان القرآن أنزل بلسان العرب، وبعض السنن الامم المجاورة الأخرى، كالفرس والروم والحبشة وغيرها.

واعلم ان للعلماء اقوالا في وقوع الفاظ غير عربية في القرآن الكريم، فقوم ذهبوا الى أن ذلك لم يقع^(١)، بدليل قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)^(٢) وقوله تعالى (ولو جعلناه قرآنًا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي)^(٣)؛ وأما الالفاظ التي قيل بأنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك انما ذلك من توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة والانباط بلفظ واحد^(٤)، وهذا مذهب الامام الشافعي وابن جرير الطبري وأبي عبيدة^(٥).

والقول الثاني: أنه وقع في القرآن ما ليس من لسان العرب^(٦) وهذا قول ابن عباس

* عرف السيوطي المعرب "بقوله" هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها (انظر المزهر ٢٦٨/١) والسيوطي ممن يؤيد وقوع المعرب في القرآن انظر القول الثاني من أقوال العلماء في هذه المسألة الاتي ذكرها.

(١) انظر "البرهان" ٢٨٢/١ و"الاتقان" ١٠٥/٢ .

(٢) يوسف ٢/ . (٣) فصلت ٤٤/ .

(٤) قال به الطبري: نقله السيوطي في "الاتقان" (انظر "الاتقان" ١٠٥/٢ بتصرف) وقال الامام الشافعي بهذا المعنى (انظر الرسالة ص ٤٤-٤٥ تحقيق احمد محمد شاكر، دار التراث ، الطبعة الثانية ١٠٦/٢ .

(٥) انظر "البرهان" ٢٨٢/١ و"الاتقان" ١٠٥/٢ .

(٦) انظر "البرهان" ٢٨٨/١ والاتقان ١٠٦/٢ .

ومجاهد (١) وعكرمة (٢) وغيرهم (٣) وأجابوا عن احتجاج الفئة الأولى بقوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (٤) فقالوا: بَأَنَّ الكلمات اليسيرة بغير العربية لَا تُخرج عن كونه عربيا (٥)، وأقوى أدلة هذا المذهب - كما قال السيوطي - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مُيسرة التابعي قال: "فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ" وهذا المذهب اختيار السيوطي (٦).

والقول الثالث: تصديق القولين جميعاً، وهذا مذهب أبي عبيد القاسم بن سلام (٧)، وما هو ذا يشرح مذهبه ((وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قالها الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بالسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق)) (٨).

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين المتوفي سنة ١٠٣هـ (انظر "غاية النهاية" ٤١/٢ الترجمة ٢٦٥٩).

(٢) هو عكرمة بن عبدالله المدني، أبو عبدالله، مولى عبدالله بن عباس، وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها، وتوفي سنة ١٠٧هـ (انظر وفيات الأعيان ٢٦٥/٣-٢٦٦).

(٣) انظر "المصاحب" ص ٤٤ و"البرهان" ٢٨٨/١.

(٤) يوسف ٢/٢٠ (٥) انظر "الاتقان" ٢/١٠٦.

(٦) انظر "الاتقان" ٢/١٠٦.

(٧) هو القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني من كبار العلماء في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر وله التصانيف في تلك الفنون، وتوفي سنة ٢٢٤هـ (انظر "غاية النهاية" ١٧/٢-١٨).

(٨) نسب هذا القول إلى أبي عبيدة معمر بن مثنى في المصاحبي لابن فارس (انظر "المصاحبي" ص ٤٥) وعلق عليه محقق الكتاب "السيد أحمد مقرر" بقوله في الهامش رقمه (٨) في "المزمع" ٢٦٩/١، قال أبو عبيدة "وهو خطأ، ويفهم من هذا التعليق أن المفروض في

هذا وإن التأثر والتأثير بين الألسن أمر واقع يقرّه علماء "علم اللغة الحديث" (١) وتختلف كميّة ما تأخذه الألسنة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعوب ويحتاج لها من فَرَص الاحتكاك المادي والثقافي، وكلّما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر وكثرت فرص احتكاكهما: نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي (٢).

هذا الواقع الذي لحظه العلماء المحدثون قد نبّه إليه ابن عطية (ت ٥٠٥هـ) بكلّ وضوح، في مقدّمة تفسيره فذكر سبب وجود بعض الكلمات لها أصول غير العربية، ومنسهاج العرب في تعريب الألفاظ الأعجمية ووضح أيضاً توجيه معنى قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (٣) وقال (٤) ((فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ إنّها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربيّة بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارّات، وبرحطتي قريش وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشام وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الجيرة وصحبته لنصارها مع كونه حجة في اللغة، فعلمت العرب بهذا كلّها الفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف نقل العجمة، واستعملتها

== المتن ليس "أبو عبيدة"، كما ذكر في "المعرب" من (٥) حيث خطأ محققه: أحمد محمد شاكر نسبة القول إلى ابن عبيدة. كما ذكر في إحدى مخطوطات الكتاب. وقال تعليقا عليه ((في ب "أبو عبيدة" وهو خطأ: لأنّ الكلام الآتي كلام أبي عبيد القاسم بن سلام يردّ به على شيخه أبي عبيدة (انظر الهامش رقم (١) في كتاب "المعرب" من (٥)، وهذا هو الموافق لما ذكره الزركشي والسيوطي (انظر "البرهان" ٢٩٠/١ و"الاتقان" ١٠٨/٢).

- (١) انظر "اللغة" لفندريس من ٣٤٨ بتصريف.
- (٢) انظر نشأة اللغة عند الإنسان والطفل" من ١٢٢ ومابعدها.
- (٣) يوسف ٢/.
- (٤) انظر "المحرر الوجيز" ٥٨-٥٧/١ بتصريف. وذلك النص هو المنصوص في "مقدّمة تفسير القرطبي" ٦٨/١-٦٩).

في أشعارها ومُحاوراتها، حتى جَرَتْ مجرى العربي الصحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإنَّ جَهْلَهَا عربيٌّ ما فَكَّجَهِلِهِ الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى "فاطر" (إلى غير ذلك)).

وأما القرطبي نفسه فإنَّه من المؤيدين للقول الأوَّل الذي لا يقبل وجود الكلمات غير العربية في القرآن والحجَّة التي اعتمد عليها القرطبي هي أنَّ الكلمات إنَّ تَخاطبتْ بها العرب فإنَّها لسانهم ولا يقال إنَّها لغيرهم، ولكنَّه لا يَسْتَبْعِد وقوع اتِّفاق بين العرب وغيرهم في استعمال الكلمات للدلالة على معنى واحد (١).

هذا موقف القرطبي من المعرَّب في القرآن الذي صرَّح به في مقدِّمة تفسيره ونبَّه عليه في عدة مواضع في أثناء تفسيره للآي الكريمة (٢).
وانتُضح من بحث مسألة المعرَّب في تفسير القرطبي، أنَّ الألفاظ غير العربية الواردة في القرآن صنفان:

الصنف الأول:

أسماء أعلام أعجمية أو بعبارة القرطبي "أعلام لمن لسانه غير لسان العرب" كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط (٣). وهذه المجموعة ممَّا لا خِلاف بين الأئمة بوجودها في القرآن كما صرَّح به القرطبي (٤).

الصنف الثاني:

أسماء ليست أعلاماً، ونبَّه القرطبي: في بعض المواضع - على أنَّ هذه الأسماء لم تكن إلَّا ألفاظاً عربية، لأنَّه ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب، ولكنَّه تركَّ بعض مواضع أخرى من

(١) انظر موقف القرطبي من المعرَّب في القرآن في مقدمة تفسيره (التفسير ٦٨/١-٦٩).

(٢) اذكر ذلك في الامثلة اللاحقة .

(٣) "التفسير" ٦٨/١ .

(٤) "التفسير" ٦٨/١ .

غير تعلّيق ولا تنبيه^(١)، والأمثلة للأحوال الثلاث الماضية آتية: (٢)

- مثالان من أسماء الأعلام الأعجمية:

وَصَحَّ القُرْطُبِي فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ الْأَعْجَمِيَّةِ، فَذَكَرَ إِعْرَابَهَا مَعَ الْعَلَلِ الَّتِي بِسَبَبِهَا لَا تَتَصَرَّفُ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ، وَهِيَ التَّعْرِيفُ وَالْعَجْمَةُ، وَلَمْ يَعْتَرِضِ الْقُرْطُبِي عَلَى أَعْجَمِيَّةِ هَذِهِ الْأَعْلَامِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي إِعْرَابِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^(٣) حِينَ قَالَ (٤) ((قَوْلُهُ تَعَالَى (مُوسَى) مُوسَى اسْمٌ أَعْجَمِي لَا يَنْصَرَفُ لِلْعَجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ، وَالْقَبْطُ عَلَى - مَا يَرَوْنَ - يَقُولُونَ لِلْمَاءِ "مَوْ" وَلِلشَّجَرِ "شَا" . فَلَمَّا وَجَدَ "مُوسَى" فِي التَّابُوتِ عِنْدَ مَاءٍ وَشَجَرٍ سُمِّيَ (مُوسَى)))

وَمِثَالُ آخَرِ إِعْرَابِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ)^(٥) حِينَ قَالَ (٦) ((وإسرائيل اسم أعجمي، ولذلك لم ينصرف وهو في موضع خفض بالاضافة))

- مثالين من الألفاظ غير الأعلام، التي علّق عليها القرطبي بأنّها ألفاظ عربية.

ذَكَرَ الْقُرْطُبِي عِدَّةَ أَقْوَالٍ لِمَعْنَى "إِسْتَبْرَقَ" رَأَى أَحَدُهُمَا أَنَّ اللَّفْظَ مَعْرَبٌ مِنْ أَصْلِ فَارْسِيٍّ، فَردَّ عَلَيْهِ الْقُرْطُبِي وَبَيَّنَّ أَنَّ اللَّفْظَ عَرَبِيٌّ، لِأَنَّهُ فِي رَأْيِهِ لَا يَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ تَوَارِدُ اللَّفْظَيْنِ، وَذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَلْبِسُونَ شِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)^(٧) حِينَ قَالَ (٨) ((وَالِإِسْتَبْرَقُ: مَا نَحْنُ فِيهِ - عَنْ عَكْرَمَةَ - وَهُوَ الْحَرِيرُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) أَذْكَرُ ذَلِكَ فِي الْأَمْثَلَةِ الْلَاخِقَةِ .

(٢) الْحَالَةُ الْأُولَى: ذَكَرَ الْأَسْمَاءُ الْأَعْلَامَ الَّتِي لِاخْتِلَافٍ بَيْنَ الْأَثْمَةِ فِي أَعْجَمِيَّتِهَا وَالثَّانِيَّةِ:

الْأَلْفَاظُ غَيْرُ الْأَعْلَامِ الَّتِي نَبّهَ رَأْيُهَا الْقُرْطُبِي بِأَنَّهَا أَلْفَاظٌ عَرَبِيَّةٌ وَالثَّالِثَةُ: الْأَلْفَاظُ غَيْرُ

الْأَعْلَامِ وَلَمْ يَعْطِقْ عَلَيْهَا الْقُرْطُبِي.

(٤) التفسير ٣٩٥/١ .

(٣) البقرة ٥١/ .

(٦) "التفسير" ٣٣١/١ .

(٥) البقرة ٤٠/ .

(٨) "تفسير القرطبي" ٣٩٧/١٠ .

(٧) الكهف / ٣١ .

تَرَاهُمْ يَلْبِسُ الْمَشَاعِرَ مَرَّةً وَإِسْتَبْرَقُ الدِّيَاجَ طَوْرًا لِبَاسَهَا (١).

والاستبرق الدياج : ابن بحر: المنسوج بالذهب، القُتبي، فارسي مغرب، الجوهرى: وتصغيره أُبْرِق. وقيل هو استفعل من البريق. والصحيح أنه وفاق بين اللغتين؛ إذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب، على ما تقدم والله أعلم).

ومن هذا النوع بيانه لقوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ) (٢) حين قال (٣) ((وليس في قوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ) (٤) ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربياً، كما لا يدل في قوله (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) (٥) بل هو تعظيم لأمر سجين. وقد مضى في مقدمة الكتاب. والحمد لله - أنه ليس في القرآن غير عربي)).

- مثالان من الألفاظ غير الأعلام، التي لم يعلّق عليها القرطبي.

أول المثالين، بيانه لقوله تعالى (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (٦) حين قال (٧) (والقسطاس (بضم القاف وكسرهما) الميزان بلغة الروم : قاله ابن عزيز. وقال الزجاج: القسطاس الميزان صغيراً كان أو كبيراً. وقال مجاهد: القسطاس العدل: وكان يقول هي لغة رومية وكان الناس قيل لهم زنوا بمعدلة في وزنكم)).

والمثال الثاني بيانه لقوله تعالى (فَلَمَّا قُضِيَ الْمَوْتُ مَا دَكَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) (٨) حين قال (٩)، ((وذلك أنه كان متكئاً على المنسأة وهي العصا بلسان الحبشة في قول السدّي، وقيل هي بلغة اليمن، ذكره القشيري)).

(١) البيت للمرقش (انظر "البحر المحيط" ٩٤/٦، وقال كيلي العمري: ولا أعلم من هو المرقش المقصود الأصغر أو الأكبر، انظر "الشعر الجاهلي في تفسير القرطبي"، رسالة ماجستير بكلية الآداب - الجامعة الأردنية، مخطوط ص ٤٨٨).

(٢) المطففين/ ٨ (٣) "التفسير" ٢٥٨/١٩.

(٤) المطففين/ ٨ (٥) القارعة ١-٣.

(٦) الاسراء/ ٣٥ (٧) "تفسير القرطبي" ٢٥٧/١٠.

(٨) سبأ/ ١٤ (٩) "تفسير القرطبي" ٢٧٨/١٤.

المبحث الرابع: مسائل النحو وأثرها في المعنى

نتناول في هذا البحث مسألتين: الأولى: معالجة القرطبي لظاهرة شنائي التفسير، يقال: هذا تفسير المعنى وذلك تفسير الإعراب، والثانية: الكشف عن مدى أثر النحو في اختيار القرطبي بين التأويلات الممكنة للنصوص القرآنية، وتفصيلهما كما يلي:

المسألة الأولى: معالجة القرطبي لظاهرة شنائي التفسير (تفسير المعنى وتفسير الإعراب)

كانت التفاسير إلى نهاية القرن الأول للهجرة تعتمد على الأحاديث المأثورة فحسب، ولم يكن النحو مصدراً يتكأ عليه في تحليل ألفاظ القرآن إلا في أوائل القرن الثاني، إذ أصبح النحو عندئذ مادة ضرورية لتفسير القرآن، كما سبق بيان ذلك في المدخل. وظهر شنائي التفسير على أثر توظيف النحو في تحليل ألفاظ القرآن، فيقال هذا تفسير المعنى وذلك تفسير الإعراب، والفرق بينهما، كما قال الزركشي: ((أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية وتفسير المعنى لا تضربه مخالفة ذلك^(١))). وتنبه العلماء إلى هذه الظاهرة^(٢)، فوضعوا أسساً لمعالجتها، وأرادوا بهذه الأسس التقريب بين التفسيرين، حتى لا تكون هناك فجوة بينهما.

- (١) انظر "البرهان" ٣٠٤/١؛ ومما ورد في تفسير القرطبي من هذه الظاهرة قوله في قوله تعالى (لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ^(١)) ((قوله تعالى "فكفارته" الضمير على الصناعة النحوية عائداً على "ما" ويحتمل في هذا الموضع أن يكون بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون مصرية، أو يعود على "ائم الجنت" وإن لم يجر له ذكر صريح ولكن المعنى يقتضيه)). (انظر تفسير القرطبي "٢٢٨/٦/المائدة ٨٩).
- (٢) فوضع ابن جني ثلاثة أبواب تعالج هذه الظاهرة هي: "باب الفرق بين تفسير الإعراب وتفسير المعنى" ("الخصائص" ٢٢٩/١-٢٨٤) و"باب في تجاذب المعاني والإعراب" ("الخصائص" ٢٥٥/٣-٢٦٠) و"باب في التفسير على المعنى دون اللفظ" ===

ونذكر هنا هذه الأسس ونأتي بالأمثلة من تفسير القرطبي لنُبرهن مدى اعتناء القرطبي

بهذه الظاهرة، وحرصه على القيام بمعالجتها:

أولاً: لا ينبغي أن يراعى ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعى المعنى؛ لأن إعراب القرآن قد يتوقف عند معنى ما يريد أن يعربه مفرداً كان أو مركباً^(١)، ومثال الصنف الأول في تفسير القرطبي ما يلي:

إنَّ بعض وجوه الإعراب للفظ "شهر" من قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)^(٢) يتوقف عند معنى "الصَّيَام" التي في الآية قبلها، والآية هي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)^(٣)، وقال القرطبي عن هذا الإعراب ((قرأ جمهور الناس "شهر" بالرفع على أنه خبر ابتداء مضمرة؛ أي ذلكم شهر، أو المفترض عليكم صيامه شهر رمضان، أو الصوم أو الأيام، وقيل: ارتفع على أنه مفعول لم يسم فاعله بـ "كتب" أي كتب عليكم شهر رمضان، و"رمضان" لا ينصرف؛ لأنَّ النون فيه زائدة، ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء، وخبره "الذي أنزل فيه القرآن"، وقيل: خبره "افمن شهد" و"الذي أنزل" نعت له، وقيل: ارتفع على البديل من الصيام.

فمن قال: إنَّ الصيام في قوله "كتب عليكم الصيام" هي ثلاثة أيام وعاشوراء قال هنا الابتداء، ومن قال: إنَّ الصيام هناك رمضان قال هنا بالابتداء أو البديل من الصيام أي كتب عليكم شهر رمضان^(٤))).

= ("الخصائص" ٢٦٠/٣-٢٦٤)؛ وذكر ابن هشام مسألتين إذا تمسك بهما المَعْرِبُ قد يخطئ في تفسيره للقرآن: هما أنَّ يراعى ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعى المعنى ("مغنى اللبيب" ص ٦٨٤) و"أن يراعى المَعْرِبُ معنى صحيحاً ولا ينظر في صحة الصناعة" ("مغنى اللبيب" ص ٦٩٨)؛ وقام بمثل ذلك الزركشي (انظر "البرهان" ٣٠١/١ وما بعدها) وكذلك السيوطي (انظر "الاتقان" ٢٦٠/٢ وما بعدها).

(١) انظر مفهوم هذه القاعدة في "الخصائص" ٢٨٤/١، و"مغنى اللبيب" ص ٦٨٤، و"البرهان

في علوم القرآن" ٣٠٢/١ و"الاتقان في علوم القرآن" ٢٦٠/٢.

(٢) البقرة ١٨٥، (٣) البقرة ١٨٢، (٤) "تفسير القرآن" ٢٩٦/٢.

اتَّضَحَ من هذا المثال حرص القرطبي على تبين معنى "الصيام"، وعلاقته بوجه الإعراب للفظ "شهر"؛ لأنَّ إعراب هذا اللفظ يتوقف عند معنى الصيام.

ومثال آخر، تتوقف وجوه إعراب "جَنَاتِ عَدْنٍ" من قوله تعالى (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)^(١)، على معنى "دار المتقين"؛ فإذا كان المقصود بـ "دار المتقين" الدنيا، كان إعراب "جَنَاتِ عَدْنٍ" رفع بالابتداء وخبره "يدخلونها"، وينقطع عن المعنى الأول، وإذا كان المقصود بها "الآخرة" فهناك عدة احتمالات لإعراب "جَنَاتِ عَدْنٍ"؛ منها أن يكون ارتفاعها على البدل، فهي تفيد بيان^(٢) معنى "دار المتقين" فهما متملتان من حيث المعنى، ومنها: أن يكون ارتفاعها على تقدير "هي جَنَاتُ"، ومنها: أن يكون على الابتداء التقدير: "جَنَاتِ عَدْنٍ نِعَمَ دَارِ الْمُتَّقِينَ" على التقديم والتأخير، وفي ذلك قال القرطبي^(٣) ((ولنعلم دار المتقين^(٤)) فيه وجهان، قال الحسن: المعنى ولنعم دار المتقين الدنيا؛ لأنَّهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخلوا الجنة، وقيل: المعنى ولنعم دار المتقين الآخرة؛ وهذا قول الجمهور، وعلى هذا تكون "جَنَاتِ عَدْنٍ" بدلا من الدار، فلذلك ارتفع، وقيل: ارتفع على تقدير "هي جَنَاتُ"، فهي مبيَّنة لقوله "دار المتقين"، أو تكون مرفوعة بالابتداء، التقدير: جَنَاتِ عَدْنٍ نِعَمَ دَارِ الْمُتَّقِينَ (يدخلونها) في موضع الصفة أي مدخولة، وقيل: "جَنَاتِ" رفع بالابتداء وخبره "يدخلونها" وعليه يخرج قول الحسن)).

فقد بيَّن القرطبي في هذا المثال معنى "دار المتقين" وأثره في توجيه إعراب "جَنَاتِ عَدْنٍ" ولم يوضِّح لنا الإعراب المرجَّح.

ومثال الصنف الثاني، أي ما كان الإعراب فيه يتوقف على فهم معنى التركيب، كما يلي:

أنَّ ما يتبادر إلى الذهن في إعراب قوله تعالى (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلِلُنَّ رَوَاقِدَ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوقِنُ رِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ)^(٥)، أن قوله (ويعف) معطوف على (يشأ) وهذا لا يحسن لفساد المعنى، وقال القرطبي^(٦) ((قال

(١) النحل ٣٠/٣١.

(٢) قال الزركشي ((والقصد به - أي البدل - الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان

والتأكيد)) ("البرهان" ٤٥٣/٢). (٣) "تفسير القرطبي" ١٠١/١٠.

(٤) النحل ٣٠/٣١، (٥) الشورى ٣٤/٣٤، (٦) "تفسير القرطبي" ٣٣/١٦.

القشيري: والقراءة الفاشية و"يعف" بالجزم، وفيها إشكال؛ لأن المعنى: إن يشأ يسكن الرّيح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها، فلا يحسن عطف "يعف" على هذا؛ لأنه يصير المعنى: إن يشأ يعف، وليس معنى ذلك بل المعنى: الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة، فهو إذاً عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى)).

واتضح من هذا المثال أن القرطبي تمسك بعروة المعنى، وصحّ تقدير الإعراب، حتى يكون المعنى صحيحاً، وليس بين تفسير المعنى وتقدير الإعراب فجوة. وكان القرطبي يستعين في ذلك التفسير بقول القشيري.

ومثال آخر، أن المتبادر إلى الذهن في إعراب قوله تعالى (وَمَا كَانَ لَبِشْرٌ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ^(١)) أن قوله "أو يرسل" معطوف على "أن يكلمه"، وهذا لا يجوز لفساد المعنى، وقال القرطبي^(٢) ((وقرأ الزمخري وشيبة ونافع "أو يرسل رسولاً فيوحي" برفع الفعل، الباقون بنصبهما، فالرفع على الاستئناف؛ أي وهو يرسل، ومن نصب عطفوه على محلّ الوحي؛ لأنّ معناه "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى أو يرسل" ويجوز أن يكون النصب على تقدير حذف الجار من "أن" المضمر، ويكون في موضع الحال؛ التقدير: أو بأن يرسل رسولاً، ولا يجوز أن يعطف "أن يرسل" بالنصب على "أن يكلمه" لفساد المعنى؛ لأنّه يصير: "ما كان لبشر أن يرسله أو أن يرسل إليه رسولاً، وهو قد أرسل الرسل من البشر وأرسل إليهم)).

ومثال ثالث، أن ما يتبادر إلى الذهن من حيث الصناعة النحوية أن "من قبلهم" في قوله تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٣)) متعلق بـ"الإيمان"؛ لأنّه أقرب مذكور، ولكن ذلك لا يحسن لفساد المعنى؛ لأنّ الإيمان ليس بمكان "يتبوا" وقال القرطبي^(٤) ((من قبلهم) من صلة تبوا والمعنى، والذين تبوءوا الدارَ من قبل المهاجرين واعتقدوا الإيمان واظموا؛ لأنّ الإيمان ليس بمكان يتبوا؛ كقوله تعالى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ^(٥)) أي وادعوا شركاءكم، ذكره أبو علي والزمخشري وغيرهما، ويكون من باب قوله: عَلَفْتُهَا تَبَشَّنَا

(٢) "تفسير القرطبي" ٥٣/١٦ .

(١) الشورى ٥١/ .

(٣) الحشر ٩/ . (٤) "تفسير القرطبي" ٢٠/١٨ . (٥) يونس ٧١/ .

وماءً بارداً)). تبيّن من هذا المثال حرص القرطبي على أن يكون تفسير الإعراب موافقا لمعنى التركيب.

ومثال رابع، ان المَعْرَب لقوله تعالى (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)^(١) أن يقول في اللحظة الأولى أن قوله (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) جزاء لأن ذلك ما يتبادر إلى الذهن، ولكن ذلك لا يجوز لفساد المعنى، ونبتة القرطبي على هذا، وأتى بتقدير الإعراب الموافق لتفسير المعنى، إذ قال^(٢) ((ان تتوبا إلى الله يعني حفصة وعائشة، حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)^(٣) اي زاغت ومالت عن الحق، وهو أنهما أحبتا ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل، وكان عليه الصلاة والسلام يحب العسل والنساء... وليس قوله "فقد صغت قلوبكما" جزاء للشرط؛ لأن هذا الصغو كان سابقا، فجواب الشرط محذوف للعلم به، اي: إن تتوبا كان خيرا لكما؛ إذ قد صغت قلوبكما)).

ويعدّ من هذا الصنف ما يشمله العنوان الآتي:

- ما يمنع التقدير النحوي من الاعتقادات الحينية:

اختلف النحاة في عامل الظرف والمجرور الواقعين خبرا، فذهب جمهور البصريين إلى أنه كون مقتر، ويجوز عندهم أن يكون المقدر فعلا أو اسم فاعل، فتقدير مثل: زيد في الدار، زيد كان أو استقرّ أو كائن أو مستقرّ في الدار. وإتّما اختلفوا في أيّهما أولى، فرجّح قوم منهم ابن مالك تقدير اسم فاعل، ورجّح ابن الحاجب تبعاً للزمخشري وأبي علي الفارسي تقدير فعل^(٤).

وهذا التقدير النحوي لا يستساغ تطبيقه في مثل قوله تعالى (وَهُوَ اللَّطِيفُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)^(٥)؛ لأن الاستقرار بالمكان لا يليق بالله تعالى لأنّه منزّه عن الحركة والانتقال وشغل المكان، فلا بد إذاً من إيجاد تأويل آخر، كما أورده القرطبي في تفسيره حين قال^(٦) ((قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)^(٧)،

(١) التحريم ٤/ (٢) "تفسير القرطبي" ١٨٨/١٨ بتصرف. (٣) التحريم ٤/

(٤) انظر "معجم الهوامع" ٢١١/٢-٢٢ بتصرف. (٥) الانعام ٣/

(٦) "تفسير القرطبي" ٣٩٠/٦ (٧) الانعام ٣/

يقال: ما عامل الاعراب في الظرف من "في السموات وفي الأرض؟" ففيه أجوبة: أحدها - أي وهو الله المعظم أو المعبود في السموات وفي الأرض؛ كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب أي حكمه. ويجوز أن يكون المعنى وهو الله المنفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض؛ كما تقول: هو في حاجات الناس وفي الصلاة، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر ويكون المعنى: وهو الله في السموات وهو الله في الأرض. وقيل المعنى: المعنى وهو الله يعلم سرّكم وجهركم في السموات وفي الأرض فلا يخفى عليه شيء. قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل فيه. وقال: محمد بن جرير: وهو الله في السموات ويعلم سرّكم وجهركم في الأرض، فيعلم مقدّم في الوجهين، والأول أسلم وأبعد من الإشكال، وقيل غير هذا. والقاعدة تنزيهه - جلّ شأنه - عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة)).

فكان للعقيدة أثر في منع التقدير النحوي في حالة من الأحوال الإعرابية، وكان معنى النص الموافق للمبادئ الإسلامية هو المعوّل عليه، والتقدير النحوي تابع له. ومثل ذلك، أن تقدير الاعراب المتبادر في قوله تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ^(١)) هو أن "أعلم" يعمل في "حيث" على أنه ظرف مكان^(٢)، وأصبح المعنى "اللَّهُ أعلم في هذا الموضع". هذا المعنى فاسد؛ لأنّ الله جلّ شأنه لا يكون في مكان أعلم منه في مكان، فلا بدّ من إيجاد تقدير آخر مناسب للمعنى المطلوب. وفي ذلك قال القرطبي^(٣) ((و"حيث" ليس ظرفا هنا، بل هو اسم نصب نصب المفعول به على الاتّساع، أي لله أعلم أَمَلُ الرسالة. وكان الأصل: الله أعلم بمواضع رسالته، ثم حذف الحرف، ولا يجوز أن يعمل "أعلم" في حيث ويكون ظرفا؛ لأنّ المعنى يكون على ذلك: الله أعلم في هذا الموضع، وذلك لا يجوز أن يوصف به الباري تعالى، وإنما موضعها نصب بفعل مضمّر دلّ عليه "أعلم"

(١) الانعام ١٢٤/٠

(٢) قال ابن هشام: حيث ظرف مكان وقد ترد للزمان، والغالب كونها في محلّ نصب على الظرفية أو خفض بمن، وقد تخفض بغيرها، وقد تقع حيث مفعولا به وفاقا علي الفارس، وجعلت الآية المذكورة من هذا القبيل ("مغنى اللبيب" ص ١٧٦ بتصرف).^{لأبي}

(٣) "تفسير القرطبي" ٨٠/٧

وهي اسم كما ذكرنا)).

إن الأمثلة السابقة أعطت لنا صورة واضحة على أن فهم معنى ما يريد أن يعربه المُعرب مفردا كان أو مركبا أمر ضروري، وأن عدم الاكتراث له قد يؤدي إلى فساد المعنى.

وهذه الصورة تدلّ دلالة واضحة على أن القرآن ليس مجرد نصوص لغوية ولكنّه نصوص مرتبطة بأمور دينية وعقائدية ومتعلقة بتاريخ الإسلام.

وتبيّن مما مضى حرص القرطبي على بيان ارتباط تفسير الإعراب بمعنى ما يريد أن يعربه من النصوص القرآنية مفردا كان أو مركبا. حتى يصحّ المعنى ولا تكون هناك فجوة بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب.

هذا وجعل الزركشي وتبعه السيوطي ارتباط الإعراب بمعنى النصوص، واعتماد الأول على الثاني، أساسا لقاعدة مفادها أن الإعراب فرع المعنى (١).

ثانيا: لا ينبغي للمُعرب أن يراعي معنى صحيحا ولا ينظر في صحته في الصناعة؛ لأن المُعرب إذا لم يتجنّب ذلك قد يخطئ في تفسير الإعراب (٢).

هذه قاعدة ثانية وضعها العلماء لتفادي الابتعاد بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب. ويظهر اعتناء القرطبي بهذه القاعدة بشكل واضح، إذ بيّن في عدة أماكن وجود الإعراب التي لا تصحّ عند الصناعة النحوية، حرما على ألا يخطئ في تفسير الإعراب، فضلا عن تحرّيه لصحة تفسير المعنى، ونورد هنا ما يؤيد ذلك.

فمن ذلك قوله في قوله تعالى (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا) (٣) (أي في التوحيد والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو مكتوب في الإنجيل (فَنَسُوا حَظًّا) وهو الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام. ومعنى "أخذنا ميثاقهم" هو كقولك: أخذت من زيد ثوبه ودرهمه؛ قال الأخفش ورتبة "الذين" أن تكون بعد "أخذنا" وقبل

(١) انظر "البرهان" ٣٠٢/١ و"الاتقان" ٢٦٠/٢.

(٢) انظر مفهوم هذه القاعدة في "معنى اللبيب" ص ٦٩٨، و"البرهان" ٣٠٦/١ و"الاتقان" ٢٦١/٢.

(٣) المائدة ١٤.

الميثاق؛ فيكون التقدير: "أخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم"؛ لأنه في موضع المفعول الثاني لأخذنا، وتقديره عند الكوفيين: ومن الذين قالوا إنا نصارى من أخذنا ميثاقهم؛ فالهاء والميم تعودان على "من" المحذوفة، وعلى القول الأول تعودان على "الذين". ولا يجوز النحويون أخذنا ميثاقهم من الذين قالوا إنا نصارى. ولا أَلَيْنَهَا لِبَسْتُ من الثياب؛ لئلا يتقدم مضمّر على ظاهر^(١).

فقد فسّر القرطبي معنى الآية في هذا المثال، ووضح لنا تفسيريّن للإعراب، أحدهما عند الكوفيين، ثم بيّن تفسير الإعراب الذي لا يجوز عند الصناعة النحوية، لما فيه من تقدم مضمّر على ظاهر لفظاً ورتبة^(٢).

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ^(٣)) إِذْ قَالَ (٤) ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)) يعني القرآن "بالحق" أي بالصدق، وقيل بالحجة الغالبة. والقرآن نَزَّلَ نجومًا: شيئًا بعد شيء؛ فلذلك قال "نَزَّلَ" والتنزِيل مَرَّةً بعد مَرَّةً، والتوراة والإنجيل نَزَّلَا دفعة واحدة؛ فلذلك قال "أُنْزِلَ"، والباء في قوله "بالحق" في موضع الحال من الكتاب والباء متعلقة بمحذوف، التقدير أتيا بالحق. ولا تتعلق بـ"نَزَّلَ"، لأنه قد تعدّى إلى مفعولين أحدهما بحرف جرّ ولا يتعدّى إلى ثالث^(٥).

ففي هذا المثال بيّن القرطبي معنى النص، وأتى بتفسير الإعراب الصحيح، ورفع احتمال تفسير الإعراب الآخر؛ لأنه لا يصحّ في الصناعة النحوية. ومن هذا الصنف قوله في قوله تعالى (أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ^(٥)) (ابتداء وخبر في موضع

(١) "تفسير القرطبي" ١١٢/٦ .

(٢) أي تقدّم مضمّر على ظاهر لفظاً؛ لوقوع "الذين" بعد الضمير في "ميثاقهم" من حيث التركيب، وتقدم عليه رتبة، لأنّ الذين في موضع المفعول الثاني لأخذنا. وهذا لا يجوز عند الصناعة النحوية، إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة (انظر "البرهان" ٤١/٤).

(٣) آل عمران ٣/ .

(٤) "تفسير القرطبي" ٥/٤ .

(٥) آل عمران ٤٤/ .

نصب بالفعل المضمر الذي دلّ عليه الكلام؛ التقدير: ينظرون أَيْتَهُمْ يكفل مريم، ولا يعمل الفعل في لفظ "أي" لأنها استفهام^(١)،

لقد رفع القرطبي احتمال تفسير الإعراب الذي لا تجيزه الصناعة النحوية، وذلك الاحتمال أن يعمل الفعل - أي لفظ "يكفل" - في لفظ "أي" لأنها استفهام فلها صدارة الكلام.

ومن ذلك، تفسيره لقوله تعالى (فَمَثَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)^(٢) إذ قال^(٣) ((و"أجرا" نصب بـ"فمثل" وإن شئت كان مصدرا وهو أحسن، ولا ينتصب بـ"فمثل" لأنه قد استوفى مفعوليه وهما قوله "المجاهدين" و"على القاعدين")، فقد جاء القرطبي بالإعرابين الجائزين ولم يجوز الإعراب الثالث؛ لأنه ليس له ما يجوزّه في الصناعة النحوية.

ومنه قوله في قوله تعالى (فَأَقْصَى مَا أَنْتَ قَاصٍ)^(٤) (التقدير ما أنت قاصيه، وليست "ما" هنا التي تكون مع الفعل بمنزلة المصدر، لأن تلك توصل بالأفعال وهذه موصولة بابتداء وخبر^(٥))،

ميّز هنا القرطبي بين "ما" الموصولة و"ما" المصدرية، حتى يتبين الفرق بينهما. هذه الأمثلة توضّح لنا أن القرطبي تحرّى معنى النحو، فلم يكن يعتني بمعنى النصوص فحسب بل يهتم كذلك بتقدير الإعراب، حتى لا يتجاوز حدود الصناعة النحوية الصحيحة.

فهذه القاعدة تهدف إلى الاهتمام بالتفسير الإعرابي، حتى لا يبتعد عن التفسير المعنوي، فهي مكّلة للقاعدة الأولى التي أعطت لمعنى النص مفردا كان أو مركبا أساسا في توجيه الإعراب.

(٢) النساء ٩٦/٠

(٤) طه ٧٢/٠

(١) "تفسير القرطبي" ٨٦/٤

(٣) "تفسير القرطبي" ٣٤٤/٥

(٥) "تفسير القرطبي" ٢٢٥/١١

والاعتماد على القاعدتين والتمسك بهما في تفسير القرآن يؤدي إلى التقرب بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب، لأن الغاية العليا في التفسير أن يكون تفسير الإعراب على سَمَت تفسير المعنى (١).

هذه، وأما إذا كان المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنعه فعلى أيهما نعتد؟ هذه المسألة موضوع بحث القاعدة اللاحقة:

ثالثاً:

إذا تجانب المعنى والإعراب الشيء الواحد، فهذا يدعو إلى أمر وذاك يمنعك منه، فعليك أن تمسك بعروة المعنى وتصحح الإعراب (٢).

هذه القاعدة أعطت حكماً حاسماً عند تعارض المعنى والإعراب، فالمعول عليه والتمسك به حينئذ المعنى؛ لأن المعنى أصل والإعراب فرع، وعلى هذا الأساس سار القرطبي في تفسيره، ودليل ذلك ما يلي:

فسر القرطبي قوله تعالى (وَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرَاقٍ بِكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (٣) وقال (٤) ((و"إذا" في موضع نصب والعامل فيها

(١) قال ابن جني في هذا المصد ((ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سَمَت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه (الخصائص) ٢٨٤-٢٨٣/١

(٢) انظر مفهوم هذه القاعدة في "الخصائص" ٢٥٥/٣ وما بعدها، و"البرهان" ٣٠٩/١ و"الاتقان" ٢٦٩/٢ .

(٣) سبأ ٧/ .

(٤) "تفسير القرطبي" ٢٦٣/١٤ .

"مرّقتم" قال النحاس ولا يجوز أن يكون العامل فيها ما بعد "إن"، لأنه لا يعمل فيما قبله، وألا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها، وأجاز الزجاج أن يكون العامل فيها محذوفاً، التقدير: إذا مرّقتم كلّ ممزق بُعِثتم، أو يَنْبِئُكُمْ بأنكم تبعثون إذا مرّقتم. المهدي ولا يعمل فيه "مرّقتم" لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وأجازه بعضهم على أن يجعل "إذا" للمجازاة، فيعمل فيها حينئذ ما بعدها لأنّها غير مضافة إليه، وأكثر ما تقع "إذا" للمجازاة في الشعر)).

إن معنى الآية في هذا المثال يقتضي أن يعمل ما بعد "إن" في "إذا" والنحو يمنع منه، لأنّ ما بعد "إن" لا يعمل فيما قبلها، فالطريقة في هذه الحالة هي التمسك بعروّة المعنى، والبحث عن تخريج آخر مناسب للمعنى، وله وجه في العربية، فهو إمّا أن يعمل في "إذا" "مرّقتم"، وقد خطّاه المهدي، وإمّا أن يكون العامل محذوفاً، كما ذهب إليه الزجاج.

وقال القرطبي في قوله تعالى (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ^(١)) ((أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) أي الكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي (إنّ لكم فيه لَمَّا تَخِيرُونَ) تختارون وتشتبهون، والمعنى أنّ لكم (بالفتح) ولكنه كسر لدخول اللام: تقول علمت: أنّك عاقل (بالفتح) وعلمت: إنّك كعاقِل (بالكسر) فالعامل في "إنّ" لكم فيه لَمَّا تَخِيرُونَ "قد تدرسون" في المعنى، ومنعت اللام من فتح "إنّ"، وقيل: تمّ الكلام عند قوله "تدرسون" ثم ابتداء فقال: إنّ لكم فيه لَمَّا تَخِيرُونَ أي إنّ لكم في هذا الكتاب اذا ما تَخِيرُونَ أي ليس لكم ذلك، والكناية في "فيه" الأولى والثانية راجعة الى الكتاب^(٢))).

أتى القرطبي في هذا التفسير بتخريج غير نوع التخريج في المثال الاول، لأن القرطبي هنا جاء بقول ثانٍ لا صلة له بتجانب المعنى والإعراب، وهو أن يكون الكلام يتم عند قوله تعالى (تدرسون).

(١) القلم ٣٧-٣٨ .

(٢) "تفسير القرطبي" ١٨/٢٤٦ .

المسألة الثانية: الكشف عن مدى أثر النحو في اختيار القرطبي بين التاويلات الممكنة للنصوص القرآنية:

لقد بينا في المدخل أن تفسير القرطبي يعدّ من التفسير بالرأي الجائز، وذلك لأنّ القرطبي في تحليله لألفاظ القرآن استعان بالنحو واللغة وعلوم البلاغة فضلاً عن اعتماده على الأحاديث المأثورة.

وللتفسير بالرأي منهجه وطرقه، وأورد الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) قواعد لا بدّ من اتباعها لمن أراد أن يتمدّد لهذا العمل، حتى لا يخرج عن إطار التفسير بالرأي الجائز وهذه القواعد هي (١).

أولاً: أن يطلب المعنى من القرآن فإن لم يجده طلبه من السنة؛ لأنّها شارحة للقرآن فإن أعياه الطلب رجع إلى قول الصحابة فإنهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزوله.

ثانياً: إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة وجب عليه أن يجتهد وسعده متبعا ما يأتي:

١- البدء بما يتعلّق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ملاحظا المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن الكريم.

٢- إرداف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الاعراب والبلاغة على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

٣- تقديم المعنى الحقيقي على المجازي بحيث لا يمار إلى المجاز إلا اذا تعذرت الحقيقة.

٤- ملاحظة سبب النزول فإنّ لسبب النزول مدخلا كبيرا في بيان المعنى المراد.

٥- مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة وبين الآيات بعضها وبعض.

٦- مراعاة المقصود من سياق الكلام.

٧- مطابقة التفسير للمفسّر من غير نقص ولا زيادة.

(١) انظر "مناهل العرفان في علوم القرآن" ٥٢٧/٢-٥٢٨ بتصرف.

- ٨- مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون وسنن الاجتماع وتاريخ البشر العام.
وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.
- ٩- مطابقة التفسير لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسيرته؛ لأنّ صلي الله عليه وسلم هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشأئله وتقريراته.
- ١٠- ختام الأمر ببيان المعنى المراد والأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشرعية والعلوم الكونية.

على ضوء هذا المنهج وجدنا في تفسير القرطبي عدّة تفسيرات أو تأويلات لنص واحد. وهذا التعدد له أسباب بعضها تتعلق بالنحو واللغة والآخر لا تتعلق بهما. وقام القرطبي بالترجيح بين التأويلات في بعض مواضع ولم يقم بذلك في مواضع أخرى، حيث ترك التأويلات دون الترجيح، وبيان هاتين الحالتين كالآتي:

الحالة الأولى:

- تعدد التفسيرات أو التأويلات لأسباب تتعلق بالنحو واللغة من غير الترجيح بينها.
- ١- أن لكل حالة إعرابية معنى ليس في حالة إعرابية أخرى، فالمصطلحات الإعرابية في الأساس وُضعت للتمييز بين المعاني في التركيب. فمصطلح المفعول له، وضع لبيان علّة وقوع الفعل^(١)، و"الحال" مصطلح عليها في وصف هيئة الفاعل أو المفعول^(٢) والتمييز مصطلح عليه في رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد محتملاته^(٣)، ويبدو - على هذا الأساس - قال السيوطي^(٤) "الإعراب يميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين".

(١) انظر " شرح المفصل " ٥٢/٢ .

(٢) المصدر السابق ٥٢/٢ . (٣) المصدر السابق ٧٠/٢

(٤) الاتقان في علوم القرآن ٢٦٠/٢ .

ومن أجل ذلك فإن حق أي تغيير في الأحوال الاعرابية له أثر في تغيير المعنى وظاهرة تعدد التأويلات من أثر تعدد الاعراب واضحة في تفسير القرطبي ولكن القرطبي في الأغلب لم يوسع في توضيح التأويلات بل في بعض الأحيان اكتفى بذكر الأعراب المحتملة فحسب، ومن أمثلة ما ذكر فيه معاني التأويلات كالآتي:

ففي تفسيره لقوله تعالى (فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (١) ذكر احتمالين لإعراب قوله (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أحدهما: أن الجملة في موضع حال، فيكون المعنى متصلاً بما قبلها والثاني: على الاستئناف فليس لها محل من الاعراب وينقطع عما قبلها، ويتضح الفرق بين التأويلين من أن الوقف لا يتم على "الحجارة" في التأويل الأول، ويتم الوقف عليها في التأويل الثاني. قال القرطبي في ذلك ((وَأُعِدَّتْ) يجوز أن يكون حالاً للنار على معنى مَعْدَةٌ، وَأُضْمِرَتْ مَعَهُ "قَدْ" كما قال (أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صَدُورُهُمْ). فمعناه قد حصر صدورهم فمع "قَدْ" مضرة، لأن الماضي لا يكون حالاً إلا مع قد (٢). فعلى هذا لا يتم الوقف على الحجارة، ويجوز أن يكون كلاماً منقطعاً عما قبله كما قال (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأُكُمْ) (٣)).

فالتأويلان المختلفان لمعنى قوله (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) من أثر احتمال الآية للأعرابين. ومن ذلك نفسه لقوله تعالى (إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٤) حيث قال (٥) (إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ) جواب القسم. قال مقاتل: وذلك أن الكفار بمكة قالوا: اجعل الإلهة إلهاً واحداً، وكيف يسع هذا الخلق فرد الله فأقسم الله بهؤلاء تشريفاً، ونزلت الآية قال ابن الأنباري: وهو وقف حسن ثم تبتديء (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على معنى هو رب السموات،

(١) سورة البقرة / ٢٤.

(٢) هذا مذهب ابن عصفور وغيره وذهب أبو حيان إلى جواز وقوع الماضي حالاً بدون "قد" ولا يحتاج لتقديرها لكثرة ورود ذلك (انظر مع الهوامع ٤٩/٤).

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٢٣٢.

(٤) الصافات ٤-٥.

(٥) تفسير القرطبي ١٥/ ٦٢.

النحاس: ويجوز أن يكون ربّ السموات والارض " خبرا بعد خبر" ويجوز أن يكون بدلا من واحد " .

فقوله "رب السموات والأرض " يحتمل ثلاثة أعراب ، أولا أن يكون على الاستئناف والمعنى ينقطع عما قبله ، والتقدير: هو رب السموات والأرض . وثانيا أن يكون خبرا ثانيا، وثالثا: أن يكون بدلا. وعلى هذين الإعرابين، يتّصل معنى الآية بما قبلها، لأنّ الخبر هو وصف المبتدأ، ووضع لإفادته، وأما البديل فليبيان المبدل منه والتأكيد له . وإن كان قبله غريبا عنه (١) كما في هذه الآية ونظيره قوله تعالى (وَإِنَّا لَنَهْدِيهِ إِلَى مِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِرَاطِ اللَّهِ) (٢)، إذ لو لم يذكر "الصراط" الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله . فكان تعدّد التأويلات من أثر تعدد الاحتمالات الإعرابية .

ومنه قوله في قوله تعالى (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) (٣) ((اي يتأولونه على غير تأويله بعد أن فهموه عنك وعرفوا مواضعه التي أرادها الله عزّ وجلّ وبين أحكامه: فقالوا شرعه ترك الرجم، وجعلهم بدل رجم المحصن جلد أربعين، تغييرا لحكم الله عز وجلّ، "ويحرفون" في موضع الصفة لقوله "سماعون" وليس بحال من الضمير الذي في "يأتوك" لأنّهم إذا لم يأتوا لم يسمعوا والتحريف إنما هو ممن يشهد ويسمع فيحرف)) (٤)،

فكان قوله (يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) يحتمل إعرابين أحدهما على الصفة والآخر على الحال من الضمير في "يأتوك" ونشأ من أثرهما التأويلان .
ورفع الإعراب المحتمل الثاني لفساد المعنى كما اتضح ذلك في المثال .

(١) انظر مسألة البديل وفائدته في المعنى في البرهان في علوم القرآن ٤٥٣/٢ وما بعدها .

(٢) الشورى ٥٢-٥٣ .

(٣) المائدة ٤١-٤٢ .

(٤) تفسير القرطبي ١٨١/٦ .

ومنه تفسيره لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلدِّينِ) (١) إذ قال (٢) «قوله تعالى (شهداء لله) نصب على النعت لـ "قَوَّامِينَ" وإن شئت كان خبراً بعد خبر». قال النحاس : وأجود من هذين أن يكون نصبا على الحال بما في "قَوَّامِينَ" من ذكر الذين آمنوا "لأنه يصير المعنى، أي كونوا قَوَّامِينَ بالعدل عند شهادتكم قال ابن عطية: والحال فيه ضعيفة في المعنى ، لأنها تخصيص القيلام بالقسط إلى معنى الشهادة فقط». إن لقوله "شهداء لله"، ثلاثة احتمالات إعرابية وأن يكون نعتاً أو خبراً ثانياً أو حالا من المضمير في "قَوَّامِينَ"، ومن أثر ذلك هناك ثلاثة تأويلات للآية ويستبعد التأويل الثالث لأن المعنى لا يصح.

ومنه تفسيره لقوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) (٣) إذ قال (٤) «تَطَهَّرَهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» حالين للخطاب: التقدير: خذها مطهراً لهم ومزكياً لهم بها، ويجوز أن يجعلها صفتين للصدقة: أي صدقة مطهرة لهم مركزية، ويكون فاعل "تزكيهم" المخاطب ويعود الضمير الذي في "بها" على الموصوف المنكر، وحكى النحاس ومكي أن "تطهرهم" من صفة الصدقة "وتزكيهم بها" حال من الضمير في "خذ" وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتل أن تكون حالا من الصدقة وذلك ضعيف لأنها حال من نكرة، وقال الزجاج: والأجود أن تكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أي فإنك تطهرهم وتزكيهم بها، على القطع والاستثناف، ويجوز الجزم على جواب الأمر، والمعنى: إن تأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها؛ ومنه قول امرئ القيس:

قِفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمُنْزِلٍ *

فهناك أربعة أعراب يحتملها لفظ قوله تعالى (تَطَهَّرَهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ)، الأول: أن تكون الجملتان حالين للمخاطب، والمعنى خذها مطهراً لهم ومزكياً لهم بها. والثاني: أن تكونا صفتين للصدقة، والمعنى خذ من أموالهم صدقة مطهرة لهم ومزكية. والثالث: أن تكون "تطهرهم" من صفة الصدقة، و"تزكيهم بها" حالا من الضمير في "خذ"

(٢) "تفسير القرطبي" ٤١٢/٥

(١) النساء ١٣٥/

(٤) "تفسير القرطبي" ٢٤٩/٨

(٣) التوبة ١٠٣/

وهو النبي صلى الله عليه وسلم؛ أو حالا من الصدقة، وهذا ضعيف لأنها حال من نكرة.
والرابع: أن تكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى فإنك تطهرهم وتركبهم بها،
على القطع والاستئناف.

ويكون معنى الآية في ثلاثة التأويلات المحتملة يتصل بما قبله، وينفصل المعنى بما
قبله في الاحتمال الرابع.

وأورد القرطبي إعراباً خامساً هو الجزم على جواب الأمر، والمعنى: إن تأخذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتركبهم.

وهذا الإعراب الأخير مما لا يحتمل لفظ الآية؛ لأنه لم ترد قراءة صحيحة بجزم
"تطهرهم" (١).

والإعراب الافتراضي كهذا وارد كثيراً في تفسير القرطبي، وفي معظم الأحيان ذكر أن
الإعراب ليس من القرآن، فيقال مثلاً: "يجوز في الكلام" (٢) و"يجوز في العربية" (٣) و"أجاز
الفراء في غير القراءة" (٤) و"يجوز في غير القرآن" (٥). وفي مواضع أخرى لم يذكر أن
الإعراب الجائز في غير القرآن كما في المثال السابق، وقد بينّا هذه المسألة في ذكرنا
لتوجيه إعراب القراءات القرآنية، في المبحث الأول من هذا الفصل.
ولكن مما ينبغي ذكره هنا أن هذه الظاهرة تعدّ من ظواهر أثر النحو في التفسير، ومما
يلي مثال الحاليتين:

فسر القرطبي قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) (٦) فذكر معنيين
لإعرابين مختلفين أحدهما تحتمله الآية والآخر لا تحتمله الآية، وصرح بأن جواز الإعراب الثاني
في غير القرآن، فقال (٧) ((قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) المعنى أن لم

(١) لم أجد ذكر القراءات "تطهرهم" بالجزم في "كتاب السبعة في القراءات" (انظر "كتاب
السبعة في القراءات" من ٣١٧).

(٢) انظر "تفسير القرطبي" ٤٠٩/٢/السطر ١٠. (٣) "تفسير القرطبي" ٢٢/٤/السطر ٧.

(٤) "تفسير القرطبي" ٤٨/٩/السطر ٢٢. (٥) "تفسير القرطبي" ٢٤١/١/السطر ٨.

(٦) البقرة ٢٨٢. (٧) "تفسير القرطبي" ٣٩١/٣.

بيأت الطالب برجلين فليأت برجل وامرأتين؛ هذا قول الجمهور، "فرجل" رفع بالابتداء و"امرأتان" عطف عليه والخبر محذوف أي فرجل وامرأتان يقومان مقامهما ويجوز النصب في غير القرآن، أي فاستشهدوا رجلا وامرأتين وحكى سيبويه أن خجرا فضجرا.^(١) ومثال آخر ذكر فيد خمسة أعراب محتمل لنص واحد، ثلاثة أعراب منها مما يحتمله لفظ القرآن، وإعرابان آخران كان جوازهما في غير القرآن، ولم يشر القرطبي إلى أن جوازهما في غير القرآن، وقال في ذلك ^(١) ((رِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ^(٢))) ونصب القرآن على أنه نعت لهذا أو بدل منه أو عطف بيان وأجاز الفراء الخفض، قال: على التكرير وهو عند البصريين على البديل من "ما" وأجاز أبو إسحاق الرفع على اضممار مبتدأ كأن سائلا سألته عن الوحي فقبل له : هو هذا القرآن ^(٣).

وكان الجواز في خفض القرآن ورفع في الآية السابقة إفتراضيا في الكلام. لقد ذكرنا بداية أن حق أي تغيير في الحالات الإعرابية له أثر في تغيير المعاني، ولكن القرطبي في الغالب لم يوسع في توضيح التأويلات بل كان كثيرا ما يكتفي بذكر الأعراب المحتملة فحسب، كما في الأمثلة اللاحقة :

بين القرطبي قوله تعالى (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ^(٤) وقال ^(٥) ((قوله تعالى (الذين) في موضع نصب على النعت للفاسيقين، وإن شئت جعلته في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف أي هم الذين)) وقال في قوله تعالى (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) ^(٦) ((قردة) خبر كان (خاسئين) نعت وإن شئت جعلته خبرا ثانيا لكان، أو حالا من الضمير في كونوا ومعناه مبعدين)) ^(٧).

-
- (١) تفسير القرطبي ١١٩/٩ • (٢) يوسف ٣/ •
 (٣) انظر مثله في تفسير قوله تعالى (ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولألمشركين) وتفسير القرطبي ٦١/٢ البقرة ١٠٥، وفي تفسير قوله تعالى (لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) تفسير القرطبي ٣٣٨/١٤ / فاطر ١٨، وغيرهما وهو كثير.
 (٤) البقرة ٢٧/ (٥) تفسير القرطبي ٢٤٦/١ (٦) البقرة ٦٥/ •
 (٧) تفسير القرطبي ٤٤٣/٣ •

وفسر قوله تعالى (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) ^(١) فقال ^(٢) ((تلك) ابتداء
(آيات الله) خبره وإن شئت كان بدلا والخبر (نتلوها عليك بالحق))

وقال في قوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ^(٣) ((الحي القيوم) نعت لله
عز وجل وإن شئت كان بدلا من هو وإن شئت كان خبرا بعد خبر وإن شئت على ضمير
مبتدأ ^(٤)).

وفي قوله تعالى (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيْنَهُمْ) ^(٥) قال ^(٦) ((يتعارفون بينهم) في موضع نصب على الحال من الهاء والميم في
(يحشرهم) ويجوز أن يكون منقطعا فكأنه قال فهم يتعارفون))
هذه خمسة أمثلة ذكر فيها عدة احتمالات إعرابية لم يوسع فيها ذكر معاني التأويلات
المحتملة وهذه الحالة ظاهرة واضحة في تفسير القرطبي ^(٧).

-
- (١) البقرة ٢٥٢ / (٢) تفسير القرطبي ٢٦١/٣
(٣) البقرة ٢٥٥ / (٤) تفسير القرطبي ٢٧١/٣
(٥) يونس / ٤٥ (٦) تفسير القرطبي ٣٤٨/٨
(٧) انظر امثال تلك الحالة في هذه المواضع "تفسير القرطبي" ٤١٠/١ / البقرة ٥٨، في
تفسير قوله تعالى (رَعَدًا) والتفسير ١٧٠/٢ / البقرة ١٥٠ - في اعراب قوله تعالى
(وَلَا تَمْنُنْ بِعَمَلِي عَلَيْكُمْ)، والتفسير ٢٣٧/٢ / البقرة ٢٤٥، في اعراب قوله (مَنْ ذَا
الَّذِينَ يَقْرَأُ اللَّهُ قَرْعًا حَسَنًا) والتفسير ٣٨/٤ آل عمران ١٠٦ في اعراب قوله (الَّذِينَ
)، والتفسير ٤٤/٤ آل عمران ١٩، في اعراب قوله (بُعْثًا) والتفسير ٦٤/٤ آل
عمران في اعراب قوله تعالى (فُرِّيَّة) والتفسير ٦٧/٤ آل عمران ٣٦ في اعراب قوله
تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) والتفسير ١٢٨/٤ آل عمران ٨٥ في
اعراب قوله تعالى (بَيْنًا) والتفسير ١٨/٦ النساء / ١٦٥ في اعراب قوله تعالى (رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) والتفسير ١٧٤/٦ المائدة ٣٨ في اعراب قوله (جزاء بما ==

(ب) ومن مسائل النحو التي من أثرها يتعدّد تفسير النص الواحد، الحذف والزيادة أو التقديم والتأخير التي يتعرض لها تركيب ألفاظ القرآن الكريم، وكذلك الاحتمال في عود الضمير والاحتمال بين الاتصال والانقطاع في مسألة الاستثناء وأمثلة ذلك مايلي:

فسر القرطبي قوله تعالى (وَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَرَضًا لَّإِيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) (١) فقال (٢) ((قوله تعالى (ان تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا) مبتدأ وخبره محذوف اي البر والتقوى والإصلاح أولى وأمثلة مثل (طاعة وقول معروف) (٣) عن الزجاج والنحاس وقيل محله النصب، أي لا تمنعكم اليمين بالله عز وجل البر والتقوى والإصلاح، عن الزجاج أيضا، وقيل مفعول من أجله ، وقيل: ومعناه ألا تبرّوا؟ فحذف "لا" كقوله تعالى: (يَبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا) (٤) أي لئلا تظنوا قتاله الطبري النحاس ووجد رابع من وجوه النصب كراهة أن تبرّوا؟ ثم حذفت، ذكره النحاس والمهدوي وقيل هو في موضع خفض على قول الخليل والكسائي: التقدير في أن تبرّوا فأصمرت في وخضت بها)) .

ففي هذا المثال ذكر عدة احتمالات لأعراب قوله (أن تبرّوا وتتقوا) منها على حذف الخير والمعنى البر والتقوى والإصلاح أولى أمثلة ، ومنها على حذف "لا" والمعنى "الا تبرّوا" والاول على الاستئناف والثاني في موضع نصب .

وقال في قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) (٥) ((بقادر) قال أبو عبيدة والأخفش : الباء زائدة للتوكيد

== كسا) والتفسير ٢١٣/٦ / المائدة ٤٩، في اعراب قوله تعالى (وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ) والتفسير ٢٥٤/٦ / المائدة ٨٠، في اعراب قوله تعالى (أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ) والتفسير ١٤٢/٧ / الانعام ١٥٤ في اعراب قوله تعالى (ثُمَّ أَتَيْنَا الْكِتَابَ تَمَامًا) والتفسير ١٩٩/٨ / التوبة ٦٧ في اعراب قوله تعالى (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ) وغيرها وهو أضعاف ما ذكرنا .

- | | |
|--------------------|--------------------------|
| (١) البقرة / ٢٢٤ . | (٢) تفسير القرطبي ٩٨/٣ . |
| (٣) محمد / ٢١ . | (٤) النساء / ١٢٦ . |
| (٥) الاحقاف / ٣٣ . | |

كالباء في قوله (وكفى باللهم شهيدا) (١) وقوله (تَنَبَّأُ بِالدُّمْنِ) (٢) وقال الكسائي والفراء والزجاج الباء فيه خُلف الاستفهام والجحد في أول الكلام قال الزجاج والعرب تدخلها مع الجحد نقول ما ظننت أن زيدا بقائمه ولا تقول: ظننت أن زيدا بقائمه وهو لدخول "ما" ودخول "ان" للتوكيد والتقدير أليس الله بقادر كقوله تعالى: (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر (٣) (٤).

فقد كان زيادة الباء في قوله تعالى (بقادر) أحد الاصتمالين في اعراب الآية المذكورة.

ومثال ما يحتمل فيه تقديم وتأخير إعرابه لقوله تعالى (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي) (٥) إذ قال (٦) ((وعين فقال: "هارون" وانتصب على البذل من قوله : وزيرا ويكون منصوبا ب "اجعل" على التقديم والتأخير والتقدير : واجعل لي هارون أخي وزيرا)).
فلاعراب الآية احتمالان: أولهما أن يكون لفظ هارون بدلا من "وزيرا" لإفادة البيان بعد الإبهام، والتعيين في نوع الدعاء - فالمطلوب ليكون وزيرا له هو هارون أخوه وليس غيره والإعراب الثاني، أن يكون لفظ هارون والوزير مفعولين والأخ نعت وفيه تقديم وتأخير لأن التقدير: واجعل لي هارون أخي وزيرا.

ومن ذلك أيضا قوله في قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) (٧) ((قيل: المعنى أن يريكم فحذف أن "الدلالة الكلام عليه: قال طرفة"
أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ أَحْضِرْ الْوَعْيَ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُطْغِي
وقيل: هو علي التقديم والتأخير : أي ويريككم البرق من آياته، وقيل أي ومن آياته آية يريكم بها البرق كما قال الشاعر:
وَمَا الدُّمْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتَ وَأُخْرَى ابْتِغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ
وقيل أي من آياته إنه يريكم البرق خوفا وطمعا من آياته قاله الزجاج: فيكون عطف جملة على جملة (٨).

(١) النساء ٧٩ (٢) المؤمنون ٢٠ (٣) يس ٨١

(٤) تفسير القرطبي ٢١٩/١٦ (٥) طه ٣٠ (٦) تفسير القرطبي ١٩٣/١١

(٧) الروم ٢١ (٨) تفسير القرطبي ١٨/١٤

فقد ذكر في اعراب الآية المذكورة اربعة أعراب : أحدها على حذف "أن" والآخر على تقديم المعمول الجار والمجرور.

ومثال ما كان فيه عدة تأويلات من أثر وجود الاحتمال في عود الضمير، هو إعرابه لفوله تعالى (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ مِرَاطٍ تُوْعَدُونَ وَتَمْتَدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ) ^(١) ((قوله تعالى (من آمن به) الضمير في "به" يحتل أن يعود على اسم الله تعالى وأن يعود الى شعيب ^(٢) في قوله مَنْ رأى القعود على الطريق للمدّ وأن يعود على السبيل))

فقد ذكر عدة احتمالات لعودة الضمير في قوله (من آمن به) الأول على اسم الله تعالى وهو الأصل لأن لفظ الجلالة أقرب مذكور، والثاني والثالث أن يكون على شعيب أو على "السبيل" بالنظر إلى المعنى.

ومثال آخر قوله في قوله تعالى (لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) ^(٣) ((والهاء في "به" عائد على اسم الله تعالى ^(٤) وهو أقرب مذكور المعنى : لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العرض ، ويحتل أن يعود على الشهادة ^(٥) ، وَذُكِّرَتْ على معنى القول كما قال صلى الله عليه وسلم واثق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، فأعاد الضمير على معنى الدعوة الذي هو الدعاء)) ^(٦).

ومثال ما يتعدّد فيه التأويل من أثر احتمال الاستثناء بين الاتصال والانقطاع قوله في

(١) الاعراب ٨٦/ .

(٢) اي الى الاسم المذكور في الآية قبلها (وإلى مدين أخاهم شعيبا) الاعراب ٨٥/ .

(٣) المائدة ١٠٦/ .

(٤) اي اسم الجلالة المذكور قبل ذلك الضمير والاية هي (فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا) المائدة ١٠٦/ .

(٥) بشير القرطبي في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ) المائدة ١٠٦/ .

(٦) تفسير القرطبي ٣٥٢/٦ .

قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُتَّتِهِمْ) ^(١) (في موضع نصب بالاستثناء المتمل: المعنى: أن الله بريء من المشركين) ^(٢) إِلَّا مِنَ الْمُعَاهِدِينَ فِي مَدَّةِ عَهْدِهِمْ، وقيل: الاستثناء منقطع: أي أن الله بريء منهم ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ) ^(٣).

يحتمل الاستثناء في الآية السابقة أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا فَيَكُونُ مَا بَعْدَ إِلَّا - أي المستثنى - من جنس ما قبلها - أي المستثنى منه - أو أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا فَلَا بِمَعْنَى "لَكِنْ" عَلَى أَنَّهُ اسْتِدْرَاكٌ مُخَالَفٌ مَا بَعْدَ "لَكِنْ" فِيهِ مَا قَبْلُهَا ، فَتَسْمِيَةُ الاستثناء عِنْدَكُ عَلَى سَبِيلِ الاتِّسَاعِ ^(٤) فَمِنْ هُنَا بَدَأَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّأْوِيلَيْنِ.

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ) ^(٥) . (أي لَكِنْ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ، أي الخطفة اليسيرة ، فهو استثناء منقطع ، وقيل ، وهو متمل ، أي إِلَّا مِمَّنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ، أي حفظنا السماء من الشياطين أَنْ تَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَإِنَّا لَمْ نَحْفَظْهَا مِنْهُ أَنْ تَسْمَعَ الْخَبَرَ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ سِوَى الْوَحْيِ فَأَمَّا الْوَحْيُ فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئًا لِقَوْلِهِ (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ) ^(٦) . وَإِذَا اسْتَمَعَ إِلَى شَيْءٍ لَيْسَ بِوَحْيٍ فَإِنَّهُمْ يَقْدِفُونَهُ إِلَى الْكَهْنَةِ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الشَّهْبُ فَتَقْتُلُهُمْ أَوْ تَخْبِلُهُمْ) ^(٧) ، ذَكَرَهُ الْحَسَنُ وَابْنُ عَبَّاسٍ) ^(٨) .

(١) التوبة / ٤ .

(٢) إشارة أول السورة (بِرَأْفَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

(٣) تفسير القرطبي ٧١/٨ .

(٤) انظر هذه المسألة في "مجمع الهوامع" ٢٥١/٣ .

(٥) الحجر / ١٨ . (٦) الشعراء / ٢١٢ .

(٧) الخيل: يسكون الباء الفساد، وقد خبله من باب ضرب (مختار الصحاح ص / ١٦٨) .

(٨) القرطبي ١٠/١٠ .

(ج) ومن مسائل النحو واللغة التي لها أثر في اختلاف التأويلات لنص واحد ورود ألفاظ في القرآن الكريم يشترك فيها عدة معانٍ في ظاهر الأمر، فمن ذلك المشترك اللفظي، والأضداد، وبعض حروف المعاني وبعض الأفعال، فلفظ "يُضَارَّ" بضم الياء وفتح الراء المشددة - مثلاً - يحتمل أن يكون على وزن يفاعل "بكسر العين" ويفاعل بفتحها، فالأول على بناء المعلوم والثاني على بناء المجهول، ومن أثر ذلك يختلف معنى النص الذي ورد فيه هذا اللفظ باختلاف تقدير الوزن، كما سيأتي بيانه لاحقاً.

وهذه المسائل قد ذكرناها في مواضع مختلفة وشرحنا موقف القرطبي منها، ومدى استفادته لها، وإنما أوردها هنا ثانية للبيان أن هذه المسائل لها أثر في تعدد التأويلات كالمسائل النحوية التي سبق ذكرها. ومن أمثلة ذلك:

- ١- مما تتعدد التأويلات من أثر اشتراك اللفظ للمعنيين متغايرين أو أكثر- قول القرطبي في قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم^(١)) ((قوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) المسح لفظ مشترك يكون بمعنى الجماع : يقال مسح الرجل المرأة إذا جامعها، والمسح : مسح الشيء بالسيف وقطع به، ومسحت الإبل يومها إذا سارت. والمسحاء المرأة الرسحاء التي لا راس لها، وبفلان مسحة من جمال، والمراد هنا بالمسح عبارة عن جر اليد على الممسوح خاصة، فإن كان بآلة فهو عبارة عن نقل الآلة إلى السيد وجرها على الممسوح وهو مقتضى قوله تعالى في آية المائدة : (فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ)^(٢) (٣).

(١) النساء/٤٣ .

(٢) المائدة/٦ .

(٣) تفسير القرطبي /٢٣٩/٥ .

فيشترك في لفظ "المسح" عدة معان في اللغة ولكن المقصود بالمسح في الآية مسح خايم يتعلق بالعرف الشرعي فهو عبارة عن جَرِّ اليد على الممسوح خاصة ، فلمعنى المسح حقيقتان، حقيقة لغوية وحقيقة شرعية، والمقصود به في الآية الحقيقة الثانية، والمقام يجزم ذلك لأن الآية في سياق الحديث عن التيمم.

ومثال آخر تفسيره لقوله تعالى (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (١) إذ قال (٢) ((والأُماني جمع أُمنية، وهي التلاوة، وأصلها أُمْنُوية على وزن أفعولة، فادغمت الواو في الياء فانكسرت النون من أجل الياء فصارت أُمنية، ومنه قوله تعالى: (إِلَّا إِذَا تَمَسَّى أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) (٣)، أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته وقال كعب بن مالك:

تَمَسَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلٍ وَآخِرَهُ لَأَقَى حَمَامَ الْمَقَابِرِ
وَقَالَ آخِرَ تَمَسَّى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلٍ تَمَسَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

والأُماني "أيضا الأكاذيب ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما تَمَسَّيت منذ أسلمت أي ماكذبت وقول بعض العرب لابن دأب وهو يحدث: أهذا شيء رويته أم شيء تَمَسَّيته؟ أي افعلته، وبهذا المعنى فسر ابن عباس ومجاهد "أُماني" في الآية، ولأُماني أيضا ما يتمناه الإنسان ويشتهيهِ قال قتادة: "إِلَّا أُمَانِي، يعني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم، وقيل الأُماني التقدير: يقال: مني لم أي فخر قال الجوهري، وحكاه ابن بحر، وأنشد قول الشاعر:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسِيتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تَلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
أي يفخر لك المقدراً

فلفظ الأُماني يدل على أربعة معان متغايرة أولها، التلاوة والثاني الأكاذيب والثالث ما يشتهيهِ الإنسان، والرابع: التقدير، وهذا التعدد في الدلالة يؤثر في تعدد التأويلات للآية كما هو واضح في ذلك النص .

(١) البقرة ٨٧/ (٢) تفسير القرطبي ٦/٢ .

(٣) الحج / ٥٢ .

٢- ومما تتعدد التأويلات من أثر دلالة اللفظ على معنيين متضادين، تفسيره لقوله تعالى (مَهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْغَتْهُمْ هُوءًا) ^(١) ((اي رافعي رؤوسهم ينظرون في ذلّ وإقناع الرأس رفعه، قاله ابن عباس ومجاهد قال ابن عرفة والقُتبي وغيرهما المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه، ومنه الإقناع في الصلاة، وأقنع صوته إذا رفعه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد، وقيل: ناكسي رؤوسهم، قال المهدوي: ويقال أقنع إذا رفع رأسه، وأقنع إذا طأطأ رأسه دَلّة وخضوعاً، والآية محتملة الوجهين، قاله المبرد) ^(٢).

دَلّ لفظ "أقنع" على معنيين متضادين في اللغة، يقال "أقنع" إذا رفع رأسه وأقنع إذا طأطأ رأسه. هذه الدلالة أثرت في وجود تأويلين متضادين في اللغة لقوله (مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ) ولكنهما متفقان في الغرض، هو الشعور بالدَلّة والخضوع لخوفهم الشديد يوم الحساب.

٣- ومثال تعدد التأويلات من أثر تعدد معاني الحرف تفسيره لقوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ) ^(٣) ((قوله تعالى (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لام العاقبة والصورورة، وفي الخبر "إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُؤِ لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ، أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا وقيل هي لام كي، أي أعطيتهم لكي يضلوا يبطروا ويتكبروا. وقيل هي لام أجل، أي أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا فحذفت كما قال عز وجل (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْرَأُونَ) ^(٤) والمعنى لأن لا تَقْرَأُوا. قال النحاس ظاهر هذا الجواب حسن إلا أن العرب لا تحذف "لا" إلا مع "أَنْ" فمَوْهُ صاحب هذا الجواب بقوله عز وجل (أَنْ تَقْرَأُوا). وقيل اللام للدعاء، أي ابتلهم بالضلال عن سبيلك: لأن بعده (اطمئن على أموالهم واشدد) ^(٥).

(٢) تفسير القرطبي ٣٧٧/٩ .

(١) ابراهيم ٤٣/ .

(٣) يونس ٨٨/ .

(٥) تفسير القرطبي ٣٧٤/٨ .

(٤) النساء ١٧٦/ .

فقد تعدد تأويل الآية في هذا المثال لاختلاف معنى اللام. ومثال آخر في أثر حروف المعاني في التأويل قوله في قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْ الْعِزَّةُ بِالِإِثْمِ فَحَسِبْدُ جَهَنَّمَ^(١)) (قال قتادة: المعنى إذا قيل له مهلاً ازداد إقداماً على المعصية، والمعنى حملته العزة على الإثم، وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه أي ارتكب الكفر العزة وحمية الجاهلية، ونظيره (بَلَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عُزْدَةٍ وَشِقَاقٍ)^(٢) وقيل: الباء في الإثم بمعنى اللام، أي أخذت العزة والحمية عن قبول الوعد للإثم الذي في قلبه وهو النفاق ومنه قول عنتره يصف عرق الناقة:

وَكأنُّ رُبّاً أَوْ كَحَيْلاً مُعَقِّدًا حَسَّ الْوَقُودُ بِهِ جَوَانِبُ قُمُقٍ^(٣)

أي حَسَّ الوقود له، وقيل الباء بمعنى مع، أي أخذته العزة مع الإثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلات^(٤).

فكانت التأويلات لاحتمال حرف الباء عدة معان، بعضها قد دخل في دائرة معاني غيره من الأحرف، فتحلّ الباء محلّ حرف آخر، أو ما يسمى بتناوب حروف الجرّ. وهذه طريقة يقبلها المذهب الكوفي ويرفضها المذهب البصري، وإذا واجه البصريون ذلك الاحتمال بادروا إلى تأويل يقبله الحرف كما في التأويل الثاني من المثال السابق مُفاده، بأن معنى الآية "أخذت العزة بما يؤثمه" ومسألة تناوب حروف الجرّ وموقف القرطبي منها قد بيّنا في بحثنا في "الاستشهاد بالقرآن الكريم" في بداية هذا الرسالة ولكنّ الجدير بالذكر هنا أنّ القرطبي ممّن يأخذ بتناوب حروف الجرّ طريقة في تأويل الآيات القرآنية كما في المثال السابق.

ومثال آخر تفسيره لقوله تعالى (وَأَتَوْا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)^(٥) إذ قال^(٦) (قوله تعالى) (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)

(١) البقرة ٢٠٦/ • (٢) ص ٢/ •

(٣) الرّبّ (بضم الراء) الطلاء الخائر، والكحيل (مصغراً) النفط أو الفطرات تطلّى به الإبل، والمعقّد (بفتح القاف) الذي أوقد تحته حتى انعقد وغلظ وحسّ: اتقد والقمقم (بالضم) ضرب من الاواني) •

(٤) تفسير القرطبي ١٩/٣ • (٥) النساء ٢/ • (٦) تفسير القرطبي ١٠/٥ •

قال مجاهد، وهذه الآية ناهية عن الخلط في الإنفاق، فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها فنهبوا عن ذلك، ثم نسخ بقوله (وإن تخالطوهم فاخوانكم)^(١) وقال ابن فورك عن الحسن، تأول الناس في هذه الآية النهي عن الخلط فاجتنبوه من قبل انفسهم فحفف عنهم في آية البقرة، وقالت طائفة من المتأخرين إن "إلى" بمعنى "مع" كقوله تعالى (من أنصاري إلى الله)^(٢) وأنشد القتيبي:

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقَبَابِ بِضَمٍّ إِلَى عَنِّ مَسْتُوثَاتِ الْأَوَامِرِ^(٣)

وليس بجيد، وقال الحذاق: "إلى" على بابها وهي تتضمن الإضافة أي لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل ففهموا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع)^(٤).

فللآية السابقة تاويلان أحدهما على طريقة تناوب حروف الجر والآخر على التضمين والأولى طريقة الكوفيين في تحليل تداخل معاني الحروف والثاني طريقة البصريين، والقرطبي لم تعجبه الطريقة الثانية إذ علق عليها بقوله "وليس بجيد" ولكنه لم يسعط لنا علة الاختيار، ولعله اختار الطريقة الثانية لما فيها استخدام الحرف على باب وهو الأصل والأصل لكل حرف من حروف المعاني خصوصيته والتمسك بالأصل أفضل إذا أمكن ذلك كما في هذا التأويل.

٤- لقد سبق بيان مسألتي التصريف والاشتقاق وفائدتهما ومدى انتفاع القرطبي بهما في التفسير^(٥)، وأما المسألة التي تتعلق بهما في بحثنا هنا - هو أن بعض الكلمات في القرآن الكريم تحتمل معنيين وكان ذلك الاحتمال من أثر احتمال الكلمة لأملين مختلفين من حيث الاشتقاق، أو كان من أثر احتمال الكلمة لصيغتين مختلفتين ومثال النوع الأول مايلي:

(١) البقرة / ٢٢٠ (٢) الصف / ١٤٠

(٣) البيت لسلمة بن الخرشب، وصف خيلا ربطت بأفئنتهم والعنن جمع عنة، وهي حظيرة

والشاهد في قوله: إلى عنن أي من عنن (انظر المفضليات ص ٣٤)

(٤) انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث.

قال القرطبي في قوله تعالى (فَلَا مَلَأَ وَلَا مَلَأَ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أُمَلِّدَ يَتَمَطَّى)^(١) ((اي يتبختر افتخارا بذلك، قاله مجاهد وغيره ، مجاهد: المراد به أبو جهل وقيل "يتمطى" من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي مطاء، وقيل :أصله يتمطط، وهو التمدد من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف والتمطي: يدل على قلة الاكتراث وهو التمدد كأنه يمد ظهره ويلويه من التبخر والمطيط الماء الخاش في أسفل الحوض لأنه يتمطى اي يتمدد، وفي الخبر: إذا مَشَتْ أُمُتِي المَطِيطَاءُ وَخَدَمَتُهُمْ فَارِسَ وَالرُّومَ كَانَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ وَالْمُطِيطَاءُ التَّبَخَّرَ وَمَدَّ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ^(٢))).

فلفظ يتمطى في اللغة يحتمل أن يكون مشتقا من "المطا" وهو الظهر، فيكون المعنى ثم ذهب إلى أملة يلوي ظهره، وأن يكون من "المطّ" فأصل "يتمطى" يتمطط، وهو التمدد من التكسل والتثاقل فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف ويكون المعنى : ثم ذهب إلى أملة يتثاقل عن الداعي إلى الحق.

فبالنظر إلى المعنى اللغوي لكلمة يتمطى أن هناك تأويلين للآية ولكن يمكن الجمع بين التأويلين المختلفين في الظاهر لأن الغرض منهما واحد، وهو الدلالة على قلة الاكتراث وهو التمدد كأنه يمد ظهره ويلويه من التبخر.

والجمع بين المعنيين المختلفين في الظاهر من المسائل التي عني بها المفسرون.

ومثال تعدد التأويلات من أثر احتمال الكلمة لصيغتين مختلفتين، تفسيره لقوله تعالى (وَأَشْهَدُوا إِذًا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ)^(٣) إذ قال^(٤) ((فيه ثلاثة أقوال: الاول: لا يكتب الكاتب ما لم يُمَلَّ عليه، ولا يزيد الشاهد في شهادته ولا ينقص منها قاله الحسن وقتاده وابن زيد وغيرهم.

(١) القيامة ٣١-٣٢ . (٢) تفسير القرطبي ١٩ / ١١٤ .

(٣) البقرة ٢٨٢ . (٤) تفسير القرطبي ٣ / ٤٠٥ .

وروى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء إن المعنى لا يمتنع الكاتب أن يكتب ولا الشاهد أن يشهد. "ولا يَضَارُّ" على هذين القولين أصله يَضَارُّ بكسر الراء ثم وقع الإدغام وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة قال النحاس : ورأيت أبا إسحاق يميل إلى هذا القول، قال لأنَّ بعدد (وإنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ) (١) فالأولى أن تكون مَنْ شهد بغير الحق أو حرّف في الكتابة أن يقال له فاسق، فهو أولى بهذا ممّن سأل شاهداً أن يشهد وهو مشغول. وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عباس وابن أبي إسحاق يَضَارُّ "بكسر الراء الأولى".

وقال مجاهد والضحاك وطلوس والسدي وروى عن ابن عباس : معنى الآية ولا يَضَارُّ كَاتِبٌ ولا شهيد، بأن يدعى الشاهد إلى الشهادة والكاتب إلى الكتب ومما مشغولان ، فإذا اعتذرا بعدرهما أخرجهما وآذاهما وقال خالفتما أمر الله ونحو هذا من القول فتضربهما. وأصل يَضَارُّ على هذا يَضَارُّ بفتح الراء وكذا قرأ ابن مسعود يَضَارُّ بفتح الراء الأولى فنهى الله سبحانه عن هذا لأنه لو أطلقه لكان فيه شغل لهما من أمر دينهما ومعاشهما، ولفظ المضارة، إذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني والكاتب والشاهد على القولين الأولين رفع بفعلهما، وعلى القول الثالث رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله)).

فلاية السابقة ثلاثة تأويلات ، في التأويل الأول والثاني الضّر المنهي عنه يأتي من قبل الكاتب والشاهد. وكان الضّر بالتحريف أو الزيادة أو النقص في التأويل الأول، وبالامتناع بدون عذر في التأويل الثاني. وأما التأويل الثالث فيكون بالامتناع عن الشهادة والكتابة بوجود عذر، والمخاطب بالنهي في الأول والثاني الكاتب والشاهد والمخاطب في الثالث السائل.

هذه هي المسائل النحوية واللغوية التي لها أثر في تعدّد التأويلات في تفسير القرآن الكريم، وهناك عدّة مسائل لها أثر في تعدّد التأويلات ولكنها ليست من مسائل النحو واللغة فمنها: أسباب النزول ومنها: خطاب الآية ومنها: القراءة، وأمثلة هذه المسائل الثلاثة كالآتي:

ومثال الأولى: تفسيره لقوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَمْ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ^(١)) إذ قال في الآية الثانية (قيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبدالله بن سلام^(٢)) وفيه نُزلت ونُزلت الأولى في مؤمني العرب ، وقيل : الآيتان جميعا في المؤمنين وعليه فإعراب الذين خفض على العطف، ويصح أن يكون رفعا على الاستغناء أي وهم الذين ، ومن جعلها من صنفين فإعراب "الذين" رفع بالابتداء وخبره أولئك على هدى" ويحتل خفض عطا^(٣) ،
 اتضح من هذا المثال أن معنى الآية الثانية، "الذين يؤمنون بما أنزل إليك" يختلف باختلاف أسباب نزولها فإن نُزلت في مؤمني أهل الكتاب، فكان المعنى ينقطع عن الأول ويكون الواو للاستغناء أو عطف الجملة على الجملة، وليست هي للمشاركة في الحكم. وإن كانت الآيتان جميعا في المؤمنين فكانت الواو للمشاركة.

ومثال الثانية ، تفسيره لقوله تعالى (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْهِقْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعْزِبْكُمْ^(٤)) إذ قال^(٥) ((هذا خطاب للمشركون والمعنى إن يشأ يوفقكم للإسلام فيرحمكم أو يعيثكم على الشرك فيعذبكم قاله ابن جريج، و"أعلم" بمعنى أعلم ، نحو قولهم : الله أكبر بمعنى كبير، وقيل الخطاب للمؤمنين ، أي إن يشأن يرحمكم بأن يحفظكم من كفار مكة، أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم ، قاله الكلبي).

اتضح من هذا المثال أن التأويلين من أثر الاختلاف من خطاب الآية .
 ومثال الثالثة: اختلاف الفقهاء في وجوب غسل الرجلين في الوضوء ومسحهما فذهب

(١) البقرة ٣/ ، ٤ .

(٢) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الانصاري ، أبو يوسف صحابي المتوفي سنة ٤٣ هجرية

(الاصابة الرقم ٤٢٢٥) .

(٣) تفسير القرطبي ١٨٠/١ .

(٤) الاسراء / ٥٤ .

(٥) تفسير القرطبي ٢٧٨ / ١٠ .

الجمهور إلى الوجوب، وذهب ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) إلى أنَّ الواجب غسل الرجلين أو مسحهما على اختيار. ومنشأ هذا الخلاف وجود قراءتين صحيحتين لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ^(١))، بنصب "وأرجلكم" وخففيها^(٢)، فقراءة النصب العطف على "أيديكم" فيدخل في خطاب الأمر بالغسل وقراءة الخفض العطف على برؤوسكم، فيدخل في خطاب الأمر بالمسح، فيختلف الحكم باختلاف القراءتين^(٣).

فهذه القراءة التي من أثرها نشأ الخلاف في استنباط الأحكام هي ليست من المسائل النحوية الاجتهادية لأنَّ القراءة سَنَّة متبعة يأخذ الآخر من الأول وهي مروية من النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الإسناد فمجال الاجتهاد في القراءة هو الاختيار مع التمسك بأسس الاختيار وليس الإيجاد كما سبق بيان ذلك في بحثنا في الاستشهاد بالقراءات في الفصل الأول من هذه الرسالة.

الحالة الثانية: ترجيحات القرطبي للتأويلات الممكنة للنصوص القرآنية.

هذه حالة ثانية من الحالتين اللتين جعلتهما وسيلة للكشف عن مدى أثر النحو في اختيارات القرطبي للتأويلات، والحقيقة أنَّ هذه الحالة تنمُّ للحالة الأولى، والحالة الأولى بمثابة التمهيد لدراسة الحالة الثانية.

(١) المائدة / ٦ .

(٢) قراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي ولعاصم في رواية حفص، وقراءة الخفض لابن كثير وحمزة وابو عمرو، ولعاصم من رواية ابن بكر، وكلتا القراءتين من القراءات الصحيحة (انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٤٢-٢٤٣).

(٣) انظر هذه المسألة في تفسير القرطبي ٩١/٦ وما بعدها، حيث رجَّح فيه القرطبي أن الواجب غسل الرجلين ومسحهما لا يجزئ الوضوء واحتجَّ بأدلة منها: السنة النبوية.

والبحث عن مدى أثر النحو في اختيارات القرطبي للتأويلات الممكنة للنصوص القرآنية له أهمية كبيرة في هذه الرسالة؛ لأنّ نتيجته تؤثر في نظرتنا لتفسير القرطبي فهل هو يعدّ تفسيراً بالرأي الجائز أو تفسيراً بالماثور فحسب؟.

وقبل الخوض في هذه الدراسة ينبغي لنا تحديد المجال الذي ندرس فيه، ويتمّ ذلك على أمرين:

أولاً: إنّنا ندرس ترجيحات القرطبي للتأويلات الممكنة التي لها صلة بالنحو واللغة، فهذا يشمل تعدّد التأويلات التي يتولّد كلّها أو بعضها من أثر المسائل النحويّة واللغويّة ولكن الدراسة لا تشمل تعدّد التأويلات التي ليس هناك أثر للنحو في إيجادها.

ثانياً: اقتصرنّا في هذه الرسالة على ترجيحات القرطبي التي صرّح بها في تفسيره بألفاظ مختلفة^(١)؛ مثل: "هو أصح ما قيل فيه"، وأصح ما قيل فيها؛ و"هو أجود ما قيل فيه" ونحوها. ولقد درسنا هذه الترجيحات أو الاختيارات في بحثنا في اختيارات القرطبي النحويّة في الفصل الثالث من هذه الرسالة ولكن كان البحث في ناحية اتّجاهات القرطبي النحويّة، ومواقفه إزاء المذاهب النحويّة المختلفة، وأما الغاية التي نصبو إليها في دراستنا لاختيارات القرطبي هنا فهي الكشف عن مدى أثر النحو في الترجيح بين التأويلات، وهذا الترجيح ضرب من الاجتهاد، والاجتهاد في التفسير الذي يعتمد على أساليب العربيّة من نحو وصرف، ولفظ وبلاغة، ويعتمد أيضاً على الأحاديث الماثورة هو سرّ تسمية التفسير تفسيراً بالرأي الجائز^(٢).

(١) واخترنا في هذه الدراسة على اختيارات القرطبي المريحة لتكون مطمئنّين إلى النتيجة لأنّنا إذا اعتمدنا على اختياراته بطريقة التقديم أو الانفراد أو غيرهما من الطرق التي سبق بيانها في الفصل الثاني، قدلاً تطمئنّ إلى ما صدر منها من نتيجة؛ لأنّ تلك الاختيارات قد يشوبها احتمال ولو كان ضئيلاً هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ اختياراته المريحة كافية لتصوير مدى اعتماد القرطبي على النحو واللغة في اختياراته للتأويلات، كما سيّضح ذلك في هذه الدراسة.

(٢) انظر مسألة الاجتهاد في التفسير في "مناهل العرفان" ٥١٧/١ وما بعدها.

أثر النحو في اختيارات القرطبي للتأويلات:

اتضح من دراستنا في اختيارات القرطبي للتأويلات أنّ هناك عشرين موضعاً من أصل خمسة وثلاثين موضعاً اعتمد فيها القرطبي على الأساليب النحوية في الترجيح ، ولا يعني ذلك أنّ القرطبي لا يهتمّ بالجانب المعنوي، وإنّما ذلك يعنى اعتماده على دلالة النحو في الترجيح وأنّ هناك ثلاثة عشر موضعاً تمسك فيها القرطبي بقوة المعنى في ترجيحاته من غير ترك الجانب النحوي، ولكن القرطبي عندئذ قد يضطرّ إلى الأخذ بالوجه المرجوح من ناحية الصناعة النحوية وفيما يلي امثلة ذلك:

١- أمثلة في اعتماد القرطبي على المسائل النحوية في الترجيح.

فمثال اعتماده على المسائل النحوية في الترجيح قوله في قوله تعالى (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١) ((قوله تعالى ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ))^(٢) اي بالملة^(٣) وقيل بالكلمة التي هي قوله : أسلمت لرب العالمين " وهو أصوب، لأنه أقرب مذكور اي: قولوا أَسْلَمْنَا^(٤))).

ففي هذا المثال يحتمل أن يكون الضمير في ووصى بها راجعاً إلى "الملة" او إلى كلمة "أسلمت لرب العالمين" ولا يختلف معنى التأويلين لأنّ الاسلام هو ملة إبراهيم، ولكنّ القرطبي رجّح رجوع الضمير إلى "الكلمة" لأنّها أقرب مذكور وهو الأصل ، قال الزركشي^(٥) ((الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور)).

(١) البقرة ١٣١/ .

(٢) البقرة ١٣٢/ .

(٣) أشار الى الآية التي قبلها هي (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) البقرة

١٣٠/ .

(٤) تفسير القرطبي ١٣٥/٢ .

(٥) البرهان ٣٩/٤ .

ومثال آخر في ترجيح عود الضمير إلى أقرب مذكور تفسيره لقوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) (١) إذ قال ((٢) قوله تعالى (مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) "ما" في موضع نصب به "يقطعون" و"أن" إن شئت كانت بدلا من "ما" وإن شئت من الهاء في "به" وهو أحسن ، ويجوز أن يكون لئلا يوصل اي كراهة أن يوصل)) .

ذكر في المثال عدة تأويلات للآية ، فمنها: أن يكون "أن يوصل" بدلا من "ما" والمعنى ويقطعون وصل ما أمر الله به" ومنها: أن يكون بدلا من الهاء في "به" والمعنى: يقطعون ما أمر الله بوصله" واختار القرطبي التأويل الثاني لما فيه رجوع الضمير إلى أقرب مذكور ، وهذا الإعراب اختيار أبي حيان (٣) .

وفي المواضع التي تمسك فيها القرطبي بوجه أقوى من حيث الصناعة النحوية، وكان الوجه يفي بالغرض من حيث المعنى، هو اختياره لعدم الحذف في تأويله لقوله تعالى (وَلَا تَعْرِمُوا عَقْدَةَ الْبَيْعِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ) (٤) إذ قال (٥) «قوله تعالى (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ) يريد تمام العدة . والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر الذي رسم من المدة. سَمَّاها كتابا إِذْ قَدْ حَدَّه وَفَرَضَهُ كِتَابُ اللَّهِ كَمَا قَالَ : (كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) (٦) وكما قال : (إِنْ الضَّلَاةُ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (٧) فالكتاب : الفرض اي حتى يبلغ الفرض أَجَلَهُ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (٨) اي فَرَضَ . وقيل في الكلام حَذَفَ أَي حَتَّى يَبْلُغَ فَرَضَ الْكِتَابِ أَجَلَهُ ، فالكتاب على هذا التأويل بمعنى القرآن وعلى الأول لأحذف فهو أولى والله اعلم» .

(١) البقرة ٢٧/ .

(٢) تفسير القرطبي ١/ ٢٤٧ .

(٣) تفسير البحر المحيط ١/ ١٢٨ .

(٤) النحل ٦٧/ .

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ١٣٧ .

(٦) النساء ٢٤/ .

(٧) النساء ١٠٣/ .

(٨) البقرة ١٨٢/ .

فقد اختار القرطبي أحد التأويلين للآية ففضل ما ليس فيه حذف: لأنّ الحذف خلاف الأصل قال الزركشي (١) ((الحذف خلاف الأصل)) ثم قال (٢) إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى لأنّ الأصل عدم التغيير)) .

وشبهه بهذا تفسيره لقوله تعالى (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) (٣) إذ قال (٤) ((قال القرطبي التقدير: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ مَا تَتَّخِذُونَ، فَحَذَفَ "مَا" ودلّ على حذفه قوله "منه"، وقيل المحذوف شيء، والأمر قريب، وقيل: معنى منه أي من المذكور فلا يكون في الكلام حذف وهو أولى. ويجوز أن قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ) عطفا على (الأنعام) (٥) أي ولكم من ثمرات النخيل والأعناب عبرة، ويجوز أن يكون معطوفا على ممّا (٦) أي ونسقيكم أيضا مشروبات من ثمرات)) .

ففي هذا التفسير قد اختار عدم الحذف لأنّه الأصل .
وقد يتقبل القرطبي القول بالحذف اجتنابا من إطلاق القول بالزيادة وإن كان الاثنان خلاف الأصل، إلا أنّ الأول أخف، واتفق العلماء على وقوع الحذف من القرآن (٧)، وأما الزيادة فيختلف العلماء في جواز إطلاقها في القرآن (٨)، وأصح ما قيل فيه أن مراد النحويين

(١) انظر البرهان ١٠٤/٣

(٢) البرهان ١٠٤ / ٣ .

(٣) النحل ٦٧/ .

(٤) تفسير القرطبي ١٢٧/١٠ .

(٥) أشار إلى الآية التي قبلها (وَأِنْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) النحل ٦٦/ .

(٦) نفسه .

(٧) لقد بينّا مسألة الحذف في القرآن في المبحث الأول من هذا الفصل فارجع هناك .

(٨) انظر هذا الاختلاف في "البرهان" ٧٣-٧٠/٣ و"الاتقان" ٢٦٨/٢ .

بالزيادة من جهة الإعراب لا من جهة المعنى^(١) وما جاء منذ ينبغي حملد على التوكيد^(٢).

وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا)^(٣) إِذْ قَالَ (٤) ((وَمِنْ فِي قَوْلِهِ "مِمَّا" زائدة في قول الأخفش ، وغير زائدة في قول سيويه؛ لأنَّ الكلام موجب قال النحاس ، وإنما دعا الأخفش إلى هذا لأنه لم يجد مفعولا لـ "يخرج" فأراد أن يجعل "ما" مفعولا، والأولى أن يكون المفعول محذوفا دلَّ عليه سائر الكلام "التقدير" يخرج لنا مما تنبت الأرض ما كولا و "من" الأولى على هذا للتبعض والثانية للتخصيص))

فقد اختار القرطبي القول بعدم زيادة "من" في التأويل وفضل وجود الحذف فيه، وذلك كما يبدو لأنَّ زيادة "من" في الموجب قول مرجوح، خلافا لسعيد الأخفش والكسائي ، فهما أجازا زيادتها في النفي والإيجاب^(٥).

ومن هذا النوع قوله في قوله تعالى (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٦) ((قال الأخفش "أنَّ" زائدة، وقال الفراء، هو محمول على المعنى، أي وما منعنا كما تقول: مالك أَلَّا تصلي؟ أي ما منعك وقيل المعنى وأي شيء لنا في أَلَّا نقاتل في سبيل الله. قال النحاس وهذا أجودها وأنَّ في موضع نصب^(٧))).

فقد وافق القرطبي ما اختاره النحاس في التأويل ويبدو أنَّ حذف حرف الجار أسهل عنده من إطلاق زيادة "أنَّ" كما ذهب إليه الأخفش أو الحمل على المعنى كما قال بد الفراء ، وذلك

(١) "البرهان" ٣ / ٧٢ .

(٢) قال بد ابن السراج (البرهان ٣ / ٧٢)

(٣) البقرة ٦١ /

(٤) تفسير القرطبي ١ / ٤٢٤ (٥) انظر "مع الهوامع" ٤ / ٢١٥ .

(٦) البقرة ٢٤٦ / (٧) تفسير القرطبي ٣ / ٢٤٤ .

لأنّ حذف حرف الجار العامل في "أَنْ كَثِيرٌ" (١)، إن التقديم والتأخير من أساليب العربية ولكن ذلك لا يستساع في كل الاحوال، فمن أجل ذلك فقد اختار القرطبي ما ليس فيه التقديم والتأخير في تفسيره لقوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ (٢) إِذْ قَالَ (٣) ((تأكيد منه تعالى لمدح هذه الربوة بأنها إن لم يصبها وابل فإنّ الطلّ يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين وذلك لكرم الأرض وطيبها. قال المبرد وغيرها: تقديره فطلا يكفيها وقال الزجاج: فالذي يصيبها فطلّ... قال بعضهم، في الآية تقديم وتأخير ومعناه: كمثال جنة برية أصابها وابل فإن لم يصبها وابل فطلّ فاتت أكلها ضعفين يعني أخضرت أوراق البستان وخرجت ثمرتها ضعفين: قلت: التأويل الأول: أصوب ولا حاجة إلى التقديم والتأخير)) إن كل حرف من حروف المعاني في الأصل له دلالة الخاصة به ولا يخرج عنها إلى دلالة معنى حرف آخر. وان حدث ذلك فهو من قبيل تناوب حروف الجر، هذا ما أقرّه الكوفيون ورفضه البصريون كما سبق بيان ذلك في البحث في الاستشهاد بالقرآن، والظاهر على هذا الأساس اختار القرطبي استعمال الباء في بابها في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذَا فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجِيَكُمْ وَأَغْرِقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (٤) إذ قال (٥) ((ومعنى "بكم" أي لكم فالباء بمعنى اللام، وقيل الباء في مكانها، أي فرّقنا البحر بدخولكم إياه أي صاروا بين الماءين، فصار الفرق بهم، وهذا أولى ببيّنه فانطلق)).

وقال أبو حيان إن الباء على هذا التأويل معناه السبب أي بسبب دخولكم أو المصاحبة وهو قريب من معنى الاستعانة (٦).

-
- (١) انظر مع الهوامع ٩٣/٤ .
- (٢) البقرة / ٢٦٥ .
- (٣) تفسير القرطبي / ٣١٢/٣ .
- (٤) البقرة / ٥٠ .
- (٥) تفسير القرطبي ٣٨٧/١ وانظر نحوه في تفسير القرطبي ٨٤/١٧ في تفسير قوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)
- (٦) انظر البحر المحيط ١٩٧/١ بتصرف .

ومن اختيارات القرطبي التي اعتمد فيها على قوة الإعراب وصحة المعنى قوله في قوله تعالى (وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ الْمُوسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ^(١)) «وَحَقًّا صفة لقوله "متاعاً" أو نصبا على المصدر وذلك أدخل في التأكيد للأمر والله أعلم^(٢)».

فقد اختار القرطبي التأويل الثاني وذلك - كما يبدو - لأن المصدر إذا جاء مساوياً معنى عامله من غير زيادة كقمت قياماً، فإنه من قبيل التأكيد اللفظي في قول ابن جني، وفي قول آخر أنه من قبيل التأكيد المعنوي؛ لإزالة الشك عن الحدث ورفع توقم المسجرات، فكلاهما تأكيد^(٣). وأما الصفة فإنها لا تكون للتوكيد في كل الأحوال^(٤).

وشبهه بذلك تفسيره في قوله تعالى (إِلِيلَافٍ قَرِيشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيفِ^(٥)) إذ قال^(٦) ((«رحلة» نصب بالمصدر؛ أي ارتحلهم رحلة أو بوقوع «إيلافهم» عليه، أو على الظرف، ولو جعلتها في محلّ الرفع على معنى «هما رحلة الشتاء والصيف» لجاز، والأول أولى».

قد اختار القرطبي الإعراب الأول، وذلك - كما يبدو - أن التركيب النحوي في القول الأول يعطي معنى أقوى.

وقد يعود اختيار القرطبي لإعراب ما إلى وجود ما يؤيد ذلك في قراءة شاذة، وذلك كتأويله لقوله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا، وَلِبَاسَ التَّقْوَى - ذَلِكَ خَيْرٌ^(٧)) إذ قال^(٨) ((وقرأ أهل المدينة والكسائي «لباس» بالنصب عطفاً على «لباس» الأول. وقيل: انتصب بفعل مضمر، أي وأنزلنا لباس التقوى. والباقون بالرفع على الابتداء. و«ذلك» نعت و«خبر» خبر الابتداء. والمعنى: ولباس التقوى المشار

(١) البقرة ٢٣٦ (٢) تفسير القرطبي ٢٠٣/٣

(٣) انظر «مع الهوامع» ٩٦/٣ بتصريف.

(٤) لأن الصفة قد تأتي للمدح كقوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الفاتحة/١، وللذم، نحو «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وللتوكيد، كقوله تعالى (لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) النساء/٩٢، وغيرها (انظر «مع الهوامع» ١٧١/٥).

(٥) قريش/١-٢ (٦) «تفسير القرطبي» ٢٠٦/٢٠ (٧) الاعراف/٣٦

(٨) «تفسير القرطبي» ١٨٥/٧

اليه، الذي علمتموه، خير لكم من لبس الثياب التي تُؤاري سوءاتكم، والرياش الذي أنزلنا اليكم، فالبسوه، وقيل: ارتفع بإضمار هو: أي وهو لباس التقوى: أي هو ستر العورة، وعليه يخرج قول ابن زيد، وقيل: المعنى ولباس التقوى هو خير: ف"ذلك" بمعنى هو، والاعراب الأول أحسن ما قيل فيه، وقرأ الأعمش "ولباس التقوى خير" ولم يقرأ "ذلك" وهو خلاف المصحف)).

فإن القرطبي قد اختار التأويل الأول: لأن هناك قراءة شاذة تؤيد ما ذهب إليه من حيث تقدير الإعراب، ومعلوم أن القراءة الشاذة فاعدها لتفسير وتبيين معاني القراءة المتواترة أو المشهورة (١).

ومن المسائل النحوية واللغوية التي لها أثر في استنباط الأحكام الفقهية، هي ما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (٢) إذ ذكر (٣) أن المذهب المالكي رأى وجوب التعميم في مسح الرأس، واستدلوا بدلالة حرف الباء من ثلاث نواح: أولاً: إن الباء مؤكدة زائدة ليست للتبويض؛ والمعنى: وامسحوا برؤوسكم. ثانياً: دخولها هنا كدخولها في التيمم في قوله: (فامسحوا بوجوهكم) (٤)، فلو كان معناها التبويض لأفادته في ذلك الموضع، وهذا قاطع.

ثالثاً: إنما دخلت الباء لتفيد معنى بديعاً وهو أن الغسل لغة يقتضي مفسولاً به، والمسح لغة لا يقتضي ممسوحاً به، فلو قال: وامسحوا رؤوسكم لأجزأ المصحح باليد إمراراً من غير شيء على الرأس، فدخلت الباء لتفيد ممسوحاً به وهو الماء، فكانه قال: وامسحوا برؤوسكم الماء؛ وذلك فصيح في اللغة على الوجهين؛ إما على القلب كما أنشد سيبويه:

كنواح ريش حمامة بخدية ومسحت بالثنتين عصف الإثم (٥)

(١) "البرهان في علوم القرآن" ١/٣٣٦.

(٢) المائدة/٦. (٣) انظر ذلك في "تفسير القرطبي" ٦/٨٧-٨٨ بتصرف.

(٤) النساء/٤٣ والمائدة/٦. (٥) البيت لخفاف بن ندبة السلمي (انظر كتاب

"سيبويه" ١/٢٧)، وصف فيه شفتي المرأة، فشبههما بنواحي ريش الحمامة في الرقة واللسطافة والإستدارة، وأراد لثانتها تضرب إلى السمرة كأنها مسحت بالإثم وعصف ما سحق منه.

واللثة هي الممسوحة بعصف الإشمد فقلب، وإمّا على الاشتراك في الفعل والتساوي في نسبتة كقول الشاعر: **مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ بَلَغَتْ سُوءَاتُهُمْ هَجْرٌ** (١)

وذكر أنّ الشافعي ذهب إلى أنّ الأمر بالمسح في قوله تعالى (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) (٢) يحتمل مسح بعض الرأس ومسح جميعه، ودلت السنة أنّ مسح بعضه يُجزئ، وهو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مسح يَنَاصِيته.

وأجاب الشافعي عن استدلال المالكي بأنّ الباء في قوله تعالى (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) نظيرها الباء في قوله (وَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ) (٣) في التيمم، إذ لا يُجزئ مسح بعض الوجه هنا، فلا يُجزئ مسح بعض الرأس في الوضوء، فقال (٤): ((مَسْحُ الْوُجُوهِ فِي التَّيَمُّمِ بَدَلٌ مِنْ غَسْلِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمَسْحِ عَلَى جَمِيعِ مَوْضِعِ الْفَسْلِ مِنْهُ، وَمَسْحُ الرَّأْسِ أَصْلٌ، فَهَذَا فَرْقٌ بَيْنَهُمَا)).

ثم أورد القرطبي الإجابة عن احتجاج الشافعي بالسنة فقال ((أجاب علماؤنا عن الحديث بأن قالوا: لعلّ صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لعذر لا سيّما وكان هذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم في السّفر، وهو مظنة الأعذار، وموضع الاستعجال والاختصار، وحذف كثير من الفرائض لأجل المشقات والأخطار، ثم هو لم يكتف بالنّاصية حتى مسح على العمامة، أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبه، فلو لم يكن مسح جميع الرأس واجبا لمّا مسح على العمامة: والله أعلم)).

فاتضح مما سبق أنّ المذهب المالكي اعتمد على دلالة حرف الباء في استنباط الحكم بوجوب التعميم في مسح الرأس في الوضوء، وإمّا الشافعي: فقد اعتمد على السنة النبوية في رفع الاحتمال على أنّ المأمور بالمسح في قوله (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) (٥) جميع الرأس.

(١) البيت للاختلال (انظر شعر الأختل ٢٠٩/١) وفيه : عَلَى الْعِيَارَاتِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ حَدَّثَتْ سُوءَاتُهُمْ هَجْرٌ . والقنفاذ جمع قنفذ، وهو حيوان معروف يضرب به المثل في سرى الليل، والهدّاج المرتعش في مشيه، والمعنى: إن رهط جرير كالقنفاذ لمشيهم في الليل للسرقة والفجور . (٢) المائدة/٦ . (٣) النساء/٤٣ والمائدة/٦ .

(٤) "تفسير القرطبي" ٨٨/٦ . (٥) المائدة/٦ .

واستمر القرطبي لمذهبه المالكي فأتى بإجابة العلماء المالكية عن حجة المذهب الشافعي، ومثال المسألة اللغوية التي انتفع بها القرطبي في سبيل الترجيح بين الأحكام المصطف فيها كما يلي:

قرئ قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)^(١) بخفض "أرجلكم" ونصبها، فقراءة الخفض عطف على "رؤوسكم" فيدخل في خطاب الأمر بالمسح، وقراءة النصب عطف على "أيديكم" فيدخل في خطاب الأمر بالغسل^(٢)، واختلف العلماء بسبب الاختلاف في القراءة^(٣)، فذهب الجمهور إلى أن غسل الرجلين في الوضوء واجب، واستدلوا بأدلة:

منها: قراءة النصب، فيعطف لفظ "أرجلكم" على "أيديكم"، فدخل في خطاب الأمر بالغسل.

ومنها: إن الله حدَّ الرَّجُلَيْنِ "إلى الكعبين" كما قال في اليدين "إلى المرافق"، فدلَّ على وجوب غسلهما كاليدين.

ومنها: أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غسل القدمين، منها قوله صلى الله عليه وسلم لما رأى قوماً يتوضئون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته "ويل للأعقاب من النار" أسبغوا

(١) المائدة/٦.

(٢) والقراءتان صحيحتان (انظر "السبعة في القراءات" ص ٢٤٢-٢٤٣).

(٣) انظر هذه المسألة في "تفسير القرطبي" ٩١/٦، وما بعدها، وأوردناها هنا بتمصرف واختصار.

وذهب قوم منهم قَتادة بن دُعامة (ت ١١٨هـ) أن الواجب مسح الرجلين .
 واختار محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) التخيير بين الغسل والمسح، وجعل
 القراءتين كالزوايتين في الخبر (٢) يعمل بهما إذا لم تتناقضا .

وحكى ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) أن قوما ممن يقرأ بالكسر ذهب إلى أن المسح في
 الرجلين هو الغسل، على سبيل الاشتراك اللفظي .

ومن أجل ذلك تمسك القرطبي بأن المسح لفظ مشترك، واحتج بما قاله أبو زيد
 الأنصاري (٣) (ت ٢١٥ هـ) بأن "المسح في كلام العرب يكون غسلا ومسحا، ومنه يقال: للرجل
 إذا توضأ فغسل أعضائه: فقد تمسح، ويقال: "مسح الله ما بك"، إذا غسلك وظهرك من
 الذنوب، وجعل قراءة الخفض (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) (٤) من هذا القبيل، فالآية تحتل
 معنيين، أحدهما وجوب مسح الرجلين والآخر وجوب غسلهما ثم رجح القرطبي احتمال الغسل على
 احتمال المسح، بأدلة:

منها: حمل قراءة الخفض على معنى الغسل بدليل قراءة النصب التي لا احتمال فيها .
 ومنها: كثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، وعدة أدلة أخرى .

(١) وفي فتح الباري "آدم بن أبي إياس قال حدثنا شعبة قال حدثنا محمد بن زياد قال سمعت

أبا هريرة وكان يمر بنا والناس يتوضئون من المظهرة قال: أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم
 صلى الله عليه وسلم قال: ويل للأعقاب من النار" ("فتح الباري" ١/٢١٤) .

(٢) الخبر هنا الحديث النبوي الشريف، والمصطلحات بمعنى واحد عند الجمهور (أنظر "منهج
 النقد في علوم الحديث" ص ٢٧) .

(٣) هو سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، نحوي أصيب، مات بالبصرة سنة ٢١٥هـ
 ("جمهرة انساب العرب" ص ٣٧٣) .

(٤) المائدة ٦/ .

هذا، ولا نريد أن نطيل البحث في هذه المسألة حتى لا نذهب بعيداً عما نحن بصدده هنا وإنما نذكر أن القرطبي قد جعل مسألة الاشتراك اللفظي انطلاقة للترجيح بين الأحكام المختلف فيها^١. هذه كلها أمثلة لاعتماد القرطبي على المسائل النحوية واللغوية في الترجيح بين التاويلات، واتضح مما مضى أنّ اختياراته تعتمد على مسائل نحوية ولغوية منها: اختيار أقرب مذكور في عود الضمير، ومنها: اختيار ما ليس فيه حذف، ومنها: الاحتراز من إطلاق القول بالزيادة، ومنها: اختيار ما ليس فيه تقديم ولا تأخير، ومنها: اختياره لقوة دلالة التركيب على التأكيد، ومنها: لوجود قراءة شاذة تفسّر التقدير النحوي للتاويل المختار^٢. وكان القرطبي ينتفع بمعاني الحروف لأجل انتصار مذهبه وفي موضع آخر جعل الاشتراك اللفظي انطلاقة للترجيح بين الأحكام المختلف فيها^(١).

ب- أمثلة في اعتماد القرطبي على الجانب المعنوي في الترجيح بين التاويلات:

إن الآيات القرآنية يفسّر بعضها بعضاً، وتفسير القرآن بالقرآن هو أصح طرق التفسير^(٢). وعلى هذا الأساس رجح القرطبي تناوب حرف جر في تفسيره لقوله تعالى (أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)^(٣)، لما في معنى الآية على تفسير

(١) وهناك عدّة مواضع أخرى اعتمد فيها القرطبي على المسائل اللغوية والنحوية في الترجيح بين التاويلات، انظر "تفسير القرطبي" ١/٣٨٣/البقرة/٤٩، في تفسير قوله تعالى (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)؛ و"تفسير القرطبي" ٣/٢١٤/البقرة/٢٦٥ في تفسير قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)؛ و"التفسير" ٤/٥٤/آل عمران/٢٦، في تفسير قوله تعالى (قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ)؛ و"التفسير" ٤/٢٤٧/آل عمران/١٥٧، في تفسير قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُلُوبُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّعَ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)؛ و"التفسير" ٥/٣٣٨/النساء/٩٤، في تفسير قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا)؛ و"التفسير" ٤/٦٦/آل عمران/٢٥ في قوله تعالى (إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا)؛ و"التفسير" ٦/٣٩٦/الانعام/١٢ في تفسير قوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

(٢) "مقدمة في اصول التفسير" ص ٩٣. (٣) المؤمنون ٦١.

تتأوب حرف جر ما يؤيدده معنى في موضع آخر من القرآن، وقال القرطبي في ذلك: ((وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أحسن ما قيل فيه: أنهم يسبقون إلى أوقاتها، ودلّ بهذا أنّ الصلاة في أول الوقت أفضل، كما تقدم في "البقرة" وكل ما تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكلّ مَنْ تأخر عنه فقد سبقه وفاته، فاللام في "لها" على هذا القول بمعنى "إلى"، كما قال "بأن" ربك أوحى لها" أي أوحى إليها، وأنشد سيبويه:

تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الِيعَامَةِ نَاقَتِي وَمَا قَمَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا^(١)

وعن ابن عباس في معنى "وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" سبقت لهم من الله السعادة، فلذلك سارعوا في الخيرات، وقيل: المعنى وهم من أجل الخيرات سابقون^(٢).

فكان اختيار القرطبي للتأويل الأول نظرا إلى تناسب المعاني بين الآيات القرآنية، وللتأويل وجه في العربية، قال أبو حيان عن تأويل قوله ((وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)) ((الظاهر أن الضمير في لها عائد على الخيرات أي سابقون إليها، تقول سبقت لكذا وسبقت إلى كذا، ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس، وتكون الجملة تأكيدا للتي قبلها مفيدة تجدد الفعل بقوله يسارعون وثبوتة بقوله سابقون^(٣))) ثم ذكر عدة تأويلات أخرى وعقب عليها فقال^(٤) ((والظاهر القول الأول وباقيها متعسف وتحميل للفظ غير ظاهره))،

تشارك في حرف "ثُمَّ" عدة معان، منها: التشريك في الحكم، ومنها: الترتيب خلافا لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ومنها: المهلة، خلافا للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وغيرها^(٥). ومن هنا نشأ الخلاف بين العلماء في تفسير قوله تعالى (فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ^(٦))، ورجح القرطبي القول بأن "ثُمَّ" في هذه الآية ليست

(١) البيت للأعشى الكبير، انظر ديوانه ص ٨٩، والتجانف الانحراف.

(٢) "تفسير القرطبي" ١٢/١٣٣ • (٣) "البحر المحيط" ٦/٤١١ •

(٤) "البحر المحيط" ٦/٤١١ • (٥) "معجم الهوامع" ٥/٢٣٦-٢٣٧ • (٦) البقرة/١٩٩ •

للترتيب؛ وحجته في ذلك ان هناك حديثا يفسر معنى تلك الآية، ويبين سبب نزولها، وقال القرطبي^(١) ((قوله تعالى (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قيل: الخطاب للْحَمْسِ، فإيتهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الْحَرَمِ، وكانوا يقولون: نحن قُطَيْن^(٢) الله، فينبغي لنا أَنْ نَعْظِمَ الْحَرَمَ، ولا نَعْظِمَ شيئاً من الْجِلِّ وكانوا مع معرفتهم واقرارهم أَنْ عَرَفَةَ مَوْقِفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ وَيَقِفُونَ بِجَمْعٍ وَيَفِيضُونَ مِنْهُ وَيَقِفُ النَّاسُ بِعَرَفَةَ فَقِيلَ لَهُ أَفِيضُوا مَعَ الْجَمْلَةِ. وَثُمَّ لَيْسَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلتَّرْتِيبِ وَإِنَّمَا هِيَ لِعَظْفِ جَمْلَةٍ كَلَامٍ هِيَ مِنْهَا مَنْقُطَةٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ الْمَخَاطَبُ بِالْآيَةِ جَمْلَةُ الْأُمَّةِ. وَالْمُرَادُ بِـ "النَّاسِ" إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ الذَّحَّاكُ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ، وَهُوَ يَرِيدُ وَاحِدًا. وَيَحْتَمِلُ عَلَى هَذَا أَنْ يُؤْمَرُوا بِالْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَةَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ إِفَاضَةٌ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ فَتَجِيءُ "ثُمَّ" عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ عَلَى بَابِهَا، وَعَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ عَوَّلَ الطَّبْرِيُّ وَالْمَعْنَى أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ جَمْعٍ^(٣) أَيِ ثَمَّ أَفِيضُوا إِلَى مِنْى لِأَنَّ الْإِفَاضَةَ مِنْ عَرَفَاتٍ قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ جَمْعٍ

قُلْتُ وَيَكُونُ فِي هَذِهِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَوْجَبَ الْوُقُوفَ بِالْمَزْدَلِفَةِ، لِلأَمْرِ بِالْإِفَاضَةِ مِنْهَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَتْ قَرِيشٌ وَمَنْ كَانَ عَلَى حِينِهَا وَهُمْ الْحَمْسُ يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ يَقُولُونَ: نَحْنُ قُطَيْنُ اللَّهِ، وَكَانَ مَنْ سِوَاهُمْ يَقِفُونَ بِعَرَفَةَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)^(٤) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْسُ هُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قَالَتْ: لَا تُفِيضُ إِلَّا مِنَ الْحَرَمِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ (أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)، رَجَعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ. وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ صَحِيحٌ، فَلَا مَعْوَلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ)).

(١) تفسير القرطبي ٤٢٧/٢-٤٢٨.

(٢) قطين الله : أي سكان حرمة والقطين جمع قاطن كالقطن.

(٣) "جمع" هنا المزدلفة نفسها، وسمي جمعاً لاجتماع الناس فيه (معجم البلدان ١٦٣/٢).

(٤) البقرة/١٩٩.

ومثل هذا تفسيره لقوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَدُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ^(١)) إذ قال^(٢) (اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها، وهو قول الخليل وسيبويه - إنها لام العاقبة والمصيرورة - وفي الخبر إن لله تعالى مُلْكًا ينادي كل يوم لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ" أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال مار كأنه أعطاهم لِيُضِلُّوَا. وقيل: هي لام كي، أي أعطيتهم لكي يضلُّوا ويبطروا ويتكبروا، وقيل: هي لام أجل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم، وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلُّوا، فحذفت "لا" كما قال عز وجل: (يَكَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَحِلُّوَا)^(٣) والمعنى: لأن لا تَحِلُّوَا، قال النحاس: ظاهرة هذا الجواب حسن، إلا أن السَّعْبَ لَا تَحْدَفُ "لا" إِلَّا مَعَ "أَنْ"، فمؤدَّ صاحب هذا الجواب بقول عز وجل: "أَنْ تَحِلُّوَا" وقيل: اللام للدعاء، أي ابتلاهم بالضللال عن سبيلك، لأن بعده: (اطْمِئْنِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدَّدْ^(٤))).

قد اختار القرطبي القول بأن اللام في الآية السابقة للمصيرورة، واحتج في الترجيح بَيْنَ الْأَقْوَالِ، بما ورد ذلك في الحديث الشريف:

وقد جعل القرطبي إحدى العقائد المذهبية هي المعول عليها في الترجيح بَيْنَ التَّأْوِيلَاتِ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وكان ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ^(٥)) إذ رجَّح أنَّ "ما" مصدرية ويؤول مع الفعل مصدرًا، والتقدير: واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ، وهذا الترجيح انتصارٌ لمذهب أهل السنة القائل: أن أفعال الله وكذلك أعمال العباد الاختيارية خلقٌ لله عز وجل، غير أن أعمال العباد سمَّيت كسبًا، والكسب هو مدار الشواب والعقاب، وهو ردُّ على المعتزلة الذين قالوا: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية^(٦).

(١) يونس/ ٨٨ .

(٢) "تفسير القرطبي" ٣٧٤/٨ . (٣) النساء/ ١٧٦ .

(٤) يونس/ ٨٨ .

(٥) المافات / ٩٦ .

(٦) انظر خلق الأفعال بين أهل السنة والمعتزلة في "مناهل العرفان" ٥٠٩/١ .

وقال القرطبي في ذلك: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»^(١) "ما" في موضع نصب أي وَخَلَقَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ، ويعني الخشب والحجارة وغيرهما: كقوله (بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ)^(٢) وقيل إنَّ ما استفهام ومعناه التحقير لَعَمَلِهِمْ، وقيل: هي نفي: والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه، والآخر أن تكون "ما" مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتسابُ للعبادة، وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله خالق كلِّ مانعٍ وصنعةٍ" ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله عزَّ وجلَّ صنَّعَ كلَّ مانعٍ وصنعةٍ، فهو الخالق وهو الصانع سبحانه" ^(٣).

وما يلي أمثلة للمواضع التي تمسك فيها القرطبي بقوة المعنى في ترجيحاته من غير ترك الجانب النحوي، ولكنه عندئذ قد يضطر إلى الأخذ بالوجه المرجوح من ناحية الصناعة النحوية.

ومن ذلك قوله في قوله تعالى (وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا)^(٤) ((أي لما أصابهم في الجهاد والاستكانة: الذلة والخضوع، وأصلها "استكانوا" على افتعلوا فأشبع فتحة الكاف فتولدت منها ألف، ومن جعلها من الكون فهي استفعلوا والأول أشبه بمعنى الآية)) ^(٥).

فقد مال القرطبي إلى القول أن أصل "استكانوا" من السكون تمسكا بالجانب المعنوي،

(١) المافات: ٩٦.

(٢) الانبياء ٥٦/.

(٣) تفسير القرطبي ٩٦/١٥.

(٤) ال عمران / ١٤٦.

(٥) تفسير القرطبي ٢٣٠/٤.

مع أن هذا القول يشوبه ضعف من جهتين الأولى : إن الأشباع لا يكون إلا في الشعر، والأخرى أن هذه الكلمة في جميع تصاريدها ثبتت عيبتها، تقول استكان يستكين استكانة فهو مستكين ومستكان له، والأشباع لا يكون على هذا الحد^(١).

وشبهه بهذا تفسيره لقوله تعالى (لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)^(٢) إذ قال^(٣) ((اللام متعلقة بقوله: "ولقد عفا عنكم" وقيل: هي متعلقة بقوله: "فأثابكم غمًا بغم"، أي كان هذا الغم بعد الغم لكيلا تحزنوا على ما فات من الغنime، ولا ما أصابكم من الهزيمة. والأول أحسن)).

وقد اختار القرطبي التأويل الأول لأنه أحسن من ناحية، المعنى، وهذا التأويل من حيث الإعراب فيه بعد، إذ قال عنه أبو حيان^(٤) ((وفيه بعد لطول الفصل، ولأن ظاهره تعلّق بمجاوره وهو "فأثابكم")).

فهذه بعض الأمثلة لاعتماد القرطبي على الجانب المعنوي في الترجيح بين التأويلات، واتضح من ذلك أن القرطبي اتخذ تناسب المعاني بين الآيات طريقاً للترجيح بين التأويلات، وجعل الحديث الشريف دليلاً في الترجيح، وفي بعض الأحيان اضطر إلى الأخذ بالرأي المرجوح من ناحية الصناعة النحوية^(٥).

(١) انظر ذلك في "املاء ما من به الرحمن" ١٥٣/١، وفي "البحر المحيط" ٢٥٠/٣.

(٢) آل عمران/١٥٣. (٣) "تفسير القرطبي" ٢٤١/٤.

(٤) "البحر المحيط" ٨٥/٣.

(٥) انظر مواضع أخرى اعتمد فيها القرطبي على الجانب المعنوي في الترجيح: "تفسير القرطبي" ٣٠٩/٥/النساء/٩٠، في إعراب قوله تعالى (أَوْ جَاءَكُمْ حَسْرَتُ مَدُورِهِمْ)؛ و"التفسير" ٨٦/٦/المائدة/٦، في تفسير قوله تعالى (وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَكَرَفِقِ)؛ و"التفسير" ٢١٣/٦/المائدة/٤٩، في تفسير قوله تعالى (عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)؛ و"التفسير" ١٦٠/١٣/النمل/٩، في تفسير قوله تعالى (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)؛ و"التفسير" ٣٢٤/١٤/فاطر/٧، في تفسير قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ ==

وبهذا تمّ البحث في مسائل النحو وأثرها في المعنى، ومفوة ما مضى أنّ للمسائل النحوية واللغوية أثرا في تأويل القرآن واستنباط أحكامه، وأنّصح توظيف هذه المسائل في تفسير القرطبي اتّصاحا جليا، بل جعلت أساسا للترجيح بين التأويلات. فهذه النتيجة أثبتت أنّ تفسير القرطبي يعدّ من التفاسير بالرأي الجائر حقّا.

== عَذَابٌ شَدِيدٌ؛ و"التفسير" ١٧/٢٦٢/الحديد/٢٢، في تفسير قوله تعالى (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ مُتَقَابِلِينَ) ابتدعوها؛ و"التفسير" ١٨/٢٦٢/الطلاق/٤، في تفسير قوله تعالى (إِنْ أَرْتَبْتُمْ).

الخاتمة

ان دراسة "اثر النحو في تفسير القرطبي" وتحليله اعطت لنا نتائج بارزة هي:

- ١- ان نهج القرطبي أقرب الى نهج المفسرين الذين اختاروا تحليل تركيب ألفاظ القرآن من غير التشدد في النظر الى اختلاف المذاهب النحوية، والذين رأوا أن الأفضل طرق التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢- انتهج القرطبي انتهاج القراء في النظر الى القراءة اذ عدّها سنة متبعة وجعل المعتمد عليه في النظر اليها الاصح في السند والاثبت في الاثر. وكان يدافع عن القراءة الصحيحة من كل انكار واستبعاد اينما صدر ذلك الانكار سواء كان من البصريين أم من الكوفيين. وأما الترجيح بين القراءات المتواترة الذي لم يبلغ حد الانكار والاسقاط فانه غير مخطور عنده.
- وأن القراءات التي استشهد لها القرطبي للمسائل النحوية من صنف القراءات الشاذة وذلك يرجع الى فائدة القراءات عامة، فاذا كانت متواترة فانها حجة ليست فقط للمسائل النحوية بل لبناء الاحكام الشرعية، وأما اذا كانت شاذة فانها لتفسير القراءة المتواترة أو المشهورة وبيان معانيهما.
- ٣- أن الحديث يعد شاهدا يعتمد عليه في اثبات القواعد النحوية عند القرطبي.
- ٤- ان القرطبي يندرج فيمن أجازوا الاستشهاد بالاشعار التي لم يعلم قائلوها دون شروط.
- ٥- ان استشهاده بكلام العرب نثرا أقل عددا من استشهاده بغيره من النصوص المحتج بها.
- ٦- لا ينظر القرطبي الى مصادر الاقوال، فاذا كانت الاقوال صحيحة في رأيه - قبلها واذا كانت غير ذلك ردّها، سواء كانت ردوده عليها بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.
- ٧- أن القرطبي اهتم بأقوال سيبويه اهتماما أكثر من اهتمامه بأقوال النحاة الآخرين من البصريين أو الكوفيين، لأن اراء سيبويه توافق ما يريده القرطبي في تفسيره للآيات القرآنية؛ وتحل اقول الكسائي والفراء مرتبة ثانية بعد سيبويه.

- ٨- استخدم القرطبي المصطلحات البهرية والمصطلحات الكوفية جميعها في تفسيره النحوي، ولا يظهر ميله الى اختيار أحد المذهبين في استخدام المصطلحات، بل ان هناك دليلا يبين محاولته الواضحة في تخفيف حدة الاختلاف بين المذهبين.
 - ٩- ان منهج القرطبي في استخدام المصطلحات النحوية متقارب مع منهج أبي جعفر النحاس في كتاب "اعراب القرآن" لأنه اعتمد عليه في بناء تفسيره النحوي.
 - ١٠- لم نجد دليلا على أن القرطبي رجع الى كتب النحو الا في كتاب سيوبيه، ومع ذلك لايغني ان الاقوال المنسوبة الى سيوبيه كلها مأخوذة من "الكتاب".
 - ١١- يعد كتاب "اعراب القرآن" للنحاس أهم مصادر القرطبي النحوية؛ لأنه اعتمد عليه اعتمادا كبيرا وبنى اعرابه للقرآن في تفسيره على اساس هذا الكتاب.
 - ١٢- ولم يذكر القرطبي - في مواضع كثيرة - مصادر النقول، فكثير من الأعراب في الحقيقة أنها مسروبة من كتاب "اعراب القرآن" للنحاس، وهناك اقوال كثيرة منسوبة الى النحاة السابقين أمثال سيوبيه والكسائي والفراء والافخش الأوسط، وغيرهم، في الحقيقة أنها مأخوذة بالفاظها من ذلك الكتاب أيضا، ولم يذكر القرطبي أنها منه، فكانها في الظاهر مأخوذة من كتب هؤلاء العلماء أو من مصادر مختلفة.
 - ١٣- يختلف مقدار اعتماد القرطبي على كتب التفسير كما ونوعا، فأكثر استفادة القرطبي من تفسير الماوردي في مسائل اللغة، وكان تفسير القشيري معينا لمسائل القراءات ووجوه اعرابها وأما تفسير ابن عطية فأكثر انتفاع القرطبي به في المسائل النحوية.
 - ١٤- ولم يعرب القرطبي كل آيات القرآن: لأن القصد في تطبيق الاعراب على النصوص القرآنية لأجل ابانة معانيها. والنصوص التي تحتاج الى الابانة والايضاح هي النصوص المشككة من حيث التركيب النحوي. وان لم يكن في معنى الآية اشكال فلا يحتاج الى الاعراب، ويكمن الاشكال النحوي في الاحوال التالية:
- أولاً: ما لا يظهر على آخره الحركات الاعرابية،
 - ثانياً: ما تعدد فيه أوجه الاعراب،
 - ثالثاً: ما لا يتضح فيه العامل.
 - رابعاً: ما كان فيه حذف.

ومن المسائل التي تعرض لها القرطبي في اعرابه للقرآن : منها : اتباع الاحكام النحوية بعقلها، ومنها بيان معاني الحروف، ومنها : توجيه اعراب القراءات القرآنية ، ووظف القرطبي علم الصرف توظيفاً دقيقاً في تحليله لالفاظ القرآن، فاستخدم الادغام والزيادة والحذف والنقل والقلب والابدال، والاشتقاق، في معرفة أصول الكلمات.

١٥- ابتعد القرطبي من استعمال الترادف بوصفها ظاهرة لغوية في تفسيره لالفاظ القرآن، وعلى عكس ذلك كثر استخدامه للفروق اللغوية باعتبارها طريقة في تفسير الفاظ القرآن وفي توجيه قراءاته.

١٦- يظهر اثر الانتفاع بظاهرة المشترك اللفظي بشكل جلي في تفسير القرطبي، فحالة القرطبي مع المشترك اللفظي ليس كحالته مع الترادف.

١٧- انتفع القرطبي بظاهرة الاضداد في تفسيره لالفاظ القرآن انتفاعاً ظاهراً، ولم يختلف انتفاعه بها مع انتفاعه بظاهرة الاشتراك اللفظي.

١٨- توجيه القراءات القرآنية ظاهر في تفسير القرطبي بالنظر الى اختلاف لغات القبائل واضحة في تفسير القرطبي سواء أكان التفسير من ناحية الاعراب أم ناحية تغيير الحركات في الاسم التغيير الذي ليس في حروف الاعراب.

١٩- ان القرطبي من المؤيدين للقول الذي لا يقبل وجود الكلمات غير العربية في القرآن الكريم والحجة التي اعتمد عليها القرطبي هي ان الكلمات اذا تخاطب بها العرب فانها لسانها ولا يقال انها لغيرهم، ولكنه لا يستبعد وقوع اتفاق بين العرب وغيرهم في استعمال الكلمات للدلالة على معنى واحد.

٢٠- ان فهم معنى ما يريد ان يعربه المعرب مفردا كان او مركباً أمر ضروري، وان عدم الاكتراث له قد يؤدي الى فساد المعنى. وهذه الصورة تدل دلالة واضحة على أن القرآن ليس مجرد نصوص لغوية ولكنه نصوص مرتبطة بأمور دينية وعقائدية ومتعلقة بتاريخ الاسلام.

٢١- ان القرطبي تحرى معنى النحو، فلم يكن يكتفي بمعنى النصوص فحسب بل يهتم كذلك بتقدير الاعراب حتى لا يتجاوز حدود الصناعة النحوية الصحيحة، واذا تجاذب المعنى والاعراب الشيء الواحد، فكان المتمسك به عند القرطبي المعنى، لان المعنى أصل

والاعراب فرع وهذا منهج سليم سار عليه العلماء كابن جني وابن هشام والزركشي والسيوطي.

٢٢- ان حق اي تغيير في الاحوال الاعرابية له اثر في تغيير المعنى وأن ظاهرة تعدد التأويلات من اثر تعدد الاعراب واضحة في تفسير القرطبي، ولكن القرطبي في الاغلب لم يتوسع في توضيح التأويلات، بل في بعض الاحيان اكتفى بذكر الاعراب المحتملة فحسب.

٢٣- ومن مسائل النحو التي من أثرها يتعدد تفسير النص الواحد، الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، التي تعرض لها تركيب الفاظ القرآن الكريم، وكذلك الاحتمال في عود الضمير والاحتمال بين الاتصال والانقطاع في مسألة الاستثناء. ومن ذلك ايضا ورود الالفاظ في القرآن الكريم يشترك فيها عدة معان في ظاهر الامر كالاشتراك اللفظي والاضداد وبعض حروف المعاني وبعض الافعال.

٢٤- اتضح من دراستنا في اختيارات القرطبي للتأويلات ان هناك عشرين موضعا من أصل خمسة وثلاثين موضعا اعتمد فيها القرطبي على الاساليب النحوية في الترجيح، ولا يعني ذلك ان القرطبي لا يهتم بالجانب المعنوي وانما ذلك يعني اعتماده على دلالة النحو في الترجيح وان ههناك ثلاثة عشر موضعا تمسك فيها القرطبي بقوة المعنى في ترجيحاته، من غير ترك الجانب النحوي- ولكن القرطبي عندئذ قد يضطر الى الاخذ بالوجه المرجوح من ناحية الصناعة النحوية.

والمسائل النحوية التي يعتمد عليها القرطبي في اختياراته منها : اختيار أقرب مذكور في عود الضمير ومنها : اختيار ما ليس فيه حذف، ومنها : الاحتراز من اطلاق القول بالزيادة ومنها : اختيار ما ليس فيه تقديم وتأخير ومنها : اختياره لقوة دلالة التركيب على التأكيد ومنها : اختياره لوجود قراءة شاذة تفسر التقدير النحوي للتأويل المختار.

٢٥- وكان ينتفع بمعاني الحروف لاجل انتصار مذهبه المالكي، وفي موضع آخر جعل الاشتراك اللفظي انطلاقا للترجيح بين الاحكام المختلف فيها بين الفقهاء.

٢٦- اتخذ القرطبي تناسب المعاني بين الايات طريقا للترجيح بين التأويلات، وجعل الحديث الشريف دليلا في الترجيح وفي بعض الاحيان قد اضطر القرطبي الى الاخذ بالرأي المرجوح من ناحية الصناعة النحوية.

٢٧- وصفوة القول في هذه الدراسة ان للمسائل النحوية او اللغوية أثرا في تاويل القرآن واستنباط احكامه وان توظيف هذه المسائل في تفسير القرطبي واضح جلي، بل جعلت في بعض المواضع اساسا للترجيح بين التأويلات. فهذه النتيجة اثبتت ان تفسير القرطبي يعد من التفاسير بالرأي الجائز حقا.

والحمد لله تعالى في الأولى والآخرة.

المصادر والمراجع

- * اتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد "للسيد محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) تحقيق عدنان عبدالرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٨٢ .
- * "اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر"، لابن عبدالغني الشهير بالبيناء (ت ١١١٧هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة (دت) .
- * "إلتقان في علوم القرآن"، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار التراث، ط٣، القاهرة، ١٩٨٥ .
- * "أثر القرآن والقراءات في النحو العربي"، للدكتور محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٨٢ .
- * "الأحكام في أصول الأحكام"، لابن الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي (ت ٦٢١هـ) مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر ١٩٦٨ .
- * "أحكام القرآن"، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١٩٦٢ .
- * "أخبار النحويين البصريين" لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) نشرة فرينس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦ .
- * "أسرار العربية"، لأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٧٥ .
- * "إسناد الفعل" الرسمية، محمد المياح، مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٥ .
- * "أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو"، للدكتور عبدالفتاح الدجني، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت ١٩٧٤ .
- * "الأشباه والنظائر"، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٥ .
- * "إصلاح المنطق"، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٤، القاهرة ١٩٨٢ .
- * "الأممعات"، لأبي سعيد عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر

- وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، ط٢، مصر ١٩٦٤ .
- * "الأصوات اللغوية"، للدكتور إبراهيم أنيس دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة ١٩٦١ .
- * "اللاظهار"، لمحمد بن بير علي البيركوي، استانبول ١٩٦٠ .
- * "إعراب القرآن"، المنسوب الى الزجاج (ت ٣١١هـ) تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٨٦م .
- * "إعراب القرآن"، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٩٨٨م .
- * "الأغاني" لابن الفرج الأصفهاني، راجعه الشيخ عبداللّه العلايلي وموسى سليمان وأحمد أبو سعد، دار الثقافة ط٢، بيروت ١٩٥٧م .
- * "الاقتراح في علم أصول النحو" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٢٥٩هـ .
- * "إملاء من من" به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن" لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٧٩ .
- * "إنباء الرواة على أنباء النحاة" لجمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة (دت) .
- * "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون" لاسماعيل البغدادي، (ت ١٣٣٩هـ) عني بتصحيحه محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، طبعة وكالة المعارف، ١٩٤٥ .
- * "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دمشق ١٩٧١ .
- * "الباعث الحثيث"، شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣ .
- * "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) دار الفكر، ط٢، ١٩٨٣ .
- * "البداية والنهاية" لابن كثير الحمقي (ت ٧٧٤هـ) صححه مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت ١٩٨٨ .
- * "البدء والتاريخ" لمطهر بين ظاهر المقدسي، مؤسسة الخانجي، مصر ١٩٦١ .

- * "البرهان في علوم القرآن" لبيد الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة ١٩٥٧ .
- * "البغداديات" لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : صلاح الدين عبد الله الشكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢
- * "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، مصر ١٩٦٤ .
- * "تاج العروس" لمحمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، ط١، مصر ١٣٠٦هـ .
- * "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت) .
- * "تاريخ ابن خلدون" لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) دار البيان .
- * "تاريخ القرآن والتفسير" لعبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "التعريفات" للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٦٩ .
- * "تفسير الطبري" لأبي جعفر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، (د.ت) .
- * "تفسير ابن كثير" لإسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مطبعة المنار، مصر ١٣٤١هـ .
- * "التفسير ورجاله" لمحمد الفاضل ابن عاشور، دار الكتب الشرقية، ط٢، تونس ١٩٧٢ .
- * "التفسير والمفسرون" لمحمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦١ .
- * "تناوب حروف الجر في لغة القرآن" للدكتور محمد حسن عواد، دار الفرقان/ط١، عمان ١٩٨٢ .
- * "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني (ت ٥٨٢هـ) - دار الفكر، ط١، بيروت ١٩٨٤ .
- * "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنت من السنة وآي الفرقان"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الفكر ، ط ٣ ١٩٥٢ ،
- * "جمهرة انساب العرب" لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، راجعه لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٨٢ .

- * "الجنى الداني في حروف المعاني" لحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٦ .
- * "حاشية الخصري" للشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخصري (ت ١٢٨٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٤٠ .
- * "حاشية الصبان" لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر (د.ت) .
- * "حجّة القرآن" لأبي زرعة (توفي قبل القرن الرابع)، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت ١٩٨٤ .
- * "الحجّة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، راجعه عبدالعزيز رباح، دار المأمون للتراث، ط١، بيروت ١٩٩١ .
- * "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، مصر ١٩٦٨ .
- * "حضارة العرب" للدكتور غوستاف لوبون، نقله الى العربية عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، ط٢، القاهرة ١٩٥٦ .
- * "خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب" لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، مصر ١٩٧٩ .
- * "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي السنجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، (د.ت) .
- * "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق سيد جادالحق، مطبعة المدني، ط٢، ١٩٦٦ .
- * "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "ديوان الأعشى الكبير" شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية مصر ١٩٥٠ .
- * "ديوان جرير" بشرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر ١٩٥٠ (د.ت) .

- * "ديوان ذي الرمة" عني بتحقيقه كارليل هنري ميس مكارتنلي، مطبعة كلية كمبرج لندن ١٩١٩ .
- * "ديوان طفيل الغنوي" رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، بعناية من فرينكو، طبعة لندن ١٩٢٧ .
- * "ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي" صنعة هاشم الطعان، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد (د٠ت) .
- * "ديوان لبيد العامري" تحقيق احسان عباس، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٩٦٢ .
- * "ديوان النابغة الذبياني" تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "ديوان ابن هرمة" تحقيق محمد جبار المعبيد، النجف، مطبعة الاداب ١٩٦٩ .
- * "ذيل مرآة الزمان" لقطب الدين اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، ط١، الهند، ١٩٥٤ .
- * "الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، تحقيق الدكتور احسان عباس دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥ .
- * "الرسالة" لمحمد بن ابريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، دار التراث، ط٢، القاهرة ١٩٧٩ .
- * "سر صناعة الأعراب" لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق حسن هنداي، دار القلم، ط١، دمشق ١٩٨٥ .
- * "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، دار المسيرة بيروت (د٠ت) .
- * "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك" لعلي بن محمد الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر (د٠ت) .
- * "شرح التصريح على التوضيح" لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، دار الفكر (د٠ت) .
- * "شرح ابن عقيل" لعبد الله ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الخير، ط٢، بيروت ١٩٩٠ .

- * "شرح المفصل" لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
- * "الشواهد والاستشهاد في النحو" لعبد الجبار علوان النائلة، مطبعة الزهراء، ط١،
بغداد ١٩٧٦ .
- * "الصاحبي" لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد مقر، طبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "الصاح" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت
١٩٨٤ .
- * "صحيح البخاري" تقديم أحمد محمد شاكر، دار الجبل، بيروت (د.ت).
- * "ضحى الإسلام" لأحمد أمين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦١م.
- * "الضوء اللامع" لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة،
بيروت (د.ت).
- * "طبقات المفسرين" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩٨٣
- * "طبقات المفسرين" لمحمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق علي محمد عمر،
مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "طبقات النحويين واللغويين" لابن بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، ط١، مصر ١٩٥٤ .
- * "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز" ليحيى بن حمزة العلوي، دار
الكتب الخديوية، القاهرة ١٩١٤
- * "أبو عبدة معمر بن المثنى، للدكتور نهاد الموسى، دار العلوم، ط١، الرياض
١٩٨٥م.
- * "غاية النهاية في طبقات القراء" لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، نشره
ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت ١٩٨٠ .
- * "فتح الباري" لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي،
ط٤، بيروت ١٩٨٨ .
- * "الفروق في اللغة" لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار الآفاق الجديدة، ط٣،

- بيروت ١٩٧٩ •
- * "فصول في فقه اللغة" للدكتور رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة (د٠ت) •
- * "فقه اللغة العربية" للدكتور قاصد ياسر الزبيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل ١٩٨٧ •
- * "الفهرست" لمحمد بن اسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، ط١، الدوحة ١٩٨٥ •
- * "فوات الوفيات" لمحمد بن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١ •
- * "في تاريخ العربية" للدكتور نهاد الموسى، الجامعة الاردنية ١٩٧٦ •
- * "فيض القدير شرح الجامع الصغير" لعبدالرؤوب المناوي (ت ١٠٣١هـ)، دار المعرفة، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٧٢م •
- * "في اللهجات العربية" للدكتور ابراهيم انيس، مكتبة الانجلوالمصرية، ط٣، القاهرة/ ١٩٦٥ •
- * "القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت (د٠ت) •
- * "القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية" لعبدالعال سالم مكرم، دار المعارف، مصر (د٠ت) •
- * "القرطبي المفسر سيرة ومنهج" ليوسف عبدالرحمن الفرت، دار العلم، الكويت، ط١، ١٩٨٢م •
- * "القرطبي ومنهجه في التفسير" للدكتور القصبي محمود زلط، دار الأنصار، مصر ١٩٧٩ •
- * "الكامل" لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦ •
- * "كتاب السبعة في القراءات" لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، مصر ١٩٨٨ •
- * "كتاب سيويه" لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيويه (ت ١٨٠هـ)،

- تحقيق عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٢، بيروت ١٩٨٣ .
- * "كتاب الكافية في النحو" لأبن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، ومعه شرح الكافية للرزي
الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت ١٩٨٢ . "كتاب النقائص"
دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٠٩ .
- * "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لجار الله الرمخشري
(ت ٥٣٨هـ)، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٧٢ .
- * "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة، بعناية محمد شرف السدين
ورفعت الجلية، مطبعة البهية، ١٩٤١ .
- * "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" لأبي البقاء الكفوي (ت ١٦٨٣م)،
باعتناء الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد
القومي، دمشق ١٩٧٥ .
- * "الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية" للإمام جمال
الدين الأسنوي (ت ٧٧٢هـ) تحقيق الدكتور محمد حسن عواد، دار عمار ط ١، عمان -
الأردن ١٩٨٥م.
- * "لسان العرب" لابن منظور المصري، دار صادر، بيروت .
- * "اللسان" لجوزف فندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة
الأنجلوالمصرية، القاهرة ١٩٥٠ .
- * "الفتا ومواقف" للدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، مكتبة الرسالة، عمان الأردن
١٩٧٩م.
- * "مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة
الخانجي، القاهرة ١٩٥٤ .
- * "مجلد اللغة" لأحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، حققه عبدالمحسن سلطان، مؤسسة
الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٤ .
- * "المحتسب" لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي ناصف
والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي، المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٦هـ.

- * "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ)، حقق مجموعة من الباحثين، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، ط١، قطر ١٩٧٧م.
- * "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق محمود خاطر وحمره فتح الله، دار البصائر، ١٩٨٥م.
- * "المخصص" لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، دار الأفاق الجديدة، بيروت (د.ت).
- * "مدرسة الكوفة" للدكتور مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر ١٩٥٨.
- * "المنكر والمؤنث" لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق الدكتور رمضان عبدالنواب، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٢٥.
- * "مراتب النحويين لأبي الطيب، عبدالواحد بن علي اللغوي (٣٥١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة (د.ت).
- * "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، (د.ت).
- * "المستصفى من علوم الأصول" لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، مصر (د.ت).
- * "المشترك اللفظي نظرية وتطبيقاً" لتوفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٠.
- * "مشكل أعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٣٤٧هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت ١٩٨٨.
- * "المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري" لعوض محمد القوزي، عمادة شؤون الطلبة، جامعة الرياض، ط١، ١٩٨١.
- * "معاني القرآن" للأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق الدكتور فائز فارس، دار البشير، ط٢، عمان ١٩٨١.
- * "معاني القرآن" للفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، ط٢، بيروت ١٩٨٣.

- * "معاني القرآن" لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٧هـ) الجزء الأول منه)، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، ط١، مكة المكرمة ١٩٨٨م.
- * "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، راجعته وزارة المعارف العمومية، دار المأمون، الطبعة الأخيرة، (د.ت).
- * "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت).
- * "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة" لعمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية، ١٩٤٩ .
- * "المعجم الوسيط" لمجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، ط٢، القاهرة ١٩٧٢ .
- * "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" لأبي منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طهران ١٩٦٦ .
- * "مغنى اللبيب" لجمال الدين ابن مشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، حققه الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله وسعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، بيروت ١٩٧٢ .
- * "المفضليات" لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، (ت ١٦٨هـ) تحقيق كارلوس يعقوب لایل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠ .
- * "المقتضب" لأبي العباس المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب (د.ت).
- * "مقدمة ابن خلدون" لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار البيان (د.ت).
- * "مقدمة في أصول التفسير" لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمود محمد مصطفى، دار الجليل للطباعة، مصر (د.ت).
- * "من تاريخ النحو" لسعيد الأفغاني ، دار الفكر بيروت (د.ت).
- * "مناهل العرفان في علوم القرآن" للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني (ت ٩٤٨ هـ)، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر (د.ت).
- * "منجد المقرئين" لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق الدكتور عبدالحى الفرماوي، ط٢، القاهرة .
- * "المنصف لكتاب التصريف" لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٥٤ و ١٩٦٠ .
- * "منهج النقد في علوم الحديث" للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، ط٣، دمشق ١٩٨١

- * "الموافقات في أصول الشريعة" لابن اسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، مطبعة الشرق الأدنى بالموسكي، د٠ ت٠
- * "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" للدكتورة خديجة الحديشي، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨١٠
- * "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ)، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي.
- * "النحو وكتب التفسير" للدكتور ابراهيم عبدالله رفيدة، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط١، الليبية ١٩٨٠م.
- * "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" لأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط٣، الأردن ١٩٨٥٠
- * "نزهة الطرف في علم الصرف" لأبي الفضل الميداني (ت ٥١٨هـ)، مطبعة الجوائب البهية، قسطنطينية ١٢٩٩هـ.
- * "نشأة اللغة عند الإنسان والطفل"، للدكتور علي عبدالواحد وافي، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧١٠
- * "نشأة النحو" للشيخ محمد الطنطاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- * "النشر في القراءات العشر" لأبي الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، عني بتصحيحه محمد أحمد زهمان، مطبعة التوفيق، دمشق ١٣٤٥هـ.
- * "نظرات في اللغة والنحو" لطفه الراوي، المكتبة الأهلية، بيروت ١٩٦٢٠
- * "النكت والعيون"، (تفسير المارودي)، لأبي الحسن المارودي (ت ٥٤٠هـ)، راجعه وعلق عليه السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، بيروت ١٩٩٢٠
- * "محية العارفين" لاسماعيل باشا البغدادي، (ت ١٣٣٩هـ) منشورات مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٥١م.
- * "ممع الهوامع" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالعالم سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٩٠

- ..
- * "الوافي بالوفيات" لملاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، باعثناء:
س، ديرينغ، مطبعة وزارة المعارف، استانبول ١٩٤٩ .
- * "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر،
بيروت ١٩٧٨ .
- * Brockelmann, c. Geschichete der Arabeschen litterature,
Supplementband. leiden E.J.Brill 1973 .

المجلات والرسائل الجامعية :

- * احتجاج النحويين بالحديث "للدكتور محمود حسني محمود، مجلة مجمع اللغة الاردنية، العدد ٣-٤، نيسان ١٩٧٩م.
- * بحث في علم الاشتقاق "العبدالله افندي أمين، مجلة مجمع اللغة العربية المملكي، بمصر، الجزء الاول ١٩٣٤ .
- * شبهات حول نشأة التفسير وتطوره" للدكتور فضل حسن عباس ، مجلة دراسات الجامعة الاردنية، المجلد العاشر، العدد الثامن - كانون أول ١٩٨٣م.
- * "الشعر الجاهلي في تفسير الطبري"، رسالة الماجستير، قدمته ليلى العمري، بإشراف الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، كلية الآداب، الجامعة الاردنية . ١٩٨٨م.
- * "التحصيل لفوائد الكتاب التسهيل الجامع لعلوم التنزيل"، للامام أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق الجزء الاول الى نهاية سورة البقرة، رسالة الماجستير، قدمه محمد يوسف شرجي، بإشراف: الدكتور محمد فضل عباس، كلية الشريعة، الجامعة الاردنية ١٩٨٧
- * "التحصيل لفوائد الكتاب التسهيل الجامع لعلوم التنزيل"، للامام أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سورة آل عمران والنساء، رسالة الماجستير، قدمته: سناء فضل عباس، بإشراف الدكتور أحمد فريد صالح، كلية الشريعة، الجامعة الاردنية، ١٩٨٩ .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
المدخل : علاقة النحو بالتفسير وأثر كل منهما في الآخر	١
الفصل الاول: شواهد القرطبي النحوية	٢٤
المبحث الاول: الاستشهاد بالقرآن الكريم	٢٤
المبحث الثاني: الاستشهاد بالقراءات الفرآنية	٥٠
المبحث الثالث: الاستشهاد بالحديث الشريف	٦٧
المبحث الرابع: الاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثرا	٧٣
الفصل الثاني: اتجاهات القرطبي النحوية	١٠٣
المبحث الاول: موقف القرطبي من النحاة السابقين	١٠٤
المبحث الثاني: اختيارات القرطبي النحوية	١٣٧
المبحث الثالث: مصطلحات القرطبي النحوية	١٦١
المبحث الرابع: مصادر القرطبي النحوية واللغوية	١٧١
الفصل الثالث: مسائل النحو التطبيقية عند القرطبي	١٩٣
المبحث الاول الاعراب التطبيقي عند القرطبي	١٩٣

٢٢٦	المبحث الثاني: مسائل الصرف واللغة عند القرطبي
٢٦١	المبحث الثالث: احتفاء القرطبي باختلاف اللغات
٢٨٩	المبحث الرابع: مسائل النحو وأثرها في المعنى
٣٢٣	الخاتمة
٣٢٤	المصادر والمراجع
٣٥٢	فهرس الموضوعات

الملخص

هذه الرسالة بعنوان "اثر النحو في تفسير القرطبي" وهي تألفت من مقدمة فمدخل ثم ثلاثة فصول واختتمت بخاتمة.

وعرضت في مدخل الرسالة دراسة تاريخية لنشأة التفسير وتدرجه وتحديد زمان دخول النحو في مجال التفسير وما اثر استخدام النحو اداة للتفسير؟ وهل للتفسير اثر في النحو؟، حتى يكون هذا المدخل موطئ قدم للدخول في صلب موضوع الرسالة.

الفصل الأول:

شرحت فيه "شواهد القرطبي التحوية" ويحتوي البحث في هذا الفصل على اربعة مباحث:

المبحث الأول :

بحثت فيه موقف القرطبي من الاستشهاد بالقرآن الكريم، من ثلاث نواح: المسائل التي يستشهد لها بالقرآن، والقرآن وغيره من النصوص المستشهد بها، والاحكام التي استشهد فيها القرطبي بالقرآن.

المبحث الثاني:

تحدثت فيه عن موقف القرطبي من الاستشهاد بالقراءات القرآنية، وبدأت هذا المبحث بتعريف القراءات القرآنية لغة واصطلاحاً، ومنهج القراء في النظر الى القراءات ، ثم "موقف القرطبي من القراءات".

المبحث الثالث:

بحثت فيه موقف القرطبي من الاستشهاد بالحديث الشريف من ثلاث جوانب: المسائل التي يحتج لها بالحديث، والحديث والنصوص الاخرى المحتج بها، والاحكام التي يستشهد فيها القرطبي بالحديث.

المبحث الرابع:

تحدثت فيه عن موقف القرطبي من الاستشهاد بكلام العرب، شعرا ونثرا،
 فعرضت فيه موقف القرطبي من الاستشهاد بالشعر بشكل عام، ثم الفحص
 عن موقف القرطبي من الاستشهاد بأشعار جهل قائلوها من ثلاث نواح:
 الأولى المسائل التي استشهد لها بهذه الأشعار، والثانية الشعر المجهول
 قلثه والنصوص الأخرى المحتج بها، والثالثة الأحكام التي احتج فيها
 بهذه الأشعار. ثم فحصت استشاده بالنثر من ثلاث نواح كذلك.

الفصل الثاني:

تحدثت فيه عن " اتجاهات القرطبي النحوية " وجعلته على أربعة مباحث:

المبحث الأول:

استجلت فيه موقف القرطبي من النحاة السابقين من خلال طريقة العرض
 للأراء كتقديم بعضها على الآخر، ورد بعضها وقبول الآخر.

المبحث الثاني:

بحثت فيه " اختيارات القرطبي النحوية "، ويتم البحث بالنظر الى طريقة
 العرض للأقوال، وطريقة التصريح بالفاظ توضح انه اختار احد الأقوال.

المبحث الثالث:

درست فيه " مصطلحات القرطبي النحوية فهل كان القرطبي كوفيا في
 مصطلحاته او كان بمريا، او كان استعماله للمصطلحات لم يتم على اختيار
 دقيق.

المبحث الرابع:

بحثت فيه عن مصادر القرطبي النحوية واللغوية فهي تشمل على: " كتب
 النحو " و " كتب معاني القرآن " و " اعراب القرآن " و " كتب القراءات " و
 كتب اللغة " و " كتب التفسير " .

الفصل الثالث:

خصصته للبحث في "مسائل النحو التطبيقية"، و شملته اربعة مباحث:

المبحث الأول:

ذكرت فيه الاعراب التطبيقي عند القرطبي وهو على اربع مسائل، الاولى محاولة الاجابة عن سؤال : لماذا اعرّب مواضع من القرآن ولم يعرب مواضع اخرى؟، والثانية: ذكر العلل النحوية التي اعتل بها القرطبي في اعرابه للقرآن، والثالثة: ذكر حروف المعاني ووظيفتها في التفسير، والرابعة: ذكر توجيه اعراب القراءات القرآنية.

المبحث الثاني:

ذكرت فيه مسائل الصرف واللغة عند القرطبي، وهو بحث في علاقة علمي الصرف واللغة بالنحو، وظيفتهما في التفسير.

المبحث الثالث:

ذكرت فيه "احتفاء القرطبي باختلاف اللغات" وهو بحث في لهجات القبائل التي انتفع بها القرطبي في تفسيره، وبحث في انواع الانتفاع.

المبحث الرابع: /

خصصته للبحث في "مسائل النحو واثرها في المعنى" ويعد هذا البحث دراسة شاملة لمسائل النحو والصرف واللغة في تعدد التأويلات الممكنة للنصوص القرآنية.

واختتمت الرسالة بالخاتمة عرضت فيها نتائج الدراسة في هذه الرسالة، ثم تبعها بشب

المصادر وقهرس المحتويات.

ABSTRACT

The title of this thesis is "The Effect of Arabic Grammar on Al-Qurtubi's interpretation".

It contains: a preface, an Introduction, three chapters and a conclusion.

In the preface of this thesis I discussed about the historical study of the beginning and development of Exegesis. Also I wrote about the period of time in which the Arabic grammar began to be used in the methodology of Exegesis and the influence in utilising the grammar, so that this preface can be used as an approach of Exegesis, does the Exegesis influence, the grammar so that this preface could be a guideline of the main subject of this thesis.

Chapter One: I have analysed the evidences of grammar given by Al-Qurtubi. The chapter contains four sections.

First Section:

In this section I discussed about Al-Qurtubi's attitude forward Al-Quran as an evidence in grammatical problems.

Second Section:

In this section I have examined the attitude of Al-Qurtubi in using Quranic Readings as a proof. I began this section by giving the definition of Quranic Readings based on its literal and terminology, on the methodology of the Readers towards Quranic Readings. Then Al-Qurtubi's attitude towards the Readers.

Third Section:

I have discussed in this section about Al-Qurtubi's attitude in proving the grammar.

Fourth Section:

I have explained in this section Al-Qurtubi's attitude in proving the arabic grammar by using arabic poetry and prose. I have presented Al-Qurtubi's attitude in using poetry in general, the analysed Al-Qurtubi's attitude in using poetries by unkown poets.

Chapter Two: I have studied the evidences of Al-Qurtubi's inclination in grammar and I have divided it into four sections:

First Section:

In this section I have exposed Al-Qurtubi's attitude towards the past grammarians regarding the methodology of presentating their opinions. As prefering some of the opinions or by acceptant and refusing other opinions.

Second Section:

I have discussed in this section Al-Qurubi's selections on grammar and this discussion I analysed observing the methodology of choosong by the words directly.

Third Section:

I have studied Al-Qurtubi's terminology, did he use the terminology of Qufi or the Terminology of the Basri.

Forth Section:

I have discussed in this section Al-Qurtubi's references regarding the grammar and linguistic, including the grammar books, the Qur'anic Reading, the linguistic books and the Exegesis books.

Chapter Three: I have specialized it here the practical grammar problems and it consists four sections:

First Section:

I have explained the practical grammar according to Qurtubi on this subject from four cases:

- I have tried to answer why Al-qurtubi analysed only some of the Quran and left a part on the others?.

٤١٥٢٦٨

- I have mentioned here the grammatical reasons using by Al-Qurtubi in analysed Al-Quran.
- I have mentioned here the using of the conjunctions and propositions in Quranic Exegesis.
- I have mentioned here the using of the inflection of Quranic readings.

Second Section:

I have mentioned here the problems of Morphology and Linguistic according to Al-Qurtubi, such as a discussion concerning both of it which related to the grammar, and their roles in Quranic Exegesis.

Third Section:

I have mentioned here the Qurtub's attitude in utilizing arabic dialects of the tribes in Quranic Exegesis.

Fourth Section:

I specialised the various grammatical problem in giving the meaning, and this discussion is a global discussion including various grammatical problems, terminologies or dialects in numeral exegesis in Quranic texts.

I ended this thesis with a conclusion in which I have metnioned here the result of the discussion, I enclosed a list of references and a list of content.